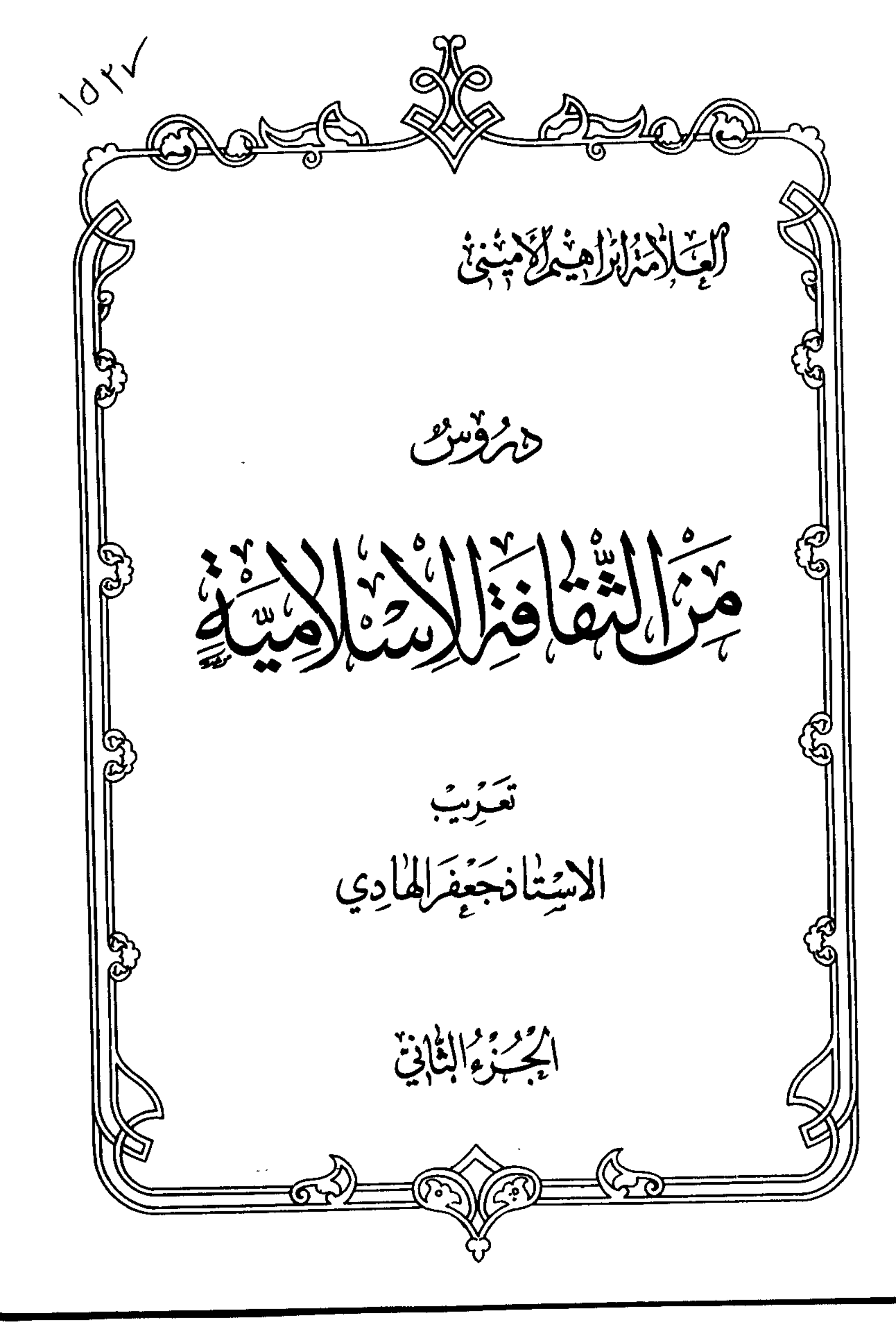


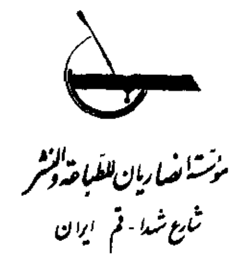
العلامة ابراهيم الاميني

دروس من الثقافة الاسلامية

تعريب

الاستاذ جعفر الهادي

الجزء الثاني



الكتاب:	دروس من الثقافة الاسلامية
المؤلف:	العلامة ابراهيم الأميني
تعريب:	الاستاذ جعفر الهادي
الطبعة:	الاولى ـ ربيع الاول/١٤١٣
المطبعة:	الصدر ـ قم المقدسة
الكمية:	٣٠٠٠
الناشر:	مؤسسة انصاريان ـ قم المقدسة ـ
	شارع شهداء ص ـ ب ـ ١٨٧ ـ تلفن (٢١٧٤٤)


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

بدايَةُ أبْحَاثِ النُبُوَّة

في القِسم الأوَّل مِن هذا الكتاب قرأتم أنّ هذا الكون لم يُوجَد من لدن نفسِه، ولم يحدث بالصدفة وعلى سبيل الإتفاق، بل إنّ له خالقاً قادِراً، عليماً، حكيماً. هو الذي أوجده وخلقه، وهو الذي يديرهُ ويدبّرُه، خلق العالم بقدرته وعلمه، وأنشأه بارادته، ومشيئته،عن عناية وحكمة، وأنه لا يصدُر منه لغوٌ أو عَبَث قط.

وفي القِسم الثّاني من هذا الكتاب قرأتم أنّ خَلْق الإنسانِ والعالم ليس عَبثاً ولا لغواً وأن الإنسان لم يأتِ إلى هذه الدنيا ليعيش فترة قصيرة يأكل فيها، ويشرب، ويلهو ويلعب، ويستمتع بالملذّات، ويقضي وقته في الشهوات، ثم يموت ويفنىٰ، بل إن لله الحكيم هَدَفاً أسمىٰ، وغايةً أعلى وراء خَلْق الإنسان.. إنّه خَلَق الإنسان ليربيّ نفسَه ـ في هذه الدنيا ـ بالإيمان والعَمَل الصالحِ ، والأخلاق الحَسَنَة، وَيَعمل على تكميلها، وتزكينها وتهيئتها لحياة (الآخرة) السعيدة، الجميلة، الخالِدة.

وعلى هذا الأَساس فإنّ الإنسان لا يفنى بالموت، إنّما ينتقل ـ بعد الموت ـ من

هذا العالم إلى عالمِ الآخرة، وهناك يساهِدُ نتيجةَ أعمالِه كاملةً.

الصالحون المحسنون ينالون ـ يومذاك ـ أجراً حَسَناً وكريماً، ويعيشون في جَنة عدنٍ، بنَفْسٍ كاملةٍ، نورانيّةٍ، ويستمتعون بشتىٰ ألوان النِعَمِ الطيّبة التي يعطيها لهم ربّهم الرحيم.

والطالحون المسيئون يلقونَ عِقابَ أعمالِهِم السَيئة، بالكامِل.

إذن فَهذه الدُّنْيا مَزرعة الآخرة، وهي المكانُ المناسبُ لبناءِ الذّات، وَصياغة النَفْس، ويجب أن تُهَيَّأ نِعَم الآخرة في هذه الحياة، وتضَمَن السعادة الاُخروية في هذا العالم.

وهنا تنطرح الأسئلة التالية:

١ ـ هل الإنسانُ بحاجةٍ إلى برنامجٍ كاملٍ وشاملٍ من أجل سُلوك طريق السعادة والكمال، وضمان سعادتِه الدنيويةِ والاُخرويةِ، أم لا؟.

٢ ـ هل الإنسان قادرٌ بنفسه علىٰ أنْ يُهيّء ويدوّن مثل هذا البرنامج الكامل الشامل، وان ينفّذهُ في الحياة، أم أنه بحاجة إلى هدايةٍ مِن خالقِ هذا الكون، ومُنشىء هذا العالَم، لتهيئة وتدوينِ مثلِ هذا البرنامج؟.

إنَّ الإجابة على السُؤال الأوّل واضحة، ولا تحتاج إلى توضيح، لأننا جميعاً نعلم بأن الإنسان يعيش ضِمنَ المجتمع، ولا يمكن أن تكونَ له حياةٌ هنيئةٌ ومستقِرَّةٌ مِن دون وجودِ قانونٍ كامِلٍ، بل يجبُ أنْ يكون هناكَ قانونٌ يكفلُ حقوقَ الأفراد، ويمنع مِنَ التجاوز والعدوان، ويضمن إستقرارَ النظام، وسيادة الأمن.

وهكذا الحياة المعنوية والرُوحية الإنسانيه هي الاُخرىٰ بحاجة إلى برنامج وقانون .. إنّه بحاجة إلى برنامج لتربية نفسه، وتهذيبها، ولضمان سعادته الاُخروية.

ولهذا لا مجال للشكّ في أنَّ الإنسان يحتاج لضمان سعادته الدنيوية والاُخروية إلى برنامجٍ كاملٍ شاملٍ متناسِقٍ.

ولكنّ الإجابة على السُّؤال الثاني بحاجةٍ إلى توضيحٍ أكثر .. وهنا تنطرحُ مسألةُ النُبوَّة.

وفي موضوع النُبوّة هناك بحثان:

الأول: البحث في المسائل العامّة التي ترتبط بأصلِ النبوّة، وتسمّى بالنبوّة العامّة.

الثاني: البحث في المسائل الخاصّة التي ترتبط برسولِ الإسلام (ص) وتسمّى بالنبوّة الخاصة.

وها نحن نبدأ بمسائل النبوّة العامة.

* * *

الفصل الاول

النُبُوَّة العامَّة

الدَرسُ الأوّل

الإنسانُ وبرنامجُ سعادتِه

خَلَق اللهُ تعالى الانسانَ في أفضَل صورة، وقرّر أن يبلغَ هذ الإنسانُ مرحلةً من الكمال اللائق به، وأودع في كيانه رغبة إلى الكمال، ومَكّنَهُ من الحركة باتجاهه، والسعي لنيله.

إنَّ الانسانَ بحاجة إلى برنامجٍ، ومرشدٍ، لسلوك طريق الحياة، وضمان سَعادته الحقيقية. وبدون ذلك لا يستطيع أن يصل إلى كماله المنشود، ويحقق سعادته المطلوبة.

إنّ الانسانَ لا يتمكّن ـ بمفرده ـ أن يكتشف برنامج حياته، وطريق تكامله، كما لا يمكنه بمفردِهِ أن يطبِّق ذلك البرنامج، وينفّذه على نفسه وعلى الآخرين، بل يحتاج ـ لمعرفة ذلك الطريق وسلوكه ـ إلى خالقِ الكون، ورُسُلهِ وأنبيائِهِ .. ومن هنا نقف على ضرورة إرسال الأنبياء وبعْثِ الرسُل .. ونحن ندرس هذا الموضوع في مرحلتين:

الأُولىٰ: دراسة الإنسان، ودراسة حاجته إلى برنامج الحياة، والخصائص التي يجب أن يتّسِمَ بها «البرنامجُ السعيدُ».

الثانية: التعريف بواضع البرنامَجِ الكاملِ الصالحِ.

١ ـ لقد ثَبَت في مجال العلوم العقليّة ـ أنَّ الانسانَ مُرَكّبٌ من الجَسَد والرُّوح، فَمن جهة الجسَدَ هو مثل كلّ الأشياء المادية عُرضةٌ للحركة و التغيرُّ، والتبدُّل والتحوُّل.

ومن جهة الرّوح يُعدّ من عالَم المجرّدات، ولكنَّ بين الروح والجسد منتهى الترابط والعلاقة بل هما متحدان.

وحيث أنّ للروح تعلُّقـاً وارتباطاً بالمادَّة لا تكون مجرّداً محضاً، ولهذا يمكن للرّوح أن تتحرك وتستكمل نفسَها، ايضاً.

إنها في البداية كائنٌ ضعيفٌ، ولكنّها تترقّى تدريجاً، وتتكامل شيئاً فشيئاً، إلاّ أنّها ليست في جميع المراحل إلاّ حقيقة واحدة.

٢ ـ حيث أنّ الانسانَ يسير في طريق التكامل وهو يميل إلى الكمال بفطرته، كما هو مزوّدٌ بقوة تُمَكّنهُ من بلوغه، فلا بدّ أن يكون وصولهُ إلى تلك الغاية أمراً ممكناً، لأنه لا مكان للعَبَث واللغو في نظام الخلق والتكوين.

فكما أنّ كلَّ نوع من أنواع الكائنات في هذا العالَم الماديّ قادر على أن يبلغ كماله الممكن، وقد مُهّدَ له طريق الوصول إلى تلك الغاية، كذلك الانسان ليس هو الآخـر محرومـاً من هذا الفيض الإلَهيّ العظيمِ، بل هَيّأً له الخالقُ الحكيمُ طريق الوصولِ إلى الغاية المنشودة.

٣ ـ حيث أنّ الإنسان مُركَّبٌ من الجسَد والرُّوح لهذا من الطبيعيّ أن تكون حياتُه ذا طبيعة مزدوجة، أي مركبّة من نوعَين من الحياة: إحداهُما دنيويّة ظاهرية، وهي التي ترتبط بجسده، والاُخرى روحية باطنية ترتبط بروحه ونفسه، كما ان من الطبيعي أن يكون لِكلّ واحدة من هاتين الحياتين ـ في النتيجة ـ نوع من التكاملِ، والسعادة، أو التسافلِ و الشقاء.

إنّ الانسانَ، وحتى عند انشغاله بالحياة الماديّة، وغفلته عن الحياة الروحية

والنفسية غفلةً كاملةً، يتمتع في باطن كيانه بحياةٍ واقعيّةٍ أيضاً فهو يسير إمّا باتجاهِ سعادته، وكماله الانساني وإمّا باتجاهِ شقائه وسقوطه.

إنَّ المعتقـدات الصحيحة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة خير وسيلة للاستكمال النفسيّ، الروحيّ، والسعادة الباطنية.

كما أنَّ المعتقدات الباطلة، والأعمال السَيئة والأخلاق الذميمة، توجب انحراف الانسان عن صِراط الإنسانية المستقيم، وتقودُهُ إلى مَهاوي الهَلاكِ والشَقاء.

فلو سَلكَ الانسانُ طريق التكامُل المستقيم، لتكامَلَ جوهرُ ذاته، وبَلغَ رُشدَه، وارتقى بعد طيّ مراحلِ الكمالِ إلى عالَمِهِ الأصليّ، عالمِ النور والسُرور.

واذا ضحّى بالكمالات الروحيّة والاخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة في سبيل إرضاء غرائزه الحيوانيّة، وظَهَر في صورة حيوانٍ شهوانّي، أو سبع مفترسٍ، فانَّ مثلَ هذا الشخص يكون قد انحرف عن صراطِ التكاملِ المستقيمِ، وشذّ عن طريقِ الانسانية القويمِ، وسقطَ في وديان الشقاء والهلاك.

٤ ـ حيث أنَّ بين الجسَد والنفس الإنسانية إرتباطاً كاملاً، واتحاداً عميقاً، فإن بينَ الحياة الدنيوية والحياة النفسانية أيضاً غاية الارتباط ولا يمكن أن نفصِلَ بينهما، ولا بُدّ أن نحسب لكلّ واحدٍ منهما حِساباً خاصّاً مستقِـلاً.

إنَّ أعمال الإنسان الحسنة أو السيّئة تؤثّر ـ ومن دون شكّ ـ في نفسه، تأثيراً سيّئاً أو حَسَناً، كما أنّ للصفات والمَلكات النفسانيّة تأثيراً في كيفيّة صُدور الأفعال.

إنّ الحياةَ النفسانيّة والباطنيّة لدى الانسان تنشأ من معتقداته وأخلاقه وأعماله الظاهرية .. ومن دون الإيمان الصحيح، والقيام بالأعمال الصالحة لا يمكن التحرك نحو الكمال المطلوب، والسَعادة الروحيّة، كما أنه من دون تزكية النفس وتهذيبها لا يمكن تحقيق النجاح في مجال إصلاح الظاهر، وضبط الأعمال، والتصرّفات نجاحاً كاملاً.

٥ ـ إنّ الانسانَ يعيش في المجتمع، وينتفع بجهود أبناء نوعه، ويُنَفِّعُهُم بجهوده، وإنّ التزاحم بين المنافع والمصالح، والمآرب والمطالب، والتعدّي والتجاوز على حقوق الآخرين هو أحد اللوازم الحتميّة للحياة الاجتماعية البشرية.. وإن العيش بسلامٍ في أحضانِ مجتمعٍ يعاني من الاختلاف والتزاحم، والعدوان والتجاوز أمرٌ في غاية الصعوبة، بل هو من غير الممكن.

ولهذا السبب يحتاج المجتمعُ البشريُّ إلى قانونٍ كاملٍ ودقيقٍ، وشاملٍ يكفل حقوق الأفراد ويحول دون العدوان والتجاوز.

من مجموع هذا كلّه نستنتج أنَّ الإنسان ـ لكونه يتألف من بُعدين وجوديّين، أي الجسد والروح اللّذين بينهما غاية الاتصال والارتباط، واللذين لهما نوعان من الحياة بينهما كمال العلاقة والترابط ـ يحتاج من أجل ضمان سعادتِه، وتحقيق كماله في الدارين، إلى برنامجٍ كاملٍ، ومنهجِ عملٍ دقيقٍ ومتناسِق.

إنّ البرنامجَ الذي يضمن سعادة البشر الدنيوية وكذا سعادتهم وكمالهم الأُخروي يجب أن يكون بحيث لا تُلحِق الحياةُ الدنيويّة والجسمانية الضررَ بالحياة الأُخروية، ولا تمنع الحياةُ الروحيّة والمعنوية الانسانَ من التمتع بالحياة الدنيوية والمادية.

يجب أن يكون برنامجاً يُطابقُ إحتياجات البشر الحقيقية، ويرشدُ الانسانَ نحو كمالِه وسعادَتِه الواقعيّةِ، لا السعادةِ الخياليّة، والكمال الوهميّ.

يجب ان يكون برنامجاً قائماً على أساس الفضائل والكمالات الانسانية .. برنامجاً يُلفِت نظرَ الانسان نحو تربية الروح الملكوتية، ونَيل الزُلفى عند الله، ويعتبر الدنيا مزرعةَ الآخرة .. برنامجاً رُوعيت في قوانينه ونُظُمه مصالحُ جميع أبناء البشر الواقعيّة، كما ويكون بعيداً عن ضِيق النظر، وخالياً عن التمييز الباطِل، والحِزبية والعَصَبيّة الجاهليّة.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّـذِينَ ءامَنُـواْ ٱستَجِيبُواْ لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِـمَا يُحيِيكُمْ وَٱعْلَمُواْ أَنَّ ٱللهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلمَرْءِ وَقَلبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيهِ تُحشَرُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَد جَآءَكُم بُرهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلنَا إِلَيكُمْ نُوراً مُّبِيناً . فَأَمَّا ٱلَّـذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾[2].

﴿كَانَ ٱلنَّـاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلكِتَـٰبَ بِٱلحَقِ لِيَحكُم بَينَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱختَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱختَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعدِ مَاجَآءَتْهُمُ ٱلبَيِّنَـٰتُ بَغْيَا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِـمَا ٱختَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلحَقِ بِإِذْنِهِ وَٱللهُ يَهدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ إلى كَم نوع تنقسمُ حياةُ الانسان؟

٢ ـ بماذا ترتبط حياةُ الانسانِ الباطنية، وَضّحوا ذلك؟

٣ ـ هل يمكن الإنفكاك بين الحياة الجسديّة والروحيّة؟ ولماذا؟

٤ ـ كيف يجب أن يكونَ البرنامجُ الكاملُ الكافلُ لسعادة الانسان؟

٥ ـ إحفظوا الآيات.

* * *

---

(١) الأنفال ـ ٢٤.

(٢) النساء ـ ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٣) البقرة ـ ٢١٣.

ولا يحرم عباده من هذا الفيض العظيم.

إنّ الله الذي هيّأ أسبابَ التكامل والرشد، لجميع أنواع الموجودات المادية ليمكنّها من الوصول إلى كمالها المطلوب[1] عن طريق السعي والحركة، من غير المعقول أن يُحرِمَ النوعَ الانسانيَ وهو الكائن المختار، والموجود الفاعل بالإرادة، من ذلك الفيض العظيم، ولا يهيئ له وسائل وصوله إلى الكمال المنشود.

إنَ الله تعالى الذي خَلَقَ الانسانَ بهذه الصورة الرائعة، وأودع في خلق جسده وروحه آلاف الأسرار والرموز، وسخّر لخدمته ومصلحته العالمَ الماديَّ باسره، لا يمكن (ولا يُعقَل) أن يغفل عن سعادته الحقيقية، وكماله الواقعي، وغايته الوجودية، وبالتالي لا يضع طريق الوصول الى الكمال المطلوب اللائق به، في متناول يده.

من هنا يتحتم وجودُ الأنبياء في حياة البشر، ويصبح إرسال الرسُل أمراً ضرورياً لا مندوحة منه فيختار الله لايصال رسالته إلى البشرية أشخاصاً ويبعث عن طريقهم البرامج والقوانين التي يحتاجون اليها.

إنّ الأنبياء أشخاصٌ مختارون أصفياء من البشر يوصلون رسالات الله إلى الناس، ويقودونهم إلى السعادة والكمال، ويحذّرونهم من عوامل الشقاء والسقوط.

﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيكُمْ ءايَـٰتِى فَمَن ٱتَّقَى وَأَصلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلاَهُمْ يَحزَنُـونَ . وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِايَٰتِنا وَٱستَكبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[2].

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاّ مُبَشّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلاَ هُم يَحزَنُونَ . وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَيَٰتِنا يَمَسُّهُمُ ٱلعَذابُ بِما كانُواْ يَفسُقُونَ﴾[3].

---

(١) قَالَ ربُّنا ٱلَّذى أعطىٰ كلَّ شيءٍ خلقَهُ ثُمَّ هَدىٰ (طه ـ ٥٠).

(٢) الأعراف ـ ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) الانعام ـ ٤٨ ـ ٤٩.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعبُدُواْ ٱللهَ وَٱجتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ فَمِنهُم مَّن هَدَى ٱللهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيهِ ٱلضَّلَالَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلأَرضِ فَٱنظُرُواْ كَيفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلمُكَذِّبِينَ﴾[1].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ ما هي المواصفات والشروط التي يجب توفُّرها في مَن يضع برنامج السعادة للبشرية؟

٢ ـ لماذا لا يستطيع المقننون البشر أن يضعوا برنامج السعادة للبشرية؟

٣ ـ فمن يستطيع أن يضع برنامج السعادة للبشر إذنْ ولماذا؟

٤ ـ ما هي الوظيفة الملقاة على عاتق الانبياء والرسُل؟

٥ ـ احفظوا الآيات.

* * *

---

(١) النَحل ـ ٣٦.

الدرس الثالث

عِصمَةُ الأَنبياءِ

لقـد اْصطفىٰ اللهُ تعالى الأنبياءَ من بين البشر وبَعَثَهم ليجعَلوا أحكامَ الله وقوانينَه، وبرامجَه الحكيمة بشكل كامل، ومن دون زيادة أو نقصان، في متناول أيدي البشر، ويرشدوهم إلى طريق التكامل الانساني المستقيم، ويهدوهم إلى سبيل التقرب إلى الله الذي هو سبيل واحد لا أكثر، وأيضا ليُساعِدو البشر على سلوك درب السعادة والكمال قولاً وعملاً، ويتولوا قيادة الأمّة، ويجتهدوا في تطبيق القوانين الالٓهية، وتنمية الفضائل الإنسانية في القلوب والنفوس، لدى الافراد والجماعات.

إنَّ مسؤُولية الأَنبياء في هذا المجال تتلخص في ثلاث نقاط

١ ـ تلقّي قوانين الدين وبرامجه عن طريق الوحي.

٢ ـ إبلاغ تلك القوانين والبرامج الالٓهية إلى الناس.

٣ ـ العمل بانفسهم بأحكام الدين وتعاليمه ليكونوا دعاةً للناس إلى هذه الأحكام والبرامج بأقوالهم وأعمالهم.

ولا يتحقق الغرضُ الإلٓهيُّ من إبتعاث الرسل وإرسال الأنبياء إلّا إذا كانوا معصُومين في جميع هذه المراحل الثلاث، يعني أن لا يَخطأُوا عند تلقّي التعاليم الإلهيّة،

ويكونوا مصونين من الإشتباه والنسيان عند إبلاغ هذه التعاليم، والرسالات الإلهية.

لأنه إذا لم يكن الأنبياءُ معصومين عن الخطأ والاشتباه والنسيان فكيف يمكنهم أخذ برامج الدين الحيوية الهامة ثم جعلها بعد ذلك في متناول أيدي الناس من دون زيادة أو نقصان؟ اذ في غير هذه الصورة هل يتحقق غرضُ الله الحكيم من إرسال الرسل، وابتعاث الأنبياء على وجه اليقين، وبالصورة الصحيحة؟

هل يستطيع الناسُ أن يثقوا بأن أقوال النبيّ هي نفسُ تعاليم الله ورسالاته؟ كلا، أبداً لن يكون هكذا إلّا أن يكونَ الأنبياء والرسل الآلهيّين معصومين من الخطأ والاشتباه والنسيان لكي يستطيعوا أن يضعوا برامج الدين في متناول أيدي الناس من دون زيادة أو نقصان، ويحقّقوا بذلك الغرضَ الآلهي العظيم.

وكذا يجب أن يكون الأنبياء معصومين في المرحلة الثالثة أي في العمل بأحكام الدين .. على الأنبياء أن يعملوا أنفسهم ببرامج الدين ويقوموا بالوظائف والواجبات، ويتجنّبوا المحرَّمات والمعاصي، ويتركوا كل الأعمال القبيحة والخلال الذميمة.

يجب أن يكونَ الأنبياء نماذجَ عمليَّة كاملة للدين وأن يدعوا الناس إلى الأعمال الحسنة، ويمنعوهم عن الأفعال السيّئة بصورةٍ عمليّةٍ.

إذا لم يكن الأنبياءُ معصومين كيفَ يمكنهم إذن القيامُ بقيادة الناس، ودعوتهم إلى الدين، والعملِ ببرامجه ودساتيره؟

إن الناسَ لا يثقون بمن يكون نفسُه منحرفاً عن الصراط المستقيم، وتكون أفعالهُ مخالفةً لأقواله، ولا يأتمرون بأوامره.

إنهم يقولون: لو كان ما يقوله هذا الداعية، حقاً وكان مؤمناً بأقواله وتعاليمه لعمل هو بها قبل غيره.

في هذه الصورة يرجّح الناس ـ على الأغلب ـ أن يتّبعوه في أعماله، وأن يتجاهلوا أقواله، ومِن المعلوم أنّ الله لا يبعث شخصاً كهذا بالرسالة.

بناءً على هذا فإنَّ العقلَ يشهد بضرورة توفر العصمة في الأنبياء، ولا حاجة إلى ذكر البراهين النقلية، ولكننا سنشير مع ذلك إلى بعض تلك البراهين (النقليّة) في الدرس القادم.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ ماذا كان الهدفُ من إرسال الأنبياء؟

٢ ـ ماذا كانت مهمّات الأنبياء والواجبات الملُقاة على عواتقهم؟

٣ ـ كيفَ يتحقق الغرضُ الآلهيّ؟

٤ ـ في ايّة اُمور يجب أن يكونَ الأنبياء معصومين؟

٥ ـ أوضحوا الدليل الذي يدلُّ على ضرورة وجود العصمة في الأنبياء، جيداً؟

* * *

الدرس الرابع

سبب العصمةِ ومَنْشأُوهــا

في الدّرس السابق قرأْتم أنّ الأنبياء معصومون عن الخطأ والزلل، والنسيان، ومصونون عن اقتراف الذنوب والآثام.

والآن ينطرح هذا السؤال وهو: ما هو منشأ العصمة، ولماذا يكون بعض الناس معصومين والبعض الآخر غير معصومين، وبعبارة اخرى، لماذا يتصف بها بعض دون بعض؟؟

كلُّ النـاس يشتركون في الإنسانية، وكلُّ الناس يجوز عليهم الخطأ، فلماذا ولأيّ سبب تحصل لبعض الناس هذه العصمة دون غيرهم؟

إنّ الغرائز والميوُل الحيوانية موجودةٌ في كيان جميع ابناء البشر، فما الّذي يَهَبُ لبعض النـاس تلك المقـدرة التي يستطيعون بها السيطرة على ميولهم، وكبح جماح رَغَباتهم النفسية، فلا يميلون إلى ذنبٍ، ولا يرغبونَ في معصية؟

ما هو ـ ترى ـ السبب الأصليّ والعامل الاساسيّ في جميع أنواع العصمة هذه؟

حسب إعتقـادنا إن العصمة صفة نفسانيّة بل هي أعظم قوة باطنية تحفظ صاحبها من إرتكاب الذنوب والمخالفات، وتمنعه من السقوط في أحضان الخطأ والزلل

والنسيان.

وإنّ العامل الاساسيَّ والمنشأ الأصليَّ لمثل هذه الصفة هو الايمانُ الكامل الذي تجاوز مرحلة المفهوم والصورة وبلغ مرحلة اليقين والشهود الحضوريّ.

إنَّ الانسان الذي بَلَغَ في معرفة الله والاعتقاد باليوم الآخر (القيامة) الحدَّ الأعلىٰ والمرتبة الأسمى، وشاهَدَ بعين البصيرة، وببصر الباطن عظمة الله وجلاله، وآثار الأعمال الصالحة والأخلاق الحسَنة كما شاهد بالعيان تبعات الأعمال والأخلاق السيئة، يكره المعصية ويبغض الإثم بشدّة فيتجنبها عن وعي وإختيار، ويطيع الأوامر الآلهية عن بصيرةٍ وارادةٍ .. وبمثل هذه القوة الملكوتية يسيطر على ميوله ورغباته، ويكبح جماح نوازعه النفسية، ولا يتخطى مطلقاً حدود العبوديّة، والتسليم للأوامر الآلهية.

ومن جانب آخر فانَّ وجودَ مثل هذه البصيرة الكاملة، والمشاهدة الحضوريّة تمَنعه عن الوقوع في الخطأ والنِسيان، والزلل والإشتباه في تلقّي الوحي وإبلاغه.

إنَّ النبيّ يشاهدُ الرسالاتِ الآلهية مشاهدةً حضوريةً، ويتلقى من خزائن العلوم الغيبية، ولذلك فانه يتمتع بالعِصمة، ويمتاز بالمصونية من الخطأ والإشتباه فيكون معصوماً من هذه الجهة.

إنَّ وجودَ مثل هذا الإنسانِ الكاملِ المعصومِ أمرٌ ضروريٌ للنُبوّة والرسالة، وإنَّ الله سبحانه وتعالى، قد رتّب نظامَ الوجود بحيث يُنتج مثلَ هذا الفرد الممتاز كلّما اقتضت الظروفُ، وكانت الحاجة.

إنّ التذكير بهذه النقطة أمرٌ ضروريٌّ وهي: أنّ النبيّ وإن كان معصوماً لا يذنب ولا يعصي أبداً، لكنَّ هذا الكلام لا يستلزم أن تسلب منه الإرادة والإختيار، والقدرة على المعصية، بيد أنّه على أثر الإيمان القويّ، والبصيرة الكاملة التي أُودعت في كيانه، ووجوده بموهبة إلٓهية، يترك الاعمال القبيحة ويتجنب المعصية باختياره

وارادته الحرّة.

وفي الخاتمة نشير إلى بعض الأدلة النقلية التي تدلّ على ضرورة توفرّ العصمة في الأنبياء.

فمن باب النموذج قالَ الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿عالِمُ ٱلغَيبِ فَلا يُظهِرُ عَلىٰ غَيبِهِ أَحداً . إلاّ مَن أرتَضىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَمِن خَلفِهِ رَصَداً . لِيَعلَمَ أَن قَد أَبلَغُواْ رِسَالاَتِ رَبِّهِم وَأَحاطَ بِما لَدَيهِم وَأَحصَىٰ كُلَّ شَيءٍ عَدَداً﴾[1].

قال العلامة الطباطبائي (قدس سره) في تفسير هذه الآية:

ظاهره أنه سبحانه يختص رسله بالوحي فيظهرهم ويؤيدهم على الغيب بمراقبة ما بين أيديهم وما خلفهم، والاحاطة بما لديهم لحفظ الوحي عن الزوال والتغير بتغيير الشياطين وكل مغير غيرهم، ليتحقق إبلاغهم رسالات ربهم، ونظيره قوله تعالى حكاية عن قول ملائكة الوحي ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاّ بِأمرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَينَ أَيْدِينا وَما خَلْفَنا وَما بَينَ ذَٰلِكَ وَما كانَ رَبُّكَ نَسِياً﴾[2] دلّت الآيات على أن الوحي من حين شروعه في النزول إلى بلوغه النبي إلى تبليغه للناس محفوظ مصون عن تغيير أي مغير يغيره[3].

ويقول العلامة أيضاً:

ويدل على عصمتهم مطلقاً قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهُ فَبِهُدَيٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[4]، فجميعهم عليهم السلام كتب عليهم الهداية، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) الجن ـ ٢٦ ـ ٢٨.

(٢) مريم ـ ٦٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ج٢ ص ١٣٩.

(٤) الانعام ـ ٩٠.

يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَما لَهُ مِن مُّضِلٍّ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلمُهْتَدِ﴾[2]، فنفى عن المهتدين بهدايته كل مضل يؤثر فيهم بضلال، فلا يوجد فيهم ضلال، وكل معصية ضلال[3].

فكروا واجيبوا

١ ـ ما هي العصمة؟

٢ ـ ما هو منشأ العصمة عند البعض؟

٣ ـ بينوا سبب العصمة.

٤ ـ هل المعصومُ قادر على إرتكاب المعصية أم لا؟

٥ ـ إحفظوا الآيات في هذا الدرس وتعلّموا تفسيرها جيداً.

* * *

(١) الزمر ـ ٣٦.

(٢) الكهف ـ ١٧.

(٣) الميزان ج٢ ص ١٤٠.

الدَرسُ الخامس

عِلمُ الأنبياء

إنَّ علوم الأنبياء نابعةٌ ـ عن طريق الوحي ـ من عِلم الله المطلق ... إنَّ الله سبحانه يبعث الأنبياء حتى يجعلوا أحكامَ الدين وقوانينه وبرامجه في متناول أيدي الناس بصورةٍ كاملةٍ، ويجتهدوا في سبيل هدايتهم وإرشادهِم، ويُعرضوا عليهم وسيلة تكاملهم، وسعادتهم الدنيوية والأُخروية، ولهذا السبب يجب أن يعرفَ الأنبياء كلّ الأُمور الدينية التي يجب معرفتها، وتعدّ ضروريةً لِنبوّتِهِمْ، ولهداية الناس حتى يتحقّق غرضُ الله من إرسالهم، وابتعاثهم.

إنّ الله تعالى لا يترك برامج دينه ناقصةً، ولا يُحرِمُ الناس من إرائة صراط التكامل، والتقرّب المستقيم، وليس هناك لإرشاد الناس وهدايتهم من طريق آخر سوى الأنبياء والرسُل.

وعلى هذا الأساس يجب أن يعرفَ الأنبياء جميع برامج الدين الكاملة التي تتكفل سعادة الدنيا والآخرة.

إنَّ العُلومَ التي يجب أن يعرفَ بها الأنبياء يمكن تقسيمها إلى عدة أقسام:

١ ـ المعرفةُ الكاملةُ بالله وبأسمائه وصفاته في أعلىٰ المستويات، والدرجات.

٢ ـ المعرفة الكاملة بعالَم البرزَخ، وأوضاعه، وأحواله، والإطلاع الكامِل على أوضاع القيامة والحساب وصحيفة الأعمال، والميزان والجنة والنار.

٣ ـ المعرفة الكاملة بالنفس الإنسانية وبأمراضها وأدوائها، وطرق وقايتها، ومعالجتها، والمعرفة الكاملة بالأخلاق الحسنة، والسيّئة وطرق تزكية النفس وتهذيبها، وتكميلها.

٤ ـ المعرفة الكاملة بجميع أحكام الدين وقوانينه وبرامجه التي بتطبيقها تُضمَن سعادة البشر في الدنيا والآخرة.

إنَّ على النبي أنْ يعرفَ جميع الأُمور المذكورة ليتمكن من هداية الناس إلى صراط الدين المستقيم ومنهجه القويم.

فاذا لم يكن النبيُّ عالماً كيف يمكنه أن يقوم بهداية الناس .. إنَ الله بعث الأنبياءَ لهداية البشرية وليس من المعقول أن لا يطلعَه على العلوم اللازمة.

ولقد أُشير إلى هذا الموضوع في آياتٍ قرآنيةٍ متعدّدةٍ أيضاً، ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

﴿لَقَد أَرسَلنَا رُسُلَنَا بِالبَيّنَاتِ وَأَنزَلنَا مَعَهُمُ ٱلكِتَابَ وَٱلمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلقِسطِ﴾[1].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَينَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبلُ وَمِن ذُرِيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجزِى ٱلمُحسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِليَاسَ كُلٌّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ . وَإِسمَـٰعِيلَ وَٱليَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلنَا عَلَى ٱلعَـٰلَمِينَ . وَمِن ءَابَآئِهِم وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخوَٰنِهِم وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ . ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهدِى بِهِ مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِ وَلَو أَشرَكُواْ لَحَبِطَ

(١) الحديد ـ ٢٥.

عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعمَلُونَ . أُوْلَئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَينَٰهُمُ ٱلكِتَٰبَ وَٱلحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُر بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَد وَكَّلنَا بِهَا قَوماً لَّيسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ. أُوْلَئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقتَدِه قُل لَّا أَسئَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكرَىٰ لِلعَٰلَمِينَ﴾[1].

فكروا وأجيبوا

١ ـ لماذا يجب أن يعرف الأنبياءُ كل الامور المرتبطة بالدين؟

٢ ـ كم هي أنواع العلوم التي يَتَحتَّم معرفتها على الأنبياء؟

٣ ـ إذا لم يكن الأنبياءُ عارفين بالأُمور المرتبطة بالدين فهل يمكنهم هداية البشرية وقيادتها؟

٤ ـ طالعُوا الآيات المدرَجة في الدرس وأُشيروا إلى العبارات التي تدلّ على عِلم النبي.

٥ ـ إحفظوا الآيات وتفسيرها بعناية.

* * *

---

(١) الأنعام ـ ٨٤ ـ ٩٠.

الدرسُ السادس

الأنبياء والعلمُ بالغَيب

الغيبُ والشهادة

الموجوداتُ بصورة عامة يمكن تصنيفهُا إلى صنفين: الموجودات الغيبيّة التي تُسَمّىٰ عالم الغيب، والموجودات الظاهرة التي تسمّىٰ عالم الشهادة.

إن جميع الموجودات القابلة للادراك والملاحظة بواسطة الحواسّ تعدُّ من عالم الشهادة مثل المادة والجسم وجميع آثارها وخواصها من قبيل الألوان، والمقادير، والأشكال، والطعوم، والروائح والأصوات، والخشونة واللطافة، والحرارة والبرودة، وبصورةٍ عامةٍ انّ كلّ ما هو من جنس المادة والماديات يُعدُّ من عالم الشهادة.

إنّ الانسان يستطيع أن يدركَ بحواسّه هذه الأشياء، والعلوم البشرية العادية تحصل من هذا الطريق.

ولكنَّ عالَم الغيب يقابل عالَمَ الشهادة، فانّ جميع الموجودات التي تكون أسمىٰ وأعلى من المادّة والماديّات تعدُّ من عالمِ الغيب، مثل «الله» سبحانه وتعالى وأسمائه، وصفاته، والملائكة، وعالَم البرزخ والموجودات البرزَخيّة، والقيامة وأحوالها وأوضاعها، والجنّة والنار، ونعم الجنة، والعذاب الاُخروي.

إنّ هذا الصنفَ من الموجودات حيث أنه ليس ماديّاً بل هو فوق المادة، لهذا يُعدُّ من عالم الغيب، فنحن لا نستطيع أن ندركَ هذه الأُمور بحواسّنا .. إنّها غائبة عن الحواس، ولهذا فإن إطّلاعنا على عالم الغيب يجب أن يكون عن طريق آخر غير طريق الحواس، وهو ما يُطلَق عليه اصطلاحا اسم عالم الغيب.

نحن نستطيع بحواسّنا أن نتّصل بموجودات العالم المادّي، ونكتسب العلم بها بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة، ولكنّ علومَنا في نفس هذا المورد أيضاً محدودة، ومقيّدة..

إنّ عيوننا ترى وتبصر ولكنَ الأشياء التي تكون في حجم خاصّ وعلى بُعدِ مسافة معيّنة وفي ظروف زمانيّة أو مكانية خاصة.

فاذا كان شيءٌ مّا دقيقاً صغير الحجم جدّاً، أو كان على مسافة زمانيّة أو مكانيّة كبيرة، أو كان في ظلمة، أو كان بيننا وبينه حائلٌ وساترٌ، لم تمكننا رؤيَتهُ ومشاهدته.

إن أحداث عصر النبيّ نوح (ع) أو ما بعد ذلك بألف سنة غير قابلة للرؤية والمشاهدة بالنسبة إلينا، فنحن لا نستطيع أن نقيم بأجهزتنا العلمية ـ إرتباطاً بيننا وبين تلك الوقائع .. إنّها غائبة عنا .. ولكنّ جميع موجودات العالم الماديّ حاضِرة عند الله تعالى، وهو عالمٌ بها، مطّلع عليها، ولا معنىٰ لهذا الزمان أو ذاك بالنسبة إليه .. إنه محيط بجميع كائنات العالم المادّي وحوادثه وبعالم الغيب، وأسراره، إحاطةً كاملةً.

﴿عَٰلِمُ ٱلغَيبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلحَكِيمُ ٱلخَبِيرُ﴾[1].

﴿وَللهِ غَيبُ ٱلسَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾[2].

﴿إِنَّ ٱللهَ يَعلَمُ غَيبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ﴾[3].

---

(١) الانعام ـ ٧٣.

(٢) هود ـ ١٢٣.

(٣) الحجرات ـ ١٨.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلغَيبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[١].

هل العلم بالغَيب مختصٌّ بالله؟

والآن ينطرح هذا السؤال وهو: هل العِلمُ بالغيب يختص بالله تعالى، أم أنّ في مقدور البشر أيضاً أن يطّلع على الغيب؟

لقد ذَهَبَ بعض العلماء إلى أنّ العِلمَ بالغيب خاصٌ بالله سبحانه، واستدلّوا لَذلك بآيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلغَيبِ لَايَعلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[٢].

﴿وَيَقُولُونَ لَولَا أُنزِلَ عَلَيهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُل إِنَّمَا ٱلغَيبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلمُنتَظِرِينَ﴾[٣].

﴿قُل لَّا يَعلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ ٱلغَيبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشعُرُونَ أَيَّانَ يُبعَثُونَ﴾[٤].

﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُم عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَا أَعلَمُ ٱلغَيبَ وَلَا أَقُولُ لَكُم إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[٥].

﴿قُل لَّا أَملِكُ لِنَفسِي نَفعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَو كُنتُ أَعلَمُ ٱلغَيبَ لَاستَكثَرتُ مِنَ ٱلخَيرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾[٦].

لقد استدلَّ هؤلاء العلماء بظواهر هذه الآيات وقالوا انّ العلم بالغيب مختصّ

(١) آل عمران ـ ٤٤.
(٢) الانعام ـ ٥٩.
(٣) يونس ـ ٢٠.
(٤) النمل ـ ٦٥.
(٥) الأنعام ـ ٥٠.
(٦) الأعراف ـ ١٨٨.

بالله، والبشر محرومون منه، ولا يمكنهم العلمُ بالغيب قط.

ولكن يُستفاد من بعض الآيات أنَ بعض الناس يعلمون بالغيب أيضاً، ومن هذه الآيات ما يلي:

﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحداً إلاّ مَنِ أرتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فإنَّهُ يَسلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[١].

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلغَيبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يجتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ﴾[٢].

﴿إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيْمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِيْنٍ.مُّطَاعٍ ثَمَّ أمِينٍ . وَما صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[٣].

﴿ذٰلِكَ مِنْ أنبَآءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾[٤].

﴿تِلْكَ مِنْ أنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ﴾[٥].

يُستفاد من هذه الآيات أنّ العلم بالغيب وإنْ كان أوّلاً وبالذات مختصّاً بالله تعالى، وأنّ باب الإطلاع على ذلك العالم موصَدٌ في وجه البشر، ولكنّه تعالى يُطلعُ أنبياءَه على عالَمِ الغَيب عن طريق الوحي، ويوقفهم إذا شاء ومتى شاء على الحقائق والأمور الغيبية.

مِن مجمـوع هذه الآيات ونَظائرها يُستفاد أنّ الغيبَ المطلَق، والعلمَ به من خصائص الله تعالى، لأنّ وجودَه غير المحدود محيطٌ بعالَم الغيب والشهادة، إحاطةً

---

(١) الجن ـ ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) آل عمران ـ ١٧٩.
(٣) التكوير ـ ١٩ ـ ٢٤.
(٤) آل عمران ـ ٤٤.
(٥) هود ـ ٤٩.

كاملةً. وحتى الأنبياء هم أيضاً لا يتمتّعون بمثل هذه الإحاطة العلميّة، ولكن حيث أنهم يمتلكون المقدرة على تلقّي الوحي، والإرتباط بعالم الغيب، فإنهم بفضل التأييدات الربانيّة والإفاضات الإلهيّة يتّصلون بعالم الغيب، ويأخذون من حقائق ذلك العالم غير المتناهية ما يقدرون على اخذه واستيعابه.

فكروا واجيبوا

١ ـ وَضّحوا معنىٰ عالم الغيب.

٢ ـ وَضّحوا معنىٰ عالم الشهادة.

٣ ـ ماذا يعني العِلمُ بالغيب؟

٤ ـ هل يمكن لغير الله العلم بالغيب؟

٥ ـ كيف يجبُ الجمع بين الآيات التي تحصر العلم بالغيب في الله والآيات التي تصرّح بمعرفة الأنبياء بالغيب أيضاً؟

٦ ـ إحفظوا الآيات في هذا الدرس وفسّروها جيّداً.

* * *

الدَرسُ السابعُ

المعجزةُ: وَثيقةُ النبوَّة ودليلُها

يَدّعي الأنبياء بأنّهم على إرتباطٍ باللهِ تعالى وبعالمِ الغيب .. وأنّهم قد كُلِّفُوا من جانب الله تعالى بأن يتلقّوا رسَالاتِه، ثم يُبلّغوها إلى الناس، وأن يجتهدوا في إرشادهم وهدايتهم.

إنّه إدّعاء كبيرٌ لا يقبله الناس من دون شاهدٍ قوي، ودليلٍ معتبر .. ولهذا يجب أن يمتلك الأنبياء دليلاً وشاهداً لإثبات صحّة دعواهم .. إنّ أكبر دليل للأنبياء هو المعجزة .. والمعجزة هي العملُ الخارق للعادة الذي يعجز عن إتيانه الناسُ العاديّون.

أجل يجب أن يأتي الأنبياء بمعجزةٍ ليثبتوا بها صحّة إدّعائهم غير العاديّ، حتى يتأكّدَ الناسُ من صحّة ما يدَّعيه الأنبياء والرسُل.

إذا لم يكن عنـد الأنبياء معجـزةٌ فمن أين وكيف يميّز الناسُ بين الأنبياء والرسُل الإلٓهيين الصادقين، وبين الذين يدّعون النبوة كِذباً ودجلاً؟

إنّ وجودَ المعجزة عند رسُل الله أمر ضروري في نظر القرآن الكريم، وقد أشير إليها بصراحة في عشرات الآيات مثل: إنقلاب عصا النبي موسى إلى حيّة، وابتلاع سحر الساحرين، وضرب الحجر بالعصا وانبثاق اثنتي عشرة عيناً منه، وضرب البحر بالعصا، وانشقاق مائه، وظهور شوارع عديدة في عرضه لعبور بني اسرائيل، وغرق

جنـود فرعون، وغير ذلك من المعجزات التي ظهرت على يدي النبي موسى عليه السلام.

ومثل تكلّم النبيّ عيسىٰ عليه السلام وهو في المهد، وشفاء الأعمىٰ والأبرص والأكمه وعودة الموتى إلى الحياة بسببه.

وصناعة طير من الطين ونفخ الحياة فيه وانقلاب النّار الحارة إلى بردٍ وسلامٍ لإبراهيم الخليل عليه السلام.

ونذكر على سبيل المثال الآيات التالية:

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ . فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾[1].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾[2].

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِزْقِ ٱللهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى ٱلأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[3].

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلأَخَرِينَ . وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلأَخَرِينَ . إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4].

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ . قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْداً وَسَلَـٰماً

---

(١) الأعراف ـ ١٠٦ ـ ١٠٩.
(٢) الاعراف ـ ١١٧.
(٣) البقرة ـ ٦٠.
(٤) الشعراء ـ ٦٣ ـ ٦٧.

عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

فمن هذه الآيات المذكورة ونظائرها الكثيرة التي تعدّ بالعشرات نستفيد أنّ صدور المعجزة عن الأنبياء ووُقوعها على إيديهم أمرٌ قطعيٌ من وجهة نظر القرآن، وأن الذين يقبلون بالقرآن كتاباً سماوياً لا يمكنهم إنكار أصل الإعجاز.

وأساساً يصفُ القرآن الكريم نفسَه بأنّه معجزة من المعاجز إذ يقول الله تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ لماذا يجب أن يكونَ الأنبياء مزوَّدين بالمعجزة؟

٢ ـ ما هي نظرةُ القرآن حول المعجزة؟

٣ ـ إحفظوا الآيات بدقة، وتعلّموا تفسيرها جيداً.

* * *

---

(١) الانبياء ـ ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) الاسراء ـ ٨٨.

الدرسُ الثامن

ما هي المعجزة ومِن عَمَلِ مَن هيَ؟

المعجزة عملٌ خارقٌ للعادة يتمُّ من طُرقٍ غير طبيعيّة وغير معروفةٍ .. ونقول في توضيح هذا المطلب: إنَّ قانونَ العِليّة هو أحد القوانينِ العقليّة البديهيةِ التي اعترف بها القرآن الكريم أيضاً، وأقرها.

وعلى هذا الأساس لا تتحقّق أيّةُ حادثة من دون علّة .. حتى المعجزات لا تقع من غير علّةٍ وسببٍ، نعم إنّ الظاهرة ـ أيّة ظاهرة ـ يمكن أن تقع وتتحقق من طريقين: طريق طبيعي عادي، وطريق غير طبيعي وبواسطة الإعجاز.

مثلاً إنّ العصا يمكن تبديلُها إلى ثعبان عن طريقين:

الطريق الأوّل هو طريق العللِ والأسبابِ الطبيعيّةِ المألوفةِ المعروفةِ مثل أن تتحوّل مادة العصا بعد مرور الزمن ووقوع سلسلة من التفاعلات الطبيعيّة، إلى حالةٍ تستعدُّ معها العصا لقبول حقيقةِ الثعبان وصورته، وبعد حصول مِثل هذه القابلية تفاض عليها صورةُ الثُعبان وحقيقته من جانبِ الله تعالى، وفي هذه الحالة يكون الثعبان قد وجِدَ من طريقِ العللِ والاسبابِ الطبيعيّة، ولم يكن للإعجاز في ذلك أيُّ دور.

الطريق الثاني: وهو طريق الاعجاز، ففي هذه الصورة تحصل لمادّة العصا

قابليّة التحوّل إلى ثعبان، ولكن لا بمرور الزمان، ولا من خلال التفاعلات الطبيعية، بل بتصرّف نفس النبي القوية الزكية، وارادته القاطعة يحصل مثل هذه القابليّة في مادة العصا، وفي هذا الوقت تفاض حقيقة الثعبان وصورته على العصا من جانب الله تعالى، وتتحول العصاُ إلى ثعبان حقيقيّ.

وفي مورد الإعجاز لم تتحقّق هذه الحادثة أيضاً من دون علّة، بل لها علّة كذلك، بَيد انَّ علتها ليست من قبيل العلة الطبيعيّة المتعارفة والمعروفة، بل على أثر إرادة الله، وبـالعوامل غير الطبيعية وبكيفيّة خارقة للعادة، ولهذا تسمّى (معجزة) ويمكن أن تكون شاهدَ صدقٍ على صحّة دعوى النبوّة، وبالتالي صِدق النبي.

المعجزة فِعْلُ مَن؟

هل الإعجاز من فِعل اللهِ مباشرةً ومن دون واسطة بحيث لا يتجاوز دورُ النبي دورَطالب المعجزة لا اكثر، أم أنّ المعجزة من فعلِ النبيّ، بمعنىٰ أنها تتحقّق بإرادته نفسِه؟

لقد نُسِبَت المعجزةُ في بعض الآيات إلى النبيّ وعلى سبيل المثال، ينقل القرآنُ الكريم عن النبيّ عيسى عليه السلام قولَه:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِنَ الطِّينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيرا بِإِذنِ اللهِ وَأُبرِئُ الأَكمَهَ وَالأَبرَصَ وَأُحيِ المَوتَىٰ بِإِذنِ اللهِ وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُم﴾[1].

وقال الله سبحانه في موضع آخر موجّهاً خطابَه إلىٰ عيسى عليه السلام:

﴿وَإِذ تَخلُقُ مِنَ الطِينِ كَهَيئَةِ الطَّيرِ بِإِذنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيراً بِإِذنِي

(١) آل عمران ـ ٤٩.

وَتُبرِئُ ٱلأَكمَهَ وَٱلأَبرَصَ بِإِذنِى وَإِذ تُخرِجُ ٱلمَوتَىٰ بِإِذنِى﴾[١].

وقال تعالى حول النبيّ موسىٰ عليه السلام:

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئتَ بِآيَةٍ فَأتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ . فَأَلقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعبَانٌ مُّبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾[٢].

وفي طائفة أُخرى من الآيات القرآنية نسبَ الإتيان بالمعجزة إلى الله سبحانه، وعلى سبيل المثال يقول الله تعالى:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾[٣].

ولكن يستفاد من مجموع الآيات أنّ الإتيان بالمعجزة بصورة مباشرة هو فِعلُ النبي، أيْ أنه إثر إرادته وطلبه تقع المعجزة، ولكنَ النبيَّ غيرُ مستقل في هذا العمل بل تتحقق المعجزة بإذنِ الله وتأييده تعالى.

إنّ إرادة النبيّ تقع ـ في الحقيقة ـ في سلسلة العلل، وضمن طريق الأسباب، وتشكّل حلقة في سلسلة العوامل المنتجةِ للمعجزة، ولكنّ الموجدَ الحقيقي هو الله تعالىٰ.

ولهذا السببُ أُسندِ الإتيان بالمعجزة في أكثر الآيات إلى النبي، ولكنّه إشترُطِ وقوعها وتحققها باذن الله وعُلّقَ على مشيئته سبحانه.

وفي إحدىٰ الآيات القرآنية أُشير إلى هذا الموضوع بصراحة أكمل وأكبر فقد قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأتِىَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذنِ ٱللهِ فَإِذَا جَآءَ أَمرُ ٱللهِ قُضِىَ بِٱلحَقِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلمُبطِلُونَ﴾[٤].

---

(١) المائدة ـ ١١٠.

(٢) الأعراف ـ ١٠٦ ـ ١٠٨.

(٣) البقرة ـ ٥٧.

(٤) غافر ـ ٧٨.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ عَرّفوا المعجزة.

٢ ـ هل المعجزة عمل خارجَ قانون العلية العام؟

٣ ـ الإتيان بالمعجزة فِعل مَنْ؟

٤ ـ هل النبي مستقل في إتيانه بالمعجزة؟

٥ ـ إحفظوا الايات، وتعلّموا تفسيرها جيّداً.

* * *

الدَرسُ التاسِع

الفَرقُ بين المعجزة والسِحر

والآن ينطرحُ هذا السؤال: إذا كان النبيُّ يقوم ـ في مجال الإعجاز ـ بعملٍ خارقٍ للعـادة لا يقدر على إتيانه الآخرون .. فإنّ الساحَر هو أيضاً يقوم بعملٍ عجيبٍ خارقٍ للعادةِ يعجز عنه الآخرون، فما هو إذن الفرق بين المعجزة والسحر؟.

وَكيف يمكن أن نَطمئِنّ إلى أنّ عَمَلَ النبيّ معجزة وليس بسِحرٍ؟

في الإجابة على هذا السُؤال نشير إلى عدّةِ فروقٍ بين المعجزة والسِحر:

الأوّل: في عمليّة السِحر لا يقع أيُّ عمل واقعيّ، ولا يتحقق شيءٌ على صعيد الـواقـع الخارجيّ، إنّما يؤثّر الساحر (أوقلْ يتصرّف) في حواسّ المتفرجين وأجهزة إدراكهم بحيث يتصوَّرون أمراً غير حقيقي حقيقياً، وواقعيّاً.

فقد حَدَث في قصّة النبيّ موسىٰ (ع) أنَّ السَحَرَة ألقَوا حِبالهم وعِصيّهم وغير ذلك من أدوات سحرِهم أمام الناس، فَبَدَت هذه الأشياء ـ بسحرهم ـ وكأنها حيّاتٌ وأفاعي تتحرَّكُ وتتململُ، واستوحش الحاضرون، في حين لم يحدُث شيءٌ على صَعِيد الواقع الخارجي، ولم يكن هناك أية أفاعي وحيّات حقيقيّة.

ولهذا قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[1].

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[2].

ولكن في مقام عمليّة الإعجاز يحدث أمرٌ حقيقيٌ على صعيد الواقع والتكوين .. ففي قصَّة النبي موسى عليه السلام تبدّلت عصا موسى عليه السلام إلى ثعبانٍ عظيمٍ واقعاً وابتلع سحرَ الساحرين حقيقةً.

قال الله تعالى لموسى عليه السلام:

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ . وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ . فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[3].

ولهذا عندما رأىٰ السَحَرة أنّ آلات سِحرهم قد ابتلعها ثعبانُ النبيّ موسى حقيقةً أدركوا أنّ ما عَمِله النبيُ موسىٰ معجزة، وأنّها تختلف عمّا صنعوه إختلافاً جوهرياً، ولهذا بادَروا إلى الإيمان به.

الثاني: إنّ الساحر يحتاج لعمله إلى أعمال خاصة أو أذكار معيّنة، أورَسم خطوطٍ أو نقشِ صُوَرٍ واشكال، وكتابة أشياء، ولكن في مجال الإعجاز والإتيان بالمعجزة لا يحتاج النبيُّ إلى عمل خاص .. إنما تكفي إرادة النبي لتتحقق المعجزةُ وتقع بتأييدٍ من الله سبحانه وإمضائه.

الثالث: إنّ المعجزة لا تُغلَب أبداً، فعندما تشاء نفسُ النبيّ أن يتحقق شيءٌ،

---

(١) الاعراف ـ ١١٦.

(٢) طـه ـ ٦٦.

(٣) طه ـ ٦٨ ـ ٧٠.

فإنه يقع ذلك الشيء حتماً وجزماً ولا تستطيع أية قوة في الأرض أن تحولَ دون وقوعه، وتمنع من تحققه، أو تبطِله بعد وقوعه، لأن ذلك صدَرَ من منبع القدرة الآلهية، ولا تتمكن أيّة قوة في الأرض أن تقاومَ قدرةَ الله ومشيئته الغالبة، ولكن الأمر في مجال السِحر ليس هكذا، لأنه من الممكن أن يُغلَبَ سحرُ الساحر بسِحرٍ أقوىٰ، أو يُبطَل بواسطة نبيّ مؤيّد من جانب الله، كما حدث ذلك في قصة النبي موسى عليه السلام.

الرابع: إنَّ السِحر يُعتبَر من العُلوم والحِرف، فان الانسان العاديّ يمكنه عن طريق التعلّم والتدرُّب، أن يصير ساحراً ماهراً، ولا يحتاج إلى الإيمان بالله، ولا إلى التأييدات الآلهية، ولكن القدرة على الإتيان بالمعجزة موهبة إلٰهيّة، وهو ليس شيئاً يحصل عن طريق التعلّم والتدرّب والتجربة، إنما يمتلك صاحبُ المعجزة إيماناً عظيماً وعميقاً، وارتباطاً وثيقاً وقوياً بالله تعالىٰ.

فكّروا واجيبوا :

١ ـ بيّنوا الفَرقَ الأوّل بين المعجزة والسِحر.

٢ ـ بيّنوا الفَرقَ الثاني.

٣ ـ بيّنوا الفَرقَ الثالث.

٤ ـ بيّنوا الفَرقَ الرابع.

٥ ـ إحفظوا الآيات بدقة، وتعلّموا تفسيرها جيداً.

* * *

الدرسُ العاشر

الطريقُ إلى مَعرفَةِ النَبيّ

يمكن الإستفادة من عدّة طرقٍ لمعرفة النبيّ الحقيقيّ والوقوف على صِدقِ مدّعاه وهذه الطرُق هي كالتّالي:

الطريقُ الأوّل: المعجزَة.

إنّ الاتيان بالمعجزة والقيام بعَمل خارقٍ للعادة هو أفضلُ وأوثق طريق لمعرفة النبيّ والتأكّد من صِدق مدّعاه.

فاذا ادّعىٰ شخصٌ النبوّة، وأتى لإثبات دعواه بمعجزة او معاجز، وبَلَغَنا ذلك بأدلّة قطعيّة مثل المشاهدة، أو الخبر المتواترِ والقطعي، ثبتت نبوّته من هذا الطريق كذلك.

الطريقُ الثاني: إخبار النبيِ السابِق

إذا أخبرَ النبيُ السابقُ الذي كانت نبوّتُه قد ثَبَتَت، بمبعثِ نبيّ مِن بعده، ونصَّ على إسمه وخصوصياتِه بصورةٍ كاملةٍ، ثَبَتَت نبوّة النبيّ اللاحِق من هذا

الطريق، كما حدث ذلك في شأن رسول الإسلام (ص) إذ أخبر الأنبياء السابقون بمجيئه ومبعثه، وقد دُوّنت بشاراتُهمْ هذه في الكتب، كما نقل القرآنُ الكريم نفس هذا الموضوع عَن لسان النبيّ عيسىٰ عليه السلام:

﴿وَإِذ قَالَ عِيسَى ٱبنُ مَريَمَ يَٰبَنِيٓ إِسرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّورَىٰةِ وَمُبَشِّرَا بِرَسُولٍ يَأتِي مِن بَعدِي ٱسمُهُۥٓ أَحمَدُ﴾[1].

الطريقُ الثالثُ: مطالَعة برامجِ الدينِ وقوانينهِ

إنَّ العالِمَ المحققَ إذا نَظَر إلى معارفِ دينٍ مّا وأحكامِه، وقوانينِه وبرامجِه، في أبعادها المتنوّعة المختلفة، ودَرَسَها دراسةً موضوعيّةً، بعيدةً عن العصبيّة أو التحيز، لْاستطاع أن يَطِلع على قيمة ذلك الدين، وشموليّته.

إذا وَجَد أن العقائد في ذلك الدين تطابق الموازين العقليّة، ورأىٰ أنَّ أحكامَه وقـوانينه نُظِمت وسُنَّت وفق احتياجات المجتمع الحقيقية، وأنها تدافع عن الحقوق الفرديّة والاجتماعيّة لجميع أفراد المجتمع، وتراعي العدلَ الاجتماعي في جميع الحقول والمجـالات، وتكفـلُ سعـادة البشر الدنيويّة والأُخرويّة، وتوصي بمراعاة الأخلاق الحسنة، واجتناب الأخلاق الذميمة، فانّه سيهتدي ـ في مثل هذه الصورة ـ إلى حقانية ذلـك الـدين وكماله، ومن هذا الطريق تثبت عنده نبوةُ النبي الآتي بذلك الدين، ويصدّق بها.

وهنا يجب أن نذّكرَ بنقطتين:

الأُولى: أنّ مثل هذه الدراسةِ الدقيقةِ و الشاملة إنّما تتسنّىٰ لأفرادٍ مخصوصين ومعدودين وهو أمر خارج عن قدرة عامّة الناس.

---

(١) الصف ـ ٦.

الثانية: على فرضِ تحقُّق ذلكَ فإنّه لا يتجاوز كونَها من القرائن والشواهِد على صدق النبيّ ولكن لا يمكن إعتباره دليلًا قطعياً.

وعلى كلِ حالٍ فانّها لا تُغنينا عن دليل المعجزة.

الطريق الرابع: المطالَعة في حياةِ مدعي النبوَّة وأخلاقه

إذا كان مُدَّعي النبوَّة شخصاً ثبتت أمانتُه وصدقُه، واستقامتُه للجميع، ولم تكن أيَّةُ نقطة ضعف في أخلاقه الباطنية والظاهرية، وكان يعمل بما يقول، ويأتمر بما يأمر به وينتهي عما ينهىٰ عنه، فان نبوَّتَه ستحظىٰ من الناس بالقبول أيضاً.

ولكنّ هذاالموضُوع يُعتَبر هوالآخر بمنزلة أحد الشواهد والقرائن على صِدق النبي وصحّة دعواه، ولا يُعَدّ دليلًا قاطعاً وحجة شرعيّة، ولا يغنينا بالتالي عن دليل الإعجاز.

فَكِرّوا وأجيبوا

١ ـ ما هي الطرقُ لِمعرفةِ النبّي؟ بيّنُوها.

٢ ـ كم مِن هذه الطرق تعتبرُ من القرائن والشواهد؟ بيّنوا ذلك بوضوح.

* * *

الدرسُ الحادي عشر

الـــوَحيُ

الـوحيُ في اللُّغـة يعني إلقـاء الكـلام إلى آخَرٍ بشكلٍ خفيّ وسريع، وفي الإصطلاح يعني تكّلم الله سبحانه مع أنبيائه ورُسُله.

لقد كان الأنَبياء يَدّعون أنَّ لهم إرتباطاً خاصّاً مع الله، فهو يتكلم معهم بصورة خفيّة، ويبعث عن طريقهم برسالاتِه إلى الناس.

كانوا يَدّعون أنّهم يَسمَعون كلامَ الله، وأنهم يتشاهِدون حقائق من عالم الغيب، وأنّهم مكلَّفون من جانِب الله تعالى بأن يبلِّغوا رسالاته إلى البشر، وكانوا يسمُّون مثل هذه العُلُوم والمعارف بالوحي.

إنَّ الوَحي هو الطريق الذي تحصل بواسطته علومُ الأنبياء، وهو يختلف تماماً عن طُرقِ إكتسابنا للمعارف والعلوم.

إنّ لنّا ثلاثةَ أنواع من المعارف والعلوم:

١ ـ العِلمُ بالمحسوسات.

٢ ـ العِلمُ بالكليّات.

٣ ـ الأحاسيس الباطنيّة والوجدانيّة.

إنّ العِلمَ بالمحسوسات يَحصل عن طريق الحواسّ الخمس بصورةٍ مباشرةٍ، وفي العلم بالكليّات للحواس دخالة أيضاً لأنّ جزئيات هذه الكليات تدرَك وتعرَف عن طريق الحواس أوّلاً، ثم تُنتزَع الكليّات منها.

والنوع الثالث وهو العلم بالاحاسيس الباطنية مثل الإحساس بالألم، والإحساس بالجوع، والإحساس بالعطش، والإحساس بالفرح، والإحساس بالحُزن..

كل هذه العلوم والمعارف تحصَل عن طريق الحواسّ الظاهريّة أو الباطنيّة بصورة مباشرة أو غير مباشرة .. ولكنَّ الوحيَ لا يندرج تحت أيّ واحد من هذه الأصناف، وأساساً لا يسانخ الوحيُ هذه العلوم والطرق ولا يجانسها.

إنَّ الأنبياءَ يشاهِدون حقائقَ في عالَمِ الغيب، ولكن لا بهذه العين، ويسمعون كلام الله ولكن لا بهذه الأُذُن.

في مجال الوحي تُلقىٰ العلوم من جانِب الله تعالى إلى قلب النبي أوّلاً، ثم يفيض هذا العِلم من قلب النبيّ على لِسانه، على العكس تماماً من علومنا العادية التي تحصل لنا عن طريق الحواس أولاً، ثم تدخل في المآل إلىٰ القلب والنفس.

إنَّ القرآن الكريم يُفسِّر ظاهرة الوحي على النحو التالي:

﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1].

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2].

وقد جاء في تفسير روح البيان: الوحي إذا نزل بالمصطفى نزلَ بقلبه أوّلاً لشدّة تعطشه إلى الوحي ولاْستغراقِه به ثم انصرف من قلبه إلى فهمه وسمعه، وهذا تنزّلٌ من

(١) الشعراء ـ ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٢) البقرة ـ ٩٧.

العلوّ إلى السفل وهو رتبة الخواصّ[1].

وقال أُستاذنا العلامة الطباطبائي (قدس سره الشريف) والمراد بالقلب المنسوب اليه الادراك والشعور في كلامه تعالى هو النفس الانسانية التي لها الادراك واليها تنتهي انواع الشعور والارادة دون اللحم الصنوبري المعلق عن يسار الصدر......

ثم قال: ولعل الوجه في قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ دون ان يقول: «عليك» هو الاشارة الى كيفية تلقيه صلى الله عليه وآله القرآنَ النازلَ عليه، وان الذي كان يتلقاه من الروح هو نفسه الشريفة من غير مشاركة الحواس الظاهرة التي هي الادوات المستعملة في ادراك الامور الجزئية، فكان صلى الله عليه وآله يرى ويسمع حينما كان يوحى اليه من غير ان يستعمل حاستي البصر والسمع كما روي انه كان يأخذه شبه اغماء يسمى برحاء الوحي.

فكان صلى الله عليه وآله يرى الشخص ويسمع الصوت مثل ما نرى الشخص ونسمع الصوت غير انه ما كان يستخدم حاستى بصره وسمعه الماديتين في ذلك كما نستخدمهما. ولو كان رؤيته وسمعه بالبصر والسمع الماديتين لكان ما يجده مشتركاً بينه وبين غيره، فكان الناس يرون ما يراه ويسمعون ما يسمعه والنقل القطعي يكذب ذلك، فكثيراً ما كان يأخذه برحاء الوحي وهو بين الناس، فيوحى اليه ومن حوله لا يشعرون بشيء ولا يشاهدون شخصاً يكلمه ولا كلاماً يلقى اليه[2].

وعلى هذا الأساس فانَّ علوم الأنبياء ومعلوماتهم التي تحصل لهم عن طريق الوحي ليست من سِنخ العلوم الإحساسية والفكرية البشرية الحصوليّة بل هي من نوعٍ أعلى وأسمى نجهل ما هيَّته وحقيقته، إنّه نوعٌ من الشعور الباطنيّ الغامض الّذي لا سبيل للخطأ والاشتباه إليه، ولا يأتيه الباطل مِن بين يَدَيه ولا مِن خلفِه.

(١) روح البيان ج٦ ص ٣٠٦.
(٢) الميزان ج١٥ ص ٣٤٦.

ويُستفاد من بعض الآيات القرآنية أنّ الوحي يحصل ويتم باحدى الطرق الثلاثة التالية:

الطريق الأوّل: هو أن يُلقي اللهُ تعالى الأُمور في قلب النبيّ بصورة مباشرة.

الطريق الثاني: أن يُلقي هذه المواضيع إلى مكانٍ آخر ويتلقّاه النبي من ذلك المكان، مثل تكلّم الله مع النبي موسىٰ (ع) في طور سيناء بواسطة الشجرة:

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[1].

الطريق الثالث: أن يلقي المواضيع بواسطة ملك الوحي (يعني جبرائيل) إلى قلب النبي، وقد أُشير في القرآن الكريم إلى هذه الطرق الثلاثة حيث يقول تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْمِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَو يُرسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[2].

ولكن يجب أن نعلم أنّ التكلّم عَبر كل واحدة من هذه الطرق هو من فعل الله تعالى، ولهذا يُنسَبُ الوحي في أكثر الآيات إلى الله تعالى ولكن مع أخذ الوسائط والأسباب التي من جملتها ملاك الوحي جبرئيل بنظر الاعتبار.

وعلى هذا فإنّه لا بدَّ من تفسير تنوّعِ طرقِ الوحي إلى هذه الطرق الثلاث بأنه يكون على أثر اختلاف أحوال النبيّ النفسية، وإنه ناشئ من نوعيّة الجذبات الآلهية المختلفة المتنوعة في كيانه الشريف، وذلك بأن روح النبي القدسيّة ربما تصعد وتترقى إلى مقام جبرائيل فيستمع الوحيَ منه، ولكنه لا يراه عياناً، وربما رأى جبرئيل نفسه عياناً أيضاً، وربما بلغ هذا الرقيّ الروحيّ إلى درجة أنه يسمعُ الكلامَ الآلهيّ في مكان خاص، وفي شجرة مثلًا، وربما ازداد صعوداً وارتقاءً بحيث لا يعود يرى الوسائط بل

---

(١) القصص ـ ٣٠.

(٢) الشورى ـ ٥١.

يسمع الكلام من الله الحق مباشرة.

ولقد كتَبَ العلّامة الطباطبائي في تفسيره يقول وهو يشير إلى هذا المعنى:

ثبوت الحجاب أو الرسول في مقام التكليم لا ينافي تحقق التكليم بالوحي، فانَ الوحي كسائر أفعاله لا يخلو من واسِطة، وإنما يدور الأمر مدار إلتفات المخاطَب الذي يتلقىٰ الكلامَ، فإنِ التفتَ إلى الواسطة التي تحمِلُ الكلامَ واحتجب بها عنه تعالى كان الكلامُ رسالة أُرسل اليه بملك مثلًا ووحياً من الملك، وان التفت اليه تعالى كان وحياً منه، وان كان هناك واسطة لا يلتفت اليها[1].

وعلى هذا الأساس فإنَ الوحيَ هو نوع من الإدراك الباطنيّ، والشعور الخفيّ الذي لا دخالة للادراكات الحسية وللمقدمات العقلية في حصولها، بل يُلقىٰ إلى روح النبيّ القدسية الملكوتية بصورةٍ مباشرةٍ.

إن نفس النبي القدسية حيث أنها في أعلىٰ مرتبة من مراتب الإنسانية فانّ لها قابليّة تَلَقّيِ هذه العلوم والمعارف.

إن الوحي ليس علماً عاديّاً مألوفاً، بل هو أمرٌ خارق للعادة لا غير، ولهذا السبب يطالب النـاسُ الأنبياء دومـاً بالمعجزة، ويلجأ الأنبياء بدورهم إلى المعجزه لإثبات دعواهم في الحالات الضرورية.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ ما هي أصناف معلوماتنا ومعارفنا نحن البشر؟

٢ ـ كيف يكون الوحي وهل للحواس دورٌ فيه؟

٣ ـ بيّنوا الأنواع الثلاثة للوحي المستفادة من قوله: «ما كان لبشر ...»

---

(١) الميزان ج١٤ ص ١٥٠.

٤ ـ عندما يتلقىّ النبيُ الوحي من الله تعالى مباشرة ألا تكونُ هناك واسطة مطلقاً؟

٥ ـ كيف يقدر النبيّ على تلقّي الوحي؟

* * *

الدرسُ الثاني عشر

الأنبياءُ عَلىٰ مَدارِ التّاريخِ

لقد بَعَثَ الله أنبياء كثيرين لهداية الناس وارشادهم على مدار التاريخ .. وكان النبيُ آدم أوّل أولئك الأنبياء، والنبيّ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله آخرهم وخاتمهم.

إن عددَ الأنبياء غيرُ معلومٍ لنا على وجه التحديد واليقين، ولكن جاء في بعض الأحاديث أنّ عددهم هو مائة وأربعة وعشرون ألفاً (١٢٤ر٠٠٠).

ولقد كان بعض أولئك الأنبياء أصحاب ديانات وشرائع خاصّة ولم يكن بعضهم الآخر أصحاب شريعة خاصة، بل كانوا يروّجونَ لشريعةِ من سبقهم من الأنبياء ويدعون اليها.

كما كان بعضُهم أصحاب كتب وبعضهم الآخر لم يكونوا أصحابَ كتب .. وربما كان في زمنٍ واحدٍ أنبياءُ متعدّدون يقومون بمهامّهم ومسؤوليّاتهم الإلٰهية في البُلدان والمدن المختلفة.

عن أبي ذرّ رحمه الله قال: قلت: يا رسول الله كم النبيّون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعسرون الف نبيّ، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: نلاث مائة وثلاثة عشر جمّاً

غفيراً؛ قلت: من كان أوّل الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياءِ مرسلاً قال: نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه. ثمّ قال: يا ابا ذرّ أربعة من الأنبياءِ سريانيّون: آدم، وشيث، وأُخنوخ وهو إدرِيس وهو أوّل من خط بالقلم، ونوح. وأربعة من العرب: هود، وصالح وشعيب، ونبيّك محمد صلى الله عليه وآله. وأوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وستّمائة نبيّ. قلت: يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل الله تعالى على شيث عليه السلام خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان[1].

خمسة من الأنبياء العظام الذين كانوُا أصحابَ شرائع خاصّة يُسمّون «أولو العزم» وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسىٰ ومحمّد صلى الله عليهم اجمعين.

روى إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: أولو العزم من الرسُل نوح وإبراهيم وموسى وعيسىٰ ومحمّد صلى الله عليهم اجمعين[2].

نحن لا نعرف أسماءَ الأنبياء جميعهم وعلى وجهِ التفصيل، ولقد وردَ في كتبٍ أسماءُ جماعة منهم.

ولقد ذُكِر في القرآن الكريم أسماء (٢٦) منهم وهم عبارة عن: آدم، نوح، إدريس، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، اليسع، ذو الكفل، إلياس، ايوب، يونس، إسحاق، يعقوب، يوسف، شعيب، موسىٰ، هارون، داوود، سليمان، زكريّا، يحيىٰ، إسماعيل صادق الوعد، عيسى، محمد صلى الله عليهم اجمعين.

* * *

---

(١) بحار الأنوار ج١١ ص ٣٢.

(٢) بحار الأنوار ج١١ ص ٣٣.

فكروا واجيبوا

١ ـ كم كان عددُ الأنبياء والرسُل؟

٢ ـ مَن هم أُولو العزم من الرسُل؟

٣ ـ أُذكروا الأنبياء الذين جاءت أسماؤهم في القرآن الكريم.

* * *

الدرسُ الثالث عشر

أهداف الأنبياء

كان الأنبياء يهدفون في مهامّهم الالَهيّة إلى أُمور عديدة خاصّة جاءت الإشارة اليهـا في الآيات القرآنية، والاحاديث الشريفة، بَيْدَ أنّه يمكن تلخيص جميع تلك الأهداف وجمعها في هدفين كُلّيَّين أساسِيّين هما:

الهَدَف الأول: لَفْتُ نَظَر البشرية إلى قيمة الحياة الروحيّة وأهميتها، وهدايتهم وارشادهم إلى الأُمور التي توجب تكميل النفس، والتقرّب إلى الله، وضمان السعادة الأُخروية، إلى جانب بيان عوامل سقوط النفس وشقائها في عالم الآخرة، والتحذير منها.

وفي هذا الصعيد وتحقيقاً لهذا الغاية كان الأنبياء يهتّمون بعدّة أُمور هامّة هي:

١ ـ معـرفة الله الخالق، والإيمان به، وتوَحيده، وإثبات صفات الكمال لتلك الذات المقدسة، وتنزيهها عن صفات النقص، والعيب.

لقـد كانت الدعوةُ إلى معرفة الله والايمان به وحده هي الأساس في دعوة الأنبياء والرسل جميعاً، وكان أولَ ما يطرحونه ويقترحونه على اقوامهم ومجتمعاتهم .. ويختص قسم هائل من آيات القرآن الكريم بهذا الموضوع.

٢ ـ إلفات النَظَر إلى مسألة المعاد، وحياة ما بعد الموت، والإيمان بها، وبالجنة ونِعَمهـا، وجهنم وعذابها .. ولقد كان الانبياء يؤكدون على اثبات العالَم الأُخروي وعقوبات يوم الجزاء تأكيداً بالغاً، وهو أمرٌ يختص به قسطٌ عظيم من آيات القرآن الكريم أيضاً.

٣ ـ الايمان بالنُبوّة، وبارتباط الأنبياء والرسل باللهِ تعالىٰ عبر الوحي، وتصديق الأنبياء السابقين من دون تفريق.

لقد كان الأنبياء يَدّعون أنّهم على ارتباط بالله سبحانه، وأنهم مكلّفون من جانبه بتبليغ رسالاته إلى الناس، وكانوا يطلبون من الناس ان يصدّقوهم، ويقبلوا بنبوّتهم، وأن يتبعوا أقوالهم وَأفعالهم حتى يسعدوا ويفوزوا.

إنّ هذه الأُمور الثلاثة كانت تشكّل الأسس في دعوة الأنبياء .. ولقد قالَ رسول الاسلام صلىّ الله عليه وآله عند دعوته عشيرته وقومه:

ألْحمْدُ للهِ، اَحْمَدُهُ وأَسْتَعينُهُ وَاُؤمِنُ بِهِ وَأَتَوكلُ عَلَيه وأشهَدُ أنْ لَا إلَه إلاّ الله وَحدَه لا شَريكَ له (ثم قال:) إنّ الرائِد لا يكذِبُ أَهلَه، وَاللهِ الَّذي لا إلَهَ إلاّ هُو إني رَسُولُ اللهِ إليَكُمْ خَاصّـة وَإلى النـاسِ عَامّة وَالله لَنموتُن كما تَنامُونَ وَلَتُبْعَثُنَّ كما تَسْتَيْقظِون وَلتحاسَبُن بما تَعْمَلون، وإنّها الجَنَّة أبَداً وَالنارُ أبداً[١].

٤ ـ ترغيبُ الناس في مكارم الأخلاق وفضائلها، وتحذيرهم من ذمائم الأخلاق ورذائلها.

لقد دعىٰ الأنبياءُ الناسَ من خلال بيان الآثار الدنيوية والأخروية الطيّبة لمكارم الأخلاق إلى التحلّي بالأخلاق الكريمة والخصال الحميدة، ومن خلال بيان التبعات السيئة للأخلاق الذميمة إلى تجنبها وحذّروهم من الإتصاف بسيءٍ منها.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص ٦١.

إنَّ تزكيةَ النفوس وتهذيبها يمكن إعتبارها أحدَ الأهْداف الكبرىٰ للانبياء.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤمِنِينَ إِذ بَعَثَ فِيهِم رَسُولاً مِن أَنفُسِهِمْ يَتلُواْ عَلَيهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلكِتَٰبَ وَٱلحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قال رَسولُ الله صلى اللهُ عليه وآله: عَلَيْكُمْ بِمَكارِمِ الأَخْلاقِ فَإِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ بَعَثَني بِها[2].

عَنِ النَبيِّ صَلّى الله عَليه وآله أنه قال: إنّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارِمَ الأَخْلاق[3].

٥ ـ ترغيبُ الناس في عبادة اللهِ الواحد والتسليم لاوامره سبحانه .. ولقد وصف الأنبياء أعمالاً ومراسم خاصة بأنّها عبادة، وبأنها من عوامل التكامل المعنوي، والتقرّب إلى الله، وبانّ للقيام بها أثراً قوياً في إسعاد الإنسان في الحياة الاخرى، إلى درجة أنهم وصفوا العبادة بأنّها هدفُ الخلق، قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلجِنَّ وَٱلإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[5].

لقد دعىٰ الأنبياء بارشاد الناس في جميع الأدوار والعصور إلى هذه البرامج، إلى ما يضمن سعادتهم الأُخروية.

الهدف الثاني: هو إصلاح الوضع الإجتماعيّ والحياة الدنيوية للبشر.

لقد اعتنى الأنبياء باصلاح أُمور الناس الإجتماعية والاقتصادية كذلك عنايةً كاملةً، فدعوا الناس إلى اكتساب العلم والمعرفة، والإستفادة من المصادر الطبيعيّة،

---

(١) آل عمران ـ ١٦٤.

(٢) بحار الانوار ج٦٩ ص ٣٧٥.

(٣) مستدرك الوسائل ج٢ ص ٢٨٢.

(٤) النحل ـ ٣٦

(٥) الذاريات ـ ٥٦.

والعمل والسعي، وكانوا يَرغبون في رعاية العَدل، والحقّ، ويُحذِّرون من الظُّلم والعدوان حفاظاً على سلامة المجتمع وأمنه.

ولأجل الحَيلولة دونَ وقوع الظُّلم والعُدوان ولتطبيق العدالة الإجتماعية عرضوا على الناس الأحكامَ والقوانين الحقوقية والجزائية والقضائية والاقتصادية من جانب الله تعالى، وقاموا بجهود كبرى لتنفيذها وتطبيقها في حياة الناس والمجتمع.

لقد حاربُوا الظلم والحيفَ، وَدافعوا عن المحرومين والمستضعَفين، وبمطالعة أحكام الإسلام وقوانينه يتضح ـ بجلاء ـ أنّ الأنبياء كانوا يهتّمون بإصلاح أُمور الناس الدنيوية وأوضاعهم الإجتماعية، إهتماماً كاملاً.

فمن بَعض الآيات يُستفاد أنَّ هذا الموضوع كانَ أحَدَ أهداف الأنبياء والرسل.

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

فكروا وأجيبوا

١ ـ بماذا كان يعتني الأنبياء في هَدَفهم الأوّل؟

٢ ـ ماذا كان الهدف الثاني للأنبياء؟

---

(١) الحديد ـ ٢٥.

(٢) البقرة ـ ٢١٣.

٣ ـ ما هو الدليل على أنّ الأنبياء كانوا يهتّمون بإصلاح أُمور الناس الاجتماعية؟

٤ ـ إحفظوا الآيات بدقة، وتعلّموا تفسيرها جيداً.

* * *

الدرس الرابع عشر

هَدَفُ الأنبياء النهائي

في الدَرس السابق قرأتم أَنّ للأنبياء هدفين كُلّيَّيْن في مهمتهم الإلَهية، أحدهما معرفة الله، وتوحيده في العبادة والتقرب إليه، وهو أمرٌ يرتبط بحياة البشر الروحيّة، وسعادته الأُخروية، والآخر هو إقامة العدل والقسط، ومحو الظلم والتمييز وهو يرتبط بحياةِ البشرِ الدنيوية الماديّة.

والآن ينطرح هذا السؤال وهو هل كان الأنبياء ثنويّين في رسالتهم يسعون إلى تحقيق الهدفين المذكورين، كلٍ بصورةٍ مستقلّةٍ.

أم أنَّهم كانوا يعتبرون أحدَ الهدفين أصلياً والآخر تبعيّاً، ومقدَّمةً للآخر أو متمّماً له.

وعلى الفرض الثاني أيّها هو الهدفُ الأصلي عند الأنبياء، وأيّها هو التبعيُّ الثانويّ؟

إنّ ها هنا عدَّة إحتمالات:

١ ـ لقد ظَنّ البعضُ أنّ هدفَ الأنبياء الأصليّ كان هو ضمان سعادة البشر الدنيويّة، وإقامة القسط والعدل، ومحو الظلم والتمييز .. وانّ الأنبياء جاؤوا لكي يَمنعوا من الإختلافات والتجاوزات، وكلّ أشكال العدوان، وان يجعلوا حياة البشر

مقرونةً بالأمن والطمأنينة، والرخاء والرفاه، وإنما أكدّوا على وجوب معرفة الله، وحثوا على عبادته والايمان بالمعاد، والمثوبات والعقوبات الأُخروية والقيم الاخلاقية كالعدل والاحسـان والتضحية والايثار، والدفاع عن المحرومين والمستضعفين، من أجل أن يستفيدوا من كلّ ذلك في إقرار العدالة الاجتماعية ومحو الظلم والتمييز.

لقد قال هذا الفريقُ: ما هي فائدة التوحيد النظريّ، ومعرفة الله في حدّ ذاتها .. فنحن سواء عرفنـا الله أو لم نعرفه، عَبَدناه أو لم نعبده فماذا يجدينا ذلك؟ وماذا يستفيد الله تعالى من ذلك؟.

يجب ان يُعتبر ذلك وسيلة للتوحيد الاجتماعي، واقامة المجتمع الخالي عن الطبقات.

٢ ـ ولكنّ المحقّقـين والعارفين بالاسلام، الواقعيّين يعتبرون الهدفَ الأصليَّ والنهائي في دعوة الأنبياء ومهمّتهم هو تربية النفوس البشرية، وإصلاح حياة البشر الأُخـروية، وللوصـول إلى هذا الهدف يعتبرون التوحيدَ النظري، والايمان بالمعاد، والايمان بالنبوّة والعبادة والتسليم أمامَ الله الواحد الأحد، وتزكية النفس، والتخلّق بالأخلاق الحسنة، مفيداً بل وضرورياً لذلك.

وَلدعمِ هذهِ النظريةِ نُشير إلى عدة أُمور:

١ ـ يُستفاد مِن الفَلسفة الإسلاميّة ومِن الآيات والأحاديث أنّ الانسان من جهة روحه الملكوتية كائنٌ مجرّدٌ، وأعلى من المادة والماديات، وانه باقٍ مُخلَّد لا يفنىٰ بالموت بل ينتقل من هذا العالم إلى عالَم الآخرة، ليرىٰ هناك نتيجة أعماله الصالحة او السيئة.

إنّ الانسان باعتبار روحه الملكوتية في حال حركةٍ وتكاملٍ دائمين، فهو يريد الله ويطلبُه بفطرته، وينجذب اليه بجبلّته، ويرىٰ كماله وسعادته وصلاحه في معرفة الله وعبادته والتقرّب إليه، وانّ حياته الأصيلة هي حياته النفسية (الروحيّة) والأُخروية.

٢ ـ لقد صُرّحَ في العديد من الآيات والأحاديث بأنّ الدنيا والأُمور الدنيوية ليست بذات قيمة هامّة، وانّ حياة الانسان الأصلية والقيّمة هي حياته الأُخرويّة والنفسية وللمثال:

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1].

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ . سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

٣ ـ لقد وُصِفَت الدُنيا ـ في أحاديث كثيرة ـ بأنها ممرّ لا مقرّ، وأنّها مكانٌ مؤقّتٌ، وبأنها مزرعة الآخرة، وأنه بالتالي يجب أن يستفاد منها لبناء الحياة الأُخروية الخالدة، وتشييدها.

ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

قال علي عليه السلام: ألا وَإنّ هٰذِهِ الدُّنْيا التي أَصْبَحتُمْ تَتَمَنّونَها وَتَرْغَبُونَ فيها، وأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَت بِدارِكُمْ وَلامَنزِ لكمْ الذي خُلِقْتُمْ لَهُ، وَلا الّذي

(١) الكهف ٤٦.

(٢) الحديد ٢٠ ـ ٢١.

(٣) القصص ـ ٦٠.

دُعيتم إليه، أَلا وإنها ليسَتْ بباقِيَة لكمْ وَلا تبقُون عَلَيْها، وَهِيَ وَإِنْ غرَّتْكُمْ مِنها فقَدْ حَذَّرتكُمْ شرَّها، فَدَعُوا غُرورَها لِتحذِيْرِهَا وأَطماعَها لِتَخْويفها، وسابقوا فيها إلى الدار التي دُعِيْتُم إليْها[1].

قال عليٌّ عليه السلام: فَإنَّ الدُّنيا لَم تُخْلَقْ لَكُمْ دارَ مَقام، بَلْ خُلقَتْ لَكُمْ مجازاً لِتَزَوَّدُوا مِنها الأَعمالَ إلى دارِ القَرار[2].

قال عليٌّ عليه السلام: أيُّها النّاسُ إنّما الدُّنيا دارُ مجازٍ والآخِرةُ دارُ قَرارٍ، فَخذُوا مِن مَمَرِّكُم لمَقَرِّكُمْ وَلا تَهتِكوُا أَسْتارَكم عِنْد مَن يَعلَمُ أَسْرارَكم واخرجُوا مِنَ الدُنيا قلوبكم مِنْ قبلِ أن تَخرجَ منها أبدانكُمْ فَفِيها اُختُبِرتُم وَلِغيرِها خُلِقْتُمْ[3].

من هذه الآيات والأحاديث ونظائرها العديدة البالغة حدّ المئات يُستفاد أنّ حياة الانسان الأصيلة التي خُلِق لأجلها انما هي ـ حسب نظر الإسلام ورؤيته ـ حياته الروحيّة والأُخروية وان الحياة الدنيا وسيلة لضمان السعادة الأُخروية.

ومن هنا يمكن أن نستنتج أن هدفَ الأنبياء الأساسيّ والنهائيّ أيضاً هو أن يمهّدواللبشرطريق التقرب والكمال، والفوز بالسعادة الأُخروية، ولا يمكن لأحد غير الأنبياء الذين يعلمون عن الله أن يوقف البشرَ على مثل هذا الطريق، وقد أعتبر الأنبياء الإيمان بالله، وبالمعاد والايمان بالنبوة، وعبادة الله الواحِد والتخلق بالأخلاق الحسنة، الطريقَ الوحيدَ للوصول إلى السعادة الأُخروية.

وعلى هذا الأساس يتأيّد الرأيُ الثانيُ، وأما الرأي الأوّل الذي يعتبر إصلاح أُمور النـاس المعيشية الهدف الأصيل والنهائي للأنبياء فهو مرفوض لأنه يخالف الآيات والأحاديث.

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٧٣.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٣٢.

(٣) نهج البلاغة، الكلام ٢٠٣.

غير أن مقصودَنا ليس هو أنّ الأنبياء لم يعتنوا أبداً باقامة العدل والقسط، ومحو الظلم و التمييز، بل كانوا يعتبرون العملَ والسعيَ وإسداءَ الخدمة للناس والعملَ بالقسط والعدل إذا تمَّ على أساسٍ أخلاقيّ، من أفضلِ العبادات، وأحسن القربات لأنَّ بهذه الطريقة يمكن توفّر الحياة الانسانية الاجتماعيّة، وتوفُّر البيئة المناسبة لتزكية النفس وتهذيبها، ولعبادة الله الواحد الأحَد.

ومن هنا يتّضح بطلانُ القول بأنّ الأنبياء كانوا ثنائيين في أهدافهم، وأنهم كانوا يعتنُون بالأُمور الدنيوية والأُخرويّة على حدّ سواء، لأنه قَد تبيّنَ من المعلومات السابقة أنَ الدنيا ليس لها في نظر الأنبياء إلاّ قيمة مقدّميّة وإلاّ قيمة كونها مزرعة للآخرة، ويمكن فيها القيام باكتساب الكمالات النفسيّة، والسعادة الأُخروية .. وأساساً لم يكن الأنبياء يفرّقون بين الدنيا والآخرة، ولا يقيمون بينهما حَدّاً متميّزاً، بل كانوا يسعون دائماً وأبداً إلى أن يجعلوا الأُمور الدنيوية في طريق تكميل النفس، وضمان السعادة الأُخروية.

فَكّروا وأجيبوا

١ ـ ما هوَ الهدف النهائيّ في مهمَّة الأنبياء؟
٢ ـ بَيّنوا أدلة ذلك.
٣ ـ كيفَ تُبطِلُون الأحتمال الأوّل؟
٤ ـ كيف تبطِلُون ثنائيّة الأنبياء في أهدافهم؟
٥ ـ إحفَظوا الآيات، وتَعَلَّموا تفسيرها جيداً.

* * *

الدرسُ الخامس عشر

الأنبياءُ والنظرةُ العامّةُ إلى الحَياة

كيف ترونَ الحياة؟ أيّة ظاهرة هو الانسان؟ ما هي نظرتكم حول الإنسان والكون؟

هناك رؤيتان متباينتان تماماً في هذا المجال هما: الرؤية الإلهية، والرؤية الماديّة.

الرؤيةُ الماديّةُ إلى الانسان والحيَاة

في هذه الرؤية يعتبر الماديّون الكون شيئاً مستقلاً، والوجود فاقداً للشعور والإرادة.

إن العالَم في هذه الرؤية مجموعة ليس له هدف خاصّ وهي تَتشكلُ من عناصِر ماديّة تدورُ حول نفسها من دون هدف .. جميعها عَبَث وجميعهُا بلا هَدَف، وبين هذه المجموعة الكبرىٰ يكون الانسان هو الآخر كائناً عبثياً، وموجوداً حائراً غير هادف، يتقدم بخطىً حثيثة نحو الفناء والعدم .. لا هدفَ في عمله، ونهايته اليأس والظلام، والقنوط والعدم .. لا ملجأً له، ولا ملاذ، ولا بصيصَ أمل .. إنه يعيش في عالمٍ مظلمٍ عارٍ عن الأمل، زاخرٍ بالخوف.

إنّ حياة الإنسان هي الأُخرىٰ حسب هذه الرؤية الماديّة أمر عبث ، وظاهرة غير ذات قيمة، وغير ذات معنى، ليس هناك من يكون الانسان مسؤولاً تجاهه .. وليس هناك كائنٌ عالمٌ، وموجودٌ أسمىٰ يدرك حسنَ عمل الإنسان وقبحه، ليعاقِب على السيّء ويُثيب على الحَسَن .. بل ولا يوجد هناك ملاك ثابت لتقييم أعمال الانسان وتمييز الحُسن والقبح.

الرؤية الآلهية الى الانسان والحياة

في الرؤية الآلهية لا ينظر أصحابها إلى الكون على أنه كائن مستقل، بل يعتبرونه مخلوقاً مرتبطاً .. في هذه الرؤية العالم مخلوق، قد خلِق على أساسٍ من المحاسبة الدقيقة، والنظم والتناسق الدقيقين، ولهدفٍ معين ... والعالَم يرتبط بقدرةِ خالقٍ قادرٍ تحفظه ارادة قاهرة، ويحرسه عالمٌ قدير.

في الرؤية الآلهية لا شيء في الكون الفسيح بعبث، ومن دون نهاية وغاية وهدف .. والإنسان في هذه المجموعة الهائلة من الموجودات يتمتع بمقام الافضلية، وله هدفٌ أعلىٰ ينتظره، وهو يسعى إلى ذلك الهدف طيلة حياته.. فلا يتملكه اليأس والقنوط بل يحدوه الشوق والأمل، إنه موجودٌ غيرُ فانٍ، يسافر مِن هذا العالم الفاني العابر إلى عالمٍ باقٍ ثابتٍ.

الإنسان في الرؤية الآلهيّة مسؤولٌ تجاه إرادة ربّه المطلقة .. إنّه مسؤولٌ تجاه خالقه الرحمان الرحيم .. وان عليه مسؤوليّة عظمى تجاه إلهه، لأنّ الله خلقه، وجعله مختاراً، واعتبره كائناً مكلّفاً مسؤولاً.

إنّ الرؤية الإلهيةَ تعتقد أنّ للانسان والعالم خالقاً بصيراً خبيراً حاضراً في كلّ مكان، ناظراً لأعماله، وهو الذي يعيّن الخيرَ والشرّ والحسنة والسيئة، ويثيب المحسنين الأبرار، ويعاقب المسيئين الاشرار.

رؤيةُ الأنبياء حول الانسان والحياة

إنّ نظرة الأنبياء إلى الإنسان والحياة هي نفس الرؤية الإلٓهية، وعينُها.

حول الكون: يعتقد الأنبياء أن الظواهر في هذا الكون موجودات مرتبطة ومحتاجة .. إنها آياتُ القدرة وعلامات العظمة الآلٓهية .. إنها مظاهر قدرة الله العليم القدير.

إنّ الأنبياء وأتباعهم يعتقدون أنَّ العالم بأسره مخلوقٌ للهِ الرَّحمان الرحيم .. وأنّ جميع الخيرات منه سبحانه، وأنّ تدبير الكون برمّته بيده .. وبالتالي انّ العالَم ليس لغواً، ولا عبثاً، ولا لعبة، بل هو مخلوق لهدفٍ خاصٍ ، وغايةٍ معينةٍ.

حول الإنسان وسعادته: إنّ للأنبياء رؤية خاصّةً حول الانسان، ونظرة مخصوصة حول هذا الموجود المتميّز .. إنهم يعتبرون الإنسان موجوداً مكرّماً وكائنا حُر الارادة مختاراً، ومخلوقاً مركباً من جانبين: من الجسم الذي هو مخلوق من التراب، ومن الروح المنسوبة الى الله، والمقتبسة من العالم الربوبيّ.

ولهذا السبب فهو موجودٌ أرقىٰ وخالد، وهو في التالي أمين الله، وحاملُ الامانة الآلٓهية، والقائم بها، ومكلَّفٌ من جانب الله، ومسؤول تجاهه.

إن سعادة الإنسان الحقيقيّة في هذه الرؤية وان التكامل الواقعي تكمنان في معرفة الله، وفي السير في سبيله، والعمل برضاه، وحيث أنّ جميع القدرات والخيرات منه لذلك فان التوجّه إليه تعالى توجّهٌ إلى جميع الخيرات، والإيمان به إيمانٌ بجميع القيَم الإنسانية الرفيعة.

إنّ أوّل ما بدأ به الأنبياءُ في دعوتهم هو دعوة الناس إلى عبادة اللهِ الواحدِ الأحدِ، ونبذ جميع أنواع الشرك .. لقد كان الأنبياءُ يرونَ أنّ قيمة الإنسان وشرفه بمعرفة الله وتوحيده وأنّ تناسي الله، والإعراض عن ذكره سبحانه أساسٌ لكل ألوان

الشقاء، وانّ التعلّق بغيره منشأ لجميع أنواع الشرور، والبلاء والضياع.

حول مستقبـل الانسـان (المعـاد): إنّ مستقبل الإنسان في رؤية الأنبياء مستقبلٌ واضحٌ بيّنٌ في غاية الوضوح والجلاء .. إنّه مستقبلٌ مشرقٌ وجميلٌ يبعث على الأمل، ويدعو إلى النشاط.

إنّ الأنبياء يعتقدون أنّ للانسان الصالح المؤمن مستقبلاً مشرقاً جداً وواضحاً جداً.. إنه ينتقل من هذا العالم الى عالَمٍ آخر (عالم الآخرة) الذي هو أوسع، وأسمى من هذا العالم، وهناك يرى الانسانُ نتيجة أعمالِهِ كاملةً.

لقد كانت رؤيةُ الأنبياء حول العالَمِ والإنسان وسعادةِ الانسان ومستقبلِهِ مثلَ هذه الرؤية الواضحة الحق، وكان الأنبياء أنفسُهم على يقينٍ قويّ بهذه الرؤية السامية الحقّ.

الحَجر الأساس في دعوة الأنبياء

كانت هذه الرؤية الخاصة هي الحَجَر الأساس في دَعوة الأنبياء الذي بَنَوا عليه صرح الدِين والشريعة.

إنّ أوّلَ ما كلّم به النبيُ نوحُ قومَه هو:

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وهكذا فإن أوّلَ ما كلّم به النبيُ هودُ قومَه هو:

﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[2].

---

(١) الاعراف ـ ٥٩.

(٢) هود ـ ٥٠.

وأوّل ما كلّم به صالحُ النبيّ قومَه هو نظير هذا الكلام اذ قال:

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾[1].

وقال النبيُ شعيبٌ لقومه في بداية دعوته:

﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ . وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾[2].

وقال الله تعالى حول رسالة النبيّ موسى:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ . إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ . يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ . وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾[3].

ونقرأ في التعقيب على هذه الآياتِ في القرآن الكريم:

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ . فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ . خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[4].

ولـو أمعنـا جيّداً في هذه الآيات لرأينـا أن هناك ركنين جوهريين وأصيلين اساسيين في دعوة هؤلاء الأنبياء، وجميع الأنبياء ممن سواهم ـ مضافاً إلى اثبات نبوتهم

---

(١) هود ـ ٦١.

(٢) هود ٨٤ ـ ٨٥.

(٣) هود ٩٦ ـ ٩٩.

(٤) هود ١٠٥ ـ ١٠٨.

وبيانها وهما:

الأوّل: عبادة الله الواحد (التوحيد).

والثاني: مستقبل الانسان وسعادته أو شقائه (المعاد).

إنّ الايمان بهذين الأصلين الأساسيّين (التوحيد والمعاد) يشكّل الحجَر الاساس في دعوة الأنبياء .. إنّ الأنبياء كانوا يبدأون دعوتهم للناس بالدعوة إلىٰ الايمان بهذين الأصْلَين من خلال إقامة الأدلّة والبراهين، وإراءة البيّنات والمعجزات.

إنهم كانُوا يدعون الناس في لباس الحث والترغيب، إلى التفكير في أسرار الكون وعجائبه ثم إلى الاعتقاد بهذين الركنين .. إنهم يوقظون فطرة الانسان المنجذبة جبليّاً إلى الله والمحبّة له، كيما يعرفوا الله، ويوحّدوه في الايمان والعبادة، وليهتدوا ـ من خلال رؤيتهم الإلٰهية لآيات العظمة وآيات القدرة الالٰهية في كلّ زاوية من زوايا الكون ـ إلى الغاية من خلق الانسان، والهدف من إيجاده، ويقفوا على عالَم ما بعد الموت (عالم الآخرة) ويؤمنوا به، ويفكّروا في سعادته أو شقائه في المستقبل.

إنّ الأنبياء كانوا ـ في البداية ـ يصلحون عقائدَ الناس التي تشكّل القاعدة التحتيّة والحجرَ الاساسي لكلّ أعمالهم وتصرُّفاتهم، إنّهم في البداية يدعون الناس إلى هذين الأصلين (التوحيد والمعاد) ثم يعرضون عليهم البرامج والمناهج السماويّة والأحكام والقوانين الدينية.

ومن هذا الطريق كانوا يدعون إلى سبيل السعادة والخير والصلاح، لأنّ الايمان والاعتقاد، والرؤية إلى الحياة والكون لدى كلّ إنسان هي منشأ كلّ الأعمال والتصرّفات ، ومنبع كلّ الأفكار والأخلاق، فان كلّ شخص إنما يعمل وفق ما يعتقد، ويتصرّفَ وفق ما تملي عليه رؤيته للحياة والكون والإنسان.

إن أخلاق كلّ إنسان وتصرّفاته تعكس ـ في الحقيقة ـ إيمانَه وعقيدته، وتنبع منهما، فالأعمال والاخلاق مظهران للايمان والإعتقاد عند كلّ انسان.

إنّ الإيمان الحقّ والعقيدة الصحيحة السليمة يثمران العملَ الصالحَ، وينتجان التصرفات السليمة، ويعطيان ثمارَ الإحسان الجميلة.

إنّ العقيدةَ الفاسدة وغير الصحيحة تنتجُ الإنحراف والفَسادَ، والظلمَ والضِياعَ.

وعلى هذا الأَساس فانّ لإصلاح الناس يجب أن يُبدَأ من إصلاح رؤيتهم واعتقادهم، وهذا هو ما كان يتبعه الأنبياء. إنهم كانوا يقوّون الايمان بالله، وبيوم الجزاء ويرسّخونها في أفئدة الناس وعقولهم، حتى لا يسعى الناسُ لغير الله، ولا يتخذوا لأنفسهم طريقاً غير طاعته سبحانه، وهدفاً غير جلب رضاه.

هدف الأَنبياء:

إنّ هدف الأنبياء الكبير هو زَرعُ الايمان بالله الواحد في النفوس، ودفعها إلى التقرّب إليه .. ان الهدف هو احياءُ القلوب بذكر الله، وتنشيط الارواح بمحبته وتعشقه سبحانه .. وإنّ جميع أحكام الدِين وقوانينه الإجتماعية والسياسية، بل وحتى إقامة القسط والعدل في المجتمع لها صفة البنية الفوقية، وتأتي في الدرجةِ الثانية في سلّم إهتمامات الرسُل.

إنّ الأنبياء كانوا يرون سعادةَ البشر في الايمان بالله الواحد، وكانوا يطلبون من الناس أن يجعلوا كلّ أعمالهم وتصرّفاتهم في مسار الرضىٰ الإلٓهيّ، وفي سبيل التقرُّب إلى الله ... أن يخدموا الآخرين من بني نوعهم من أجل الله .. أن يعمّروا الأرضَ لله .. أن يقارِعوا الظالمين لله .. أن يعملوا على إقامة العدل والقسط لله .. أن يبادروا إلى مساعدة المحرومين والمستضعفين لله، بل ويجعلوا نومَهم وأكلهم للهِ أيضاً، فلا يطلبوا إلاّ رضاه، ولا يعبدوا سواه، إذ هكذا يسعدون ويفوزون ويفلحون.

* * *

فكروا وأجيبوا

١ ـ كيف يُنظَر إلى الكون والحياة في الرؤية المادية؟

٢ ـ وكيف ذلك في الرؤية الآلهية؟

٣ ـ كيف يكون موقع الإنسان في رؤية الأنبياء؟

٤ ـ ما هي الأُصول التي تشكّلُ حَجرَ الأساس في دعوات الأَنبياء ورسالاتهم؟

٥ ـ أيّ أُسلوب يجب إتباعه أوَّلاً لإصلاح الناس؟

٦ ـ إحفظوا الآيات بدقة، وتعلّموا تفسيرها جيداً.

* * *

الدرس السادس عشر

الأنبياءُ وَوَحْدَةُ الطَّرِيق والْهَدَف

جاء إلى البَشر من قِبَلِ الله تعالىٰ طوال التاريخ آلافُ الأَنبياء والرُسُل، من أجل هِدايتهم وإرشادهم، بعضهم كان صاحبَ دِين وشريعة خاصّة، وبعضهم الآخر كانوا يروّجونِ لشريعة من سَبَقهم من الرسل، ولكن أصول الأديان السماوية، وبرامج الأنبياء بقِيت في جميع الأدوار والأعصر واحدة لا تتعدَّد، وكان الأنبياء يؤيّد بعضهُم بعضاً، وكانوا يدعون الناس في مختلف العصور إلى هدفٍ واحدٍ ويسعون إلى تطبيق برنامجٍ واحدٍ.

إنّ جميع الأديان الإلٰهية السماوية تقومُ على أُصول أساسية ثلاثة:

الأول: معرفة اللهِ الواحدِ الخالقِ والايمان به (التوحيد).

الثاني: الإيمان باليومِ الآخر ومستقبل الإنسان الخالد (المعاد).

الثالث: الإيمان بالانبياء ووحدة طريقهم وهدفهم (النبوّة).

لقد دعىٰ الأنبياءُ البشرَ ـ جميعاً ـ إلى الإيمان بهذه الأُصول الثلاثة، وكانوا يطلبــون منهم أن يصغوا إلى نداءاتهم ويتأمَّلوا في برامجهم الآلهية الهادية، ويقبلوها ويسلّموا لأمر الله العليم القدير، ولا يأخذوا منهج حياتهم إلّا مِن خالِقهم وربهم عزّوجل.

لقد دعى جميعُ الأنبياء من الأوّلين والآخرين، ومن آدم إلى النبي الخاتم محمد (ص)، لقد دعَوا جميع الناس إلى هذه الحقيقة .. ولقد سمّى الأنبياءُ الطريقَ والسبيلَ الّذي اختاره الله تعالى لحياة البشر وحبّذه لهم بـ«دين الله» وذكّروا بأن دينَ الله واحدٌ لا يتعدّد.

لم يختلف الأنبياءُ فيما بينهم أيَّ اختلاف في أُصول الدعوة وكليّاتها .. فكلُّ نبيٍ كانَ يجيء يؤيّدُ الأنبياء الذين سبقوه، ويذكرهم باحترام ويمدحهم ويوقرهم، ويؤيّد طريقة عملهم ومبادىء دعوتهم، ويبشّر بأنبياء لاحقين، ويوصي أتباعَه بطاعتهم وإتّباعهم بعد الإيمان بهم وقبول دعوتهم وتأييدهم.

ولقد ذكر الله سبحانه في القرآن الكريم أنّه كلّما كُنّا نؤتي نبياً الكتابَ والحكمةَ، نُؤكّد عليه بأن يوصي قومه بأن يؤمنوا بالنبيّ الّذي يأتي مِن بعده وينصروه اذ قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[١].

وقد قالَ القرآنُ الكريمُ حولَ الإيمان بالأنبياء ووحدة طريقهم، وهدفهم:

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ . وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٢].

انَّ الاسلام يعني التسليمَ أمامَ أمرِ الله ودينهِ والتسليم لبرامج الأنبياء تسليمٌ لأمر الله .. والأنبياء بهذا المعنى كانوا كلُّهم مسلمين. وان كانَ الاسلامُ بمعناه الخاصّ

(١) آل عمران ـ ٨١.

(٢) آل عمران ٨٤ ـ ٨٥.

يُطلَق على آخر دينٍ سماويٍ، اي الدين الذي أتىٰ به رسول الله وخاتم النبيين محمّد صلى الله عليه وآله من جانب الله تعالى، والمسلم يقال للفردِ الذي يعتنقُ هذا الدين.

انَّ النبيّ إبراهيم عليه السلام يطلبُ من الله في مناجاته هكذا:

﴿رَبَّنَا وَٱبعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِّنهُم يَتلُواْ عَلَيهِم ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلكِتَـٰبَ وَٱلحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِم إِنَّكَ أَنتَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ . وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَٰهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفسَهُ وَلَقَدِ ٱصْطَفَينَـٰهُ فِى ٱلدُّنيَا وَإِنَّهُ فِى ٱلأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ . إِذْ قَالَ لَـهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلعَـٰلَمِينَ . وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللهَ ٱصطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسلِمُونَ . أَم كُنتُم شُهَدَآءَ إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ ٱلمَوتُ إِذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِى قَالُواْ نَعبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبرَٰهِيمَ وَإِسمَـٰعِيلَ وَإِسحَـٰقَ إِلَـٰهاً وَاحِداً وَنَحنُ لَـهُ مُسلِمُونَ﴾[1].

إنكم تلاحظون كيف يصف اللهُ الأنبياءَ بأنّهم ـ من حيث وحدة الطريق والهدف ـ لا فرق بينهم، وأنهم اصحاب هدف واحد، وهو حثّ الناس على التسليم لأمر الله، ويصفُ الذين يعرضون عن طريقهم الواحد بأنّه من السفهاء الجاهلين .. انظروا ـ في هذا المجال ـ إلى الآيات التالية:

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلكِتَـٰبَ وَٱلحِكْمَةَ وَٱلتَّورَٰةَ وَٱلإِنجِيلَ . وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَد جِئتُكُم بِـَٔايَةٍ مِن رَّبِّكُم أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيـَٔةِ ٱلطَّيرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيراً بِإِذنِ ٱللهِ وَأُبرِئُ ٱلأَكمَهَ وَٱلأَبرَصَ وَأُحىِ ٱلمَوتَىٰ بِإِذنِ ٱللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُم إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤمِنِينَ . وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَينَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّورَٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيكُمْ وَجِئتُكُم بِـَٔايَةٍ مِن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ ٱللهَ رَبِّى وَرَبُّكُم فَٱعْبُدُوهُ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّستَقِيمٌ . فَلَمَّآ

---

(١) البقرة ١٢٩ ـ ١٣٣.

أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[1].

إنَ الأنبياء والرسُل الآلهيّين ـ مثل معلّمي مدرسةٍ واحدةٍ ـ بُعثوا الواحدَ تلوَ الآخر، ودعَوا البشر عامّة إلى التسليم أمام الدين الآلهي، وقادوهم ـ بارشاداتهم ـ في هذا الطريق، وعملوا على تكميلهم وترشيدهم مرحلة بعد مرحلة، وعلّموهم دينَ اللهِ شيئاً فشيئاً.

إنّ الدّين الآلهي ليس إلاّ ديناً واحداً هو الصراط المستقيم، وإنّ هدف الأنبياء ليس إلاّ هدفاً واحداً هو ابتغاء رضا الله، والتقرب إليه، ولا خلاف بين الأديان السماوية، وبين الأنبياء ابداً.

نعم يمكن أن تكون هناك طائفةٌ من الفروق بين الأديان في الأحكام الفرعية، ولكن هذه الفروق ـ ولا شك ـ اقتضاها اختلاف الظروف والأوضاع الزمانية، والتفاوت في قابليات الأفراد، لأنّ ظروفَ الزمان، ودرجات إدراك الأقوام والشعوب وقابليّاتهم ليست متساوية في جميع الازمنة والعصور، ولهذا كانَ الأنبياء يُحدّثون الناسَ طبقاً لمستويات إدراكاتهم وقابليّاتهم، وكانوا يمنحونهم التكامل والرشد تدريجاً، ويصَعّدُون من مقدراتهم على الفهم والإدراك لمعارف الدين شيئاً فشيئاً حتى وَصَل الدَورُ إلى آخر نَبيّ سماويٍ ورسولٍ إلهيّ هو محّمد صلى الله عليه وآله، فبعث لهداية الناس بمعارف وأحكام واسعة ودقيقة لا نعهَدها في الأديان والشرائع السابقة، ولأجل سعة وعظمة المعارف، وشموليّة الأحكام التي جاء بها الاسلام إلى الناس، ولأجل أنه فتح بابَ التفكير والتحقيق والإستنباط والإجتهاد في النصوص الدينية جُعِل هذا الدِين من قِبَل الله آخر وأسمى الأديان.

---

(١) ال عمران ٤٨ ـ ٥٢.

قال الله تعالى حول محتوى الدين الاسلاميّ وعلاقته بالأديان السابقة هكذا:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِىٓ أَوْحَينَآ إِلَيكَ وَمَا وَصَّينَا بِهِ إِبرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[1].

فكّروا واجيبوا

١ ـ ما هي الأُصول الثلاثة التي كانَ الأنبياء يدعون الناسَ إلى الايمان بها؟

٢ ـ ما هو بيانُ القرآنِ حولَ وحدة الأنبياء في الطريق والهدف؟

٣ ـ إحفظوا الآيات وتعلّموا تفسيرها جيداً.

* * *

---

(١) السورى ١٣.

الدرس السابع عشر

الأنبياء والإستقامة

كان للإيمان بالله واليوم الآخـر جُذور عميقة ونفوذ كبير في نفوس الأنبياء والرسل وفي أعماق ضمائرهم، وكانوا قد بلغوا في هذين الأمرين إلى مَرحلة اليقين والشهود، وكانوا على إرتباط بعالم الغيب، ولم يكن عندهم أدنى شك أو تردّد في مهمتّهم الآلهية.

لقـد كانوا يعتمدون على قوة لامتناهية ولهذا كانوا لا يخافون من أيّة قوة، وكانوا مصمّمين في عملهم، قد عقدوا العزمَ على القيامِ بمسؤوليتهم السّماويّة، من دون أن يستوحِشوا من قلّة الأعوان وندرة الأنصار .. وكان ركامُ المشكلات والعراقيل التي يثيرُها أعداؤهم ترسّخ عزائمهم أكثر، وتزيد من تصميمهم على المضيّ في الدرب، ولا تترك ادنىٰ خَلَل في نفـوسِهم وعـزائمهم، بل كانـوا يسعـون إلى حلّ المشكلات بالاستقـامـة والثبات، ويمكن إعتبار ذلك الثبات وتلك الاستقامة عاملاً مهمّاً من عوامِل إنتصارهم ونَجاحهم في أداء مهمّاتهم.

إن مطالَعةَ حياة الأنبياء وسعيهم الحثيث أمرٌ رائع ومفيد جداً، ونحن هنا نشير من باب المثال إلى طرف منها:

إستقامة النبيّ إبراهيم عليه السلام

لقد نَهَض هذا النبيُّ الالَهيُّ العظيمُ وحدَه وبمفرده في وجه الشرك والوثنية وقارع نمرود ونظام حكمه الطاغوتيّ الذي كانِ يحمي الأوثان والوثنيّة، ولم يخف قط من قوّته العظيمة، وقال من دون وَجَلٍ وخوفٍ:

﴿وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَـٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾[1].

لقـد قام النبي إبراهيم بوحده بتكسير الأصنام وتحطيمها .. ففي ذات يوم عندما خرج الوثنيّون إلى الصحراء في عيدٍ لهم، دخلَ إبراهيمُ عليه السلام المعبدَ الكبيرَ حيث الأصنام منصوبةٌ، وحطّم تلك الأصنام ونثرها على الأرض .. وعندما مَثُل أمام محكمة نمرود الطاغوتية، وحُكِم عليه بالموت حَرقاً بالنّار، بتهمة تحطيم الأصنام لم يبدُ عليه، عليه السلام أيّ ضعف، ولا أقلّ ندامة، وبقي ثابتاً صامداً يدافع عن عقيدتـه ورأيه في الأصنام، وحتى عندما وُضِعَ في المنجنيق ليرُمى به في وسط النار الملتهبـة العظيمة لم يُظهِرْ أدنى ضعفٍ ووَجَلٍ، ولم يطلب العونَ والمدد من غير الله سبحانه الذي تحوّلت تلك النار بإرادته إلى بردٍ وسلامٍ علىٰ إبراهيم.

لقـد كانت إستقـامة النبي إبراهيم عليه السلام وثباته في مكافحة الوثنية، وإقامة صرح التوحيد، عجيبة جداً إلى درجة أن القرآن الكريم وصفه بانه «أمّة واحدة».

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

---

(١) الأنبياء ـ ٥٧.

(٢) النحل ـ ١٢٠.

إستقامة النَبيّ موسىٰ عَليه السلام

لقد بُعثَ النبيُ موسىٰ عليه السلام بالرسالة أيضاً وكُلِفَ من جانب الله بأنْ يذهبَ لإبلاغ رسالته إلى قومه المضطَهَدين من بني اسرائيل، وتخليصهم، كما كُلّف بأنْ يذهب إلى بلاط فرعون ويدعوه .. فذهبَ عليه السلام وبيده عصاً لابساً ثوباً من الصُوف، ومعه أخوه هارون ودخل البلاط الفخم الذي يسكُنُه فرعون الطاغية الظالِم من دون وَجَلٍ وخَوفٍ وقال للطاغية المتجبّر بكل شجاعةٍ وشهامةٍ ما أمره الله ان يقول.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرعَوْنُ إِنّي رَسُولٌ مّن رَّبِّ ٱلعَٰلَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللهِ إِلَّا ٱلحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيّنَةٍ مّن رَّبّكُم فَأَرسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسرَٰٓءِيلَ﴾[١].

لقد جاهَد النبيُ موسى (ع) في سبيلِ دعوةِ قومِهِ بني إسرائيل إلى التوحيد، وتخليصهم مِن فرعون الظالِم وجهازِه الطاغوتي سنيناً عديدة، وواجه جميع المشكلات، وجميع عمليّات التعذيب والتشريد والاضطهاد بل والقتل التي مارسها الفرعونيون بالصبر والثبات، وكان يدعو بني إسرائيل في ذروة الضغط والإضطهاد إلى الصَبر والإستقامة يقول تعالىٰ عن ذلك:

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَومِهِ ٱستَعِينُواْ بِٱللهِ وَٱصبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلأَرْضَ لِلهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِن عِبَادِهِ وَٱلعَٰقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ﴾[٢].

ولما أعلن قومُه أنّ صبرهم يكاد ينفذ من شدّة الأذىٰ و:

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأتِيَنَا وَمِن بَعدِ مَا جِئتَنَا﴾[٣].

---

(١) الاعراف ـ ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢) الأعراف ١٢٨.

(٣) الأعراف ١٢٩.

أجابهم موسىٰ عليه السلام مُطَمْئِناً إياهم بالنصر لتقوية معنوياتهم إذ:

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُم أَن يُهلِكَ عَدُوَّكُم وَيَسْتَخلِفَكُم فِي ٱلأَرضِ فَيَنظُرَ كَيفَ تَعمَلُونَ﴾[١].

ولقد بالَغ النبيُّ موسىٰ في الثبات والإستقامة في سبيل القيام بمهمّته الجسيمة والخطيرة والى أن انتصر، وأهلك فرعونَ وأطاح بجهاز حكمه الطاغوتي البغيض، وحرّر بني إسرائيل من ذلّ العبُودية، وخلّصهم من ظلمِ الفِرعونيين وتعذيبهم وأذاهم المرِير.

إستقامة رسولِ الإسلام وثباته العظيم

لقد نَهضَ النبيُ محمّد صلّى الله عليه وآله بمفرده في وجه الشرك والوثنية، وسعىٰ بعزمٍ راسخٍ وإرادة قوية إلى تحقيق هَدَفه واستقام وثبت أمام جميع المشكلات والمصاعب.

لقد واجهَتْ نبوَّةُ رسولِ الله (ص) طوال مدّة ١٣ عاماً مئات بل آلاف المشاكل الكبيرة المضنية ولكنه لم يُظهر من نفسه أدنىٰ ضَعف وتردّد .. إنه كان مكلّفَاً من جانب الله أن يستقيم هو وأتباعُه في طريق هدفه المقدس.

يقول تعالى في القرآن الكريم في هذا المجال:

﴿فَٱستَقِمْ كَمَآ أُمِرتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطغَواْ إِنَّهُ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢].

لقد بلّغ رسولُ الاسلام مبادئَ دينه الحنيف طيلة مدة نبوّته، بل وأعلن عنها في بداية دعوته بصورةٍ قاطعةٍ وصريحةٍ، ولم يرهب كثرة الأعداء ولم يستوحش من قلّة الأنصار والمؤيّدين.

---

(١) الأعراف ١٢٩.

(٢) هود ـ ١١٢.

عندما نَزَلَ عليه قولُه تعالى: ﴿وأَنْذِر عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِيْن﴾ وكُلِّفَ بأن يدعوَ عشيرته الأقربين إلى دينه علانية، أَمَرَ عليَ بن ابي طالب عليه السلام بأن يُعِدَّ طعاماً ويدعو أقربائه إلى منزله، ليدعوَهم بعد الطعام إلى الإسلام، فأعدَّ عليٌ طعاماً كما أمرَ النبي ودعا ما يقرب من أربعين شخصاً من أقربائه، فنهضَ بعد فراغهم من الأكل ليتحدّث إليهم .. فمنعَ أبو لهب عن ذلك، وتفرق الجمعُ.

يقول عليُ بنُ أبي طالب: فأمرني رسولُ اللهِ أن أصنعَ طعاماً مرة أُخرى ففعلتُ، وأيضاً لم يسمحوا له بالتكلّم، فكرّر الدعوةَ ثالثة، وفي هذه المرّة نهضَ رسولُ الله (ص) ثم تكلّم فقال: «يا بني عَبدِ المطلب إنّي وَالله ما أعلمُ شاباً في العَرَب جاءَ قومَه بأفضل ممّا قد جئتكم به، قَد جئتُكمْ بخيرِ الدُنيا والآخرةِ، وقد أمَرَني اللهُ تعالى أنَ أدعوَكم إليه فأيُّكم يؤازرُني على هذا الأمرِ علىٰ أن يكونَ أخي ووصيّي وخليفتي فيكم»، فاحجمَ القومُ عنها جميعاً وقلت ـ وإني لأحدَثُهم سِناً وأرمصُهم عيناً وأعظمُهم بَطناً وأحمشهُمْ ساقاً: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عَليه، فأخذ برَقَبَتي ثم قالَ: إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فِيكم فأسمَعُوا له وأطيعُوا، قالَ فقامَ القومُ يضحَكُونَ فيقولون لأبي طَالبٍ: قد أَمرَكَ أن تسمَعَ لابنكَ وتطيعَ[١].

لقد استخدَم المشركونَ لِثَنْي الرسولِ الأكرم محمّد (ص) عن أداء رسالته والمضيّ في دعوته كلّ وسيلة ممكنة، ولكنَّ النبيَّ بقي صامداً ثابتاً في الطريق.

فذات يوم ـ مثلاً ـ جاءَ رؤساءُ قريش إلى أبي طالب عمّ النَبي فقالوا: يا ابا طالب إنَّ لك سِناً وشَرَفاً وإنّا قد استنهيناك أن تنهىٰ ابنَ اخيك فلم تفعلْ وإنا واللهِ لا نصبرُ على هذا مِن شتم آلِهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفّه عنا أو ننازلَه وإيّاك في ذلك حتى يهلك أحدُ الفريقين أو كما قالوا ثم انصرفُوا عنه.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص ٦٢.

فعظم علىٰ أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم له، ولم تطب نفسه باسلام[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم وخذلانِه، وبعث إلى رسولِ الله (ص) فأعلمَه ما قالت قريشٌ وقالَ له: إبقِ على نفسِك وعليَّ ولا تحمّلني من الأمر مَا لا أُطيق، فظنَّ رسولُ الله (ص) أنّه قد بدا لعمه، وأنه خذَلَهُ وقد ضَعف عن نصرته فقالَ رسول الله صلى عليه وسلم: «يا عمّاه لو وَضَعوا الشمسَ في يميني والقَمرَ في شمالي على أن أتركَ هذا الأمرَ حتى يُظهِرَه اللهُ أو أهلك فيه ما تركتُه»[2].

لقـد واجهَ رسولُ الاسلام عالماً من الكفر والشرك، وواجَهَ في جميع مراحل دعوته مئات المشكلات، والمتاعب، فقد آذوه في نفسه وأهله .. عَذّبوا أنصارَه وأتباعه القليلين بصنوف التعذيب .. حَبَسوه وأهله وأتباعه في شعب أبي طالب وحاصروهم إجتماعياً واقتصادياً اشدّ المحاصرة .. وكان معرَّضاً دائماً لخطر الاغتيال والقتل، فقد قرّروا مراراً قتلَه والقضاء عليه، و.. و.. ولكنّه بقي يواصل مهمَّته رغم كل ذلك بصبرٍ وثبـات وصلابة واستقامةٍ حتى انتصرَ على أعدائه ومعارضيه ورفع لواء التوحيد في العالم، وبهذا أعطى للمسلمين والموحّدين والمصلِحين دروساً بليغة في الصبر والإستقامة، والثبات والهادفية.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ كيفَ أدّى الأنبياءُ مهمتهم الآلهيّة، وَ ما هو أكـبر عاملٍ مِن عواملِ إنتصارِهم ونَجاحهم؟

٢ ـ من أيّ مصدر كان الأنبياء يستمدّون إستقامتهم؟

٣ ـ أُذكروا شاهداً واحِداً على إستقامةِ النبي إبراهيم عليه السلام وثباتِه.

---

(١) اي تسليمه إلى قريش.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢ ص ٦٤ ـ السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٢٨٤.

٤ ـ أُذكروا شاهِداً واحِداً على إستقامة النبيّ موسىٰ عليه السلام وثباتِه.

٥ ـ أُذكروا شاهداً واحداً على إستقامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وثباتِه.

٦ ـ ما هي الدروسُ التي أعطاها الأنبياء وبخاصّة رسول الاسلام للمسلمين والموحدين باستقامتهم؟.

* * *

الفصل الثاني

النُبُوَّة الخاصَّة

الدَرسُ الثامنُ عشر

مُحَمَّدٌ نَبيُّ الإسلاٰم
صَلّى اللهُ عَليه وآلهِ وَسَلَّمَ

في قسم النُبوَّة العامَّة تعرَّفتم على مسائل النبوة العامّة مثل: ضرورة إرسال الأنبياء أساساً، شرائط النبوّة، برامج الأنبياء وأهدافهم، طرق معرفة الأنبياء ..

وفي قسم النبوّة الخاصّة يتركَّز البحثُ على دراسة وتعيين المصاديق الخاصةِ، وبعبارةٍ أُخرى معرفة الأنبياء الصادِقِين وطرقِ إثبات نبوّتهم، وفي هذا المجال سنكتفي بدراسةٍ حول رسولِ الله صلى الله عليه وآله فقط لأنَّ بإثبات نبوّته ستثبت نبوّة غيره منَ الأنبياء الذين مرّت الإشارة إلى ذكر اسمائهم والتي وَرَدَت في القرآن الكريم أيضاً.

لقد قُلنا فيما سبق أنَّ صحةَ دعوى النُبوّة وصدق النبي في إدّعائه يثبت بإحدىٰ طرق أربع هي:

١ ـ مطالعة شخصيّة مدّعي النبوّة ودراسة أحوال وأخلاقه، وتصّرفاته وسوابقه.

٢ ـ دراسة العقائد والأخلاق والأحكام والقوانين التي عرضها مدّعي النبوّة على الناس.

٣ ـ إخبارات الأنبياء السابقين الّذين ثبتت نبوَّتهم بالأدلة القطعيّة وبشائرهم

به وبمبعثه.

٤ ـ الإتيان بالمعجزة والعمل الخارق للعادة.

إن الذين يؤمنون بنبوَّة أحد ويعتنقون دينه يستفيدون من إحدى هذه الطرق، ولنرى الآن من أيّ طريق استفاد المسلمون الأوائل وكيف وبأيّ دليلٍ آمَنوا برسول الإسلام محمّد صلّى الله عليه وآله؟.

من دراسةٍ سريعةٍ وقصيرةٍ لتاريخ الاسلام إبّان ظهوره يتضح لنا ان المسلمين استفادوا مِن جميع هذه الطُرُق الأربع، ولكن كلّ جماعة من طريقٍ واحدٍ منها.

الطريقُ الأوَّل دراسةُ حياةِ النبيّ

إنّ شخصيّة رسول الإسلام المعنويّة الممتازة، وأخلاقه العظيمة وسلوكه الرفيع كانت بشهادةِ التاريخ أحَدَ العوامِلِ المهمّة في نجاحِهِ صلى الله عليه وآله وما أحرزه من انتصار.

إن شخصيّة محمّد (ص) المتميزة الإستثنائية كانت واضحةَ الملامح منذ طفولته وصباه وشبابه .. كان يدافع عن المحرومين والمظلومين ويحميهم .. ولم تكن في سجلّ حياته أيّة سابقة سوء، ولا أيّة نقطةٍ سوداء مشينة .. كان شخصيّة روحانية معنوية رائعة .. ولم يكن كسائر الناس يعشق المال والجاه .. كان صادقاً، أميناً، حسِنَ الأخلاق محسِناً، رحيماً، كان محترماً لدى الآخرين مبجّلاً عند الناس مشتهراً بالصادق الامين حتى قبلَ بعثته .. وعلى أثر هذه المنزلة المعروفة، وهذه السوابقِ الساطعةِ قبلَ فريق من الناسِ دعوَته، وصَدّقوا بنبوّته وانضَوَوا تحت لوائه.

ولهذا عندما عادَ إلى منزله من حِراء في بدء نزولِ الوحي عليه مضطرباً، وقصّ علَى زوجته خديجة ظهورَ جبرائيل له، وقضيّة نبوّته أيَّدَتهُ السيدة خديجة فوراً، ولم تتردّد في صدق دعواه أبداً.

يقول رسول الله (ص): فأتيتُ خديجة فقلت لقد اشفقتُ على نفسي وأخبرتها خبري.

فقالت: ابشر، فوالله لا يخزيك أبداً. فوالله إنّك لتصِلُ الرحمَ، وتصدق الحديث، وتؤدّي الأمانة، وتحمل الكَلّ، وتُقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر![1].

على أن رسولَ الله (ص) نفسَه يشير إلى هذه الناحية ذاتها في دعوته عندما دعىٰ عشيرَته الأقربين.

يقول البلاذري في هذا المجال: «لمّا نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِينَ﴾ صعدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم على الصَّفا فنادىٰ: «يا مَعشَرَ قريش» فقالت قريش: محمّد على الصّفا يهتف، فاقبلوا واجتمعُوا،

فقالوا: مالَك يا محمد؟

قال: أرأيتُمْ لو أخبرتكمْ أنّ خيلاً أسفح هذا الجبَل، أكنتم تصَدِقوني؟

قالوا: نَعَمْ، أنت عِندنا غيرَ متّهمَ وما جَرَّبْنا عَليك كَذِباً قطّ.

قالَ: فَإنّي نَذيرٌ لَكمْ بينَ يَدَيْ عَذابٍ شَدَيدٍ، يا بني عَبد المُطّلب يا بني عَبدِ مناف، يا بني زُهرة، حتى عدّ الأفخاذ مِن قريشَ، إنَّ الله أَمَرَني أنْ أنذرَ عَشِيرَتي الأَقرَبين وَإنّي لا أمْلِكُ لَكمْ مِنَ الدُّنيا مَنْفَعَةَ ولا مِن الآخرة نَصِيباً إلاّ أن تقوُلوا: لا إلَه إلاّ اللهُ[2].

الطريق الثاني دراسة العقائد والأحكام والقوانين

لقد قبل جماعة أُخرى دعوة النبي لأنّهم وَجَدوا العقائد التي يدعو إليها منطبقةً على الموازين العقلية كما وجَدَوا الأحكام والقوانين التي يعرضها عليهم يمكنها

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص ٤٨.

(٢) أنساب الأشراف ج١ ص ١٢٠.

توفير سعادتهم وراحتهم، والحيلولة دون المفاسد الاجتماعية.

إنهم احسّوا بأن عرض مثل هذه العقائد الصحيحة السامية، وتنظيم مثل هذه القوانين الجامعة الكاملة لا يمكن ان يتحقق بواسطة إنسان عادِيّ أُمِيّ يعيش في مثل ذلك المجتمع المنحَطّ، بل لابدّ ان يكون من جانب الله تعالى، ولهذه الجهة قبلوا دعوته وآمنوا به .. أجل إنهم كثيرون هم الذين آمنوا برسول الله (ص) وأسلموا من هذا الطريق، وعلى سبيل المثال:

كتب أبو الفداء: عمرو بن عنبسة السلّمي رضي الله عنه قال أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم في أوّل ما بُعِث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخفٍ فقلتُ: ما انت؟ قال: أنا نبي، فقلتُ: وما النبيُّ؟ قال رسولُ الله قلت: الله أرسَلَكَ؟ قال: نعم. قلتُ بِمَ ارسلك؟ قال: بأن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام، وتوصل الأرحام. قال: قلتُ: نِعْمَ ما أرْسلَكَ به .... قال: فأسلمتُ[١].

ويكتب أبو الفداء أيضاً: قَدِمَ ضماد مَكّة، وهو رجلٌ من أزدشنوءة وكان يرقي من هذه الرياح. فسمع سفهاء من سُفّه مكة يقولون: إن محمداً مجنونٌ. فقال: أين هذا الرجُل لعلّ الله أن يشفيَه على يَديَّ؟ فلقيتُ محمداً فقلت: إني أُرقي من هذه الرياح وإن الله يشفي على يديَّ من شاءَ فهلمَّ. فقال محمد: إنّ الحمَد لله نحَمدهُ ونَسْتَعِينُهُ، من يَهدِ الله فلا مُضلّ له. ومَن يضلِل فلا هاديَ له، أشهد أن لا آله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، ثلاث مرات فقال: والله لقد سمعتُ قول الكَهَنة وقول السَحَرة وقولَ الشعراء فما سمعتُ مثلَ هذه الكلمات فهلّم يَدَكَ أُبايعك على الإسلام فبايَعَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم[٢].

وبعد أن هاجر جماعةٌ من المسلمين إلى الحبشة حفاظاً على دينهم وعقيدتهم

(١) السيرة النبوية لأبي الفداء ج١ ص ٤٤٢.

(٢) السيرة النبوية لأبي الفداء ج١ ص ٤٥٢.

بعثتْ قريش رجلين منهم مبعوثين بهدايا إلى مَلك الحبَشَةِ ليَسْتَرِدّا المسلمين اللاجئين إلى تلك البقاع .. فذَهبا إلى الحبشة، وطَرَحا مطلبهما على ملكها (النجاشيّ) فاستدعىٰ النجاشيُ المسلمين واستخبرَهم الحال. فدارَ حوارٌ جميلٌ في ذلك المجلس نذكره هنا:

كتب ابنُ الأثير: ثم أرسلَ النجاشيُ إلى أصحاب النبيّ (ص) فدعاهُم فحَضَروا وقد اجمَعوا على صِدقه فيما ساءَه وسرَّه، وكان المتكلّمُ عنهم جعفرُ بن أبي طالب، فقال لهم النجاشيُ: ما هذا الدينُ الّذي فارقتمُ فيه قومَكم ولم تدخلوا في ديني ولا دينَ أحدٍ مِنَ الملل؟ فقال جعفر: أيها الملك؛ كنّا أهل جاهليّة نعبُدُ الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطعُ الأرحام ونسيءُ الجوار ويأكل القويُّ منّا الضعيفَ حتى بَعَث اللهُ إلينا رسولاً منّا نعرف نسَبَه وصدقَه وأمانته وعَفافه فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشركَ به شيئاً ونخلعَ ما كنّا نعبُدُ من الأصنام، وأمَرَنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصِلَة الرحم، وحُسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقولِ الزور وأكل مالِ اليتيم، وأمَرَنا بالصلاة والصيام، وعَدَّدَ عليه أُمور الإسلام قال: فآمنا به وصَدَّقناه، وحَرَّمنا ما حَرَّمَ علينا وَحَلّلنا ما أحلّ لنا . فتعدّى علينا قومنا، فَعَذّبونا وفَتَنونا عن ديننا لِيردُّونا إلى عبادة الأوثان فلمّا قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناكَ على مَن سواك ورجونا أن لا نُظلم عندك أيّها الملك .فقال النجاشيُّ: هل معك مما جاءَ به عن الله شيءٌ؟ قال: نعم، فقرأ عليه سطراً من كهيعص، فبكىٰ النجاشيُ وأساقفتُه، وقال النجاشيُ: إنَ هذا والذي جاء به عيسى يخرجُ من مشكاةٍ واحدةٍ . إنطلقوا والله لا أسلمِهُمْ اليكما ابداً[1].

وفي الخاتمة يجب التذكيرُ بهذه النقطة وهي أن إيمان أغلبية من أسلموا في صَدر الاسلام وإن كان حاصِلاً من أحد هذين الطريقين، وهكذا إطمأنوا إلى صحَة ادّعاء

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢ ص ٧٩.

نبي الاسلام وتيقنوا نبوّته، ولكن هذين الطريقين ـ كما أسلفنا ـ تعتبران من الشواهد والقرائن على صِدق الدعوىٰ، ولهما قيمة الشاهد والقرينة، ولا يمكن عدّهما من الأدلة القطعية.

فَكِرّوا وأجيبوا

١ ـ هل كان لشخصية رسولِ الاسلام الممتازة أثر في إيمان الناس بدعوته ؟ ما هو ذلك الأثر؟

٢ ـ ماذا قالت خديجة للنبيّ؟

٣ ـ ماذا قال رسولُ الله لقريش؟ ماذا كانَ هدفه من هذا الكلام؟

٤ ـ من أيّ طريقٍ آمَنَ عنبَسَة؟

٥ ـ كيف وَصَفَ جعفر الإسلامَ للنجاشي؟

٦ ـ كيف بَرَّرَ إيمانهم برسول الله وقبولُهم للأسلام؟

* * *

الدرسُ التاسع عشر

رسولُ الإسلام والبِشارات

إنَّ موضوع البشارات بمجيء رسولِ الله (ص) أمرٌ قطعيٌ وغير قابل للشكّ في نظر القرآن الكريم، وعلى سبيل المثال نلفت نظركم إلى الآيات التالية:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1].

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) البقرة ـ ٨٩.

(٢) البقرة ـ ١٤٦.

(٣) الأعراف ـ ١٥٧.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[1].

يُستفاد من الآيات المذكورة ونظائرها أن اليهود والنصارىٰ القاطِنين في الجزيرة العربية في عصر البعثة النبوية وإبان نزول القرآن كانوا ينتظرون ظهور نبي يُبعث من تلك الديار، يدافعُ عن التوحيد والموحّدين، وكانوا على علمٍ بصفاته وعلائِمه، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم، بل ويعرفون أنّ إسمه «أحمد» .. وكان إسمه وعلائمه موجودة في التوراة والانجيل، وقد بشّر بمجيئه النبي موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء والرسُل الإلهيّين..

ولقد كان هذا الأمر واضحاً وقطعياً جداً إلى درجة أنّ اليهود كانوا كلّما تعرّضوا لأذىً من المشركين، ولم يمكنهم الدفاع عن أنفسهم هدّدوهم بأنه سرعان ما يُبعَث النبيُ المعهودُ ويدافع عنهم، ويحميهم.

ولقد كتب ابنُ هشام في هذا المجال يقول: عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إنّ ممّا دَعانا إلى الإسلام مع رحمةِ الله وهُداهُ لنا، لما كنّا نسمعُ من رجال يهود ـ وكنا أهلَ شرك، أصحابَ أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علمٌ ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرورٌ ـ فإذا نلنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارَبَ زمانُ نبيّ يُبعَث الآن ، نقتلكُم معه قتلَ عاد وإرم، فكنّا كثيراً ما نسمَعُ ذلكَ منهم، فلّما بَعَث اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلّم أجبناهُ حين دعانا إلى الله تعالى وعَرَفنا ما كانوا يتوعَّدوننَا به، فَبادَرْناهم إليه، فآمنّا به وكفَروا به، ففينا وفيهم نَزَلَ هؤلاء الآيات من البقرة: ﴿وَلَـمّا جاءَهُمْ كِتـابٌ مِن عِنـدِ اللهِ مُصَدّقٌ لِما مَعَهُمْ، وَكانُوا مِن قَبلُ

---

(١) الصف ـ ٦.

يَسْتَفْتِحُون عَلى الَّذِينَ كَفَروا، فَلَمّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلىٰ الْكافِرِينَ﴾[١].

يقول البَلاذُريُ: إنّ صَفيّةَ بنت عبدِ المطلب قالت لأبي لهب: أيْ أخي أحسن بكَ خِذلانُ ابن اخيك وإسلامه؟ فواللهِ ما زال العلماء يخبرونَ انه يخرُجُ من ضِئضىء عبدِ المطلب نبيٌّ هو[٢].

لقد كان موضوع بشارات وتنّبؤات الأنبياء السابقين وبخاصة النبي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام بظهور رسولِ الإسلام أمراً معروفاً وشائعاً بين الناس، ولهذا بادَرَ فريقٌ مِن الناس إلى الإستجابة لدعوة النبيّ واعتناق دينه .. وان إسلام ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن عبيد وجمع آخر من أهل الكتاب كان على اثر هذه البشارات[٣].

كما كان إسلام عبد الله بن سلام وسلمان الفارسيّ وجماعةٍ أُخرى من هذا الطريق. ولقد كانَ يُتوقع ـ مع وجودِ مثل هذه البشارات البيّنة ـ أن يرحّبَ يهودُ الجزيرة العربية ونصاراها بدعوة النبي محمّد صلى الله عليه وآله ويؤمنوا به قبلَ غيرهم، ولكن وللأسف لم يحدث مثل هذا ومع أن اكثر المشركين قبلُوا دعوته، أعرضَ اليهودُ والنصارىٰ عنه وأمْتنَعوا عن قبولِ الإسلام بحججٍ واهيةٍ، وخاطئةٍ.

صحيحٌ أن بعضَ أهلِ الكتاب أيضا عمدوا إلى قبول دعوة النبي، ولكنَ اكثرَهم لم يكتفوا بالإحجام عن قبول دعوته فحسْب، بل التحقوا بصفوف معارِضيه .. إنهم كانوا يقولون ان النبي الموعودَ يجب أن يكون من بني اسرائيل، ومحمّدٌ ليس كذلك، ومع أنّ التوراة والإنجيل الموجودين فِعلاً ليسا هما التوراة والانجيل للذين

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٢٢٥.
(٢) أنساب الاشراف ج١ ص ١١٩.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٢٢٦.

نزلا على النبي موسى وعيسى، بل تعرّضا للتحريف، ولكن مع ذلك نلاحظ فَيهما بشارات بالنبي محمّد (ص) تفيد المنصفين المتحرّرين من العصبيةِ والتحيز.

ولكن التحقيق في البشارات يحتاج إلى دراسة التوراة والإنجيل وبعض كتب الأديانِ الأُخرى، وكذا كتب التاريخ والحديث، دراسة دقيقةً وهو أمرٌ لا يلائم شرائط هذا الكتاب ودروسه، وهو يحتاج إلىٰ بحثٍ مفصَّلٍ وتأليفٍ مستقـلٍ.

التكليف:

١ ـ إحفَظوا الآيات وتعلَّمُوا تفسيرَها جيداً؟
٢ ـ ماذا كان الناسُ ينتظرون إبان نزول القرآن؟
٣ ـ ماذا كان منشأ هذا الإنتظار والتوقع؟
٤ ـ ماذا كان يقوله أهل الكتاب للكفار قبل ظهور نبيّ الاسلام؟
٥ ـ ماذا كان أثر البشارات بمجيء رسول الاسلام، في الناس يومذاك؟
٦ ـ كيف كان تعـامُل أهل الكتاب أنفسهم مع هذه البشارات بعد تحَققها بظهور رسول الاسلام؟

* * *

الدَرسُ العِشرون

رَسُولُ الإِسْلامِ والإِعْجازُ

قلنا سابقاً انّ أفضلَ طريقٍ لمعرفة النبّي هو إتيانُه بالمعجزة .. فإنّ الله القادرَ الحكيمَ يمكّن أنبياءه من الإتيان بمعجزةٍ باذنِ الله عند الضرورة، ولاثبات صدق دعواهم .. وكانَ رسولُ الإسلام يمتلكُ مثل هذِه القدرةِ على غرار سائر الانبياء ايضاً.

ولقـد أيّد رسول الله صلى الله عليه وآله وقوعَ الإعجاز على أيدي الأنبياء السابقين، وقد اعترف القرآنُ الكريم الذي جاءَ بالعشرات من هذه المعاجز التي أتىٰ بها الأنبياء، فهل يمكن أن يكونَ هو عاجزاً عن الإتيان بالمعاجز؟

هل يمكن أن يقـول للنّـاس،: لقد أتىٰ الأنبياءُ السابقون بمعاجز لإثبات نبوّتهم، ولكنني لا أقدر أنا على الإتيان بالمعجزة، فاقبَلوا دَعوتي من دون معجزة؟

كلّا إنّ هذا لا يمكن أبداً .. لقد كانوا يطلبون المعجزة من رسول الاسلام، وكان يأتي بها في المواضع اللازمة وكلّما اقتضت الحاجة، وقد كانَ هذا الأمرُ منذ بداية البعثة.

كتب البلاذري قائلًا: قالَ ورقة: يا محمّد إنه لم يُبعث نبيّ إلّا له آيةٌ وعلامةٌ فما آيتك؟ فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وآله سَمُرَةً فاقبلت تخدّ الارض خدّاً.

فقال ورقة أشهد لئن أُمرتَ بالقتال لأُقاتلنَّ معك، ولأنصرنّك نصراً مؤيّداً[١].

ولقدْ ذكِرَت مئات المعاجز لرسول الإسلام صلى الله عليه وآله في كتُبِ الحديث والتاريخ والفضائل[٢]، ونذكر من باب النموذج معجزة واحدة ذكرها الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام:

قال: ولقد كنتُ مَعَه صلى الله عَلَيه وآله لما أتاهُ المَلأ من قريش، فقالوا له: يا محمّد، إنك إدعيتَ عظيماً لم يَدّعِه آباؤك ولا أحدٌ من بيتك، ونحن نسألُك أمراً إنْ أنتَ أجبتنا إليه وأريتناه علِمنا أنك نبيٌ ورسولٌ، وإنْ لم تفعل علِمنا أنّك ساحرٌ كذّابٌ.

فقالَ صلى الله عليه وآله: وما تسألونَ؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلعَ بعروقها وتقفَ بين يديك.

فقالَ صلى الله عليه وآله: إنّ الله على كلّ شيء قدير. فإن فعلَ اللهُ لكم ذلكَ أتؤمنون وتشهدونَ بالحق؟ قالوا نعمْ.

قالَ فإني سأُريكُم ما تطلبون وإني لأعلمُ أنكم لا تفيئون إلى خير، وانّ فيكم مَن يُطرَحُ في القليب، ومَن يحزّب الأحزابَ ثم قالَ صلى الله عليه وآله: يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنينَ بالله واليوم الآخِر وتعلمينَ أني رسول الله فانقلعي بعروقِك حتى تقِفي بين يديَّ باذن الله. فَوَالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دويٌ شديدٌ، وقصفٌ كقصفِ أجنحةِ الطير حتى وقفتْ بين يَديْ رَسول الله (ص) مرفرفةً، وألْقتْ بغصنها الأعْلى علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وببعض أغصانِها على مِنكبي وكنتُ عن يمينه (ص).

فلما نظرَ القوم إلى ذلك قالوا ـ عُلوّاً واستكباراً ـ فمرْها فليأتك نصفُها ويبقىٰ نصفها، فأمرَها بذلك فاقبلَ إليه نصفها كأعجب إقبال واشدّه دويّاً، فكادت تلتفُّ

---

(١) انساب الاسراف ج١ ص ١٠٦، والسمرة ضرب من سجر الطلح.

(٢) راجع كتاب البداية والنهاية ج٦ وكتباً أُخرىٰ.

برسولِ الله صلّى الله عليه وآله فقالوا ـ كفراً وعتواً ـ فمرْ هذا النصفَ فليرجعْ إلى نصِفِهِ كما كان، فامرَه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله فرجعَ.

فقلت أنا: لا إله إلّا الله، إنّي أوّل مؤمن بك يا رسولَ الله وأوّل من أقرّ بأن الشجرةَ فعلتْ ما فعلتْ بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوّتك وإجلالاً لكلمتك.

فقال القومُ كلّهمْ: بل ساحرٌ كذابٌ عجيبُ السحر، خفيف فيه، وهلْ يُصدّقُكَ في أمرِك إلّا مثل هذا؟!![1].

لقد نُقِلَ في كتب الحديث والتاريخ مئات المعاجز لنبّي الإسلام تثبت أصلَ وقوع المعجزةِ عَلى يديه بصورةٍ قاطعةٍ وحَتمية، ولكننا لا ندّعي أنّ كل تلك المعاجز التي نسبت إلى رسول الله (ص) في الكتب هي قطعيّة ولا تقبل الشكَ والنقاشَ، بل انّ بينها قضايا موضوعَة ومختَلقَة أو ضعيفة قابلة للخَدش والجرَحِ أيضاً، ولكنّ طائفةً من تلك المعاجز صحيحة ومعتبرة وتكفي لإثبات أصلِ وقوعِ الإعجاز للنبيّ (ص).

إنّ نبوّة النبيّين موسىٰ وعيسىٰ ثَبَتَتْ مِن هذا الطريق، وأدلّة إثبات نبوّةِ النبّي محمد صلّى الله عليه وآله لا تقلّ عن ذلك شيئاً.

وفي الخاتمة نرى من الضروريّ أن نذكّر بنقطة وهي: أن إثبات المعجزة للنبي لا يستلزم أن يأتي النبي بالمعجزة وفق رغبة هذا أو ذاك أو في كلّ وقتٍ أرادوا منه ان يقوم فيه بعمل معيّن خارق للعادة، أي ليس عليه أنْ يأتي بكلِ عمل إعجازيّ اقترحوه عليه وفق أهوائهم وميولهم.

إنّ المعجزَةَ عَملٌ خارقٌ للعادة، الهدف منه اتمام الحجة وإثبات صِدق النبي، وهو يقع في المواقع الضرورية والأوقات اللازمة.

إنّ النبي ليس صاحبَ شعبذة وقهرماناً كي ينفّذ ما يقترحهُ الآخرون من

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢ السمرة: تخدّ الارض: تشق الأرض.

أعمال غريبة وفق أهوائهم وميولهم لغرض التسلية، واللّهو واللعب. أو اظهار القوة. إنما هو رسول الله بعثه سبحانه لهداية الناس وإبلاغ رسالاته اليهم، ولهذا عليه أن يظهر آيةً ومعجزةً كلّما اقتضَتِ الضرورة لإثبات صِدق مدّعاه، وإتمام حجّته. ولكن بعد إتمام الحجّة لا يلزم أن يكرّر المعجزة لأهلِ اللجاج، والمعاندين.

فبعد أن أظهرَ رسولُ الاسلام معاجزَ عديدة بل وأعلى من ذلك قد عرض القرآنَ الكريمَ وقدّمه للناس على أنه معجزته الخالدة، وقبلَ جماعة دعوته، وصدّقوا مقالته، لو امتنع بعض المعاندين المتحجّجين عن الايمان به، واتّهموه بالسحر والجنون وقالوا: إننا لن نؤمن بكَ حتى تقومَ لنا بالعمل الفلانيّ، أو العمل الفلانيّ من طريق الاعجاز لا يجب عليه أن يلبّي مطاليبَهم، وينفّذ مقترحاتهم لأنه قد أتى بالمعجزة اللازمة وتمّت حجّته، وثبتَ صدقه وحقّه. ولقد وقعَ مثل هذا الأمر فعلاً من بعض المشركين المعاندين .. أُنظروا إلى الآيات التالية:

﴿قُلْ لَّئِنِ ٱجتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثلِ هَـٰذَا ٱلقُرءَانِ لَايَأْتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيراً . وَلَقَد صَرَّفنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلقُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُوراً . وَقَالُواْ لَن نُّؤمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرضِ يَنبُوعاً . أَوتَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلأَنـهـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفجِيراً . أو تُسقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمتَ عَلَينَا كِسَفاً أَوتَأتِى بِٱللهِ وَالملائكةِ قَبِيلاً. أو يَكُونَ لَـكَ بَيتٌ مِن زُخرُفٍ أو تَرقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤمِنَ لِرُقِيكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَينَا كِتَـٰباً نَّقرَؤُهُ قُل سُبحَانَ رَبّى هَل كُنتُ إِلَّا بَشَراً رَّسُولاً﴾[1].

ففي هذه الآيات يشير سبحانه في البداية إلى القرآن الكريم على أنه المعجزة الخالدة، التي لا يستطيع الجنُّ والانسُ أن يأتوا بمثله ثم بيّن مطاليبَ المعارضين

(١) الاسراء ٨٨ ـ ٩٣.

المعاندين الذين رفضوا الإيمان عناداً، رغم أنه قدم لهم القرآنَ الكريمَ كمعجزة لا يقدرون على الاتيان بمثلها وقالوا لرسول الله (ص): نحن لا نؤمنُ بك حتى تشقّ لنا الارضَ ينابيعَ وأنهاراً، أو يكون لك بستانٌ زاخر بالتمر والعنب تجري من تحتها الانهارُ، أو يكونَ لك بيتٌ من ذهب أو تصعَد إلى السماء وتأتي من الله برسالةٍ خاصةٍ إلينا، فيقال لرسول الله بأن يقولَ لمثل هؤلاء المعاندين العتاة: كلُ هذه الأُمور بيد الله وأنا لستُ سوى بَشَر مبعوثٍ من جانبه تعالى، أُرسلتُ لكي أُبلّغكم رسالات الله وما أتيتُ لكي أقوم لكُم بما تقترحه أهوائكم من خوارق الأعمال كلّما شئتم وهويتم .. إنّ المعجزة بيدِ الله، فهو يفعلها متى شاء ورأى.

فَكّرُوا وأجِيبوا

١ ـ لماذا يجبُ أن تكونَ لِرسول الإسلام معجزةٌ؟
٢ ـ بيّنوا المعجزَة التي شهد الامامُ عليٌ بوقوعها.
٣ ـ ما هي المعجزةُ؟
٤ ـ هل يجبُ على النبيّ أن يأتي بكلّ معجزة طلبها الناس مِنه؟
٥ ـ ماذا قالَ النبي رَدّاً علي طلبِ المعاندين؟
٦ ـ إحفظوا الآيات، وتعلّموا تفسيرها جيداً.

* * *

الدرسُ الواحد والعشرون

القرآن المعجزة الخالدة

القرآن المجبد أهمّ معجزة وأفضل دليل لنبوة النبي محمّد صلى الله عليه وآله، وهو يتميّز على غيره من المعاجز من نواحٍ عديدة.

فهـو أوّلاً: المعجـزة الخـالدة التي اُقيمت للنّاس في جميع العُصور والدهور والأوقات والأزمنَة، على العكس من سائر المعاجز الني لها زمان خاص، أي انها مؤقتة.

وثانياً: ان هذا الكتاب يمكن أن يكون حاضراً في كل مكان وأن يكون معجزة لكل أحد لبلمس إعجازيته بنفسه، بخلاف المعجزات الاُخرى التي تقع في مكانٍ خاص ويساهدها فريق خاصّ من الناس.

وثالثاً: مضافاً إلى أنه دليل على نبوّة النبيّ فانه يهدي البشر، ويقدّم برنامجاً كاملاً لحياتهم، بخلاف سائر المعجزات التي يؤتى بها لمجرّد إثبات صدق إدعاء النبيّ.

ولقـد وَصَف القـرآنُ الكريم نفسه منذ البداية بأنه الكلام الآلهيّ، والوحيُ السماويّ، وأنه المعجزة التي يعجز الآخرون عن الإتيان بمثلها، وطلب من الناس إذا لم يقبلوا بإعجازيته ان يأتوا بعشر سور أو سورة واحدةٍ من مثلِه على الأقلّ.

لاحِظوا الآيات التالية رجاءً:

﴿قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يأتُوا بِمِثْلِ هَذا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1].

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[2].

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[3].

ففي هذه الآيات كما تشاهدون يتحدّى القرآنُ الناسَ بصراحة، ويطلب منهم إذا ما كانوا في شك في أن القرآن وحيٌ من جانب الله، أو كانوا في شك من نبوّة محمّد واحتملوا أن القرآن كلام آدميّ أنْ يأتوا بعشر سورٍ أو بسُورة واحدةٍ من مثل سُوَر القرآن. كما ويقول صراحة أنه لو تضافرت جهودُ الإنس والجن وتعاونوا على أنْ يأتوا بذلك لما استطاعوا.

فلو كان النبيُ محمد صلى الله عليه وآله يشك في رسالته ونبوّته، لما كانَ يتحدّى معارضيه بمثلِ هذه القوة، والصراحة، ولكان معارضوه يفعلون ذلك حتماً لو قدروا واستطاعوا حتى لا يضطروا إلى خوض كل تلك المعارك والحروب وسفك الدماء وتحمّل المشاق، والحال أنهم لم يفعلوا مثل ذلك العمل قط.

إن تحدّي القرآن الكريم لا يختصُّ بالذين كانوا يعيشون في عصر النبي، بل هو يتحدّى كلّ البشر في جميع الأزمنة والأمكنة، ويطلب منهم أن يفعلوا لو استطاعوا،

---

(١) الاسراء ـ ٨٨.

(٢) هود ـ ١٣ ـ ١٤.

(٣) البقرة ـ ٢٣ ـ ٢٤.

ويقول لجميع العلماء ولجميع فئات الناس: إذا شككتم في كون القرآن وحياً منزّلاً، وشككتم في رسالة النبي محمد فآتوا بمثل القرآن ولكن ـ وكما أخبرَ القرآن سلفاً ـ لم يحدث مثل هذا الفعل وإلى الآن.

لقد اجتهد أعداء الإسلام طوال التاريخ في معارضة الإسلام والمسلمين ومواجهته بكلّ وسيلةٍ ممكنةٍ، بل وأقدموا على تاليف كتب في الردّ على القرآن، ولكنّهم لم يقدروا على تدوين كتابٍ على غرار القرآن،ولم يأتوا بمثل آياته وسوره.

إنَّ القرآن الكريم حيث أنه كلامٌ إلهيٌ فانه يتمتّع بجاذبيّة كبيرة وحلاوة خاصّة لا تتسمُ بها الكتبُ الأُخرىٰ، وعلى أثَر هذه الجاذبيّة مالت إليه القلوب الطيّبة وانجذبت الضمائر اليقظة، والنفوسُ الحرَّة، فقبلوا بأن القرآن وحيٌ آلهيٌ، وصدّقوا برسالة محمّد (ص) وأسلموا.

إنّ الكثيرَ من الناس لـمّا استَمعوا إلى القرآن إهتدوا إلى إعجازه، وعرفوا بانه ليس كلاماً عاديّاً فأسلَموا من هذا الطريق، كما نلاحظ لذلك نماذج عديدة في التاريخ.

لقد كانت جاذبيةُ القرآن من القوة والعمق بحيث خلَبَ هذا الكتاب ألباب أعداءِ الاسلام أيضاً فاعترفوا باعجازه، على عنادهم ولجاجهم، ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

كتب أبو الفداء يقول: ان الوليدَ بن المغيرة جاءَ إلى رَسُول الله صلّى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقّ له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لـم، قال ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله، قال: قد علمتْ قريشٌ أني من أكثرها مالاً، قال: فقلْ فيه قولاً يبلغُ قومَك أنك منكرٌ له، قال: وماذا أقول، فوالله ما منكم رجلٌ أعرَفُ بالأشعارِ مني، ولا اعلمُ برَجَزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبهُ الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن

لقَـولِه الذي يقولُه حلاوَة، وإن عَلَيه لطلاوَة، وإنه لَمثمرٌ أعلاه، مغدِقٌ أسفلُه، وإنه ليَعْلُو ولا يُعْلىٰ، وانه لَيحطم ما تحته. قال: لا يرضىٰ عنك قومُكَ حتى تقول فيه.

قال: قِفْ عني حتى أُفكّرَ .. فلما فَكَرّ قال: إنْ هذا إلّا سِحرٌ يُؤثر، يُؤثِرُه عن غيره[1].

نافع عن ابن عمر قال: لما قَرَأَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله على عتبة بن ربيعة ﴿حمٓ. تَنْزِيلٌ مِن الرَّحمٰان الرَّحيم﴾ أتى اصحابَه فقال لهُم: يا قوم أُطيعوني في هذا الأمـر اليومَ واْعصوني فيها بعدَه، فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل كلاماً ما سمعتْ أُذناي كلاماً مثله وما دريت ما اردُّ عليه[2].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ بماذا يمتازُ القرآنُ على غيرِه من المعجزاتِ؟.

٢ ـ كيفَ يصفُ القرآنُ نفسَه؟.

٣ ـ لماذا طلب النبي محمّد من الناس بمثل هذه القاطعية أن يأتوا بمثل القرآن؟.

٤ ـ هل كان أعداءُ الاسلامِ يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآنِ؟ لماذا؟.

٥ ـ لماذا لم يقدرِ الأعداءُ طيلةَ التاريخ على أن يَأتوا بمثلِ القرآن؟.

٦ ـ لماذا كان الناسُ يسَلّمون بمجرّد إستماعِهِمْ للقرآن الكريم؟.

٧ ـ ماذا قال الوليدُ بنُ المغيرةُ حول القرآن؟.

٨ ـ إحفَظُوا الآياتِ، وتَعَلّموا تفسيرَها جيداً.

---

(١) البدايه والنهاية ج٣ ص ٧٨ ـ المستدرك على الصحيحين ج٢ ص ٥٠٦.

(٢) البدايه والنهاية ج٣ ص ٨٢.

الدرس الثاني والعشرون

إعجازُ القرآن في أُسلوبِ النَظمِ والتأليفِ

في الدرسِ السابق قرأتم أنّ القرآن وَصف نفسَه بأنه باعتباره كلام الله وبأنه معجزة يختلف عن كلام الآدميّين اختلافاً كبيراً، ولا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله قط، وعلى أثر هذا الإمتياز لبىٰ فريقٌ من الناس دعوة الرسول وآمنوا به واعتنقوا الإسلام . وحتى أنه اعترف جماعة من المعاندين بانّ القرآن يختلف عن غيره من الكلام، ولكننا لم نبيّن في ذلك الدرس جهة إعجاز القرآن، والآن نبحث حول الخصوصية التي جعلت القرآنَ هكذا أمراً خارقاً للعادة، ونرىٰ ما هي؟

لقد ذكَر العلماءُ والمفسرون وجوهاً في هذا المجال نشير إلى بعضها هنا:

الوجه الأول: الأُسلوب البديع في التأليف

إذا طالعنا القرآنَ الكريمَ بعناية ودرسناه بدقّة شاهدنا أن آياته نُظّمت بصورةٍ بديعةٍ مبتكَرة تختلف عَن أُسلوب وطريقة التأليفات والكتب الأُخرىٰ إختلافاً كاملاً .. إنّ آيات القرآن ليست شعراً، لأن للسعر قوافي وأوزاناً خاصة والقرآن لَيسَ كذلك .. هذا مِضافاً إلىٰ أنّ الأشعار غالباً مّا تكونُ مصبوبة في قالبٍ من الخيال والمبالغة، والقرآن ليس كذلك، ورغم انّ القرآنَ ليس شعراً فان آياته قد رتّبت على نحو مقاطع

الشعر في انسجام وتناسقٍ خاصّين، ليست له قافية ولكن بين آخر كلّ كلمة وحرف من الآيات تشابهاً واضحاً وتناسباً خاصاً يمنحها جاذبية منيرة وجمالاً ساحراً وفريداً .. ومع أنّ القرآن ليسَ شعراً، ولم يُنظَم وِفق أُوزان الشعر، لكنّه يتمتع بنوعٍ من الانسجام الـذي يمنحه عند التلاوة إيقاعاً رائعاً، وجاذبيّة عجيبةً لا نجد نظيرَها في الكتب الأُخرى قط.

إنَّ القـرآنَ الكريم نُظِّم على نمط النثر، ولكن يختلف عن غيره من النثر اختلافاً كليّا، وذلك لأنه ـ أولاً ـ في أعلى مرتبة من مراتب الفصاحة والبلاغة وجمال التركيب، قد صُبَّت فيه أرفعُ المفاهيم في أجمل القوالب اللفظية والتعبيرية التي في عين بساطتها تحظىٰ بجمالٍ وجاذبيةٍ وحلاوةٍ خاصّةٍ لا تشاهَد في كلامٍ آخر مهما كان جميلاً ولطيفاً.

والعجيبُ أنّه حتى خُطَب النبي محمد صلى الله عليه وآله وأحاديثه وأدعيته لا تتمتع بمثل هذه الجاذبيّة.

كما وان الامام عليّاً عليه السلام رغم كونه من أقوى الفصحاء، ورغم أنّه كان قد أنِسَ بالقرآن الكريم منذ صباه، وكان حافظاً وكاتباً للقرآن، لا تتمتع كلماته وخطبه في نهج البلاغة بما يتمتع به القرآنُ الكريمُ من جمال وجاذبيّة، وكلّما استشَهَد الإمام في أحـاديثه او في خلال خطَبه ورسائِله وكلماته في نهج البلاغة بآية من آيات القرآن الكريم لَمَعت تلك الآية خلال الكَلامِ العَلَويّ كما يلمع النَجمُ اللامعُ ممّا يجعله متميّزاً على كلامِ الإمام عليّ عليه السلام.

وثانياً انّ المطالب والمفاهيم نُظِّمت في القرآن الكريم باسلوبٍ خاصّ لا يُرىٰ في الكتب الأُخرىٰ.

فلقد طُرِحَت في القرآن الكريم مواضيعُ متنوّعة ومختلفة، مثل معرفة الله والمعاد والقيامـة، والجنّـة والنار، والنبوّة، وقصص الأنبياء السابقين، والحث على عبادةِ الله

الواحد والأخلاق الحميدة والذميمة، وخلق الأرض والسماوات والانسان والحيوان، والنبات والبحار والجبال، والسحاب والريح، والمطر، ووظائف الانسان، وأحكام الدين وقوانينه، والمحرَّمات، والعِبادة، والموعظة وعَشرات المواضيع الأُخرىٰ.

لقد طُرِحَت هذه المواضيع والعشرات مِن نظائرها في القرآن الكريم ولكن لا بالشَكل الذي يُطرَح عادةً في الكتب المتعارفة .. فالمتعارَف بين المؤلّفين هو أن يعالجوا في كتابهم موضوعاً واحداً وَيدرُسوا ما يرتبط به من مسائل بصورةٍ منظَّمةٍ مُرتّبة، ثم يستنتجوا مما سبق .. ولكن جميع المسائل ترتبط على كل حال بهذا الموضوع الواحد، وإذا ما تعرّضوا لمسائل أُخرىٰ فان ذلك يكون على نحو الإستشهاد .. وربما عُولج في الكتـاب موضـوعـات متعددة ولكن يُبحث في كل موضوع علىٰ حِده وبصورةٍ مستقلّةٍ، وتطرَح المسائل فيه بصورة منظّمة .. إنَّ مثلَ هذا الكتاب في الحقيقة كُتُبٌ متعدّدة لا كتاب واحد.

ولكن القـرآنَ الكـريمَ لم يُنَـظَّم علىٰ هذا النَمَطِ ، .. إن المَسَـائلَ المرتبطة بموضـوعٍ واحدٍ لم تجمَع ولم تُدوَّن في مكان واحدٍ، بل تَم بيانُها بمناسباتٍ مختلفة في موارد متعدّدة، وربما كُرّرت مع رعاية التناسب بعباراتٍ مختلفةٍ، بَل وربما كُرّرت نفس العبارات مرتين أو مرات.

إنَّ موضـوعـات القرآن ومطالبه المتنوعة جاءت في القرآن الكريم بصورةٍ متفرقةٍ ووضِعَ بعضها إلى جانب بعض ولكنَّ بينها مع ذلك كمالُ الترابط والتناسُب، وهو ترابطٌ وتناسُبٌ في غاية الجمال، وبحيث لا يقبلُ الوصف.

إنَ المفاهيم الرفيعة والمعارف العالية القرآنية المتنوّعة نظِمّت في هذا الكتاب مثـل مجوهَـراتٍ ثمينة متنوعة وجُعِلَ بعضها الى جانب بعض في انسجام وتناسب خاصين وتشكّل الآياتِ السورَ.

ان مثل هذا التركيب والتناسق البَدِيعين الجميلين لانجدهما في أيّ كتاب آخر

غير القرآن .. وعلى هذا فانَ القرآن لا يشابه الكتبَ الإعتقادية أو الاخلاقية، ولا كتب القـانون، أو القصة، أو الموعظة، أو العلوم الطبيعية، أو العلوم الانسانية، أو الكتب الأدبية أو التاريخية. ولكن له مزايا جميع هذه الكتب، فجميع مواضيع القرآن المتفرقة متناسقة وتسعىٰ الى تحقيق هدف واحد وهو عبارة عن تزكية النفوس وتهذيبها ومساعدتها في طريق الصعود إلى الله.

وثالثاً إنّ المفاهيم القرآنية العالية قد تمّ بيانها في هذا الكتاب بصراحة وقوة وأُسلوب بديع يجعلها تنفذ الى أعماق القلوب، فيحسّ الإنسان وكأن صاحبَ هذا الكلام يشاهد الحقائق، ويخبر عما وراء حجب الغيب .. فإذا تحدث عن الجنّة ونِعَمها، أو عن النار وعذابها، قد شاهدَ هذه الأُمور بنفسه، وإذا بَشّر أو أنذَر فَعَلَ ذلك عن بَصيرةٍ، ورؤيةٍ واقعيةٍ.

إنّ هذا الأمر ـ في نظري ـ لهو أَهمُّ مميزات القرآن الكريم وخصائصه، ولهذا السبب يترك القرآنُ في رُوح المستمِع اليقظ الضمير تأثيراً عجيباً وعميقاً، ويجذبه ويستحـوذ على مشـاعـره وأحـاسيسه، وعلى أثر هذه الجاذبية المعنوية تحيّر حتى المعاندون كيفَ يصفون القرآن، فإذا هم يحملونه ـ في المآل ـ على السحر.

كتب ابو الفداء يقول: إجتمع قريش يوماً فقالوا أُنظروا أعلَمَكمْ بالسحر والكهـانة والشعر فليأتِ هذا الرجلَ الذي فَرّقَ جماعَتنا وشتّت أمرنا وعاب دينَنا فليكلّمه ولينظرْ ما ذا يردُ عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنتَ يا أبا وليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد أنتَ خير أم عبد الله، فسكتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم، فقال: أنتَ خير أم عبد المطلب؟ فَسَكتَ رسولُ الله (ص) قال فان كنتَ تزعم أنّ هؤلاء خيرٌ منك فقد عَبَدُوا الآلهة التي عِبتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلّمْ حتى نسمع قولك، إنّا والله ما رأينا سخلةً قط أشأمَ علىٰ قومِهِ منكَ، فَرّقْتَ جماعَتَنا وشتّتَ أمرَنا، وعبتَ دينَنا، وفضَحْتَنافي العَرَب حتى لقد طارَ فيهم انّ في قريش

ساحراً وانّ في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلاّ مثلَ صيحة الحبلى أن يقوم بعضُنا إلىٰ بعض بالسيوف حتى نتفانىٰ، أيها الرجل إن كان إنما بكَ الحاجةُ جمعنا لكَ حتى تكونَ أغنىٰ قريش رجلًا، وانْ كانَ إنما بك الباهُ فأْختر ايّ نساءِ قريش شئتَ فلنزوّجك عشراً.

فقال رسولُ الله (ص): فَرَغْتَ؟ قال: نعمْ، فقالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ﴿بسمِ الله الرحمن الرحيم. كِتَابٌ فُصِلَّتْ آيَاتُهُ قُرآناً عَرَبيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إلى آن بلغ ﴿فَإنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثمود﴾.

فقال عتبة: حسبُك ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش فقالوا ما وَراءَك؟ قال: ما تركت شيئاً أرَى أنّكم تكلمونه إلا كلّمتُه. قالوا: فهل أجابك؟ قالَ: نعمْ، ثم قالَ: لا وَالّذي نَصَبها بنيةً ما فهمْت ممّا قالَ غير أنه أنذركُم صاعقةً مثل صاعِقة عادٍ وثمودٍ، قالوا: وَيْلَكَ يكلّمك الرجلُ بالعربيّة لا تدرِي ما قالَ؟ قال: لا واللهِ ما فهمتُ شيئاً مما قال غيرَ ذكر الصاعِقة[1].

وخوفاً من تأثير هذه الجاذبية المعنوية للقرآن الكريم كانَ قادة الشرك يُوصون الناس بعدم الإستماع إلى رسول الله (ص) كيما لا يَضِلوا حسب زعمهم!!.

يكتب ابنُ الاثير: كان الطفيلُ بن عمرو الدوسي يحدّث أنه قدمَ مكة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بها فمشى إليه رجالٌ من قريش، وكان الطفيل شريفاً شاعراً لبيباً، فقالوا يا طفيل إنك قدمتَ بلادَنا وهذا الرجلُ بين أظهرنا فقد عضل بنا وفرّقَ جماعَتَنا، وإنما قوله كالسِحر يفرّق بين الرجلِ، وبين أبيه، وبين الرجل وبين اخيه وبينه وبين زَوجه، وانما نخشىٰ عليكَ وعلى قومِكَ فلا تكلّمْه ولا تسمع منه.

قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً، ولا اكلّمهُ حتى

---

(١) البداية والنهاية ج٣ ص ٧٩.

حشَوتُ أُذني كرسُفاً فرَقاً أن يَبلغني من قوله وأنا أُريد أنْ لا أسمعه، قال: فغدوتُ إلى المسجد فاذا رسولُ الله (ص) قائم يصلّي عند الكعبة، قال: فقمتُ قريباً منه فابى الله إلّا أن يُسمِعَني قولَه، فسمعتُ كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكلَ أُمّي والله إنّي لرجلٌ شاعرٌ لبيبٌ ما يخفىٰ عليَّ الحَسَنُ من القبيح، فما يمنعني أن اسمَع هذا الرجلَ ما يقول، إن كان الذي يأتي به حَسَناً قبلته وإن كان قبيحاً تركتُه، قال فمكثتُ حتى انصرفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فاتّبعتُه حتى إذا دخلَ بيته دخلتُ عليه، فقلت: يا محمّد إنّ قومك قالوا لي كذا وكذا، ثم إنّ الله أبىٰ إلّا أن اسمعَ قولك فسمعت قولاً حَسَناً، فاعرضْ عليَّ أمرك قال: فَعَرض عليَّ الاسلام وتلىٰ عليّ القرآنَ قال: فوالله ما سمعتُ قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدَل منه، فاسلمتُ[1].

وفي الخاتمة نرى التذكيرَ بهذهِ النقطةِ ضرورياً وهي: إنّ إدراكَ جمالِ القرآنِ وعجائبهِ وبدائِعه ليس أمراً بسيطاً وسهلاً حتى يتيَّسَرَ لِكلِ من كان في أيّ وقتٍ اتّفق بل يحتاجُ إلى الأُنس بالقرآنِ، والتفكّر والتدبّر في مفاهيمه السامية والتأمل في كيفيّة إنتقاء الألفاظ واختيار التراكيب وتنظيمِ الآيات في ذلك الكتاب السماوي العظيم.

فكروا واجيبوا

١ ـ لماذا القرآن ليس بشعرٍ؟

٢ ـ ما هي الفروقُ بين النثر القرآنّي وغيره من النثر؟.

٣ ـ ما هي المميزاتُ اللفظيّة للنثر القرآني؟.

٤ ـ ما هو أُسلوب تنظيم المواضيع في القرآنِ الكريم؟.

٥ ـ هل بين آياتِ القرآنِ إنسجامٌ وترابطٌ؟.

---

(١) أُسد الغابة ج٣ ص ٥٤.

الدَرسُ الثالث والعشرون

عَدَم وجودِ الاختلاف في القرآن

مِن مظاهر الإعجاز القرآنيّ عدمُ وجود الاختلاف بين مجموعةِ السور والآيات في القرآن الكريم .. والقرآن نفسُه يشير إلى هذه الجهة اذ يقول:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفاً كَثِيراً﴾[1].

لقـد وُبّخ الناسُ في هذه الآية لماذا لا يفكرون في آيات القرآن وسوره ولا يتدبّرون فيها حتى يعلموا أنه منزَّلٌ من جانب الله، وليس من صنع البشر، لأنّه لا اختلاف فيه، في حين لو كان كَلاماً آدمياً لوَجَدُوا فيه اختلافاً كثيراً.

إن الكتابَ الّذي يكونُ من تأليف البشر لا يخلو قطّ من الاختلاف والتفاوت .. ففي مثل هذا الكتاب يكونُ نوعان من الإختلاف: الاختلاف والتفاوت من حيث كمال العبارات ونقصها ومقدار الفصاحة والبلاغة فيها.

الثاني: الاختلاف والتنافي في موضوعات الكتاب ومطالبه، وسندرس كلا هذين النوعين.

---

(١) النساء ـ ٨٢.

الأول: الإختلاف من جهة كمال العبارات، ونقصها، ومن حيث مقدار الحُسن والجمال في الكلام .. فلو أنكم درستم كتاباً وتأملتم فيه جيّداً لشاهدتم فيه إختلافات ـ قليلة أو كثيرةً ـ فالعبارات ليست في مستوىً واحدٍ من حيث الفصاحة والبلاغة والجمال الادبيّ.

إن عوامل متعدّدة يمكن أن تكون مؤثرة وموجدة لهذا التفاوت:

العامل الأول: نقص الانسان وقابليته للتكامل ـ ان المؤلّفَ حيث أنه من البشر فانه ناقص وقابل للتكامل، فهو كلّما تدرّب اكثر حاز على كمال اكبر .. إن المؤلف البشري يتكامل يوماً بعد يوم، وتتكامل كتابته يوماً بعد يوم، فهو عند ما يراجع كتاباته السابقة يهتدي إلى نواقصها ونقائصها، فيرغب ـ لو استطاع ـ أن يُزيل تلك النقـائص وخصوصاً إذا كان تاليفه الأوّل، وكان قد ألّفه منذ زمنٍ بعيد، ولهذا فانّ المؤلفين غالباً ما يستخدِمون المسوّدات والمبيضّات عند التأليف، وغالباً ما يرغبون بعد مدة في أن يعيدوا النظر في كتاباتهم السابقة، لتعديلها وتحسينها وتصحيحها.

العامل الثاني: التفاوتُ النفسي ـ إن الحالات النفسيّة المختلفة لدىٰ مؤلفٍ واحِدٍ تؤثر ـ بلا شكّ ـ في كيفية تأليفهِ .. والأوضاع النفسّية هذه ناشئةٌ من ظروف العَيش وأوضاعه ومن الوضع المزاجيّ والصحّي الذي يكون متغيراً في الإنسان طوال مدّة التأليف: ولهذا ربَما يكونُ الإنسان سلبياً نشيطاً، وربما يكون كسلاناً تعباناً، وربما يكونُ فرحاً مسروراً وربما يكون مُغْتماً حزيناً، وربَما يكون ممتلِئاً ثقةً بنفسِه يحسّ بالقوة والقدرة وقد يحسّ بالحقارة والصغار، والهزيمة والعجز.

ولا يخفى على المحققـين أنّ حالات المؤلف النفسية المختلفة مؤثرة بشكلٍ أسـاسيّ في كيفيّة تأليفـه ومقدار الحُسن والجمال في تعابيره كما أنه مؤثّر في إختيار المواضيع وكيفية أدائها، ولهذا فاننا لا نجد كتاباً يكون متساوياً من أوله إلى آخره، لأنّ تاليفه قد تمّ بواسطة البشر الذي هو عُرضة للتغيير والتكامل طوال حياته.

إنّ الكتـابَ الوحيدَ الذي لا نشاهد فيه مثل هذا الإختلاف والتفاوت هو (القرآن الكريم) خاصّة، فَعلى الرغم من أنّ القرآن الكريم نَزَلَ على رسول الله (ص) تدريجاً خلال (٢٣) عاماً وفي أزمنة وأمكنة مختلفة وكان رسولُ الله حين تنزّلِ القرآنِ عليه في حالات نفسيّة مختلفة .. حال المحنة، والسكون، حال الرخاء والضراء، حال الحرب والصلح، حال الهزيمة والانتصار، حال قلّة الاتباع، والانصار وكثرتهم، حال السرور والحزن، فانه رغم تباين هذه الحالات لا نلاحظ اي تفاوت بين أوّل سورة وآخر سورة من القرآن الكريم، ولا بين آياته وسوره الأُخرى من حيث الفصاحة والبلاغة وجمال التعبير، وسِحر البيان، في حين لو كان هذا القرآن كلام رسول الله (ص) لما خليَ من هذا الإختلاف والتفاوت قط.

وهنـا نستنتج أنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ المنَزَّه من التغيرّ والتبَدّل، الذي لا مكانَ للتكامل في وجوده وأفعاله.

الثاني إنّ النوعَ الثاني من الإختلاف هو التناقض والتنافي في المعاني والمسائل المطروحة، فلو أُلّفَ كتابٌ خلال ٢٣ عاماً تدريجاً، وكان المؤلف أُميّاً لم يدرس ، ولم يكتب كتاباً بيمِينه، بل كان يملي على الآخرين، ولم يكن كتابُه في موضوعٍ واحدٍ بل تعرّضَ لعشَرات المواضيع المتنوعةِ والكلية .. إنّ مثل هذا الكتاب لن يخلو ـ عادةً ـ منَ التناقض والاختلاف .. اذ يمكن أن يكونَ المؤلف قد طرح فيه مسألةَ في زمنٍ سابقٍ بصورةٍ معيّنةٍ،ولكنه قال خلافها في زمنٍ لا حقٍ نسياناً واندهاشاً .. ويمكن أن يكون قد كتب شيئاً ورأىٰ رأياً في زمان سابق، ثم تغيرّت عقيدته، وتبدّل رأيُه في الزمن اللاحق، ويمكن أن يكون قد أعطىٰ غفلةً، رأياً في إحدىٰ المسائِل الجزئيّة يخالف مبانيه الكليّة في نفس الموضوع أو يخالف موضوعاً آخر من المواضيع.

في مثـل هذا الكتـاب ومثـل هذا المؤلف ستُشاهَد موارد كثيرة وعديدة من الإختلاف والتفاوت والتعارض والتناقض، وعدم الانسجام وعدم التناسق، لأنّ مؤلفِهُ

واحدٌ من البشر غير المصُونين من الخطأ والزلل، والغفلة وتبدّل الرأي.

ولكنّنا لا نرى أيّ شيءٍ مِن هذا الإختلاف والتناقض وعدم التناسق والإنسجام في القرآن الكريم قط.. فمع أنّ القرآنَ تناوَلَ عشرات المواضيع الكليّة المتنوّعة ونَزَلَ تدريجاً على رسولِ الاسلام طوال ٢٣ عاماً حافلة بأنواع الحالات والظروف المختلفة، وكانَ رسولُ الله (ص) بشهادة التاريخ أُمّيّاً، ولم يكن هو يكتب الوحي والآيات النازلة عليه بل كان يملي ويكتب آخرون.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبلِهِ مِن كِتَـٰبٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبطِلُونَ﴾[1] فانه رغمَ كلّ ذلك لا يرى أدنى إختلاف وتناقض وتعارض بين آيات القرآن الكريم .. لا يوجد في الأحكام والقوانين الإجتماعية، وفي الواجبات والمحرّمات المذكورة في القرآن موضعٌ واحدٌ يتعارضُ مع المباني الإعتقادية والأخلاقية التي يتبناها هذا الكتاب العظيم.

في المسائل الاخلاقيّة لا يوجَد ولا مورد واحد يخالفُ المباني الإعتقادية .. في قصصِ الأنبياء وأُممهم السالفة، ولا يوجد موضعٌ واحدٌ يخالف المباني الاعتقادية أو الأخلاقية . وفي المسائل العلمية لا يوجد شيءٌ واحدٌ يتعارض مع المباني الاعتقادية ..

في قضايا المَعادِ والمثُوبات والعقُوبات الأخروية لا يوجَد موضعٌ واحدٌ يخالف أسماء الله وصفاته العليا، وفي القضايا المتعلقة بالنبوة العامة والخاصة لا يوجَد شيء واحد يخالف مسائل التوحيد الآلهيّ.

وبصورةٍ عامةٍ لا توجَد في جميع قضايا القرآن المتنوّعة المتشعِبة مسألةٌ واحدةٌ لا تنسجمُ مع دعوته إلى التوحيدِ وعبادةِ اللهِ الواحدِ الأحدِ.

وعلى هذا فليس بين مواضيع القرآن الكريم ومسائِلِهِ المتنوعة أيُ اختلاف

---

(١) العنكبوت ـ ٤٨.

وتفَاوت وأي تناقض وتعارض، بل ليست مسائل القرآن فقط عاريةً عن مثل هذا الإختلاف والتفاوت، إنما هي متناسقة منسجمٌ بعضُها مع بعض، ويؤيّد بعضُها بعضاً.

من مجموع هذا البحث نستنتج أنَّ القرآن ليس كلام آدميّ، لأنه لو كان كلامَ آدميّ لوُجدَ فيه الاختلاف والتناقُض .. وعلى هذا يجبُ القولُ بان القرآنَ كلامٌ الَهيٌ نَزَلَ بواسطةِ الوحي على قلبِ رسولِ اللهِ (ص).

فكِروا واجيبوا

١ ـ هل الكتابُ الذي يؤلّفهُ فرد مُن البشر يمكن أن يكون على مستوى واحدٍ من حيث الفصاحةِ والبلاغة؟ لماذا؟.

٢ ـ ما هي العواملُ الموجبة للإختلاف والتفاوت؟.

٣ ـ لو أنَّ كتاباً ألَّفه بشر في الظروفِ التي اُلّفِ فيها القرآنُ الكريم هل كانَ يمكن أن يكون عارياً من الاختلاف والتناقض من حيث المواضيع؟ ولماذا؟.

٤ ـ وضّحِوا عَدمَ وجودِ التناقضِ والتفاوتِ في مواضيع القرآن.

٥ ـ لماذا لا يوجَد في القرآن ايُ تناقضٍ وتعارُض من حيث المواضيع والمسائل؟

٦ ـ ماذا نستنتجُ من عَدَم وجود الإختلاف والتناقضِ في القرآنِ الكريمِ من حيث الفصاحة وجمال التعبير، وكذا من حيث المواضيع والمطالب؟.

* * *

الدرسُ الرابع والعشرون

القرآنُ والأخبارُ الغيبيّة

إنَ في القرآن الكريم أخباراً غيبيةً عديدةً بأحداث ووقائع المستقبل تحقَّقت فيما بعد وفق ما أخبَرَ به القرآنُ .. وحيث أنّ اكتسابَ هذا النَمط من المعلومات لا يمكنُ من الطرق العادِيّة يجب أن تكونَ من العلوم الغيبية، ومن سِنخ المعاجز. وتُعَدُّ من دلائل الإعجاز القرآنّي. ونشيرُ إلىٰ بعض هذه الإخبارات الغيبية على سبيل المثال:

مِن هذه الإخباراتِ الغيبية ما جاء حول إنتصار جيش الروم على الجيش الفارسيّ الذي تحقق فيما بعد.

فقد جاء في القرآن:

﴿الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ . فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَايَعْلَمُونَ﴾[1].

---

(١) الروم ١ ـ ٦.

يستفاد من هذه الآيات أنَّ هزيمةً كبرى لحقت الجيش الروميّ في زمان نزول هذه الآيات يعني في صدر الاسلام، وهذه الهزيمة كانت في مكان يقرب من أرض الحجاز .. وكانت هذه الحادثة تهمُّ عربَ الجزيرة العربية، وبالأخص المسلمين جداً، ولهذا كانوا في اضطرابٍ وقلقٍ شديدَين لأجلها.

في هذا الوقت بالذات نَزَلَت هذه الآيات تسليةً للمسلمين وبشارةً بأنه سينتصر الروم على أعدائهم الفُرس في أقلّ من عشر سنوات وستتبدَّلُ الهزيمةُ إلى إنتصارٍ ساحقٍ مرة أُخرىٰ وحينئذ سيفرحُ المؤمنون بالنصر الآلهيّ ولتوضيح هذا الموضوع نشير على نحو الاجمال إلى تلك الواقعة:

يُستفاد من كُتُب التاريخ أنّه كان قبلَ ظهور الإسلام امبراطوريّتان كبيرتان وقويّتان في آسيا في جوار أرض العرب إحداهما الإمبراطورية الفارسية الإيرانيّة التي كانت تحكم على منطقة واسعة أكبر من إيران الحاليّة، بل وحتى علىٰ قسم من أرْض العراقِ الحاليّة، وكان عاصمتها «المدائن». على مقربةٍ من بغداد الحاضرة.

والأُخرى الإمبراطوريةُ الروميّةُ التي كان دائرة حكومتها تمتدُّ إلى أرض مِصر والشامات.

هاتان الإمبراطوريّتان القويّتان كانتا في تنازعٍ وتنافسٍ مستمرَّين من أجل توسيع منطقة نفوذهما وحكومتهما .. فكلّما كان يضعفُ جانبٌ يستغلُ منافسُه ذلك الضَعف ويهاجم بجنوده وعساكِره مستعمرات الامبراطوريّة الاخرىٰ المجاورة لَه وينهَبُ ثرواتها أو يضمّها إلى منطقة نفوذه وسيادته، أو يَنصِبَ حكومةً مواليةً له، ثمَّ يفرض على أهلها الضرائبَ والأتاوات. وبعد مدّة وعندما تعود إلى المنافس قوتُه يفعل هذا الصنيع نفسَه ويستردّ ما اقتطِع من اراضيه، أو نهبَ من ثرواته.. وكانت هذه المناوشات والمعارك قائمةً على قدمٍ وساقٍ بين هاتين القوّتين العظميين المتنافستين طيلة أعوامٍ عديدةٍ.

ولم يكن العربُ القاطنون في الأراضي المجاورة لهاتين الإمبراطوريتين بمأمن من هذه النزاعات السُلطوية، والاستغلاليّة بين هاتين القوتين، فقد كان ملوك بني لخم الذين كان عاصمتهم بالحيرة (قرب الكوفة) يحكمون تحت حماية الملكية الساسانية الإيرانية وقد امتد سلطانهم إلى ما يقارب (٦٠٢) ميلادية، وفي ذلك الوقت عزم خسرو برويز الملكُ الايرانيُ أن ينهي سلطانهم ويلحق أرضهم ببلاده العريضة تدريجاً[١].

كما أن الملوكَ الساسانيين وجهّوا حوالي سنة (٥٩٨) ميلاديّة جيشاً إلى جنوب الجزيرةِ العربيّةِ لأن مَلِكَ بني حمير أرادَ أن يخرج من تحت السيادة الإيرانية .. فانتصر الإيرانيّون في هذه المعركة وهكذا صارَ جنوب الجزيرة العربّية إحدىٰ الوِلايات الساسانية[٢].

ومن جانب آخر كانت الحكوماتُ الرومّيةُ البيزنطيَّة تهتّم كثيراً بجنوب الجزيرة العربية، وتدافع عنه وتحميه من أعدائه لأن جماعة من النصارىٰ كانوا يقطنون في هذه المنطقة.

وعلى هذا لم يكن سكانُ الجزيرَة العربّية غير مكترثين تجاه الانتصارات والهزائم التي كانت تصيبُ كل واحد من هذين المتنافسين المعتدين بل كانوا يشعرون بحساسيّة بالغةٍ تجاهها لارتباطها بمصيرِهم ومصيرِ إخوانهم وبني قومهم.

فكلّما كانَ المُلوك الساسانيّون ينتصرون في نقطةٍ مّا من الأرض إنزعج نصارىٰ الجـزيرة العـربية، وعلى العكس كان يفرح المشركون لأن الايرانيين كانوا آنذاك مجوساً يعبدون النار، فكان العرب يعتبرونهم مشاركين لهم في العقيدة وكانوا يعتبرون إنتصارهم إنتصاراً لهم.

---

(١) تاريخ ايران ازسلوكيان تافروپاشى دولت ساساني ج٣ ص ٢٦٣.

(٢) تاريخ ايران پروهش دانشگاه كمبريج ج٣ ص ٢٥٦.

وعلى العكس كلّما كانت الإمبراطوريةُ الروميّةُ تحقق نصراً في نقطةٍ من النقاطِ يفرح النصارى لهذا الانتصار، بينما يغتمُّ مشركو الجزيرة العربيةِ لغلبة الروم على الفرس ويشعُرون بالخطر.

ولنعد الآن إلى أصل الكلام:

بُعِثَ رسولُ الاسلام في سنة (٦١٠) ميلادية بمكة، وكانت السنوات (٦٠٢ ـ ٦١٠) أعواما سيّئة بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية لأنها تعرضت لانتفاضة شعبية، وللهرج والمرج والفوضىٰ الداخليّة فَقَدَت على أثرها قوّتَها، ومِنعتها.

فاستغـلّ خسـرو برويز الملكُ السـاساني هذه الفرصة، وقام بتوجيه ضربةٍ شديدةٍ إلى منافسه الامبراطورية الروميّة ببعض الحجج، وشرع حملاته العسكرية منذ عام (٦١٠) واستمرّت هذه الحملات إلى سنة (٦١٩) واحرز انتصارات كبرىٰ في عدة جبهات من القتال ..

لقد استطاعَ الجيشُ الإيرانيُ أن يسيطر على دارا، آمد، ادسا، هيرابوليس، حلب، آباميا، وان يحتلّ في سنة (٦٠٥ ـ ٦١٣) دمشق.

أعلن برويز الذي كان ممتلِئاً بنشوة الإنتصار، الجهادَ ضدَّ النصارىٰ، والتحق بجيشـه (٢٦,٠٠٠) يهودياً، فاحتلّت القوىٰ المشتركةُ هذه، اورشليمَ عام (٦١٤) ونهبُوها وقتلوا (٩٠,٠٠٠) مسيحيّاً، واحترق الكثير من كنائِسِها ومنها كنيسة القيامة، وأُخذ الصليبُ الواقعيُ الذي كان أحبَّ تراث النصارى إلى إيران.

كتبَ برويز إلىٰ هيراكليوس امبراطورِ الروم: مِن خسرو أكبر آلهة الأرض وأسيادها إلى هيراكليوس عبده الحقير الأحمق .. أنت تقول: إنك تعتمدُ على ربّك، فلما لم ينقذ اورنسليم من يدي؟.

وفي سنة (٦١٦) وجّه جيشاً إلى الاسكندرية واحتل كل مصر إلى سنة (٦١٩)

كما وجّه جيشاً إيرانياً إلى آسيا الصُغرىٰ واحتلّ خالكدون سنة (٦١٧)[1].

هذه الإنتصارات الساحقة والسريعة التي أحرزها الجيشُ الإيرانيُ في مختلف الجبهات كانت مثيرةً ورائعةً حقاً، وقد بلغت أنباء هذه الانتصارات إلى مسامع عرب الجزيرة العربية المجاورين لتينك الامبراطوريتين شيئاً فشيئاً، فيظهرون ردود فعلٍ متفاوتةٍ .. فالمشركون كان يظهرون الإبتهاج والفرح لإنتصار الإيرانيين المجوس عبدة النار ويعتبرون انتصارهم إنتصاراً ضدّ جبهة التوحيد أما النصارى فكانوا يَغتَمُّون لانهم كانوا يرون أمنَهم ودينهم يتعرض بسبب ذلك، للخطر.

واما مسلمو صَدر الاسلام وهُمْ يومذاك قلةٌ قليلةٌ مضطهَدة يقاسُون من أذى المشركين الأمرَّين، فهم كانوا قلقين أشدّ القلق للإنتصارات السريعة الساحِقة التي أحرزها جيشُ الفرس لأن انتصارهم كان يعني في نظرهم تقوية جبهة الشرك المضادّة لجبهة التوحيد وهو أمرٌ خطير للغاية هذا مضافاً إلى أنّهم كانوا يخشون أن تمتدّ تجاوزاتُ الفرس إلى أرض الجزيرةِ العربيةِ أيضاً. وخاصّة أن جيش العدوّ قد تقدّم إلى مدينة «أذرعات» وهي حسبَ تعبير القرآن «أدنىٰ الأرْض» وأقربها إلى أرض الحجاز والجزيرة العربّية، واحتلها .. فالخطر كان على الأبواب بلْ وقريباً جداً.

في هذا الظرف الحرجِ الدَقيقِ نَزَلت الآياتُ المذكورة تبشّرُ المؤمنين بأنَّ جنودَ الرُّوم سرعانَ ما يتغلّبون على جيشِ الفُرس وانّ هذا لن يتجاوزَ بضعَ سَنَوات، وحينذاك سيفرحُ المؤمِنون بالنصرِ الآلهيّ.

يكتب ابنُ الاثير في هذا الصدد: أدنىٰ الأرض اذرعات وهي أدنىٰ أرض الروم إلى العَرَب وكانت الروم قد هُزِمت بها في بعض حُروبها، وكان النبيُ والمسلمون قد

---

(١) تاريخ ويل دورانت القسم الاول ج٤ ص ١٨١ وتاريخ ايران ازسلوكيان تافروپاشي دولت ساساني ج٣ ص ٦٤ ـ ٢٦٥.

ساءَ إليهم ظفرُ الفرس، أولاً لأنّ الروم أهل كتاب، وفَرِحَ الكفارُ لأنّ المجوس أُميّون مثلَهم فلما نزلَت هذه الآيات راهن أبو بكر الصِدّيق أبيّ بن خلف ولم يكن الرهنُ ذلك الوقت حراماً[1].

فَتَحَ هذا الوعدُ الآلهيُ بابَ الأمل أمام المسلمين، فراحوا يُحصُون الليالي والأيام في انتظار وقوعِهِ وتحقّقه حتى تحقّق في النهاية، وانتصَر الرومُ على الفرس كما أخبر القرآنُ الكريمُ.

لقد أزعجَ إنتصارُ الإيرانيّين على الروم هراكليوسَ (هرقل الأوّل) إمبراطورَ الروم وبقي ذَلك يقضُّ مضجَعَه .. فكانَ يتحيّنُ الفرص لاسترجاعِ أراضيه، فأقدمَ على إيجاد إصلاحات في بَلَده، واعدّ جيشَهُ لحملةٍ كبرى. وفي عام (٦٢٢) حَمَل بواسطة أُسطولِهِ البحريّ القويّ على ارمينية عن طريق البحر الاسوَد، وهاجَمَ مِنَ الخلف الإيرانيين، وفي السنة الثانية تسلّل إلى آذربيجان مولدِ زرادشت ودمَّرها وأطفأ النارَ المقدَّسة الخالِدَة، واسترجع صليب النصارىٰ المقدس من الإيرانيين وأعادهُ إلى بيت المقدِس[2].

ونظراً إلى أنَّ حملة الجيش الرومي الشجاعة والقوّية قد بدأت عام (٦٢٢) يمكن القولُ بانَّ هذا الانتصار والظفر تحقق للروم في حدود تسع سنوات بعد الهزيمة السابقة في أدنى الارض عام (٦١٣).

وعلى هذا تحققت نبوءةُ القرآن الكريم يعني غلبة الروم على الفُرس ثانيةً في أقَلّ من عشر سنين وهو ينطبق مع ما قاله القرآن: ﴿في بِضع سِنِين﴾.

في ذلك الوقت فَرِحَ المسلمُون والمسيحيّون لغلبة الروم الذين كانُوا أهلَ كتابٍ

---

(١) الكامل ج١ ص ٤٦٧٩. يقول مؤلف كتاب المنجد: اذرعات هي اليوم درعا (الاردنية) ذكرها العهد القديم باسم ادرا. عندها انتصر الفرس على البيزنطيين (٦١٣).

(٢) تاريخ ايران ج٣ ص ٣٦٦، تاريخ ويل دورانت القسم الاول ج٤ ص ١٨٢.

وتوحيدٍ واطمأنّوا إلى وعودِ الله[١].

فكِروا وأجيبوا

١ ـ هل يمكن اكتساب الأخبار الغيبية المرتبطة بالمستقبل من الطرق العادية؟.

٢ ـ ما هي الآيات التي نزلت بشأن الحرب بين الامبراطورية والامبراطورية الفارسية؟.

٣ ـ لماذا فرح مشركو مكة لغلبة الفرس على الروم؟.

٤ ـ بماذا وَعَدَ الله المؤمنين بعد هذه الغلبة؟.

٥ ـ ماذا حدث بعد نزول الآيات الأُولى من سورة الروم؟.

* * *

---

(١) لإثبات أنّ الوعد الالهيّ بصدَد إنتصارِ الرُوم وغلبتهم ثانية وبعد هزيمتهم الأُولىٰ تحقّقَ في أقلّ مِن عشرِ سَنَوات يجب أن ندرسَ بدقةٍ تاريخ تَلك الهزيمة وهذا الإنتــصــار وللأسف لم اجد ذلك في كتب التاريخ وفي المصادر الاسلامية ولهذا اضطررنا إلى أن نراجع مصادر التاريخ الإيرانيوالروم القديمة. على أن مؤرّخي الاسلام مثل الطبريّ وابن الاثير وغيرهما وكذا المفسرون الاسلاميّون اتفقوا جميعاً على أنْ هذا الوعدَ الآلهيّ قد تحقّق في المآل وانتصر جنودُ الروم على اعدائهم بعد مغلوبيّتهم الأُولىٰ في مدّة تقلُ عن عشر سنوات ولكنهم لم يذكروا التاريخَ والموعدَ الدقيقَ لذلك، كل ما يوجَد في المصادر الاسلامية هو أن غَلَبَة الرُّومِ كان في وقت صلح الحديبية (السنة السادسة للهجرة) أو في وقت معركة بدر (السنة الثانية للهجرة) وهذا لا ينطبق لا مَعَ المصادر المحقّقة المرتبطة بتاريخ إيران والروم القديمة، ولا مع تنبُّؤ القرآن الكريم، لأنَّ الهزيمةَ الأُولىٰ التي لحقت الرومَ على أيدي الفرس في ادنىٰ الارض يعني اذرعات وقعَت في عام (٦١٣) الميلادية (اي السنة الثالثة للبعثة) وصلح الحديبية وقع في السنة السادسة للهجرةِ الشريفةِ، وعلى هذا تكون الغلبةُ الثانيةُ للروم قد تحققّت للروم بعدَ (١٦) عاماً، وهذا يخالفُ تنبُؤ القرآن الكريم، كما لا ينطبق أيضاً مع زمان معركة بدر أي السنة الثانية للهجرة.

الدرسُ الخامسُ والعشرون

محمّدٌ خاتم النبيّين (١)

النبيُ محمّدٌ صَلّى الله عليه وآله آخِرُ رسُلِ الله وخاتم أنبيائه، ولم يُبعَث بعدَه نبيٌّ آخر قطّ، ولَن يُبعَثَ بعدَه أحدٌ أبداً.

إنّ موضوع خاتَمِيّة نبيّ الإسلام أمرٌ مُسَلَّمٌ وبديهيّ، لا يقبل الشَكّ والإنكار عند المسلمين، وقد وَصَف النبيُ صلى الله عليه وآله نفسَه في بداية دعوته ورسالته بأنه آخِرُ الأنبياء وخاتَم المرسَلين فالمسألة إذنْ مَسَلَّمةٌ ولا تحتاج إلى سرد دليلٍ ولا إقامة برهانٍ، ولكنّنا ـ مَعَ ذلك ـ نشير إلى برهانين فقط، على نحوِ الاختصارِ والايجاز.

البُرهانُ الأَول: آياتُ القرآنِ الكريمِ

إنَّ في القرآنِ الكريم آياتٍ عديدةً تدلُّ على خاتمية نبوّةِ رسولِ الاسلامِ صلى الله عليه وآله منها قول الله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ ٱللهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّين وَكَانَ ٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[١].

(١) الأحزاب ـ ٤٠.

فإذا قَرأْنا (خاتِم) بكسر التّاءِ كما فَعَل ذلك بعضُ القرّاء، كان المعنىٰ مَن يَضع نهايةً لأمرٍ او لشيء، ويتمهُّ، ودلّت اللفظة ـ بصراحة ـ علىٰ أن بَعْثَ الأنبياء قد انتهى ببعثِ رسولِ الاسلام وأن الرسل قد خُتِموا به صلى الله عليه وآله.

وإذا قرأناها بفتح التاء (خاتَم) كان المعنى ما يُختَم به، ومن هذا المعنىٰ الخاتم الـذي تُختم به الرسالة، أو الكتاب، لأنّه علامةٌ توضَع في آخر الرسالة أو الكتاب للدَلالةِ على إنتهائه، وختامه.

وعلى هذا تَدُلُّ الآيةُ بصراحةٍ كاملةٍ على أنّ إرسال الرُسُل وبَعث الأنبياء قد خُتِمَ ببعث رسول الإسلام، وأنه لن يُبعث نبيٌ بعده قط.

وعلى كلّ حالٍ فانَ الآية المذكورة على كلا التقديرين تُمَثّلُ أفضلَ الأدلَّة، وأقوى الشَواهد على خاتميّة النبوّة المحمدية ..

وقد كانَ هذا هو بالذات ما فَهِمَه المسلمون من الآية منذُ البداية، ولم يكن موضعَ تردّدٍ أو شكٍ منهم أبداً.

وهناك آياتٌ أُخرىٰ في القرآن الكريم يمكن الإستدلال بها في هذا المجال، ولكنّنا نكتفي هنا بالآية المذكورة.

البُرهانُ الثاني: الأحاديث الشريفة

إنَّ في كتب الحديث رواياتٍ وأحاديثَ كثيرةً تدلُّ بجلاء وصراحة على أنَّ رسولَ الإسلام كان آخرَ الأنبياء وخاتَمَ المرسَلين .. ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ روىٰ سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم لعليّ: «أنْتَ مِنّي بِمنَزلِةِ هارُونَ مِن مُوسىٰ إلاّ أنَّه لا نبيَّ بَعْدِيْ»[1].

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص ١٨٧٠ طبعة بيروت دار احياء التراث العربي

وقد نُقل هذا الحديث، والمعروف بحديث المنزلة، في كتب السنّة والشيعة، بطرق متعدّدة وأسناد كثيرة، وهو يَدلُّ بصراحةٍ على أنّه لن يُبعثَ نبيٌّ بعد رسولِ الإسلام أبداً.

٢ ـ عن أبي هريرة أنّه قال: قالَ النبيّ صلّى الله عَليه وسلم: «أُرْسِلتُ إلىٰ النّاسِ كافّة وبي خُتِمَ النبيّونَ»[١] .

٣ ـ عن أبي امامة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أيُّها الناسُ لا نبيَّ بعدي ولا أُمّةَ بعدَكم، ألا فاعبُدوا الله وصَلّوا خَمسَكم، وصُومُوا شَهرَكم، وحُجّوا بيتكم وأدُّوا زكاةَ أموالكم، طيبت بها نفوسُكم، وأطيعُوا ولاةَ أمركم تدخُلوا جنّةَ ربكم»[٢].

٤ ـ قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: «أرْسَلَهُ على حين فترةٍ مِنَ الرُسُل وتنازُع مِنَ الألسُن فقفّى به الرسُلَ، وختم به الوحيَ»[٣].

من هذه الأحاديث والعشرات من نظائرها يُستفاد أنّ رسولَ الاسلام كانَ آخرَ الأنبياء وخاتم المرسَلين وأنه لم يُبعث أحَدٌ بعده بالنُبوّة والرسالة أبداً، وأنّ هذه المسألة مَسألةٌ قطعيةٌ من حَيث الأدلة، ولا تقبل ايّ لون من ألوان الشك والترديد. غير أن هناك شبهاتٍ وإشكالاتٍ في أصل مسألة الخاتمية ينبغي طرحها هنا والاجابة عليها:

الإشكالُ الأوّل

ما هو سرّ الخاتميّة؟ ولماذا خُتِم إرسالُ الأنبياء، وابتعاث الرسُل، ببعثةِ النبيّ محمد (ص)؟ ألم يكن من الأفضَل أن يبعث اللهُ تعالى في كلّ زمانٍ رسولاً أو رسُلاً

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص ١٩٢.

(٢) وسائل الشيعة ج١ ص ١٥.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٢٩.

آخَرين بعد رسول الإسلام لهداية البشريّة وإرشادها كما كان يفعلُ ذلك في الأزمنة والأُمَم السابقة، وبهذا كان الارتباط بين الله تعالى وبين عباده مستمراً إلى يوم القيامة؟؟.

الإجابة على هذا الاشكال

في الإجابة على هذه الشبهة نقول على سبيل الإجمال: مع إرسال رسولِ الله محمّد صلى الله عليه وآله، وإنزال القرآن الكريم لم تعدْ (أو بالأحرىٰ لم تبقَ) أيّة حاجةٍ إلىٰ إرسالِ رسولٍ جديدٍ، أو انزال كتابٍ جديدٍ، ولهذا انتفَتِ الضرورةُ إلى ابتعاث نبيّ جديدٍ إلى البشرية، وخُتِمَت النبوّة والرسالة.

وتوضيحاً لهذا الموضوع نقول: إنّ البشر ـ كما قرأتم في مبحث النبوّة ـ يحتاج في معرفة المبدأ والمعاد، وكذا في معرفة البرنامج الكاملِ الجامعِ الكافلِ لسعادته الجسمانية والنفسية، الدنيوية والأُخروية، إلىٰ أنبياء يَتلقّونَ بدقة معارفَ الدين وبرامج الشريعة من الله عن طريق الوحي، ثمّ يُوصّلونها إلى البشر.

إنّ البشر لم يكن ـ في البداية ـ على المستوىٰ الراهن من حيث التوجه إلى الله، ومعرفة القضايا والبرامج الدينيّة، والفضائل والقِيَم الأخلاقيّة، بل وصلت البشرية إلى هذا المستوى على أثر التفكير العقليّ المتواصل، وممارسة تجارب الحياة، وعلى أثر جهود الأنبياء والرسُل الآلهيّين، وسعيهم الدائب العظيم.

إنّ جميع الأديان السماويّة متّفقةٌ في أُصول العقائد، وفي المعارف الدينية، ولا خلاف بينها في هذه الأُصول والمعارف، وهي بأجمعها تدعو البشرية إلى هدفٍ واحدٍ، وإنّما التفاوت فيما بينها في جانبين:

أحدهما: في مدىٰ العُمق والدقة في إلقاء المعارف الدينية.

والآخر: في كيفيّة الإتيان بالمراسم العباديّة ودساتير الحياة التي كانت تتغيّر

وتتطورُ، وتتكاملُ تدريجيّاً جنباً إلى جنب مع تنامي الرشد الفكري لدى البشر، وتبعاً للظروفِ والأوضاعِ ووفقاً للأزمنةِ والأمكنةِ.

لقد كان جميع الأنبياء يدعون الناس إلى التوحيد ولكن مفهومَ الآله الواحد الذي كانت أذهان البشر القدامىٰ تتصوره يختلف إختلافا كبيراً عن المفهوم الذي يتجلى من هذه الكلمة الآن في ذِهن العالم العارِف، كما أنّ العرفاء أنفسَهم ليسوا سواءً في إدراك التوحيد.

لقد كان الأنبياء يراعون في دَعَواتهم ـ دائماً ـ المستوىٰ العقليَّ لدى الناس، وكانوا يكلّمونهم ـ في هذا المجال ـ على قدر عُقولهم وإدراكاتهم.

قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: إنا معاشِر الأنبياء أُمِرنا أنْ نكّلِمَ الناسَ علىٰ قَدَرِ عُقُولِهِمْ [١].

ومع مضيّ سنين طويلةٍ جدّاً من اكتناز البشرية للتجارب والخبرات، ونتيجةً لسعي الأنبياء والرسُل وجهودِهِمُ الكبيرة في سبيل بَثّ المعارف الدينية بلغتْ عقولُ البشر تدريجاً إلى دَرَجة من الرشد والبلوغ، استطاعت معها البَشَرية أنْ تدركَ أعلى وأسمىٰ المعـارف، وتستوعبها، وتتحملَّ عبءَ أكملِ الأحْكام والقوانين والمقررات العباديّة، والسياسية، والاجتماعية، وتطبّقها في حياتها العمليه.

هذا مضافاً إلى أنَّ المجتمع البشريَ في ذلك الزمان كان قد بلغ حَدّاً من حيثُ العقل والفكر والإمكانات العلميّة، يستطيع معه أن يحافظ على المواريث العلميّة والدينيّة بصورةٍ كاملة، وينقلها إلى الأجيال اللاحقة بأمانةٍ ودقّةٍ.

في مثلِ هذا العصر بُعِثَ رسولُ الإسلام محمّدٌ صلى الله عليه وآله من جانب الله تعالى بالرسالة، ليضع بين يدي النفوس البشرية المتكامِلة المستعدّة أسمىٰ المعارف

---

(١) تحف العقول ص ٣٦، طبعة بيروت. منشورات الأعلمي.

وأرقاها، ويعرض على المجتمعِ الانسانيِ أكملَ وإشملَ الأحكامِ والقوانين الكليّة الوافية.

لقد أنزل عليه كتاباً لا يبلى أبداً .. كتاباً كلّما غاصَ فيه العلماءُ، وتدبّروا فيه أكثر فأكثر، حصلوا على حقائق أسمىٰ، ومعارف أدقّ .. وَوَضَعَ تحت تصرفه كلَ الاحكام والقوانين الكلية التي يحتاج اليها الجنسُ البشريُ في مختلف أبعاد الحياة ليضَعَها هو بدوره في متناول أيديهم في صورة أحاديث على غرار دستورٍ كاملٍ شاملٍ بحيث لو أمعن العلماءُ والفقهاءُ، واجتهدوا فيه لأمكنهم أن يستنبطوا كلّ الاحتياجات القانونية الجزئية التي تتطلبها ظروف البشر المتغيرة المتطورة في جميع العصور والأزمنة، والأوضاع والأحوال، ويقدّموها للطالبين والراغبين.

وبملاحظة ما قلناه إتضح أنه لا حاجة بعد بعثة رسول الاسلام، ونزول القرآن الكريم، وبثّ الأحكام والقوانين الاسلاميّة، إلى ابتعاث نبيّ آخر، وإنزال شريعةٍ اخرىٰ بعد شريعة الإسلام، بل إن إرسال نبّي آخر وإنزال شريعة أُخرى لا يبرّره شيءٌ لأنّ في مقدور القرآن الكريم، والدين الاسلامي أن يلبّي جميع احتياجات البشر في جميع الأمكنة والأزمنه حتى قيام يومِ القيامة.

ولقد بقي القرآنُ الكريمُ ـ كما تلاحظون ـ وعلى أثر حِفظ الحُفّاظ، وكتابة الكتّاب، في صورته الكاملة من دون أي زيادة أو نقصان، ومن دون أيّ تغيير أو تحريف، وسيبقى كذلك إلى يوم القيامة .. وهكذا بقيت الأحكام والقوانين والمقررات الاسلامية في صورة «حديث» مُدَوّن ومضبوط في بطون الكتب والمؤلفات.

وهذه هي إحدىٰ خصائص الدين الاسلاميّ الحنيف ومميزاته البارزة.

هذا وسنتعرّف ـ في الدرس القادم ـ على الإشكالات الاُخرى فيما يتعلّق بخاتميّة رسولِ الاسلامِ، والإجابة عليها.

* * *

فَكِّروا وأجيبوا

١ ـ كيف نُثبت خاتميّة النبيّ محمّد بالآية المذكورة في هذا الدرس؟ وضحوا ذلك.

٢ ـ أُكتُبوا حديثين من الأحاديث الدالّة على الخاتمية.

٣ ـ وضحوا الإشكالَ الأول على مسألة الخاتمية جيداً.

٤ ـ أُذكروا الردّ على ذلك الإشكال كاملًا.

٥ ـ إحفظوا الآيات والأحاديث المذكورة في هذا الدرس.

* * *

الدرسُ السادسُ والعشرون

مُحمّد خاتمُ النَبيّين (٢)

الإشكال الثاني

إنّ الإشكـالَ الثـاني على خاتميّة نبيّ الاسلام هو أنّ حياةَ الناس الفرديّة والإجتماعية ترافق دائماً تغيّراً في الأوضاع والأحوال، وأن الظروف في تبدّلٍ وتحوّلٍ مستمـرّين، والتغيرّات الجديدة تتطلّب أحكاماً وقوانين، وبرامج جديدة، وعلى هذا الأساس فإنّ أحكام الاسلام وقوانينه التي نزلت قبل ألف وأربعمائة وإحدى عشرة سنـة تناسب إحتياجات البشر في ذلك العصر ولكنها لا تقدر على ضمان السعادة للمجتمع ولا تصلح لحلّ المشكلات الناشئة من الحياة الصناعية للبشرية في هذا العصر، والعصور القادمة، ولهذا فإنَ الدينَ الاسلاميَ لا يمكن أن يكون دِيناً دائميّاً وشريعةً خالدةً، بل إنّ اللطفَ الآلهيَّ يقتضي أن يبعث اللهُ تعالى في كلّ عصرٍ نبياً أو أنبياء لهداية الناس وإرشادهم، كما كان يفعل في العهود السابقة، والعصور الغابرة.

الجواب على الإشكال

في الإجابة على هذا الإشكال يقال: إنّ لحياة البشر جانبين:

أحدهما: جانب الثبات والدوام والكليّة.

والآخر: جانب التغير والتحوّل، والتطور.

وجانب الثبات والدوام في الحياة ينبع من تركيب الإنسان الخاص وغرائزه الوجودية، وان جميع البشر في جميع الازمنة والامكنة يشتركون في هذه الجهة.

إن جميع الناس ـ مثلاً ـ يحتاجون إلى المأكَل والمشرَب والملبَس والمسكَن، وإلى إرضاء الغريزة الجنسية، ولضمان هذه الإحتياجات المتنوّعة على بني البشر أن يعملوا ويكدَحوا، ويعيش بعضُهم مع بعض بصورة إجتماعية، وأن يتعاونوا فيما بينهم .. وفي هذا الصَـدَد يحتـاجون ـ لهداية غرائزهم وتعديلها وضبطها بصورة صحيحة بهدف الحيلولة دون وقوع التزاحم والتعارض بينها ـ إلى تدوينِ برنامجٍ وقانونٍ يكفُل كلً ذلك.

ولقد نُظِّمت قوانين ترتبط بالزواج والوظائف المتبادلة بين الزَوجين، والوالدين والأولاد، وقوانين ترتبط بالعمّال وأرباب العمل والملكيّة والبيع والشراء وغير ذلك من القوانين الإجتماعية.

إنَّ الكُليّات والقوانين العامّة في هذا الصنف من القوانين والأحكام تنبع من طبيعة كيان البشر، وهي من لوازم الحياة البشرية .. فاذا روعيت في سَنّ ووضع تلك القـوانـين تركيبة الانسان الخاصّة، وغرائزه المتنوعة، واحتياجات أبعاده الجسميّة والروحيّة، الدنيوية والأُخروية، الفردية والإجتماعية، وهُدِفَ إلىٰ ضمان العدل والأمن الاجتماعي والمنع من التجاوزات، أمكنَ لهذه القوانين أن تكون قوانين ثابتة، ودائمة، ومفيدة لجميع أبناء البشر، وأن تكون صالحة للتطبيق فيْ جميع الأزمنة والأمكنة.

إنّ ثبات الأحكام والقوانين الإسلامية من هذا القبيل، ولهذا لا تنافي خاتمية نبي الاسلام.

ولكنّ حياة الإنسان هذه الثابتة في جوهرها على أساس خلقته الخاصة وعلى

أساس غرائزه هي من حيث الصورة والكيفية في حال تغير وتنوّع مستمرّين ..

إن تكاملَ البشر الفكريّ، ورقيّ العلوم والصنائع المتزايد قد غيّر أوضاع الحياة وكيفيّتهـا، وأوجـد في المـآل مسائل جديدة في كلِ عصرٍ ومصرٍ وفي كلّ الأوضاع والظروف ... مسائل جديدة تحتاج إلى الإجابة، وتتطلّب الحلّ المناسب.

في مثـل هذا المـورد، لصـاحب الإشكـال السابق أن يقول: إنّ المقررات والأحكام التي تمَّ تدوينها في عَهد رسولِ الله صلى الله عليه وآله لا تجدي في حلّ المشكلات الموجودة في هذا العصر.

بَيد أنه يمكن القولُ عند الإجابة على هذا الإشكال انّ الاسلام لاحظ أيضاً هذه الحاجات، واتخذ لتلبيتها وضمانها وسيلتين:

الوسيلة الأولى: الإجتهاد

فلقد ألقىٰ الاسلامُ على عاتق العلماء والفقهاء الواجدين للشرائط، مسؤولية الإجـابـة على المسـائل الجديدة الحادثة في حياة الامة الاسلامية في ضوء موازين صحيحة، ومع مراعاة الاوضاع والظروف الزمانية والمكانية، وذلك بالفحص في المصادر الاسـلامية العلمية الغنية (اي القـرآن والسنـة والاجماع والعقل) والغور فيها ثم استنباط الأجوبة والحلول الدينية للمسائل المستحدثة لعرضها بعد ذلك على المجتمع.

إنَّ المصادر العلميّة والفقهية الاسلامية غنيةٌ جداً، وهي إذا اقترنت بحسن التمييز والاستنباط، ورافقت ملاحظة متطلّبات الزمان والمكان المتجددة ومقتضيات الأوضاع والظروف الجديدة، لأمكن للدين الاسلامي أن يسير جنباً إلى جنب. مع المجتمع المتحول المتكامل، ولقدر أن يلبّي الاحتياجات البشرية المتنوعة، الفردية والاجتماعية في جميع الأزمنة والأمكنة.

إنَ الاجتهاد مفهومٌ متطوّرٌ ومتكاملٌ، وهو يحتاج في كل عصر وزمان، وفي جميع

الأحوال والظروف إلى رؤيةٍ خاصةٍ، وإدراك معيَّن، وإنّ أعدىٰ أعداء الإجتهاد هو الجُمُود والتوقف على نظرةٍ خاصةٍ للفقهاء السَلَف، والتعصّب الشديد في الدفاع عن أفكارهم.

إنّ على المجتهد أن يكون عارفاً بالزمان والمكان، وبأوضاع مجتمعه وظروفه، وإحتياجاته الجديدة، وأن يكون في حال استخراجٍ واستنباطٍ دائمين للحلول المناسبة من أجلِ حلّ مشكلات المجتمع المتنوعة المتعددة.

وعلى هذا إذا تحرّك الفقهاءُ عند استنباط أحكام المسائل الجديدة، جنباً إلى جنب مع المجتمع المتحوّل المتكامل، وجنباً إلى جنب مع الكشوف الجديدة في شتىٰ مجالات الحياة والعلوم، أمكن تلبية كلّ إحتياجات المجتمع، ولا يكون حينئذ أي إشكال في صلاحيّة الأحكام والقوانين الإسلامية الحيوية للبقاء والدوام، وقيادة الحياة بصورة مستمرة.

الوسيلة الثانية: الصلاحيات الممنوحة للحاكم الاسلامي.

إنّ مبدَأ وجوب إقامة الحكومة الاسلامية بهدف تطبيق الأحكام الاسلامية، السياسية والإجتماعية، لغرض إقامة العدل الإجتماعي، وضمان حقوق الأفراد، والمنع من الظلم، والعدوان حكمٌ إسلاميٌ ثابتٌ، ودائمٌ، ولكن القيامَ بهذا الأمر المهمّ يحتاج إلى منح صلاحيات خاصة للحاكم الشرعي الاسلامي، والتي بدونها لا يمكن للحاكم المذكور إدارة البَلَد الإسلاميّ بصورةٍ جيّدةٍ.

ولهذا السبب أذِنَ الاسلامُ للحاكم الشَرعي الإسلامي بأن يضع أحكاماً، ومقررات خاصة حسب الضرورات، مع مراعاة أُصول الاسلام الكليّة، وقواعده العامة، ومراعاة مصالح الأُمة الإسلامية، ويستفيد منها في إدارة البلاد وتسيير شؤونها.

إنّ الصلاحيات المذكورة هي في الدرجة الأُولىٰ من شؤون رسول الاسلام،

وهي ممنوحة ـ من بعده ـ للإمام المعصوم .. وإنّ على المسلمين أن يطيعوا النبيّ والأئمة المعصومين ـ وهم أولوا الأُمر ـ في هذه الأحكام.

جاء في الكتاب العزيز في هذا الصدد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

ولقد أُوكِلَت هذه الصّلاحيات ومُنِحَت في عصر غيبة الإمام المعصوم ـ حسب الأحاديث ـ للفقيه الجامع للشرائط، الذي يتمّ إختياره من قِبَل الناس، بهَدَف قيادةِ الأمةِ الاسلاميةِ ـ ويشغل أعلىٰ مركزٍ في الحكومة الاسلامية.

وبهـذا الطريق يمتلك الحاكم الشرعيُ في النظام الاسلاميّ صلاحيّاتٍ جدُّ واسِعةٍ .. صلاحيات يضـع ـ على أسـاسها، ووفق مقتضيات الأوضاع والظروف المستجدة، والأمكنة والأزمنة المختلفة ـ الأحكامَ والمقرراتِ اللازمةَ، ويقوم بتطبيقها وتنفيذها في حياة المجتمع والأفراد.

ومن هنا لن تواجه الحكومة الإسلامية أبداً أية ضائقة قانونية، وأيَّ طريقٍ مسدودٍ في مجال المقررات والأحكام اللازمة، لأنها ستستعين في حلّ المشاكل المستجدة، والمسائل المستحدثة، باجتهاد الفقهاء والمجتهدين، أو تتوصل إلى المقررات، والأحكام اللازمة بواسطة الخبراء العارفين، وفي هذه الصورة يمكن أن يكون الدينُ الاسلاميُّ خالداً ابدياً، وأن لا يردَ أيُّ إشكالٍ على خاتميّة رسولِ الإسلام.

الإشكال الثالث

على فرض أن الحاجة إلى إرسال أنبياء من أُولى العزم (اي اصحاب شرائع) انتفت نظراً لكمال الأحكام والقوانين والمعارف الدينية الإسلامية وكفايتها، فلماذا ـ

---

(١) النساء ـ ٥٩.

ترى ـ تنتفي الحاجة إلى أنبياء مبلغينَ يقومون بمهمة الترويج لتلك الشرائع. فكما أنّ الله سبحانه كان يرسلُ بعدَ كل نبيّ صاحبَ شريعة (من أُولى العزم) أنبياء عديدين. ليقُوموا بترويج الشريعة المتقدمة وتبليغها للأجيال اللاحقة، فلماذا لا يبعثُ اللهُ ـ بعد مَبعث رسولِ الإسلام وتشريع الأحكام والقوانين الجديدة ـ أنبياءَ لتبليغ الرسالة المحمديّة والترويج لها، مع العلم بأنَ وجودَ أمثال هؤلاء الأنبياء أمرٌ ضروريٌ ومفيدٌ في المجتمعات.

في الإجابة على هذا الإشكال يمكن القولُ بأن المجتمع البشريّ في عصر البعثة المحمدية كان قد بلغ في التكامل الفكريّ والرشد العقليّ حَداً أصبح معه صالحاً لأن يحافِظ على مواريث الأنبياء العلميّة والدينية، ويَصونها من خطر الحوادث، وأن يكونَ نفسُه مبلّغاً لتلك القيم والمفاهيم المقدسة، وقد وصل في هذا المجال إلى درجة الاكتفاء الذاتي ولهذا لم تبق حاجة بعد هذا إلى إرسال الرسل وابتعاث الأنبياء.

قال تعالى في القرآن الكريم

﴿ٱلْيَومَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلامَ دِيناً﴾[1].

ويمكن بيان صلاحيّة الأُمَة الإسلامية لتحمّل المسؤولية وعدم الحاجة إلى رسل آخرين من ثلاثة طرقَ:

الطريق الأوّل: تشريع الإمامة

حَسب عقيدة الشيعة الامامية إختار رسولُ الله في حياته «عليَ بن أبي طالب» عليه السلام لخلافته، وإمامة الأمة من بعده، واسْتودعَ لديه العلومَ والمعارفَ اللازمة

---

(١) المائدة ٣.

ليقوم من بعده بحفظ أحكام الشريعة الإسلامية وقوانينها، ونشرها وتبليغها.

واختار بعد الإمام عليّ عليه السلام أحدَ عشر إماماً معصوماً لِمقام الخلافة، ولأجل أن يتحمَّلوا ـ الواحد بعد الآخر ـ مسؤوليّة التبليغ والدعوة، ويقوموا بتنفيذ أحكام الشريعة وقوانينها، ويدافعوا عن الاسلام وقيمه مع مراعاة متطلّبات الأوضاع والأحوال، ومقتضيات الزمان والمكان.

ولقد استمرّ هذا الوضعُ إلى وقت وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام (عام ٢٥٥ هجرية).

ولقد خلّفَ الأئمّة الأطهار عليهم السلام، مئاتِ الألوف مَن الأحاديث في شتىٰ المجالات الإسلامية، وهذه الأحاديث محفوظة ومدوّنة في الكتب والمؤلفات. كما وتخـرّج على أيديهم آلافُ العلماء، والخبراء العارفين بالدين الاسلامي، والمجاهدين المتفانين في سبيله.

الطريق الثاني: تربية العلماء حَمَلَةِ المسؤوليّة

حيث أنَّ المستوىٰ العقليّ لدى الناس في عصر رسول الله والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم قد بلغ مرتبةً عاليةً جداً بحيث ظهر بين المسلمين شخصيّاتٌ كثيرةٌ أصبَح في مقدورهم إستيعاب المعارف الدينية العالية وتحمّل مسؤولية تطبيق الأحكام والقوانين الإسلامية والقيام بتبليغها ونشرها، والدفاع عنها بكل وجودِهم عن قيم الاسلام.

فان نبيَ الاسـلام والأئمة المعصومين بالغوا في تربية أعدادٍ كبيرةٍ من هذه العناصر الواعية العالِمة، ثم وضعوا مسؤولية تبليغ الدين والدفاع عنه على عواتقهم، وهناك أحاديث كثيرة تشير إلى هذه الحقيقة، ونحن نذكر هنا نماذج منها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنَّ العلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء، وذاكَ أنَّ الأنبياء

لم يُورثوا دِرهماً ولا ديناراً وإنما أوْرثُوا أحاديثَ مِن أحاديثهم، فمن أخذَ بشيءٍ منها فَقَدْ أخذَ حظاً وافراً فانظروا عِلمكم هذا عمّن تأخُذُونهُ فانّ فينا أهل البيت في كل خَلَف عُدولاً يَنفُون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين [١].

قال النبيُ صلى الله عليه وآله: عُلَماءُ أُمّتي كَأنبياء بَني إسْرائيل [٢].

وقال صلى الله عليه وآله ايضاً: رَحمَ اللهُ خلفائي، فقيل: يا رسُولَ اللهِ مَن خُلفَاؤُك؟ قالَ: الذِين يُحيُون سُنَّتي ويُعلّمونها عِبادَ الله [٣].

وقال صلى الله عليه وآله: انَّ مَثَلَ العلماءِ في الأرض كمَثَل النجوم في السَماءِ يُهتدىٰ بها في ظُلُمات البرّ والبَحْرِ فاذا طُمِسَتْ أو شكَ أن تضلَّ الهُداةُ [٤].

وعن عليّ عليه السلام قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْه وآله: إذا كانَ يَومُ القيامة وُزِنَ مِدادُ العُلَماءِ بدماءِ الشُهَداء فيَرجُح مداد العلماءِ على دِماء الشُهداء [٥].

وقال النبيُ صلّى الله عليه وآله: مَن جاءَهُ الموتُ وهو يَطلبُ العلمَ ليُحيي به الإسلامَ كانَ بينَه وبين الأنبياءِ دَرجةٌ واحِدةٌ [٦].

الطريق الثالث: تحريك العقول وإثارتها

إنَّ من الأهداف الكبرىٰ التي يهدف إليها الأنبياء هو تقوية عقول الناس وترشيدها .. فقد بذَلَ الأنبياء طيلة التاريخ الإسلامي جهوداً عظيمة في هذا الصعيد

---

(١) الكافي ج١ ص ٣٢.

(٢) بحارالأنوار ج٢ ص ٢٢.

(٣) بحارالأنوار ج٢ ص ٢٥.

(٤) بحارالأنوار ج٢ ص ٢٥.

(٥) بحارالأنوار ج٢ ص ١٦.

(٦) بحارالأنوار ج١ ص ١٨٤.

وعلى أثر جهود الأنبياءِ السابقين، وكذا جهود رسول الإسلام والأئمة المعصومين عليهم السلام بلغت عقولُ البشر تدريجاً حداً من الكمال والرشد، ومرتبةً من الاكتفاء الذاتي إستطاعوا معها ـ بالاستفادة من القرآن الكريم وهدايات الأنبياء والمعصومين ـ أن يُشغّلوا عقولهم، ويبلغوا حدّ الإكتفاء الذاتي في باب المعارف الدينية وأن يعرفوا الطريق الصحيح، ويميّزوا الحق عن الباطل، ويتحركوا في طريق الحق، ويستوعبوا علوم الدين، ويحققوا في القرآن الكريم لاكتشاف حقائقه ومعرفة أسراره، ويجتهدوا في إستنباط الأحكام من مصادر الإسلام الغنيّة.

ولقد استفاد النبيُّ الاكرمُ والأئمة المعصومون من هذه الحالة، ودَعَوا الناسَ بقوةٍ إلى إكتشاف العلوم وإلى التعقل والتفكّر.

إنَّ في القرآن الكريم مئاتِ الآيات التي تدعو الناس وتحثهم على التفكّر والتعقّل، والتدبّر والتفقة.

وكذا ثمتّ مئاتُ الأحاديث من هذا القبيل، وهي مدوَّنة في مصادر الأحاديث، ولهذا السبب ولأجل أن يتحقق تشغيل عقولِ الناس وإثارتها ولكي تقطع هذه العقول طريق رشدها بسرعة، لم يكن هناك حاجة إلى إرسال الأنبياء المبلّغين، أيضاً، بل أعلن عن ختم النبوة، وإقفال باب الإرسال بصورةٍ مطلقةٍ.

فَكّروا وأجيبوا

١ ـ وضّحوا الإشكالَ الثاني على خاتمية نبي الاسلام جيداً.

٢ ـ وضّحوا الجانب الثابت في حياة البشر.

٣ ـ وضّحوا الجوانبَ المتغيرة في حياة البشر.

٤ ـ ماذا يعني الاجتهاد؟ وكيف يمكن تأمين وتلبية إحتياجات البشر بواسطته؟

٥ ـ ما هي صلاحيّات الحاكم الشرعيّ الإسلاميّ؟

٦ ـ كيف تجيب على الإشكال؟

٧ ـ وضّحوا الإشكال الثالث.

٨ ـ كيف تجيب على هذا الأشكال؟

٩ ـ ما هي الطرقُ الثلاث التي أهَّلَتِ الأُمةَ الإسلامية لتحمّل المسؤولية؟

* * *

الدرسُ السابعُ والعشرون

مُحَمّدٌ قَبلَ البِعثَةِ

وُلِدَ النبي «محمّد» صلّى الله عليه وآله في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأوّل عام (٥٧٠) ميلادية[١] في مدينة مكة المكرَّمة.

كان أبوه عبد الله وأُمُّهُ آمنةِ بنت وهب وقبل أن يولَد محمّد (ص) توفي والدُه عبد الله في سفرة إلى المدينة، ودُفِن فيها.

ولقد دَخَلَ «محمّد» منذ صِغَره تحت كفالة جدّه عبد المطلب .. وكان عبدُ المطلب من سادات قريش وزعمائها .. وكان يحبّ محمّداً كثيراً ويكرمه اكراماً كبيراً، وكان يقول: والله إنّ له لشأناً عظيماً[٢].

كان محمد في الخامسة من عمره عندما تُوفيت أُمه «آمنة» أيضاً، وكان في التاسعة من عمره عندما توفي جده عبد المطلب بعد أنْ سَلّمَ محمداً إلى وَلَدهِ أبي طالب..

وكان أبو طالب عمّ محمد يحميه ويحافظ عليه محافظة الوالدِ الرحيمِ.

---

(١) قصة الحضارة المجلد ٤ القسم الأول.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ج١ ص ٣٥.

تزوَّجَ «محمّد» خديجةَ بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة .. وكانت «خديجة» إمرأة شريفة وثريّة، ومعروفة، وطاهرة من نساء قريش. ولقد رُزق منها «محمد» بولدين توفيا في الصغر، وأربع بنات باسم: زينب ورقيّة وأم كلثوم، وفاطمة، ولقد بعث «محمد» بالرسالة في الأربعين من عمره.

والآن يلزم أن نبحث في موضوعين:

الأوّل: كيف كان يعيش «محمّد» قبل البعثه؟ وكيف كانت أخلاقه؟.

الثاني: بماذا كان يتديّن «محمد» وماذا كان دينُه قبل الإسلام لو كان يتديَّن بدين؟.

قبل كلّ شيء لا بدّ أن نُذَكّرَ القارىءَ الكريمَ بأن من المؤسف أنه لا تتوفر المعلومات الدقيقة والتفصيلية عن حياة محمد قبل البعثه، اللّهم إلاّ أُمور متفرقة لا بدّ أن نستفيد منها جميعاً في هذا المجال.

الموضوع الأوّل: يستفاد من مجموع المعلومات المتناثرة في هذا الصدد أن النبي «محمد» كان يمتاز في أقواله وأفعاله وسلوكه في صغره وصباه وشبابه عن أقرانه، امتيازاً كاملاً.

فمنذ ذلك العهد كان يبدو «محمد» إنساناً غير عادي، بل شخصية متميزة .. يقول عنه أبو طالب عَمُّه:

لقد كنتُ كثيراً ما أسمَعُ منه إذا ذَهَبَ من الليل كلاماً يعجبني وكنا لا نُسَمّي على الطَعام ولا على الشراب حتى سمعتهُ يقول: بسمِ الله الأحد، ثم يأكل. فاذا فرغَ من طعامِه قال: الحمدُ لله كثيراً. فتعجبتُ منه وكنتُ ربما أتيت غفلةً فارىٰ من لدن رأسه نوراً ممدوداً قد بلغ السَماء ثم لم أرَ منه كذبة قط، ولا جاهليّةً قطّ، ولا رأيته يضحك في موضع غير موضعِ الضِحك، ولا وقف مع صبيانٍ في لعب، ولا **إلتفت إليهم** وكانت

الوحدة احبّ إليه والتواضع[١].

ويقول ابن عباس: كان بنو أبي طالب يصبَحون رُمصاً عُمصاً، ويصبح رسول الله صقيلًا، دهنياً.

وكان أبو طالب يقرّب إلى الصبيان صفحتهم أوّل البكرة فيختلسون وينتهبون ويكف رسول الله يدَه فلا ينتهب معهم فلما رأى ذلك عمُه عزلَ له طعامَه على حده[٢].

ويكتب أبو الفداء قائلًا: وشبَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله على أبي طالب يكلؤه الله ويحفظهُ ويحوطهُ من أُمور الجاهلية ومعائبها لِما يريد من كرامته حتى بلغ أن كانَ رجلًا أفضلَ قومه مروءة وأحسنهم خُلقاً وأكرمهم مخالطةً وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأمانة، وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم من الفحش والأذىٰ، ما رئي مُلاحِياً ولا ممارياً أحداً، حتى سمّاه قومُه الأمينَ لِما جمع الله فيه من الأُمور الصالحة[٣].

وعندما دَخَل رسولُ الله منزلَه مضطرباً بعد أن أُوحي إليه أوّل مرة قال لزوجته خديجة: لقد خشيتُ على نفسي.

فقالَت خديجة في جوابه: إبشر، كلّا والله لا يخزيك اللهُ أبداً، إنّك تَصِلُ الرحمَ وتُصدِقُ الحديث وتحملُ الكلّ، وتكسبُ المعدُوم وتقري الضيفَ وتعين على نوائب الحق[٤].

يقول أنس بن مالك: وكان صلى الله عليه وآله يسمّى الامين قبل النبُوة لِما عرفوا من أمانته وعدله. وعن الربيع بن خيثم: كان يتحاكم إلى رسول الله (ص) في

---

(١) المناقب ج١ ص ٣٧.

(٢) السيرة النبوية لابي الفداء ج١ ص ٢٤٢.

(٣) السيرة النبوية لابي الفداء ج١ ص ٢٤٩.

(٤) السيرة النبوية ج١ ص ٣٩٤.

الجاهلية قبل الإسلام. وقال النضرُ بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر. لا والله ما هو بساحر[١].

من هذه العبارات وأمثالها يمكن إلى حد مّا معرفة شخصية النبيّ محمّد الأخلاقية والإجتماعية قبل البعثة .. لقد كان (ص) شخصاً نظيفاً، عفيفاً، حَسِنَ الخلق، كريم الفِعال، صادقاً، حليماً، صَبُوراً، أميناً، عادلاً، مضيافاً، يحمي المحرومين ويدافع عن المظلومين والمستضعفين .. لم يكن فحّاشاً، ولا بذيئاً، ولم يُعرَف منه أذىً لأحد.

الموضوعُ الثاني: التعبُّد بالدين وهنا نعالج مسألتين:

المسألة الأُولى: هل كان النبيّ محمد (ص) يتعبَّد بدينٍ أو شريعة قبل البعثة أولا؟

في الجواب على هذا السؤال يقال: من المحتّم أنه (ص) كان متعبّداً بدين وشريعة، ويمكن التمسك لإثبات هذا الموضوع بوجوه:

أوّلاً: انّ النبيّ محمد كان مثل سائر الناس مكلَّفاً .. وكان عليه أن يتعبّد بالأحكام والقوانين السماوية .. وقد قلنا في مبحث العصمة أنه لم يرتكب (ص) كفراً ولا معصية حتى قبل مبعثه أيضاً، وعلى هذا لابدَّ أنه كان متديناً قبل البعثة.

وثانياً: ان كتُب التاريخ نَسَبَت إليه أعمالاً تُنبيءُ عن انه كان متقيّداً بشرع، ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

يكتب أبو الفداء قائلاً: وكانَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلّم: يخرج إلى

(١) عيون الأثر ج٢ ص ٣٣٤.

«حراء» في كلّ عام شهراً من السنة، يتنسّك فيه، وكان من نُسُك قريش في الجاهليّة، يطعم من جاءه من المساكين حتى إذا انصرفَ من مجاورته لم يدخل بيتَه حتى يطوف بالكعبة[١].

غياث بن إبراهيم عن جعفر عليه السلام قال: لم يحجّ النبيُ بعد قُدُومه المدينةَ إلّا واحدةً وقد حج بمكّة مع قومِهِ حجّات [٢].

وجاء في بحار الأنوار: وقد كانَ صلّى قَبلَ ذلك وهو ابن أربع سنين [٣].

ولقد سمعتُم في وصف أبي طالب للنبّي «محمد» كيف أنه كان يُسمّي ويقول بسم الله، قبلَ الطَعام ويقول بعده الحمد لله.

ويستفاد من هذه العبارات أنّه كان يتنسُّك في غار حراء شهراً من كل عام، ويحسن إلى المساكين، ويطوف بالكعبة، وأنه ادّى مراسم الحج مرات، وانه صلّى يوم كان في الرابعة من عُمُره، وكان متقيداً بالتسمية والتحميد قبل الطعام وبعده، ومثل هذا الفرد متدينٌ حتماً، ومن دون شك.

وثالثاً: لقد نفى القرآنُ الكريمُ عن النبيّ محمّد الضلالة بشكل قاطع ومطلق إذ يقول تعالى:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[٤].

إنّ إطلاق هذه الآية يشمل فترة ما قبل البعثة أيضاً.

---

(١) السيرة النبوية ج١ ص ٣٩٠.

(٢) وسائل السيعة ج٨ ص ٨٨.

(٣) بحارالأنوار ج١٥ ص ٣٦١.

(٤) النجم ٢.

المسألة الثانية: بأيّة شريعة كان يتعبَّد؟

إن هناك عدة احتمالات في هذا المجال:

(الإحتمال الأوّل): انه كان تابعاً لشريعة موسى أو عيسى عليهما السلام، لأنهما كانتا الشريعتين السَماويّتين الوحيدتين اللتّين كانتا رائجتين يومذاك.

ولكن هذا الإحتمالَ مرفوضٌ، لأنّه (ص) لو كان مسيحيّاً أو يهوديّاً، وجب أن يُشارك في مراسِيمهم وطقوسِهم الدينيّة، وأن يعاشرَهم، في حين لا نرىٰ أيّ اثر أو ذكر لهذا الأمر في التاريخ كما لا يَدّعيه أحدٌ من اليهود والنصارى قط.

هذا أوّلاً.

وثانياً: إنَّ الأعمال التي كان يقوم بها محمَّد (ص) قبل البعثة كالحجّ، والطواف، والصلاة لم تكن معدودة من عبادات وطقوس ذينك الدينين.

(الاحتمال الثاني): انه كان يتّبع شريعةَ النبيّ إبراهيم عليه السلام، ومما يؤيّد هذا الإحتمال هو أنّ العرب القاطنين في الحجاز كانوا في الأغلب من أبناء إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ولقد كان النبيُ إبراهيم مؤسسَ التوحيد، وواضعَ أُسُس العبـودية لله تعـالى في تلك البقاع، وكان يروّج لشريعتِه التي كانت تدعىٰ بالحنيفيّة بين الناس، وقد إتبع اسماعيلُ نهجَ والده، وأيّد شريعته ذاتها، وكان عربُ تلك البقـاع لكون أغلبهم من أولاد إسماعيل يتّبعون شريعة إبراهيم، وكان ذلك الدين السماويّ رائجاً في أوساطهم رَواجاً كاملاً، وقد بقي الأمرُ على هذا المنوال مدةً مديدةً من الزمان حتى نُسِيت أحكام ذلك الدين الحنيف وقوانينه، واختَفَت مراسيمه شيئاً فشيئاً مع مرور الزمَن، وتراكم الأعوام حتى لم يبقَ من مراسيم ذلك الدين سوى أشياء قليلة كالحجّ، والطواف والوقوفِ في عرفات، والمشعر ورمي الجمار، والأضحية، وبعض أعمال أُخر.

بل لقد حَلّ الشركُ والوثنيّة محلَّ التوحيد بمرور الأيام، وَلم يَعُدِ المشركون يعترفون بآلـه إبراهيم الواحدِ، الأحدِ، الصَمَدِ الفَردِ بل كانوا يشركون مع الله في العبادة إلهاً أوآلهة أُخرى مختلقة، من الأشياء والاشخاص بحجج واهية، ومع هذا كلّه كانوا يعدّون أنفسهم أتباعاً لدين إبراهيم وشريعته.

نعم كان بين تلك الجماعات الضالّة التائهة عدة أشخاص من ذوي الضمائر اليقظة، أدركوا بأن الناس قد تورَّطوا في التيه والضّلال، وأن حقيقة الدينِ الإبراهيميّ قد اختفت وزالت فصار الوقوفُ على حقيقة الدين الحنيف وقوانينه ومراسيمه أمراً صعباً بل غير ممكن في ذلك الزمان ولهذا صار فريق منهم بصدد تحصيل ذلك الدين، والتعرف على معالمه وملامحه الحقيقية.

كتب ابن هشـام يقـول: واجتَمعت قريش يومـاً في عيدٍ لهم عند صَنم من أصنامهم، كانوا يعظّمونه وينحرون له، ويعكِفون عنده ويديرون به، وكان ذلك عيداً لهم في كل سنة فخلص أربعة نفر منهم نجيّاً، ثم قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض، قالوا: أجل. وهم ورقة بن نوفل ... عبيد الله بن جحش ... عثمان بن الحويرث ... وزيد بن عمـرو بن نفيل. فقال بعضهم لبعض: تعلّموا والله ما قومكم على شيء. لقد أخطأوا دين ابيهم إبراهيم! ما حجر نطيف به؟ لا يسمع ولا يبصر ولا يضرُّ ولا ينفع، يا قوم! إلتمسوا لأنفسكم ديناً فانكم والله ما أنتم على شيء. فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم[1].

ويكتب نفسُه قائلاً: وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية، ولا نصرانية، وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تُذبـح على الأوثان، ونهىٰ عن قتل المؤودة وقال: أُعبد ربّ ابراهيم، وبادى قومه بعيب ما هم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٢٣٧.

عليه[1].

هذا ويُستفاد من بعض الأحاديث أن أجداد النبيّ (ص) كانوا أيضاً يتبّعون دين إبراهيم، فعن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول: والله ما عَبَدَ أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به[2].

فدين إبراهيم وشريعته كما تُلاحظون كان يُعَدُّ في ذلك الزمان الدينَ الرائجَ والرسميَ عند عرب الحجاز، وحتى المشركون أنفسُهم كانوا يعدّون أنفسهم أتباع الدين الحنيفِ في حين كانوا قد ضيّعوا حقيقة ذلك الدين واكثر أحكامه وشرائعه.

مع ملاحظة النقاط المذكورة يبدو للنظر أن النبيَ محمد صلى الله عليه وآله كانَ قبل البعثة أيضاً يتّبع دين النبي إبراهيم ويتدين بشريعته، كان يَعبُد الله الواحد، ويخالف الشرك والوثنية، ويؤدّي الحج والطواف اللذَين كانا من بقايا شريعة النبيّ إبراهيم .. كان يعتزل قومه، ويحب ذكرَ الله، والصَلاة، وكان يتحلّى بالاخلاق الكريمة، ويتجنب الأخلاق الذميمة .. يأتي بمراسيم الدين الابراهيمي الحنيف، ويحظىٰ بالعنايات الربانية عند الإقتضاء، وبصورةٍ عامةٍ كان يستفيد مكارمَ الاخلاق، والعقائد الصحيحة، ومراسِم الدينِ الإبراهيمي الحقيقية من هدايات المَلَك الذي وُكّلِ به.

يقول الإمام علي عليه السّلام في هذا الصدد:

وقد قَرنَ الله به صَلّى الله عَليه وآله مِن لدُنْ كانَ فطيماً أعظمَ مَلَكٍ من مَلائكتهِ يَسْلُكُ به طريقَ المكارم ومحاسِنَ أخلاقِ العالَمِ ، ليلَهَ ونهارَه [3].

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص ٢٣٩.

(٢) بحارالأنوار ج١٥ ص ١٤٤.

(٣) نهج البلاغة الخطبة ١٩٤.

ويقول العلامة محمد باقر المجلسي: رُوي أنّ بعض أصحاب ابي جعفر محمد ابن علي الباقر عليه السلام سأله عن قول الله تعالى: ﴿إلاّ مَنْ ارتضىٰ من رَسولٍ فانّه يَسلُكَ من بَين يَدَيهِ ومن خَلْفِهِ رَصَداً﴾[1] فقال يوكلُ اللهُ تعالى بأنبيائه ملائكة يحصُون أعمالَهم ويؤدّون إليهم تبليغَهم الرسالة ووكّل بمحمد مَلَكاً عظيماً منذ فُصِلَ عن الرضاع، يرشدُه إلى الخيرات ومكارم الأخلاق ويصدّه عن الشَر ومساويء الاخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلامُ عليك يا محمّد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد فيظنُّ أن ذلك من الحجر والأرض فيتأمّل فلا يرى شيئاً[2].

يستفاد من مجموع هذه العبارات أن النبي محمد صلى الله عليه وآله كان قبل البعثة مثل عمّه أبي طالب وأجداده وعددٍ كبيرٍ من أصحاب الضمائر اليقظة يتبع دينَ النبي إبراهيم عليه السلام ويتديّن بشريعته، يعبد الله وحدَه، ويخالف الشرك والوثنيّة، ويأتي بالمراسيم الدينية والأخلاق الإجتماعية وفقاً لشريعة النبيّ إبراهيم، وكان في معرفة العقائد الصحيحة، وأحكام الشريعة وقوانينها والإلتزام بها واجتناب الأعمال القبيحة مؤيَّداً ـ على الدوام ـ بالتأييدات الالهية، والتسديدات الربانية.

ولقد عَدَّ رسولُ الإسلام بعد البعثة نفسَه تابعاً للنبي إبراهيم واعتبر الإسلام تكميلاً لحنيفية ابراهيم عليه السلام.

يكتب العلامةُ المجلسيُّ قائلاً: ﴿ثم أوْحَيْنا إلَيْكَ أن اتبعْ مِلَّةَ إبراهيمَ حَنِيْفاً﴾[3] وهي الحنيفية العشرة التي جاء بها ابراهيم: خمسَة في الرأس وخمسة في البَدَن:

فالتي في الرأس فطمّ الشَعر وأخذ الشارب وإعفاء اللحىٰ والسواك والخلال، وأما التي في البدن فالغسل من الجنابة والطهور بالماء وتقليم الأظفار وحَلق الشَعر من

---

(١) الجن ـ ٢٧.

(٢) بحارالأنوار ج١٥ ص ٣٦١.

(٣) النحل ـ ١٢٣.

البَدَن والختان وهذه لم تنسخَ إلى يوم القيامة[1].

فكروا وأجيبوا

١ ـ كيف وَصَفَ أبو طالبِ النبيَ محَمدَاً؟

٢ ـ كيف وَصَف أبو الفداء النبيَ محمداً؟

٣ ـ هل كان النبيُ محمدٌ متعبداً قبلَ البعثة بدين؟ ما هو الدليلُ على ذلك؟ أُذكروا دليلين من الأدلة الثلاثة.

٤ ـ هل كان النبيُ محمّد متديّناً ـ قبلَ البعثة ـ بدين موسى أو عيسى؟ ما هو الدليل على ذلك؟

٥ ـ بأيّ دينٍ كان يتديّن النبيُ محمدٌ قبل البعثة؟ أُذكروا دليل ذلك، ووضّحوه جيداً.

* * *

---

(١) بحارالأنوار ج١٢ ص ٧.

الدّرسُ الثامن والعشرونُ

بعثة رسول الاسلام

بُعِثَ محمد صلى الله عليه وآله بالرسالة في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب عام (٦١٠) ميلادية[١] وهو في الأربعين من عُمُره .. ففي مثل هذا اليوم نزل جبرئيل على محمّد (ص) وأبلغه أنّه رسول الله .. ولكن لم يتحقق هذا الأمر دفعة واحدة ومن دون تهيّؤ سابق، بل كان يشاهد علائم وإرهاصات، منذ أيام صباه، وربما رأىٰ في منامه أو يقظته شخصاً، أو سمع صوتاً، بل ربما خاطبه منادٍ بقوله: يا رسول الله، وذلك خاصة في الاعوام الثلاثة ما قبل بعثته.

يكتب البلاذري قائلاً: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان حين اراد الله كرامتَه وابتداءَه بالنبوة إذا خرج لحاجته أبعَدَ حتى لا يرى بيتاً، ويفضي إلى الشعاب والأودية، فلا يمرّ بشجرة إلّا قالت: السلام عليك يا رسولَ الله، فيلتفت عن يمينه وشماله، وخلفه فلا يرى أحداً[٢].

---

(١) بحارالأنوار ج١٨ ص ١٨٩ ـ ١٩٣ يرى بعض المؤرخين انه (ص) بعث يوم ٢٠ أو ١٧ من شهر رمضان.

(٢) أنساب الأشراف الجزء الأول ص ١٠٤.

ويكتب البلاذري قائلًا أيضاً: أوّل ما بدأ به رسولُ الله صلى الله عليه وآله من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يَرى رؤيا إلّا كانت مثلَ فلق الصبح وحُببت اليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه (والتحنث: التعبد) ويمكث الليالي قبل ان يرجع إلى أهله ثم يرجع الى خديجة فيتزود، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء وعرض له جبرئيل[١].

لقد دأب محمّدٌ صلى الله عليه وآله على أن يذهب كل سنة شهراً واحداً على الأقل إلى جبل حراء، ويختلي بنفسه هناك، ويشتغل بالعبادة والتفكر.

نقل ابن هشام عن عبيـد بن عمير ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية[٢].

وقال: فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول الله جواره من شهره ذلك كان أوّل ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع إلى بيته[٣].

أجل إن النبيَ محمداً كان يشاهدُ المراسمَ الوثنية التي يقوم بها الناس، وتحزّ في نفسه ضلالتهم وجهالتهم .. يرىٰ مظالم الأشراف والأغنياء وتعدّياتهم وفقرَ الفقراء والمستضعفين وحرمانهم، ويفكّر في حيلة لخلاصهم من ذلك .. وربما اعتزل قومه ولجأ إلى غار حراء، واختلىٰ بنفسه وربه، واستغرق في التفكير .. فكّر في السماء ونجومها الجميلة، في الشمس المشرقة والقمر، وطلوعها وغروبها، في البحار وأمواجها الهائجة، في الأرض والأشجار والنباتات والحيوانات والبشر، وكان يشاهد ما وراء هذه الحجب

---

(١) السيرة النبوية ج١ ص ٢٥١.

(٢) السيرة النبوية ج١ ص ٢٥٢.

(٣) بحارالأنوار ج١٨ ص ١٨٤.

والمظاهر عظمة الله الخالق، وقدرته المطلقتين، ويتأسف من إيكال الله الخالق، الناسَ إلى أنفسهم وتركهم يعبدون الأصنام التافهة..

هكذا كان يقضي محمد ردحاً من وقته في مثل هذه العبادة والتفكر، ثم يعود بنفسٍ منوَّرَة، وقلب مطمئن إلى مكة، وبعد أن يطوف بالكعبة المعظمة يرجع إلى بيته، ويواصل حياته اليوميّة.

وكان ربما شاهد شخصاً ـ تارةً في اليقظة وأُخرى في المنام ـ يقول له: يا رسول الله. فيسأله محمّد: من أنت؟ فيجيب المنادي: أنا جبرئيل بعثني الله لأ بعثك بالرسالة ولكن محمد (ص) كان يكتم جميع هذه الحوادث[1] وربما أسرّ بها إلى زوجته خديجة فتقول له خديجة: ارجو أن يكون كذلك[2].

ولقد استمر هذا الأمرُ، حتى بَلَغَ سنّ الأربعين وفي تلك السنة، في شهر رجب خرج إلى غار حراء لغرض العبادة والتفكر .. وفي اليوم السابع والعشرين من ذلك الشهر بينما كان غارقاً في التدبر والتفكير إذ نزل عليه مَلك الوحي، جبرئيل وقال له: أنتَ رسول الله، وإن عليك أن تبلّغ رسالات الله وتجتهد في إرشاد الناس وهدايتهم.

ولقد نُقِلت قصّة بدء الوحي والبعثة المحمدية بواسطة جبرئيل في كتب التاريخ بصوَر مختلفة لا يليق بعضها بشأن رسول الله، ومكانته النبوية الرفيعة، ولهذا فاننا نكتفي هنا بالاستفادة من الحديث المروي عن الإمام الهاديّ عليه السلام:

قال عليّ بن محمد عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا ترك التجارة إلى الشام، وتصدّق بكلّ ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات كان يغدو كلّ يوم إلى حراء يصعده وينظر من قلله إلى آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته

---

(١) بحارالأنوار ج١٨ ص ١٨٤.

(٢) بحارالأنوار ج١٨ ص ١٩٤.

وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناف السماء، وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويتذكّر بتلك الآيات، ويعبد الله حقّ عبادته، فلمّا استكمل أربعين سنة ونظر الله عزّوجلّ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها وأخضعها أُذن لأبواب السماء ففتحت ومحمّد ينظر إليها، وأُذن للملائكة فنزلوا ومحمّد ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأُنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمّد وغرتّه، ونـظر إلى جبرئيل الـروح الأمين المطوقّ بالنور طاووس الملائكة هبط إليه وأخذ بضبعه[1] وهزّه وقال: يا محمّد اقرأ، قال: وما أقـرأ؟ قال يا محمّد ﴿ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ ٱلإِنسَـانَ مِنْ عَلَقٍ . ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ . ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلإِنسَانَ مَا لَـمْ يَعْلَمْ﴾[2] ثمّ أوحى إليه ما أوحى إليه ربّه عزّوجلّ ثمّ صعد إلى العلو ونزل محمّد صلى الله عليه وآله من الجبل وقد غشيه من تعظيم جلال الله وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمّى والنافض[3] يقول وقد اشتدّ عليه ما يخافه من تكذيب قريش في خبره ونسبتهم إيّاه إلى الجنون، وانّه يعتريه شياطين، وكان من أوّل أمره أعقل خلق الله، وأكرم براياه، وأبغض الأشياء إليه الشيطان وأفعال المجانين وأقوالهم، فأراد الله عزّوجلّ أن يشرح صدره، ويشجّع قلبه، فأنطق الله الجبال والصخور والمدر، وكلّما وصل إلى شيء منها ناداه: السلام عليك يا محمّد، السّلام عليك يا وليّ الله، السلام عليك يا رسول الله أبشر، فإنّ الله عزّوجلّ قد فضّلك وجمّلك وزيّنك وأكرمك فوق الخلائق أجمعين من الأوّلين والآخرين، لا يحزنك أن تقول قريش إنّك مجنون، وعن الدين مفتون، فإنّ الفاضل من فضّله ربّ العالمين، والكريم من كرّمه خالق الخلق أجمعين، فلا يضيقنّ صدرك من تكذيب قريش وعتاة العرب لك، فسوف يبلغك ربّك

---

(١) الضبع وسط العضد.

(٢) العلق ١ ـ ٥.

(٣) النافض حمى الرعدة.

أقصى منتهى الكرامات، ويرفعك إلى أرفع الدرجات[١].

لقد استضاء كيان محمَّد صلّى الله عليه وآله كلّهِ بمشاهدة جبرئيل وتلقّي الوحي، ونزل من جبل حراء وتوجهّ نحو منزله وهو يحمل بين جوانحه إيماناً قوياً، وضميراً مطمئناً، وعزماً راسخاً.

يقول ابن شهر آشوب: فلما دخَلَ الدار صارت الدار منوّرة، فقالت خديجة: وما هذا النور؟.

قال: هذا نورُ النبوّة، قولي: لا آلـه إلاّ الله محمد رسول الله.

فقالت: طالَ ما عرفتُ ذلك، ثم أسلَمَتْ[٢].

ثم إنَّ هناك إختلافاً في أوّل سورة نزلت على رسول الله في بدء الوحي، وأنها ما هي؟ ولكن حسب ما كتبه أكثر المؤرّخين وحسب الأحاديث المعتبرة إنّ أوّل سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله هي سورة: «العلق».

كتب محمّد بن يعقوب الكليني: عليُ بن أسرى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوّل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ، اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وآخره ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ﴾[٣].

فكِّروا وأجيبوا

١ ـ كيف كان يُهيَّؤُ محمّد للنبوّة؟

٢ ـ لماذا كان يذهب إلى غار حراء؟

٣ ـ بماذا كان يفكّر في غار حراء؟

---

(١) بحارالأنوار ج١٨ ص ٢٠٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج١ ص ٤٦.

(٣) الكافي ج٢ ص ٦٢٨.

٤ ـ صِفوا قصّة مبعث النبيّ محمّد؟

٥ ـ ماذا قال جبرئيل لمحمّد عند ابتعاثه؟

٦ ـ ماذا كان يخاف رسول الله (ص) بعد نزول الوحي عليه أوّل مرة؟

٧ ـ على أية حالة دخل رسولُ الله منزلَه بعد بدء الوحي؟

٨ ـ ماذا قال لخديجة؟

٩ ـ وما هي أول سورة نزلت عليه؟

* * *

الدرسُ التاسع والعشرون

نُزول القرآن وحفظه وكتابته

القرآنُ كتاب المسلمين السَماويّ، وكلام الله تعالى، كانت معاني القرآن ومفاهيمُه العالية تُصَبّ في قالب الكلمات والعبارات العربية ثم تنزَّل على قلب رسول الإسلام الطاهر بواسطة جبرئيل.

ولقد كانت آيات هذا الكتاب السَماويّ تتنزل على النبيّ محمدّ صلى الله عليه وآله في المناسبات المختلفة، في السفر والحضر في الحرب والسلم .. فربما كانت تنزل آية واحدة، وربما نزلَت عدة آيات، وربما سورة كاملة .. وقد تمّ هذا تدريجاً خلال ٢٣ سنة.

في القرآن الكريم ماءة وأربعة عشر سورة تبدأ كل سورة ببسم الله الرحمٰن الرحيم إلاّ سورة التوبة التي يخلو مطلعها من البسملة.

كلُ سورة تتكـوّن من عدة آيات قليلة أو كثيرة، بعض هذه السور كبيرة وتسمّى السور الطوال، وبعضها الآخر صغيرة وتسمّى السور القِصار، وطائفة أُخرى من هذه السور متوسطة.

بعض هذه السور نَزَلت بمكة أو في نواحيها، وتسمّى السُوَر المكيّة، وبعضُها

الآخر نزلت في المدينة أو ما حولها وتسمّى السُور المدنيّة.

كان النبيُ صلّى الله عليه وآله يهتمُّ بنشر الآيات النازلة بين المسلمين، وبقائها للأجيال اللاحقة إهتماماً كاملاً وبالغاً. وقد جسَّد إهتمامه هذا في عدة إجراءات وعدة مراحل:

المرحَلة الأولى: كان يتلو كلّ آية كانت تنزل على قلبه الطاهر، ويجريها على لسانه الشريف، ثم كان يدّخرها في ذهنه بدقة بالغة بحيث لا ينساها قط.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿**سَنُقرئُك فَلا تَنْسىٰ**﴾[1].

كان صلى الله عليه وآله يهتمُّ إهتماماً كاملاً بتلاوة الآيات القرآنية، ويقرأوها في كل مناسبة .. في الخطب والمحاضرات، عند بيان الأحكام، وعند الوعظ، في الصلوات المندوبة والواجبةِ صباحاً ومساءً، وبخاصة في أيّام شهر رمضان المبارك .. وكانَ في جميع هذه المراحل معصوماً مَصوناً من الخَطأ والنسيان والإشتباه. وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله نفسه حافظاً لجميع آيات القرآن الكريم وسوره.

المرحلة الثانية: كان النبيُ الاكرمُ صلى الله عليه وآله يهتم إهتماماً بالغاً بأن يتلو الآيات النازلة، على أصحابه حتى يتعلّموها ويحفظوها، ويستفيدوا منها في ضمان سعادتهم الدنيوية والأُخرويّة.

ولهذا الغرض كان يتلو الآيات النازِلة على أصحابه، ويوصيهم بأن يتعلّموها جيداً، ويحفظوها.

لقد كان النبيُ (ص) يهتمُّ بأن تُحفَظ آيات القرآنِ الكريمِ بصورةٍ صحيحةٍ، وأن تبقى كذلك أيضاً، ولهذا كان حُفّاظ القرآن من الصحابة يعرضون ما حفظوه من آيات الكتابِ العزيزِ على رَسول الله، صلى الله عليه وآله ويستمع إليهم رسولُ الله

---

(١) الأعلى ـ ٦.

بدقة، ويؤيّد، أو يصحح قراءتهم. هذا مضافاً إلى أنّه صلّى الله عليه وآله كان يعرّف للمسلمين جمعاً من أصحابه الذين كانوا يجيدون قراءة القرآن ويُتقنونها لِيقرأوا عليهم القرآن الكريم.

قال السيوطيُّ: المشتهرون بإقراء القرآنِ من الصحابة سبعة: عثمان وعليّ وأُبيّ وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري[1].

لقد كان كلُّ واحد من صحابة رسول الله يجتهد بمقدار وُسعه في إستيعاب وحفظ الآيات القرآنية وتصحيح قرائته لها، ويحفظ مقداراً من السُور والآيات ـ قلّت أو كثرت ـ ، وقد وُفِّقَ فريق من المسلمين لحفظ كل السوُر والآيات القرآنية وسُمّوا بالقرّاء أو الحفاظ. ولم يضبَط عدد قرّاء القرآن بصورة دقيقة، غير أنّ عددهم كان كبيراً اجمالاً.

يكتب السيوطيُّ في هذا المجال قائلاً: قال القرطبيُّ قد قُتِلَ يوم اليمامة سبعون من القرّاء وقتل في عهد النبي (ص) ببئر معونة مثل هذا العدد[2].

يستفاد من هذه العبارات أن عدد حفاظ القرآن كان كبيراً جداً بحيث قُتل في هاتين المعركتين (١٤٠) شخصاً منهم، ولكن لا يُستفاد من هذه العبارات أن جميع هؤلاء كان يحفظون القرآن الكريم بكامله، بل يستفاد من بعض الكتب أن حفاظ القرآن بكامله كانوا أقلّ من هذا العدد.

يقول الشيخ عبد الحيّ الكتاني: وفي الرياض المستطابة: جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله (ص) عشرة: عليّ وعثمان وأُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو زيد الأنصاري وتميم الداري وعبادة بن الصامت وأبو

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ج١ ص ٩٦.

(٢) الإتقان ج١ ص ٩٤.

أيوب[1].

ولكن لا يمكن حصر حفاظ القرآن فيمن ذُكِرَ، لأنَّهُ يُرى في كتب التاريخ والحديث أشخاص آخرون كانوا يحفظون القرآن.

المرحلة الثالثة: الكتـــابة

لقد اختار رسولُ الله صلى الله عليه وآله فريقاً خاصاً من أصحابه ممّن كانوا يجيدون القـراءة والكتـابة، لكتابة القرآن الكريم .. وعندما كانت تنزلُ آياتُ من الكتاب العزيز أحضر أحدهم وأملىٰ عليه الآيات النازلة كلمة كلمة، وأمره بكتابتها وتدوينها بدقة وإتقان. ثم يطلب من الكاتب أن يقرأ عليه ما كتبه، فيصحّح له ما أخطأ فيه إن كان.

وربما عيّن موضعَ الآية ويقول: ضع هذه الآية في السورة الفلانية، وبعد الآية الفلانية[2].

لقد بلغ عدد من ذُكِرَ من كُتّاب النبي (ص) إلى ٤٣ شخصاً[3] بيد أنّ هذا العدد لم يكن كلّهم من كتّاب الوحي كما لم يكن جميعهُم كُتّابا رسميّين دائميين. بل كان بعضهم كتّاباً رسميّين مقدّمين على غيرهم، بينما كان بعضهم الآخر كتّاباً غير رسميّين يُحضَرون عند غياب الكتاب الرسميين لغرض الكتابة.

يقول الشيخ عبد الحيّ: كان عثمان بن عفان ممن يكتبون الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله فان غاب كتب أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت .. فان لم يحضر أحد منهم كتب الوحيَ من حضر من الكتّاب وهم معاوية وجابر بن سعيد بن العاص وابان

---

(١) التراتيب الادارية ج١ ص ٤٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٤٣.

(٣) التراتيب الادارية ج١ ص ١١٥ ـ ١١٦.

بن سعيد والعلاء الحضرمي وحنظلة بن الربيع[1].

ان الأشخاص المذكورين كانوا ممن يُكلَّفون بكتابة نسخة القرآن الخاصّة برسول الله (ص) وإلاّ فقد كان هناك ممن يكتبون الآيات النازلة في نسخهم الخاصّة بهم، بل حتى هؤلاء الكتاب الرسميين كانوا يكتبون مضافاً إلى نسخة النبي من القرآن نسخاً من آيات القرآن لأنفسهم.

ولقد كانَ الكُتّاب يكتبون في مطلع كلّ سورة تنزل «بسم الله الرحمن الرحيم» ويكتبون الآيات، الواحدة تلو الأُخرى وتباعاً. حتى تنزل بسملة[2] جديدة فتكون علامة لسورةٍ جديدةٍ فيكتبون الآيات الجديدة عقيب البسملة الجديدة، اللّهم إلاّ في موارد خاصة كان يأمر فيها النبيُ (ص) بكتابة ووضع آية ضمن سورة معيّنة.

يقول اليعقوبي: عن ابن عباس أنه قال: انه كان يعرف فصل ما بين السورة والسورة إذا نزل بسم الله الرحمن الرَحيم، فيعلمون أنّ الأُولى قد انقَضَت وابتدء بسورة أُخرىٰ[3].

على أيّ شيء كان يُكتب القرآن؟

كان في صدر الاسلام ما يسمى بالقرطاس، ففي الصِين كانَ يُصنعُ الورق من العلف، وفي الهند كان يكتب على قِطَع الحرير، وفي إيران كانوا يكتبون على جلود رقيقة مدبوغة تسمّى (الأديم) كما كان يُكتب على ألواح بيضاء ورقيقة من (اللخاف)، وعلى صفائح النحاس والحديد وعلى العسيب وعلى أكتاف الإبل والغنم[4] وكذا على

(١) التراتيب الادارية ج١ ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) اى جملة بسم الله الرحمنٰ الرَحيم.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ٣٤.

(٤) التراتيب الادارية ج١ ص ١٢٢.

قطع الخشب[١].

كما ويستفاد من القرآن الكريم أيضاً أنه كان في ذلك الزمان ما يسمّى بالقرطاس الذي كان يُستخدَم في الكتابة: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذا إِلّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[٢].

فانه يستفاد من هذه الآية انه كان في ذلك العهد ما كان يدعىٰ بالقرطاس الذي كان يؤلَّف فيه الكتب.

ولقد ذكروا أنه كانت تستخدم جميع الأشياء المذكورة في كتابة القرآن أيضاً (ما عدىٰ الورق الصينيّ)[٣].

لقد كان كتّاب الرحي يكتبون آيات القرآن الكريم بصورة مستمرة على الأشياء المذكورة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحافظ عليها في مكانٍ خاصٍ في المنزل إلى أن تهيَّأت قبيل وفاته نسخةٌ كاملة من القرآن الكريم، ويبدو أنه سلّم تلك النسخة إلى الإمام عَلي عليه السلام الذي كان بدوره أحد كتّاب الوحي قبَيل وفاته صلى الله عليه وآله.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قالَ لِعليّ (ع) يا عليّ! القرآن خَلْفَ فِراشِي في المَصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعُوه ولا تضيّعوهُ كما ضَيّعَت اليهودُ التوراة [٤].

* * *

(١) الإتقان ج١ ص ٧٨.

(٢) الأنعام ٧.

(٣) الإتقان ج١ ص ٧٨.

(٤) بحارالأنوار ج٩٢ ص ٤٨.

فكِّروا وأجيبــوا

١ ـ هل ألفاظ القرآن وعباراته من النبي؟

٢ ـ ما هي المرحلة الأُولى للحِفاظ على القرآن؟

٣ ـ ما هي المرحلة الثانية للحِفاظ على القرآن؟

٤ ـ ماذا فعل النبيُ حتى يُحافظ على القرآن بصورة صحيحة؟

٥ ـ ما هي أسماءُ حُفّاظ كل القرآن؟

٦ ـ ما هي المرحلة الثالثة للحِفاظ على القرآن؟

٧ ـ مَن كانوا المقدَّمين في كتابة القرآن؟

٨ ـ على ماذا كانوا يكتبون القرآن الكريم؟

٩ ـ لمن سلّم رسول الاسلام نسخته من القرآن الكريم قبيل وفاته؟

* * *

الدرسُ الثلاثون

جَمْـــعُ القــرآن

لقد تَمَّ جمعُ القُرآن وتأليفه في عدة مراحل:

المرحلة الأُولى في زمان رسول الله: فقد جُمعت وأُلّفت كل آيات القرآن وسوَره في زمان حياةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله في صورتين:

الصورة الأُولى:

كتبت كلُ آيات القـرآن الكريم بأمر رسول الله، وتحتَ نظارته المباشرة في ألواح .. وعُيِنَ عدد سُوَره وأسمائها. وكانت تبدأ كل سُورة ببسم الله الرحمن الرحيم، وتدوَّنُ آياتها على الترتيب الذي يأمر بـه النبي (ص) .. وبهذه الطريقة تهيّأت نسخةٌ كاملةٌ من القرآن الكريم عند رسول الله، وحُوفِظَ عليها في مكانٍ خاصّ.

ويُستفاد من بعض الكتابات أنَّ نوعاً من التنظيم والتأليف للقرآن الكريم قد تَمّ في زمانِ حياة رسول الله وتحت إشرافه .. يقول زيد بن ثابتٍ كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم نؤلّف القرآن من الرّقاع[1].

(١) الإتقان ج١ ص ٧٦.

هذا مضافاً إلى إهتمام جماعة من الصحابة أيضاً بكتابة وتأليف آياتِ القرآن الكريم بصورةٍ جامعةٍ لأنفسهم .. بحيث كان أعدَّ كلُّ واحد منهم مصحَفاً خاصاً لنفسِه جاء ذكرُه في الكتب مثل مصحَف الإمام عليّ بن ابي طالب، مصحَف ابن مسعود، مصحَف أبي بن كعب، مصحَف زيد.

ولقد وصف ابن النديم أُولئك بالعبارة التالية: الجُمّاع للقرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد (رضى الله عنه) أبو الدرداء، عويمر بن زيد (رضي الله عنه) معاذ بن جبل بن أوس (رضي الله عنه) أبو زيد بن ثابت بن الضحّاك[1].

ولقد كانت مصاحفهم جامعة لجميع آيات القرآن وسُوَره، ولكنها كانت تعاني من مشكلتين:

المشكلة الأولى: أنّها لم تكن في هيئة كتاب وأوراق مرتبة، وصحائف منظمة، بل كانت في صورة ألواح متفرقة ومتعدّدة.

المشكلة الثانية: أنه كانت مختلفةِ من حيث ترتيب السُور، والتقديم والتأخير فيها.

الصورة الثانية:

استظهار وحفظ القرآن: فقد كان أصحاب رسول الله يهتمون بحفظ القرآن الكريم إهتماماً كاملًا، وقد كان كثيرٌ منهم يحفظون القرآن، وكان فيهم من كان حافظاً للقرآن باجمعه، وكان حُفّاظ القرآن يُعَدُّون بحفظهم للقرآن الكريم من وجوه الأُمة الإسلامية آنذاك وخير سند للقرآن الكريم؛ فقد كان هؤلاء يقرأون القرآن الكريم من على ظهر القلب، ويعلمونه للآخرين أيضاً، وكان الصَحابة

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٤٧.

يرجعـون إليهم في مواضـع الحاجة، وحتى الجامعون للقرآن كانوا يرجعون إليهم لتكميل مصاحفهم ونسخهم.

لقد جُمعَت آيات القرآن الكريم في حياة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله، وحوفِظ عليها بهاتين الطريقتين ليبقى هذا الكتابُ للمسلمين إلى الأبد.

المرحلة الثانية في عهد ابي بكر

إنّ القرآن الكريم بآياته وسوَره كلّها وإن كان قد كتِبَ ودُوّن في ألواح في عهد رسول الإسلام وتحت إشرافه المباشر، كما أن مجموع هذا الكتاب كان محفوظاً ومنقوشاً كله أو بعضه في صدور رجالٍ من الصحابة وأذهانهم وذاكراتهم القويّة، بحيث كان في مقدور المسلمين أن يستفيدوا من آيات ذلك الكتاب السماويّ، ولكن لأجل الإطمئنان، والتاكّد من بقائه، وللمزيد من الحِفاظ عليه وصيانته كان لا بدّ من خطوة جديدة لانه:

أولاً: لم تكن مجموع الآيات والسور القرآنية مدوّنة ومضبوطة في كتاب واحد، بل كانت مفرّقة ومبعترة في ألواح متعددة، ولهذا كان القرآن عرضة للزيادة والنقيصة.

وثانياً: إن حفاظ القرآن الكريم الذين كانوا يشكّلون دعامة قوية لذلك الكتاب السماويّ كانوا في معرض الموت والشهادة، وكأن يخشىٰ أن يُنسىٰ قسم من القرآن الكريم بموتهم وغيابهم عن الساحة كما حدث ذلك في واقعة اليمامة مما حدىٰ بابي بكر تحت وطأة الإحساس بالخطَر إلى أن يأمر بجمع القرآن في نسخةٍ واحدةٍ وموضعٍ واحدٍ.

كتب السيوطي في هذا المجال يقول: زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ ابو بكر مقتلَ أهل اليمامة، فاذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال إنّ القتلَ قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشىٰ أن يستحرّ القتل بالقرّاء في المواطن فيذهب كثيرٌ من القرآن وإني أرى أن تأمرَ بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف

نفعل شيئاً لم يفعله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر هو واللهِ خير، فلم يزل يراجعني حتى شرحَ الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال لي أبو بكر: إنك شابٌ عاقلٌ لانتهمُك وقد كنتَ تكتبُ الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبّعِ القرآنَ فاجْمَعْهُ ..... فتتبعتُ القرآنَ أجمَعه من العُسُب واللخاف وصدور الرجال[١].

بهذه الطريقة كُلّف زيد بن ثابت بأن يجمع الآيات والسور القرآنية بمنتهى الدقة والحيطة في سِفر واحد، فطلب زيد من الصحابة أن يعينوه في جمع القرآن، وأن يعرضوا عليه الآيات والسور القرآنية، ففعل الأصحاب ذلك، ولكن زيداً لم يكتف بمجرّد وجود مكتوب أو قراءة واحد بل كان يقبل ما يشهد شاهدان عادلان بأن هذه الآية من القرآن قد كتِبت عند رسول الله او سُمعَتْ منه.

كتب السيوطيُ يقول: عن الليَث بن سعد أوّل من جَمَع القرآن أبو بكر، وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلّا بشاهِدَي عَدل[٢].

ويكتب السيوطيُ قائلاً ايضاً: قدم عمر فقال: مَن كان تلقّى من رسول الله صلى الله عليه وسلّم شيئـاً من القـرآن فليأت به وكانُوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان[٣].

والجدير بالذكر أنّ زيد بن ثابت الذي كلّف بهذه المهمة الخطيرة جداً كان من الصحابة المعروفين الثقاة الذين كانوا يصلحون لهذه المهمة الجسيمة من كل جهة، لأنه أولاً: كان معروفاً بالإيمان القويّ وشدة التقوىٰ، والأمانة، والعقل والدراية.

وثانياً كان نفسُه حافِظاً لكلّ آياتِ القرآنِ الكريمِ ، وكان قد عرضها برمتها

---

(١) الإتقان ج١ ص ٧٦.

(٢) الإتقان ج١ ص ٧٨.

(٣) الإتقان ج١ ص ٧٧.

على رسول الله (ص) مرتين، وكانت قرائته موضع تأييدٍ منه (ص).

وثالثاً: كان أحد كتّاب الوحي.

ورابعاً: كانت عنده نفسُه أيضاً نسخة من القرآن الكريم، مؤيّدة من جانب النبي (ص).

لقد قام مثل هذا الشخص بجمع كل آيات القرآن في مصحف واحد بدقة كاملة، وبمساعدة من سائر الصحابة، وسلّمه بعد الفراغ منه إلى أبي بكر، وانتقلت هذه النسخة بعد أبي بكر إلى عمر، وانتقلت بعده إلى ابنته حفصة.

جَمْع القرآن بواسطة علي بن أبي طالب عليه السلام

يُستفـاد من كلام بعض المؤرّخين وكذا بعض الأحاديث المروية عن الأئمة المعصـومين من أهل البيت عليهم السلام انّ أوّل من اشتغل بتأليف وجمع القرآن الكريم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، كان هو الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد قام بهذا العمل بناء على وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وتنفيذاً لأمره.

روى أبو بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (الامام الصادق) عليه السلام قال: إنّ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَليهِ وآله قال لِعَلّي عليهِ السَّلام: يا عَليُّ؛ القُرآنُ خَلفَ فراشي في المصحَف والحَرير والقراطيس فخذوه واجمَعُوهُ ولا تضَيّعُوه كما ضَيّعَتِ اليهودُ التوراةَ.

فأنطَلَقَ عليٌّ (ع) فَجَمَعَهُ في ثوبٍ أصفَر، ثم ختم عليه في بيته، وقالَ: لا أرْتدي حتى أجمعهُ، وإن كانَ الرَجُلُ ليَاتيهِ فيخُرجُ إليه بغير رداء حتى جَمَعَهُ[1].

---

(١) بحارالأنوار ج٢ ص ٤٨.

وروى ابن شهر آشوب عن أبي رافع قالَ: إنّ النَبيَّ صَلّى اللهُ عَليه وآله قالَ في مَرَضِهِ الذي تُوفِّيَ فيه لعليّ عَليه السَلامُ: يا عَليّ هذَا كتابُ اللهِ خذهُ إليك. فَجَمَعهُ عليٌّ (ع) في ثوبٍ فمضىٰ إلى منزِلِه، فلما قُبِضَ النبيُّ صلى الله عَليه وآله جَلَس عليٌّ عليه السَلامَ فألّفه كما أنزلَ اللهُ وكانَ به عالِماً [١].

وروي عن عبد خير عن علي عليه السلام قال: لما قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أقسمتُ، أو حلفتُ أن لا أضَعَ رِدايَ على ظَهري حتى أجمَعَ ما بين اللَوحين، فما وَضَعْتُ رِدايَ حتى جَمَعْتُ القرآن [٢].

وقال ابن سيرين: قال عليٌّ عليه السلام لما ماتَ رَسولُ الله صَلى الله عَلَيه وآله آليتُ أن لا آخُذَ على رِدائي إلاّ لِصلاة جُمَعَةٍ حتى أجمَعَ القرآنَ فجمعتُهُ [٣].

وفي تاريخ اليعقوبي قال: ورَوىٰ بعضُهم أنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان جمَعَه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأتى به على جمل فقال: هذا القرآنُ قد جَمَعْتُهُ [٤].

ولكن من غير الواضح جيّداً ان القرآن الذي جمعه الامام علي عليه السلام كيف كان نمط جمعه وتأليفه، وبماذا كان يمتاز على المصاحف الاُخرىٰ بيد أنه يمكن القول إجمالاً بأن الفرق بينه وبين سائر المصاحف لم يكن قطعاً من جهة عدد الآيات والسور، ولا من جهة الزيادة والنقيصة، أو التغيير والتبديل، لأنه ثبت بالأدلة القطعية عدم حدوث التحريف أو التغيير أو الزيادة والنقصان في القرآن الكريم.

فاذن لو كان هناكَ تفاوت بين القرآن الذي جمعه الإمام علي عليه السلام وبين

---

(١) المناقب لابن سهر آسوب ج٢ ص ٤١.

(٢) المناقب لابن سهر آسوب ج٢ ص ٤١.

(٣) الإتفان في علوم الفرآن ج١ ص ٧٧.

(٤) تاريخ اليعفوبي ج٢ ص ١٣٥.

سائر المصاحف لوجَبَ أن يكون في إحدى الجهات والنواحي التالية:

١ ـ الآيات والسور في مصحف عليٍ جُمِعَت على حسب الترتيب في النزول، وربما كان بعضها حسب أمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢ ـ في الآيات التي وقع فيها النسخ والانتساخ أثبتَ الناسخُ منها عقيبَ المنسوخ.

٣ ـ الآيات أُثبِتَت حسب قرائة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٤ ـ التفاسير والمواضيع والتوضيحات التي سمعها من رسول الله (ص) في تفسير الآيات المحكمة أو المتشابهة، أو حول شأن نزولها، أثبتها الأمام في هوامش مصحَفِه أو في ألواح مستقلّة.

ولكن يجب التذكيرُ بأنّه لا يُوجَد عند الشيعة غير القرآن الموجود الآن في أيدي المسلمين .. فنحن لا نعترف بقرآن نزل على رسول الله (ص) غير هذا القرآن المتداوَل اليوم، من أقصى البلاد الاسلامية الى أقصاها ولا نتلوا في الصلاة غيره، وهو وحده الذي نستفيد من علومه، ونعمل وفقه، وندعوا اليه.

المرحلة الثالثة

والمرحلة الثالثة والأخيرة في عملية جمع وتأليف القرآن كانت في عهد خلافة عثمان بن عفان فقد كتبوا عن سبب هذا الإقدام: ان حذيفة بن اليمان قدِمَ على عثمان وكان يغازي أهلَ الشام في فتح أرمنية وآذربيجان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافُهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأُمة قبل أن يختلفوا في الكتاب إختلاف اليهود والنصارىٰ[1].

---

(١) جامع الأُصول ج٣ ص ٥٧.

لقد كانت الأُمة الاسلامية في ذلك الزمان تعاني من اختلافٍ شديد بين المصاحف التي كانت بايدي الناس وكان هذا الإختلاف في جهتين:

إحداهما في تقديم وتأخير وتنظيم الآيات والسور، والأُخرىٰ في اللهجات وطرائق التلفظ للألفاظ، وكيفية كتابة الحروفِ، والقراءات.

لقد كان هذا الإختلاف ناشئاً من تعدّد نسخ القرآن الكريم واختلاف القراءات، وتنوّع اللهجات، لأنه وإن أُعِدّت في عهد أبي بكر نسخةٌ كاملةٌ ومنظمة من القرآن الكريم، وكانت تلك النسخة موجودة عند أبي بكر ثم انتقلت إلى عمر ثم الى حفصة لكنها لم تكن نسخة مهيَّأة للجميع بلْ كان القرآن المنتشر بين الناس هو المأخوذ من تلك النسخ التي كتبت في عهد رسول الله، والتي كانت يختلف بعضُها عن بعض من حيث تقدّم وتأخر ونظام السور والآيات، ولهذا انتشرت بين الناس في البلاد الاسلامية مصاحف مختلفة، وكان كل جماعة يدافع عن مصحفه، ويفضّله على غيره من المصاحف الموجودة في أيدي الآخرين، هذا مضافاً إلىٰ أنه حيث كان العرب ذوي لهجات مختلفة لهذا اختلفوا في القراءات وضبط الكلمات والحروف أيضاً.

لقد شاهَد حذيفةُ مثل هذا الموضوع، وأحس بالخطر، وفاتح عثمان لدى رجوعه بهذا الموضوع وطلب منه أن يفكِرّ في مخلص من هذه المشكلة، وأحس عثمان هو الآخر بالخطر وقرر أن يضع حداً لهذه الإختلافات، ولهذا دعىٰ زيد بن ثابت الذي كان قد كُلّفِ في عهد أبي بكر بمهمّة جمع القرآن أيضاً، وكان أحد العارفين بشؤُونه، وفاتحه بهذا الأمر وطلب منه أن يهيّء مصحفاً جامعاً وكاملاً .. وأخذ المصحف الذي أُعدّ في زمن أبي بكر من حفصة وأعطاه لزيد، وأمر عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمان بن الحارث أيضاً بأن يساعدوا زيداً في هذه المهمة وقال لهم: أُنظروا في هذا المصحَف بدقة واضبطوا حروفَه وكلماتِه، وتلفّظ لغاته، وصحة كتابته بعناية، وأعدّوا نسخةً صحيحةً للقرآن واذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من

القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنّه إنما نزل بلسانهم[١].

فقامت اللجنة المذكورة في عام ٢٥ هجرية بهذه المهمة، فجعلت نسخة ابي بكر من القرآن هي الأصل وكانوا يقرأون عليها، ويستفيدون من بقية النسخ الأُخرى أيضاً، فكان سعيد بن العاص الذي يشابه النبي (ص) لهجةً، يقرأ ويملي، ويكتب زيد المصحف طبقاً للهجته وتلفّظه.

وبعد فترة أحسَّت هذه اللجنة بالحاجة إلى مساعدين أكثر فدعت ثمانية من كبار الصحابة فصار مجموعُهم اثني عشر شخصاً[٢]، وكان أُبي بن كعب أحدهم وكان يملي أحياناً، وربما يستفيد أحياناً من نسخ المصاحف الأُخرىٰ أيضاً.

وكانوا يرجعون في مواضع الاختلاف إلى سائر الصحابة، ويكتبون وفق ما يشهد به شاهدان ويقدمون لسان قريش، وربما استفادوا من آراء علي عليه السلام أيضاً[٣].. وكان عثمان يشرف بنفسه على عملهم ويتعاهدهم ..

وبهذه الطريقة تمّت عملية تحقيقية دقيقة وجماعية في صعيد إعداد مصحفٍ إمامٍ حتى نظّمت نسخة كاملة ودقيقة من الكتاب العزيز (القرآن) ثم قوبلت هذه النسخة، وعُرِضت عدّة مرات.

ثم أمَرَ عثمان ـ بعد ذلك ـ بإعداد نسَخٍ أُخرى طبقاً لهذه النسخة المصحَّحة المنظَّمة وإرسالها إلى المدن والبلاد الإسلامية الكبرى كالكوفة والبصرة، والشام، والمدينة وأمر بأن تجمَعَ النسخُ الأُخرى من أيدي الناس، وتُعدَم حتى يقرأ الناس بوجه واحد .. وهكذا تحقّق وعدُ الله تعالى اذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

---

(١) جامع الاصول ج٣ ص ٥٧.
(٢) الإتقان ج١ ص ٧٩.
(٣) الإتقان ج١ ص ٧٩.

لحافِظُونَ﴾[١] ويقول: ﴿لايَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢]. وبقي القـرآن الكريم بجميع آياته وسوره سليماً من كل تحريف وتغيير مصـوناً من كلّ زيادة ونقصان، ليستفيد منه المسلمون في توفير سعادتهم الدنيوية والأُخروية إلى يوم القيامة.

فَكِّروا وأَجيبوا

١ ـ متى وفي عهد مَن تمّ جمع القرآن الكريم وكيف؟

٢ ـ من كان الجامعون للقرآن في عهد رسول الله؟

٣ ـ لماذا فكّر أبو بكر في جمع القرآن؟

٤ ـ ماذا كانت طريقة زيد في جمع القرآن؟

٥ ـ لماذا فكّر عثمان في جمع القرآن؟

٦ ـ لماذا كانت إعادة النظر في تنظيم المصحف بصورةٍ جماعيةٍ أمراً ضرورياً؟

٧ ـ ماذا كانت طريقة زيد في جمع القرآن؟

٨ ـ إلى أين بعث عثمان النسخ المكتوبة وفق النسخة الجديدة للمصحف؟

* * *

---

(١) الحجر ـ ٩.

(٢) فصلت ـ ٤٢.

الدرسُ الحادي والثلاثون

لمحاتٌ من أخلاقِ رَسولِ الاسلام

كان رسولُ الاسلام صلى الله عليه وآله في أعلى مرتبةٍ من مراتب الإنسان الكامل من حيث الأخلاق .. لقد كان متصفاً بجميع الصفات الإنسانية الحميدة، ومنزهاً من جميعَ الصفات الذميمة القبيحة .. كان مظهراً كاملاً للأخلاق القرآنية، كما صرحت بذلك عائشة وغيرها مراراً.

قال أبو الدرداء: سألتُ عائشة عن خُلُق رسول الله. فقالت: كان خُلُقهُ القرآن يرضىٰ لرضاه ويسخَط لسَخَطه[1].

لقد كانت أخلاقهُ رائعةً وحسنةً جدّاً إلى درجة أنّ القرآنَ الكريمَ قال في حقّه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] ونحن لا نستطيع أن نشرح في هذه الصفحات القلائل تلك الأخلاقِ العظيمةِ التي كان يتحلّى بها رسولُ الاسلام محمّد صلى الله عليه وآله، غير أننا نُشِير إلى جانبٍ منها:

---

(١) البداية والنهاية.

(٢) القلم ـ ٤.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كانَ إذا وَصَف رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال: كان أَجوَدَ الناس كَفّاً، وأَجْرَأَ الناس صَدْراً، وأصدَق الناس لهجةً، وأوفاهُم ذمّة وأَليَنهم عريكةً وأكرَمهم عِشرةً، ومَن رآه بَديهةً هابَهُ، ومَن خالطَهُ فعَرَفهُ أحبّهُ، لم أَرَ مثلَهُ قبلَه ولا بَعدَه[١].

وعن أنس قال: كانَ رسول الله أحسنَ الناس خلقاً وارجح الناس حلماً، وكان أسخى الناس كفاً ما سُئِل شيئاً فقال: لا[٢].

وعن عائشة قالت: لم يَكنِ النبيّ صلى الله عليه وسلّم فاحِشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً بالأسواق ولا يجزي بالسَيِّئة السَيئة ولكنْ يَعفو ويَصفح[٣].

وعن هند بن أبي هالة قال: كانَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشر سَهلَ الخُلُق، ليّنَ الجانب، ليس بفظّ ولا غليظٍ ولا صَخّابٍ ولافَحّاش ولا عيّابٍ ولا مَداح، يتغافلُ عمّا لا يَشتَهي، ولا يؤيَس منهُ ولا يخيب فيه مؤمّلُه، قد ترك نفسَه في ثلاث: المراء والإكثار وممّا لا يَعْنيه، وتركَ الناسَ في ثلاث: كان لا يَذمّ أحداً ولايُعَيّره ولا يطلب عورتَه ولا يتكلّم إلاّ فيما يَرجو ثوابه[٤].

وعن أنس بن مالك قال: كنتُ أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ غليظُ الحاشية فأدركه أعرابيٌ فجبذه بردائه جَبْذاً شديداً حتى نظرتُ إلى صفحة عاتِق رسولِ الله فاذا قد أثّرت بها حاشيةُ البُرد من شدَة جَبْذَتِهِ. ثم قال: يا محمد؛ مُرْ لي من مال الله الذي عندك. قال فالْتفت اليه رسولُ الله (ص) فضحكَ ثم أَمَرَ له

(١) بحارالأنوار ج١٦ ص ٢٦٣.
(٢) عيون الأثر ج٢ ص ٣٢٩.
(٣) عيون الأثر ج٢ ص ٣٣٨.
(٤) مكارم الاخلاق ج١ ص ١٣.

بعطاء[١].

الأخلاقُ الاجتماعية

كان رسولُ الاسلام صلّى الله عليه وآله يراعي الأخلاق والآداب الإجتماعية رعايةً كاملةً، كان متواضعاً رحيماً لطيف المعشر .. كان يتعامل مع الناس على قدم المساواة، يحترم الجميع، ويمنحهم حبَّه ولطفَه على السواء، يَسأل عن الغائبِ منهم ويتفقَّـد أحـوالَـه، ويعـودُ مريضَهم ويتعاهَده بالزيارة .. يسلّم عَليهمْ ويصافحهم، ويخاطِبُهم بأحسن الأسماء، ويكنيهم بأفضل الكنىٰ.

قالوا في حقه: كان أشدَّ الناس تواضُعاً على منصَبه .. خرجَ على قومٍ من أصحابهِ فقامُوا له فقال: لا تقُوموا كما تقُوم الأعاجِمُ يعظّمُ بعضها بعضاً. وقال: إنما أنا عبدٌ آكُلُ كَما يأكلُ العبدُ وأجلِسُ كما يجلِسُ العبدُ وكانَ يركبُ الحمارَ، ويردِفُ خَلْفَهُ، ويَعُودُ المسَاكينَ، ويُجالِسُ الفقراءَ وَيُجيبُ دعوةَ العبدِ، ويَجْلسُ بَين أصحابهِ حَيثما انتهىٰ به المَجْلسُ جَلَسَ[٢].

ويكتبـون عنه: وكان يمازِحُ أصحابه ويخالِطُهم، ويحادثُهم ويداعبُ صبيانَهم، ويجلسُهم في حجـره، ويجيبُ دعوةَ الحرّ والعبد، والأمة والمسكين، ويعودُ المرضىٰ في أقصى المدينةِ ويقبلُ عذر المعتذر[٣].

ويكتبون: ولم يُرَ مُقَدماً رُكبتيه بين يَدَيْ جليسٍ له، وكانَ يَبدأ من لَقيَهُ بالسَلام وَيبدأ أصحابَه بالمصافَحَة، ولم يُرَ قط مادّاً رجلَيْه بينَ أصحابهِ حتى يضيّق بهما عَلى أحَدٍ، يُكرمُ مَنْ يَدْخُلُ عليه، وربما بَسَطَ له ثوبَه، ويؤثِرهُ بالوسادة التي تحته ويعزم عَلَيْه في

---

(١) البداية والنهاية ج٦ ص ٤٣.

(٢) عيون الأثر ج٢ ص ٣٣٣.

(٣) عيون الأثر ج٢ ص ٣٣١.

الجلوس عَلَيَها إن أبىٰ، ويكنّي أصحابَه ويدّعوهُمْ بأحَبّ أسمائِهِمْ تَكرمَةً لهم، ولا يقطعُ على أحَدٍ حَديثَه[١].

عن ابن مسعود قال: أتى النبيَ رَجُلٌ يكلّمه فارعد فقال هوّن عليك فلستُ بِمَلِكٍ، انما انا ابن امرأة تأكل القدّ[٢].

عن أبي ذر قال: كانَ رسولُ الله يَجلسُ بينَ ظَهْرانيّ أصْحابِهِ فيجيءُ الغَريبُ فلا يَدري أيّهم هُوَ حتى يسأل[٣].

عن أنس قال: إنّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلّم مَرَّ على صِبيان فَسَلّمَ عليهم[٤].

عن أنس قال: كانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إذا فقد الرجلٍ من إخوانه ثلاثة أيّام سألَ عنه فان كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زارَه، وان كان مريضاً عادَه[٥].

عن عائشة قالت: ما ضَرَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم خادماً ولا إمرأة ولا ضَرَبَ بيدِهِ شيئاً قط إلّا أنْ يجاهد في سبيل الله[٦].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانَ رسول الله صلى الله عليه وآله يُقَسّم لحظاتِهِ بين أصحابِهِ ينظر إلى ذا وينظُرُ إلى ذا بالسويّة[٧].

إن من أهمّ عوامل إنتصار رسولِ الله ونجاحِهِ في دعوته هو أخلاقُهُ الكريمةُ

---

(١) عيون الأثر ج٢ ص ٣٣١.

(٢) بحارالأنوار ج١٦ ص ٢٢٩.

(٣) بحارالأنوار ج١٦ ص ٢٢٩.

(٤) عيون الأثر ج٢ ص ٣٣٤.

(٥) مكارم الأخلاق ج١ ص ١٩.

(٦) الطبقات الكبرى ج١ ص ٣٦٧.

(٧) بحارالأنوار ج١٦ ص ٢٨.

هذه، كما يصرّح بذلك القرآن الكريم اذ يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١].

أخلاقُ النبي في بيته

كانَ رسولُ الله (ص) رحيماً بأهله واولاده، حَسِنَ الأخلاق معهم جداً .. كان يظهر محبّته لهُمْ ويلاطفهُم .. يتحَدث إليهم، ويضحك .. يداعب الأطفال والصبيان ويلاعبُهم ... يداريهم ويغفر لهم زلّتهم، ويساعدهم في أعمالهم المنزليّة .

عن أنس بن مالك قال: كان صلّى الله عليه وسلّم في بيته في مهنة أهله ... يحلبُ شاتَه ويخصِفُ نعلَهُ ويخدمُ نفسَه، ويعلفُ ناضِحَه، ويقمُّ البيت، ويعقِلُ البعير، ويأكل مع الخادم، ويعجنُ معها ويحمل بضاعته من السوق[٢].

عن أنس خادمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم قال: خدمته في السَفَر والحَضَر، والله ما قال لي لِشيء صَنَعْتُه: لم صَنَعْتَ هذا هكذا؟ ولا لِشيء لم أصنَعْهُ لِمَ لمْ تصنعْ هذا هكذا؟[٣].

عن عمرة قالت قلتُ لعائشة: كيف كانَ رسول الله في أهله؟ قالت: كانَ ألينَ الناسِ، وأكرمَ الناس، وكان ضحّاكاً بَساماً[٤].

عن جابر قال: دخلتُ على النبي صلى الله عليه وآله والحسن والحسين على

---

(١) آل عمران ـ ١٥٩.

(٢) عيون الأثر ج٢ ص ٣٣٤.

(٣) البداية والنهاية ج٦ ص ٣٩.

(٤) البداية والنهاية ج٦ ص ٤٦.

ظَهره وهو يجثُو لهما ويقول: نِعمَ الجَمَلُ جَمَلُكما ونِعْمَ العِدْلانِ أنتما[1].

زهـــدُ النبي

لقد كانت حياة نبيّ الإسلام حياةً بسيطةً خاليةً من التشريفات، كان يعيش في بيت متواضع من الطين، يجلس على الأرض، وكان فراشُه عبارة عن قطعةٍ من الحصـير، كان طعـامُه وطعامُ أهله غالباً من خبز الشعير والتَمر، كان لباسهُ عاديّاً وبسيطاً .. وكان يخيط بنفسه ثوبَه ويخصف بنفسه نعلَه، ويرقعه.

ما كان رسولُ الله يخالف العملَ والسعيَ، وتحصيلَ المال من حلال، والتوسعة على العيال في حياة المسلمين .. ولكن حيث أن أوضاع المسلمين الإقتصادية كانت يومذاك أوضاعاً صَعبة، وكان الفقراءُ والمعدمين كثيرين، لهذا كان النبي الذي تولى زعـامـة الأُمّة يسعى بأن لا تتميّز حياتُه وحياةُ أهله على حياة الفقراء والمحرومين ليسهل تحمل الصعاب والمشقات على الآخرين.

كان رسولُ الاسلام يقسّمُ أموالَ بيت المال بين المسلمين بالسويّة، وعلى أساس من العدل الكامل، ولم يخصّ نفسَه وأقرباءَه كذلك بسهم أكثر من سهم الآخرين بل طالَما كانَ يُؤثرُ الآخرين على نفسِه، ويهب قِسماً من نصيبه للفقراء.

ولقد جاء حول زهد النبي: عن ابن عباس قال إن رسول الله صلى الله عليه وآلـه دخـل عليه عُمَـر وهـو على حصـير قد أثـر في جنبـه، فقـال يا نبي الله! لو اتخذتَ فراشاً، فقال: مالي وللدنيا، وما مَثَلي ومَثَلُ الدنيا إلّا كراكبٍ سارٍ في يوم صائفٍ فاستظلَّ تحت شجرةٍ ساعةً من نهارٍ ثم راحَ وتركَهَا[2].

---

(١) بحارالأنوار ج٤٣ ص ٢٨٥.

(٢) مكارم الأخلاق ج١ ص ٢٥.

وعن عائشة قالت: كان يأتي على آل محمّد الشهرُ ما يوقدون فيه ناراً ليس إلّا التمرُ والماءُ إلّا أن يُؤتىٰ باللحم[١].

وقال ابن عباس كانَ يبيت هو وأهلُه الليالِيَ المتتابعَةَ طاوِياً لا يجدون عشاءً[٢].

وعن عائشة قالَتْ: قد مَضىٰ رسولُ الله (ص) لِسَبيله وما شبعَ أهلُه ثلاثَة أيّام من طعام بُـرّ[٣].

وكتب في عيون الاثر: وقد توفّي ودرعُه مرهونةٌ عِند يهوديّ في نَفَقَةِ عِيالِهِ[٤].

عبادة النبيّ

كان رسولُ الله الذي يرغّبُ النّاسَ في العبادةِ والتوَجّهِ إلى الله أفضلَ الناس في هذا الجانب أيضاً. أي أنّه كان يُصلّي الفرائض اليومية في أوقاتِ فضيلتها في إقبالٍ وحضور قلب.. كما كان ملتزماً بإتيان النوافلِ منَ الصَلاةِ أيضاً ..

كان يقومُ في الثُلث الأخير من اللَيل من فراشه للتهجّد والعبادة، فيقضي ما تَبَقّى من اللَيل في الصلاة والدُعاء، وتلاوةِ القرآن والمناجاة .. كان يذكر الله على كل حال، وكان يجتهدُ في العبادَةِ في شهر رمضان، اكثرَ مِن أيّ وقتٍ آخر. وإذا دَخَلَ العشرُ الأخير من هذا الشهر إعتكف في المسجد، واشتغلَ بالعبادةِ، وكان يصومُ في أيّام أُخَر غير شهرِ رمضان .. ولقد بالغَ في الصلاة حتى تورَّمت قدماه الشريفتان فنزل قوله تعالى: ﴿طٰهٰ مَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾[٥].

---

(١) البداية والنهاية ج٦ ص ٥٣.

(٢) عيون الأثر ج٢ ص ٣٣٥.

(٣) البداية والنهاية ج٦ ص ٥٣.

(٤) البداية والنهاية ج٢ ص ٣٣٤.

(٥) طه ـ ٢/١.

ولقد كتبوا حول عبادته: عن المغيرة بن شُعبة قال: إنّ رسُولَ الله صلى الله عليه وآله: قامَ حتى تفطّرتْ قَدَماهُ فقيلَ له: أليسَ قد غَفَرَ اللهُ لكَ ما تقدّمَ من ذنبكَ وما تأخر؟ قال: أفلا اكونُ عَبْداً شَكُوراً[١].

عن أنس قال: كان رسولُ الله (ص) يُكْثِرُ الذِكرَ ويُقِلّ اللهوَ[٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانَ رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت أُم سلمة فَفَقَدتهُ من الفِراش فدخَلَها في ذلك ما يدخل النساءُ فقامت تطلبُه في جوانب البيتِ حتى انتهتْ إليه وَهُو في جانبٍ قائمٌ رافعٌ يديه يبكي وهو يقول: اللّهمَ لا تَنْزَع مِنّي صالحَ ما أعطيتَني أبَداً. الحديث[٣].

وعن أبي عبدَ الله عليه السلام قال: كانَ رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كانَ العَشْرُ الأواخِر اعتكَفَ في المسجد وضُرِبَ له قبَّة من شَعرٍ وشمَّرَ المئزر وطوى فراشَه[٤].

وعن الحسين بن علي عليهما السلام قال: كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يرفعُ يَدَيهِ إذا ابتهلَ ودعا كما يَستَطعِمُ المسكينَ[٥].

وقال أبو بكر: يا رسولَ الله! أراك شِبتَ؟! فقال: شيّبتني هود والواقعة والمرسَلات وعَمّ يتسائلون واذا الشمس كوّرت[٦].

وعن عبد الله قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: إقرأ عليَّ، فقلتُ: أقرأُ

---

(١) البداية والنهاية ج٦ ص ٦٠.
(٢) البدايه والنهابه ح٦ ص ٤٦.
(٣) بحارالأنوار ج١٦ ص ٢١٧.
(٤) بحارالأنوار ج١٦ ص ٢٧٣.
(٥) بحارالأنوار ج١٦ ص ٢٨٧.
(٦) البدايه والنهايه ج٦ ص ٦١

عليكَ وعَليك أُنزلَ. فقال: أُحبّ أن أسمعه من غيري. قال: فقرأتُ سورة النساء حتى إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إذا جئْنا منْ كُلّ أُمَّةٍ بِشَهيْدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤلاَءِ شَهيْداً﴾ قال: حَسْبُكَ: فالْتَفَتُّ فإذا عَيْناهُ تَذْرفان[1].

وعن أبي ذرّ قال: إنَّ رَسُولَ الله صَلّى الله عَلَيْه وَسَلّمَ قامَ لَيلةً حتى أصبحَ يَقْرَأُ هذه الآيَة: ﴿إلاّ تُعَذِبْهُمْ فَإنّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإنَّكَ أنْتَ الْعَزيزُ الحَكِيْمُ﴾[2].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ أذكروا تفاصيل أخلاق النبيّ (ص).

٢ ـ أذكروا تفاصيل سيرة النبي مع أصحابه.

٣ ـ ماذا كان أهمّ عامل وراء نجاح النبي؟ ولماذا؟

٤ ـ كيف كانت سيرة النبي في بيته ومع أهله؟

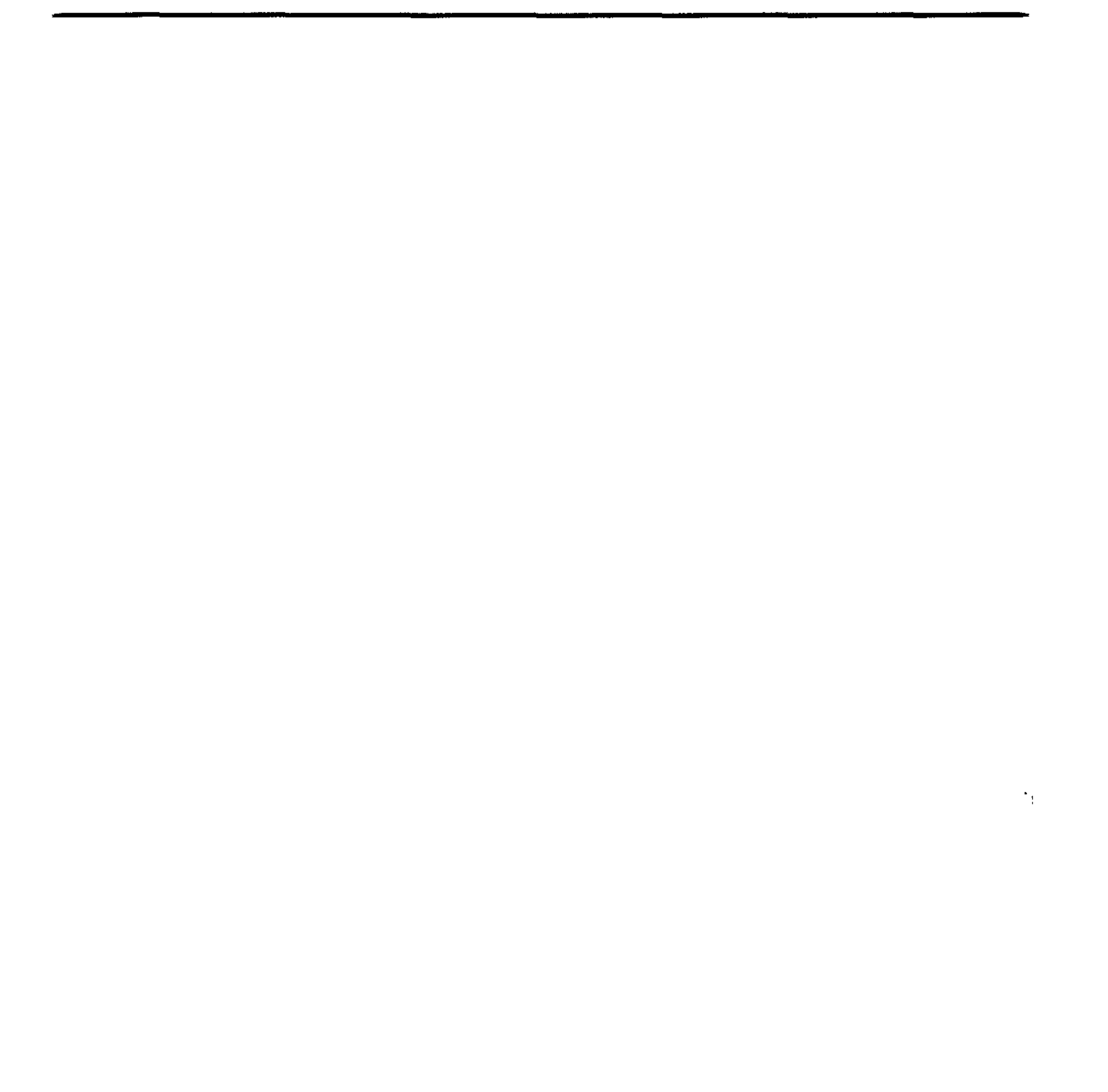
٥ ـ لماذا حاولَ النبي أن تكون حياته حياة بسيطةً؟

٦ ـ وضّحوا عبادات النبي (ص).

* * *

(١) البداية والنهاية ج٦ ص ٦٥.

(٢) البداية والنهايه ج٦ ص ٦٥.



الفصل الثالث

من المعارف الاسلامية

الدرسُ الثاني والثلاثُون

الإسلامُ والإيمــانُ

الإسلام يعني في اللغة الإنقياد والتسليم وقد أُطلق في الإصطلاح على الدين الّذي جاء به النبيُّ محمّد صلى الله عليه وآله .. وإنما يسمّىٰ هذا الدين بالاسلام لأن أتباعَه ومعتنقيه سَلّموا أمرهم إلى الله، وقبلوا بالتعاليم والقوانين السماوية قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيْناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيْفاً وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْراهِيْمَ خَلِيلاً﴾[1].

ويُستفاد من القرآن الكريم أن النبي إبراهيم عليه السلام كان مُسلماً هو ايضاً، وأنه سأل الله تعالى أن يَهَبَه ذريّةً مسلمةً وهو الّذي سمّى أتباع النبي محمد (ص) بالمسلمين.

﴿مَا كَانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيْفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾[2].

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ

(١) النساء ـ ١٢٥.

(٢) آل عمران ـ ٦٧.

عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١].

﴿وَجَاهِدُوا فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ الآية[٢].

ومع أن الدين الاسلاميّ يشبه ـ في أصول المعارف والعقائد وفي بعض الأحكام ـ دين النبي إبراهيم عليه السلام، إلّا أنه مع ذلك دينٌ جديدٌ مستقلٌ ناسخٌ لما سبقه من الأديان والشرائع السماوية.

فهو في أُصول العقائد والمعارف الصيغةُ المتكاملةُ مِنَ الأديان السماوية، كما أنّ أحكام هذه الشريعة وقوانينها هي أكمل وأشمل من قوانين واحكام جميع الشرائع الأُخرىٰ، وحسب نصوص القرآن لو أن الناس أرادوا السعادة الدنيوية والأخروية فانّ عليهم أن يتخذوا الإسلام ديناً ومنهجاً لحياتهم.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللهِ الإِسْلامُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ ٱللهِ فَإِنَّ ٱللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٣].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[٤].

وكلُ من اعترف بوجود الله تعالى، وشهد بوحدانيته، وبالمعاد واليوم الآخر، وبرسالة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عُدَّ من جماعة المسلمين، وكان له بعض مالهم من مزايا الاسلام كالطهارة وجواز النكاح، والتوارث، وحرمة النفس والمال والعرض.

فعن القاسم الصيرفي عن شريك المفضّل قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه

---

(١) البقرة ـ ١٢٨.

(٢) الحج ـ ٧٨.

(٣) آل عمران ـ ١٩.

(٤) آل عمران ـ ٨٥.

السلام يقول: الإسْلامُ يُحقَن به الدمُ وتؤدّى به الأمانةُ وتُستَحلُّ به الفُروج، والثوابُ على الإيمان[1].

ولكن هذه الشهادات ما لم تنبع من القلب بل كانت مجرّد لقلقة لسان، دون أن تقترن بالعمل، لم يكن إسلام صاحبها إسلاماً كاملًا ولم يسعد الإنسان بها، ولهذا جاء في الأحاديث أن العمل بالفرائض يعدّ من اركان الاسلام.

روى ابو حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: بُنِيَ الاسلامُ على خَمسٍ: عَلى الصَلاةِ والزكاةِ والصَومِ والحجِ والوِلايَة ولِم يُنادَ بشيء كما نودي بالولاية[2].

الايمان ـ الإيمان يعني في اللغة طمأنينة النفس وزوال الشك والخوف عنها. ويطلَق في الاصطلاح على إذعان النفس ويقينها بوجود الله تعالى ووحدانيته واليقين بوجود العالم الآخر، والتصديق القلبي بحقانية نبوّة رسول الله ورسالته، ويستلزم مثل هذا الايمان التصديقَ باللسان، والعمل بالواجبات والوظائف الدينية.

كتب الراغب في معنى الايمان يقول: يُراد به إذعان النفس للحق على سبيل التصديق وذلك باجتماع ثلاثة أشياء: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بحسب ذلك بالجوارح[3].

إن أصل الإيمان وحقيقته هو الإعتقاد واليقين القلبي ولكن الشهادة القولية والإقرار باللسان كاشف عنه، والإتيان بالفرائض وترك المحرمات من لوازمه.

قال في القرآن الكريم: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

(١) الكافي ج٢ ص ٢٤.

(٢) الكافي ج٢ ص ١٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٢٦.

خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

روى محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قالَ سألته عن الإيمان؟ فقال: شهادة أن لا إلَه إلّا الله وأنّ محمّداً رسولُ الله والإقرار بما جاءَ مِن عندِ الله وما استَقَرَّ في القُلُوبِ مِنَ التصديق بذلك. قال قلت: الشَهادة أَلَيْست عَمَلًا؟ قال: بلىٰ قلت: العملُ من الإيمان قال: نَعَمْ، الايمان لا يكون إلّا بِعَمَل والعَمَل مِنْهُ وَلا يَثْبُتُ الإيمانُ إلّا بِعَمَلٍ[٢].

في الايمان تتحقق ثلاثة أُمور:

الأوّل: اليقين بالله والإطمئنان القلبّي بوجودِ الله ووحدانيته وحقانية المعاد وعالم الآخرة، وحقانيّة الرسالة المحمدية.

الثاني: الشهادة القوليّة، والإقرار اللِساني بهذه المعتقدات.

الثالث: العَمَل بالوظائف والتكاليفِ الشَرعية الذي هو لازمُ الإعتقاد الوِجداني والإيمان القلبي.

وعلى هذا الأساس فإنَ الإيمان أعلى دَرَجةً من الإسلام، لأنّه لا يُشتَرَط في تحقّق الإسلام، اليقينُ والإذعانُ القلبيّ، ولكن يشتَرَط ذلك في تحقق الإيمان.

كل مؤمن مسلمٌ، ولكن ليس كلّ مسلم مؤمناً، وقد أُشير إلى هذا الموضوع في الأحاديث الشريفة أيضاً:

قالَ سَماعَةَ: قُلْتُ لأبي عَبْدِ الله عليه السلام: أَخْبِرْني عَنِ الإسْلامِ وَالايمانِ أَهُما مُخْتَلِفانِ؟ فَقالَ: إنَّ الايمانَ يُشارِكُ الإسْلامَ وَالإسْلامَ لايُشارِكُ الايمانَ، فَقُلْتُ:

---

(١) المجادلة ـ ٢٢.

(٢) الكافي ج٢ ص ٣٨.

فَصِفْهُما لي، فَقالَ: اْلإِسْلامُ شَهادَةُ أَنْ لا إله إلَّا الله وَالتَّصْديقُ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلّم، بِهِ حُقِنَتِ الدِّماءُ وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَناكحُ وَالْمَواريثُ وَعَلىٰ ظاهِرِهِ جَماعَةُ النّاس ، وَالْايمانُ: الْهُدىٰ وَما يَثْبُتُ في الْقُلوُبِ مِنْ صِفَةِ الإسْلامِ وَما ظَهَرَ مِنَ الْعَمَلِ بِـهِ، وَالْايمانُ أَرْفَعُ مِنَ الإسْلامِ بِدَرَجَةٍ، إنَّ الْايمانَ يُشارِكُ الإسْلامَ في الظّاهِرِ وَالْإِسْلامَ لا يُشارِكُ الْايمانَ في الْباطِنِ وَإنِ اجْتَمَعا في الْقَوْلِ وَالصِفَةِ[1].

وقد أُشير في القرآن الكريم إلى هذا الفرق والتفاوت بالذات إذ قال تعالى:

﴿قَالَتِ ٱلأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلٰكِنْ قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيْعُواْ ٱللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيْمٌ﴾[2].

قال جَميل بْن دَرّاج: سَأَلْتُ أَبا عَبْدِ الله عليه السّلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: **﴿قَالَتِ ٱلأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُمْ﴾** فقالَ لي: ألا تَرى أَنَّ الْايمانَ غَيْرُ الإسْلامِ[3].

وعن حُمْرانَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبي جَعْفَرٍ عليه السّلام قالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: الايمانُ مَا اسْتَقَرَّ في الْقَلْبِ وَأَفْضىٰ بِـهِ إلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ بِالطّاعَةِ للهِ وَالتَّسْليمُ لأَمْرِهِ وَالإسْلامُ ما ظَهَرَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ وَهُوَ الَّذي عَلَيْهِ جَماعَةُ النّاسِ مِنَ الْفِرَقِ كُلِّها وَبِـهِ حُقِنَتِ الدِّماءُ وَعَلَيْهِ جَرَتِ الْمَواريثُ وَجازَ النِّكاحُ وَاجْتَمَعُوا عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ، فَخَرَجُوا بِذلِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَاُضيفوُا إلَى الْايمانِ؛ وَالإسْلامُ لا يَشْرَكُ الْايمانَ وَالْايمانُ يَشْرَكُ الاسْلامَ وَهُما في الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ يَجْتَمِعانِ، كَما صارَتِ الْكَعْبَةُ فِي الْمَسْجِدِ وَالْمَسْجِدُ لَيْسَ في الْكَعْبَةِ وَكَذٰلِكَ الْايمانُ يَشْرَكُ الإسْلامَ وَالاسْلامُ لا

---

(١) الكافي ج٢ ص ٢٥.

(٢) الحجرات ـ ١٤.

(٣) الكافي ج٢ ص ٢٤.

يَشْرَكُ الايمانَ وَقَدْ قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قالَتِ الأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنوُا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمّا يَدْخُلِ الايمانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فَقَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَصْدَقُ الْقَوْلِ[١].

إن أصل الإيمان ليس إلّا حقيقة واحدة وهي التصديق القلبي الجازم الذي يعد واجده مؤمناً، وفاقده خارجاً من زمرة المؤمنين ولكنها حقيقة قابلة للزيادة والنقصان، وذات مراتب ودرجات متفاوتة. وقد أُشير إلى هذا في القرآن والاحاديث.

فقد قال تعالى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّما ٱلمؤمِنُونَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إِيماناً وَعَلىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٢].

قالَ عَبْد الْعَزيز الْقَراطيسيّ: قالَ لي أَبوُ عَبْدِ الله عليه السلام: يا عَبْدَ الْعَزيز إِنَّ الايمانَ عَشَرُ دَرَجات بِمَنْزِلَةِ السُّلَّمِ يُصْعَدُ مِنْهُ مِرْقاةً بَعْدَ مِرْقاةٍ فَلا يَقولَنَّ صاحِبُ الاْثْنَيْنِ لصاحِبِ الْواحِدِ: لَسْتَ عَلىٰ شَيْءٍ، حَتّى يَنْتَهيَ إِلىَ الْعاشِرِ، فَلا تُسْقِطْ مَنْ هُوَ دوُنَكَ فَيُسْقطكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، وَإِذا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكَ بِدَرَجَةٍ فَارْفَقْهُ إِلَيْكَ بِرِفْقٍ وَلا تَحْمِلَنَ عَلَيْهِ مالا يُطيقُ فَتُكَسِّرَهُ، فَانَّ مَنْ كَسَّرَ مُؤمناً فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ[٣].

وعلى هذا الأساس فانّ المؤمنين من حيث الإيمان على دَرجات ومراتب متفاوتة جداً وينبع مدى إلتزامهم بإتيان الفرائض والنوافل الدينية، واجتناب المحارم والمكروهات من مقدار إيمانهم.

ولقد كتب العلاّمة محمد باقر المجلسي في هذا الصدد يقول:

الحقُّ أنَّ الايمان يقبل الزيادة والنقصان سواء كانت الأعمال أجزاءه أو شرائطه أو آثاره الدالّة عليه، فانَّ التصديق القلبيَّ بأيِّ معنى فُسرّ لا ريب أنّه يزيد وكلّما زاد زادت آثاره على الأعضاء والجوارح، فهي كثرة وقلّة تدلُّ على مراتب الايمان

(١) الكافي ج٢ ص ٢٦.

(٢) الانفال ـ ٢.

(٣) الكافي ج٢ ص ٤٥.

زيادة ونقصاناً، وكلٌّ منهما يتفرَّع على الاخر فانَّ كلَّ مرتبة من مراتب الايمان تصير سبباً لقدر من الأعمال يناسبها، فاذا أتى بها قوي الايمان القلبيُّ وحصلت مرتبة أعلى تقتضي عملاً أكثر، وهكذا ..... فاذا ارتكب المؤمن الكبائر نقص إيمانه وفارقه روح الايمان وحقيقته، وكيف يؤمن بالله وبالمعاد وبالجنّة والنّار ويرتكب ما أخبر الله بأنّه موجب لدخول النار، فلا يكون ذلك إلاّ لضعف في اليقين[1].

فكِّروا وأجيبوا

١ ـ كيف وبماذا يتحقق إسلام الشخص؟

٢ ـ ما هي الآثار المترتبة على الإسلام؟

٣ ـ ما هي أُسس الاسلام وقواعده؟

٤ ـ كيف يتحقق الإيمان؟

٥ ـ ما هي الأشياء التي توجد في الايمان؟

٦ ـ ما هو الفرق بين الايمان والإسلام؟

٧ ـ هل الإيمان قابلٌ للزيادة والنقصان؟ وما الدليل على ذلك؟

٨ ـ ماذا ينبع الإتيان بالفرائض واجتناب المحارم؟

* * *

---

(١) بحارالأنوار ج٦٩ ص ٢١٠.

الدرسُ الثالث والثلاثون

الكُــفْر

الكُفْر في اللُغة سَتر الشيء وإخفاؤه، وفي إصطلاح الشرع ما يقابل الإسلام .. ولقد قرأتم في الدرس السابق أنّ الذي يؤمن بوجود الله وتوحيده، وبنبوّة رسول الإسلام، وشهد بحقانية المعاد عُدّ مُسلماً، والكافر ما يقابل ذلك .. وعلى هذا فإنّ كلّ مَن ينكر هذه الأُمور الأربعة أو أحدها يعدُّ كافراً.

إن من ينكر وجودَ الله أو توحيده أو نبوة النبي محمّد، أو ينكر المعاد يصير كافراً.

يقـول تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنْ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً﴾[1].

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ آمِنُواْ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِٱللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيْداً﴾[2].

---

(١) الفتح ـ ١٣.

(٢) النساء ـ ١٣٦.

ويقول: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِيْنَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِٱللهِ شَهِيْداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ﴾[1].

ويقول: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلَهاً آخَرَ لابُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكافِرُونَ﴾[2].

وهكذا الذين يشكّون في أحد هذه الأمور يعدُّون من الكفّار ... يقول في القرآن الكريم:

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِيْنَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْيَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[3].

عن عبدالله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَنْ شَكَ في اللهِ وفي رَسُولِهِ فَهُو كافرٌ[4].

وعن أبي اسحاق الخراساني قال: كانَ أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبته: لا تَرتابُوا فَتَشُكوُّا ولا تَشُكُّوا فتكفُروُا[5].

يُستفاد من الآية والأحاديث المذكورة أن الإنسان يصير كافراً بمجرّد الشك في الله والرسول وإن لم ينكر بلسانه، ولكن يستفاد من بعض الأحاديث أن الشك إنما يوجب الكفر إذا أنكر بلسانه أيضاً.

قال محمد بن مسلم: كنتُ عند أبي عبدِ الله عليه السلام جالساً عن يَساره وزرارة عن يمينه فدخلَ عليه ابو بصير، فقال: يا ابا عبد الله ما تقول فيمن شكَّ في

---

(١) الرعد ـ ٤٣.

(٢) المؤمنون ـ ١١٧.

(٣) الحج ـ ٥٥.

(٤) الكافي ج٢ ص ٣٨٦.

(٥) الكافي ج٢ ص ٣٩٩.

الله؟ فقال: كافرٌ يا محمد! قال: فشكَ في رسولِ الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: كافر. قال: ثم التفت إلى زرارة فقال: إنما يكفر إذا جَحَد[١].

زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو أنّ العبادَ إذا جَهِلوا وقَفُوا ولم يَجحَدوا لم يكفُروا[٢].

وعلى هذا الأساس لو شكّ الانسانُ في وجود الله أو صفاته أو في رسالة رسول الاسلام أو حول المعاد أو حصلت في قلبه شبهةٌ في هذه الأُمور ولكنه لم يُظهر شكه لأحد ولم يعمَد إلى إنكارها بل سَعىٰ لِلتحقيق والبحث بغية إزالة شكّه فيها لم يُحسَب من الكفار.

المُنكرُ للضروريّ من الدين

لقد أُعتُبر إنكارُ أحد الضروريّات من أُمور الدين من أنواع الكفر .. فمن أنكَرَ ضرورياً من ضروريّات الإسلام كوجوب إتباع الشرع، أو وجوب الصلاة وهو يعلم أن هذه الأُمور من أحكام الإسلام القطعية عدَّ من الكفار أيضاً، لأن هذا الإنكار يستلزم إنكار وجود الله، أو إنكار رسالة رسول الاسلام وقد علمتم فيما مضى أن إنكار الله والنبي من مصاديق الكفر.

ولكن لو أنّ أحداً يعتقد بوجود الله والمعاد ونبوة رسول الاسلام ويؤمن بأصل وجوب إتباع الأحكام الإسلامية ولكنه لشبهة حصلت له في حكم من تلكم الأحكام أنكره، لا يمكن أن نعتبره خارجاً عن جماعة المسلمين لأنه يقبل أُصول الإسلام مثل وجود الاسلام وتوحيده، والمعاد ونبوة رسول الإسلام ويعترف بها، ويصدّقها ويشهد بها.

---

(١) الكافي ج٢ ص ٣٩٩.

(٢) الكافي ج٢ ص ٣٨٨.

والخلاصة؛ أنه يمكن تقسيم الكفار إلى عدة أنواع:

١ ـ الملحدون المنكرون لوجود الله.

٢ ـ المشـركون والوثنيّون الذين يسندون التأثير في الكون أو ادارة العالم وتدبيره لغير الله تعالى من الموجودات، ويصلّون ويسجدون ويقربون القرابين لغير الله.

٣ ـ منكرو المعاد وحياة ما بعد الموت.

٤ ـ منكرو نبوة رسول الاسلام، ومن هذا الصنف اليهود والنصارى.

٥ ـ المنكر لضروريّ من ضروريّات الدين، بحيث يؤدي إلى إنكار الله أو النبي.

إن جميع هذه الطوائف كفرة، تترتب عليهم أحكام الكفر[١].

إن الشيعـة الأثني عشـرية ومذاهب أهل السنة الأربعة (الحنفي، المالكيّ، الشافعي، الحنبلي) مسلمون لأنهم يعتقدون ويعترفون بالأصول الأربعة (وجود الله، وتـوحيده والمعـاد والنبـوة) ولكن سائـر الفـرق والمـذاهب الإسـلامية كالزيدية، والإسـماعيلية والغلاة، والمجسّمة والجبرية والمُفوضة. وغيرها من المذاهب إن كانوا ينكرون أحد أُصول الاسلام الأربعة يعني وجود الله او التوحيد او المعاد او نبوة رسول الإسلام ورسالته، عدّوا من الكفار وإلاّ فهم مسلمون، وتترتب عليهم أحكام الإسلام.

كتب الفقيه الكبير آية الله العظمى الإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) في هذا الصدد يقول:

إن المتحصَّل من جميع ما تقدّم أن المحكومَ بالنجاسة هو الكافر المنكر للألوهية أو التوحيد أو النبوة. وخصوص النواصب والخوارج بالمعنى المذكور. وسائر الطوائف من المنتحلين للإسلام أو التشيّع كالزيدية والواقفة والغلاة والمجسّمة والمجبرة والمفوّضة

---

(١) عد علماء الاسلام وفقهاؤه للكفار طوائف أُخرى اعرضنا عن ذكرها رعاية للإختصار.

وغيرهم إن اندرجوا في منكري الأُصول أو في إحدى الطائفتين فلا إشكال في نجاستهم كما يقال: أن الواقفة من النُصّاب لِسائر الأئمة بعد الصادق عليه السلام، ومع عدم الإندراج فلا دليل على نجاستهم، فان بعضَ الأخبار الواردة في كفر بعضهم كقول علي بن موسى الرضا عليه السلام «من شبّه اللهَ بخلقِه فهو مشركٌ ومن نَسَب إليه ما نهىٰ عنه فهو كافر»[١] وقوله عليه السلام: «مَن قال بالتشبيه والجبر فهو كافرٌ مُشركٌ»[٢] وقوله عليه السلام: «والقائلُ بالجَبر كافرٌ والقائلُ بالتفويض مشركٌ»[٣] وغير ذلك فسبيله سبيلُ الأخبار الكثيرة المتقدّمة وغَيرها مما لا يحصىٰ مما أُطلق فيها الكافر والمشرك على كثيرٍ مما يُعلَم عدم كفرهم وشركهم في ظاهر الاسلام وقد حملناها على مراتب الشرك والكفر كما قامت الشواهد في نفس الروايات عليه[٤].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ من هو الكافر؟

٢ ـ هل الشك في الأُمور الأربعة مطلقاً يوجب الكفر؟

٣ ـ في أية صورة يوجب الشكُ الكفرَ، وما هو الدليل؟

٤ ـ في أية صورة يوجب إنكار أحد ضروريات الدين الكفرَ؟

٥ ـ ما هي أصناف الكفار؟ عدُّوهُم رجاءً.

٦ ـ في أية صورة تعد بقية المذاهب الإسلامية من الكفار؟

٧ ـ إحفظوا الآيات في هذا الدرس.

---

(١) بحارالأنوار ج٣ ص ٢٩٤.

(٢) بحارالأنوار ج٥ ص ٥٣.

(٣) وسائل الشيعه ج١٨ ص ٥٥٧.

(٤) كتاب الطهارة ج١ ص ٢٥٧.

الدرسُ الرابع والثلاثون

المُرتَدّ ـ المنُافِق

المرتَدّ هُوَ مَنْ خَرَجَ عن الإسلام واعتنق الكفرَ .. والمرتدّ على قسمين: المرتدّ الفطري والمرتد الملّي.

القسم الأوّل ـ المرتدّ الفطري: من كان أحد أبويه مسلماً حال إنعقاد نطفته، ثم أظهرَ الاسلام بعد بلوغه ثم خرج من الإسلام يسمّى مرتداً فطرياً.

والفطري إن كان رجلاً تبين منه زوجتُه وتنفصلُ من دون طلاق، وتقسّم أموالُه بين ورثته، بعد أداء ديونه، ويُقتل ولا تفيد توبته ورجوعه الى الاسلام في رجوع زوجته ومـاله اليه. نعم تقبل توبته ظاهراً وباطناً بالنسبة إلى بعض الاحكام فيطهر بدنه وتصـح عباداته ويملك الاموال الجديدة ويجوز له التزويج بالمسلمة.

وأما إذا كانت إمرأة بقيت أموالها على ملكها، ولكنها تبين من زوجها المسلم، ولا تُقتَل، ولكنها تحبَس أبداً ويضيَّق عَليها في السجن، ولو تابت قُبِلت توبتُها، وأُطلِق سراحُها.

ولقد جاء هذا في الأحاديث الشريفة وإليك بعضها:

عن محمد بن مسلم قال: سألتَ ابا جعفر عليه السلام عن المرتدّ فقال: من

رَغِبَ عن الإسلام وكفر بما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله، بعد إسلامه فلا توبةَ له وقد وَجَبَ قتلُه وبانَتْ منه أمرأتُه ويقسَّم ما ترك على وُلده[١].

وعن عمّار الساباطي قال: سمعتُ ابا عبد الله عليه السلام يقولُ: كل مسلم بين مسلمين إرتدَّ عن الاسلام وجَحَد محمداً صلى الله عليه وآله نبوّته وكذّبه فانَّ دمَه مباح لمن سَمِعَ ذلك منه وامرأتُه بائنةٌ يوم ارتدَّ، ويقسَّم مالُه على وَرَثَتِهِ وتعتَدّ امرأتُه عدّةَ المتوفّى عنها زوجُها وعلى الإمام أن يقتلَه ولا يستتيبَه[٢].

وعن حسين بن سعيد قال قرأتُ بخطّ رجُلٍ إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: رجُلٌ وُلِدَ على الإسلام ثم كَفَرَ وأشرَك وخرَجَ عن الإسلام هل يُستَتاب أو يُقتَل ولا يُستَتاب، فكتَبَ عليه السلام: يُقتَل[٣].

وعَن علي عليه السلام قال: إذا ارتدَّت المرأةُ عن الإسلام لم تُقتَل لكن تُحبَس أبَداً[٤].

القسم الثاني ـ المرتدّ الملّي: مَن كانَ أبواهُ كافرَينْ حالَ إنعقاد نُطْفَتِهِ ثم اظهر الكُفر بَعْدَ البلوغ ثم أَسْلَم ثم تَرَكَ الإسلامَ وَعادَ إلى الْكُفْر سُمّيَ هذا الشخصُ مُرتدّاً ملّياً. يُطلَب من المرتد الملّي أن يتوبَ، فإذا تابَ قُبِلَت توبتُه وإلاّ كُرِرَتْ عليه الإستتابةُ ثلاثَة أيام، فإذا لم يَتُبْ قُتِلَ في اليوم الرابع.

وسواء كانَ المرتدُّ امرأةً أو رجلاً لا تنتَقلُ أموالُه إلى وَرَثَتِهِ قبل الموت، ولكن بمجرَّد الارتداد ينفسخُ النكاحُ بينهما.

جاء في الاحاديث ما يلي:

---

(١) وسائل النسيعة ج١٨ ص ٥٤٤.

(٢) وسائل النسيعة ج١٨ ص ٥٤٥.

(٣) وسائل السيعه ج١٨ ص ٥٤٥.

(٤) وسائل النسيعة ج١٨ ص ٥٤٩.

عن مسمع بن عبد الملكِ عن أبي عبد الله عليه السلام قالَ قالَ أمير المؤمنين عَلَيه السلام: المرتدُّ عن الإسلام تُعْزَل امرأتُه لا تُؤكَل ذَبيحتُه ويُسْتَتاب ثلاثة أيّام فإنْ تابَ وإلاّ قُتِلَ يومَ الرابع[١].

وعن علي بن جعفر عن أخيه (في حديث) قال قلتُ: فنصرانيٌّ أسلَمَ ثمّ إرتدَّ قال يُسْتَتابُ فان رَجَعَ وإلاّ قُتِلَ[٢].

المنافِقُ

المنـافِقُ هو الَّذي يَعترِفُ وَيَشْهَدُ ظاهراً بوجود الله وتوحيدِهِ والمعادِ ورسالةِ النبي محمّد صلى الله عليه وآله ـ كما يشهد المسلمون، ولكنّه لا يعتقد في باطنِهِ بهذه الشهادات إنه كافرٌ باطناً ولكنه لا يُظهر كفره بل يَدَّعي الإسلام ظاهراً.

إن مثل هذا الشخص يُعَدّ من جماعة المسلمين وتجري عليه أحكامُ الإسلام مادام لا يُظهرُ كفرَه الباطنيّ، ويتمتع بمزايا الاسلام الظاهرية، ولكن هذا الشخص كافرٌ باطناً، ولا يورثُه إسلامُه الظاهريُ الصوريُ السعادةَ والنجاةَ الأُخرويّتَيْن بل يعامَل في الآخرة معاملة الكفار، بل يعذَب بأشَدّ من عَذابِ الكفار.

قال تعالىٰ في القرآن الكريم : ﴿إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُواْ: نَشْهَدُ إِنَكَ لَرَسُولُ ٱللهِ وَٱللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . ٱتَّخَذُواْ أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٣].

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[٤].

---

(١) وسائل السيعة ج١٨ ص ٥٤٨.

(٢) وسائل السيعه ج١٨ ص ٥٤٧.

(٣) المنافقون ـ ١ ـ ٢.

(٤) النساء ـ ١٣٨.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[1].

فكروا وأجيبوا

١ ـ مَنْ هو المرتدّ؟

٢ ـ منْ هو المرتد الفطريُّ وما هي آثاره؟

٣ ـ مَنْ هو المرتد المِلّي وما هي آثاره؟

٤ ـ مَنْ هو المنافق؟

٥ ـ ما هي الحقوق التي يتمتع بها؟

٦ ـ هل الشهادةُ الظاهريّة توجبُ لِلمنافقِ السَعادةَ الاخروية؟

٧ ـ إحفظوا الآياتِ المذكورةَ في الدرس الحاضر.

* * *

---

(١) النساء ـ ١٤٥.

الدرسُ الخامس والثلاثون

وَحْدةُ الأُمَّة الإسلاميّة

يعتبر الإسلامُ المسلمين أُمّةً واحدةً. يقول في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

والأُمةُ ـ في اللغة ـ كلُّ جَماعةٍ يجمَعُهُم في حياتهم هدفٌ واحِدٌ، ويتعاوَنون فيما بينَهم لتحقيق ذلك الهدف.

إنّ الإسلام كما يعتبر الفردَ مصدرَ أثر في الحياة البشرية، فيعتني بتزكيته وتهذيبه، ويهتم بتربيته وتكميله، كذلك يعتبرُ المجتمعَ مصدرَ أثر في هذه الحياة، ولهذا يعتني الاسلامُ بسلامة المجتمع عنايةً كاملَة، ويمنعُ من تفرّقه وتشتُّته منعاً شديداً، وكأنّ أفرادَ المجتمع الإسلامي بمنزلة أعضاءِ الجسدِ الواحِد، أو بمثابة أجزاءِ البنايةِ الواحدة.

وقد أشير إلى هذه الناحية في أحاديث كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

عن أبي موسىٰ قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: المؤمنُ لِلمؤمنِ كالْبُنْيانِ

(١) الانبياء ـ ٩٢.

يَشُدُّ بَعضُه بَعضاً[١].

وعَنْ أبي عبد الله عَليه السلام قال: لا وَالله لا يكونُ المؤمن مؤمناً أبداً حتى يكونَ لأخيهِ مثل الجَسَد إذا ضَرَبَ عليه عِرقٌ واحدٌ تداعَتْ لهُ سائرُ عروقه[٢].

وعن لقمان بن بشير قالَ قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله: مَثلُ المؤمِنين في توادِّهِم وَتراحُمِهِمْ وتعاطفِهِمْ مثل الجَسَد إذا اشتكىٰ مِنُه عضوٌ تداعى لَه سائرُ الجَسَدِ بالسَهَرِ والحمىّ[٣].

إن الوحدة والارتباط بين المؤمنين يحظَيان في نظر الاسلام بأهمّية قصوىٰ إلى دَرَجَة أنّه يعتبرُ المؤمنين جميعاً إخوة، وفي هذا الصعيد آيات وروايات.

فقـد قال في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤].

وعن حارثِ بن المُغيرةِ قالَ قالَ أبو عبد الله عليه السلام: المُسْلمُ أخوُ المُسْلِم هوِ عَينُهُ وَمِرآتُه وَدليلُه لا يخونُه ولا يَخدَعُه وَلا يَظلِمُه ولا يكذِبُه ولا يَغْتابُه[٥].

ولقد حَذَّر الاسلام المسلمين ـ ضمنَ الآيات والأحاديث العديدة ـ من النزاع والاختلافِ اللَّذين هما من عوامِلِ التفرقة، والضَعف في المجتمع الاسلاميّ.

يقول في القرآن الكريم: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُواْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ﴾[٦].

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص ١٩٩٩.

(٢) بحارالأنوار ج٧٤ ص ٢٣٣.

(٣) صحيح مسلم ج٤ ص ١٩٩٩.

(٤) الحجرات ـ ١٠.

(٥) الكافي ج٢ ص ١٦٦.

(٦) الأنفال ـ ٤٦.

ولقد استفاد الاسلام لدعمِ وترسيخ الوحدةِ بين المسلمين من كلّ وسيلةٍ مفيدةٍ حتى تشريع العبادات الجماعية مثلَ: صلاةِ الجماعة، وصلاة الجمعة، وصلاة العيد، والاشتراك في مراسم الحج، وللاسلام في هذا المجال تاكيدات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي:

عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) قال: مَنْ تَرَكَ الجماعَة رغبةً عنها وعن جماعَةِ المسلِمين من غيرِ عِلّةٍ فلا صَلاةَ له[1].

وعن محمد بن علي الحلبي عن أبي عَبد اللهِ عليه السلام قال: مَن خَلَعَ جماعةَ المُسْلمين قَدرَ شِبْرٍ خَلَعَ ربقة الإيمان مِن عُنقِه[2].

لقد اعتنى رسولُ الاسلام بوحدة الأُمة الإسلامية عناية بالغة إلى درجة أنه منذ أن حطّ في المدينة ـ بعد هجرته من مكة ـ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وبهذه الطريقة عقد بينهم ميثاق الوحدة.

ولقد روى ابنُ هشام نَصَّ هذا الميثاق التاريخيّ الهام جدّاً على النحو التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم، فلحقَ بهم، وجاهدَ معهم، أنهم أُمة واحدة من دون الناس، المهاجرونَ من قريش على ربعتهم[3] يتعاقلون بينهم وهم يفْدون عانيَهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على رَبعتهم يتعاقلون معاقلهم[4] الأُولى كلُ طائفة تفدي عانيها[5]

---

(١) وسائل الشيعة ج٥ ص ٣٧٦.

(٢) وسائل الشيعة ج٥ ص ٣٧٧.

(٣) الربعة: الحال التي جاء الاسلام وهم عليها.

(٤) المعاقل: الديات.

(٥) العاني: الاسير.

بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأُولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وان المؤمنين لا يتركون مفرحاً[1] بينهم ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل.

وان لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وان المؤمنين المتقين يد على من بغى منهم او ابتغى دسيعة[2] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن وإن

---

(١) المفرَح: المثقّل بالدين والكثير العيال.

(٢) الدسيعة، وهي في الأصل ما يخرج من حلق البعير اذا رغا، واراد بها هنا: ما ينال عنهم من ظلم.

ذمة الله واحدة، يجير عليهم ادناهم، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس[١].

بل إنّ النبيَّ (ص) لم يكتفِ بالميثاق المذكور بل آخى بين أصحابه في المدينة .. يكتب ابن هشام في هذا الصدد قائلاً: وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه من المُهاجرين والأنصار، فقال ـ فيما بَلَغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقلْ ـ تآخوا في الله أخَوَين أخَوَين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقالَ: هذا أخي، فكانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله سيدَ المرسلين وإمامَ المتقين ورسولَ رب العالمين الذي ليس له خطير[٢] ولا نظير من العباد وعليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه أخوَيْن (الى آخره)[٣].

من مجموع هذه النصوص والشواهد يُستفاد أن رسول الاسلام (ص) حيث كان عارفاً بأهمية وحدة المسلمين وضرورتِها القصوىٰ عَمَدَ مِن البِداية إلى ترسيخِ أُسُس الوَحدة وتوثيق عُراها والإستفادة من كلِ وَسِيلةٍ مشروعةٍ ممكنةٍ في هذا السبيل.

إن الأحكام والقوانين العبادية والسياسية والإجتماعية والأخلاقيّة الاسلامية قد نُظِّمتَ بشكلٍ يحقّق هذا الهدفَ الحيويّ العظيمَ، وعلى هذا فإنّ جميع المسلمين ـ كما في الآية ـ أُمةٌ واحدة ولا تستطيع الفوارق العِرقية، والقطرية، والبَلَدية، والقَرَوية، والقَبَلية، والصنفية، والحرفيّة، وحتى العقيدية والمذهبية، أنّ تقوّض هذه الوحدة.

إن مَنشأ هذه الوحدة هو الإعتقاد بالقرآن والاسلام يعني الشهادة بوجود الله ووحدانيته والشهادة بحقانية المعاد، والشهادة برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله التي يَشتَرِكُ فيها جميعُ المسلمين.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ١٤٧، البداية والنهاية ج٣ ص ٢٧٣.

(٢) الخطير: النظير والمثيل.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص ١٥٠.

إنَ جميعَ الفِرَق والمذاهِبِ الإسلامية تَعْتَقِدُ بوجودِ اللهِ والمَعاد ونُبوّة النبيّ محمّد (ص)، يعتـبرون القرآن الكريم كتابهم السماويَّ الدينيَّ، وهم يتجهون بأجمعهم في الصـلاة نحوَ القبلة، ويعتبرون الصلاةَ والحجَ والجهادَ والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكرَ مِن الأحكام الإسلامية، بلَ يتّفقون في مئات وآلاف المسائل، نعم يَختلِفون فيما بينهم في بعض الموارد، ولكن هذه الإختلافات لا تخرجُهُم عن دائرة الإسلام، ولهذا يُعَدّون جزءً من الأُمة الإسلامية الواحدة، فيجب أن يتمسك الجميعُ بحبل الله يعني القرآنَ والإسلام، الذي قال عنه القرآن الكريم:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللهِ جَمِيْعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[١].

ان المقصـود من الـوَحدة الاسلامية ليس هو أن يتخلى أصحاب المذاهب المختلفة عن عقائدهم الكلاميّة ومواقفهم الفقهيّة، ويتبعوا الآخرين، فانّ هذا الأمرَ لا يمكن أن يتحقق بهذه السُهولة، بل المقصودُ هو أن ينظرُوا إلى أصل إسلامهم (أي أصل كونهم مسلمين) وإلى المئات والآلاف من أوجه الاشتراك فيما بينهم، ويتغافلوا عن الإختلافات والفوارق الجزئية ويتحدوا، ويتعاونوا فيما بينهم للوصول إلى الأهداف المشتركة وهي:

١ ـ التعاون فيما بينهم لتبليغ الإسلام والترويج لعقائده وقوانينه، والعَمل على نشره في العالم كله. ﴿هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[٢].

---

(١) آل عمران ـ ١٠٣.

(٢) التوبة ـ ٣٣.

٢ ـ السعيُ والجهاد في سبيل تحقيق عظمة البلاد الإسلامية والمسلمين واستقلالهم.

٣ ـ الدفاع عن القرآن والاسلام وردّ عادية الكفر والاستكبار العالميين الساعِيَين إلى إطفاء جذوة الاسلام، وطمسِ معالمه، وإخماد نور الله وإخفائه.

٤ ـ الدفاع عن كيان البلاد الإسلامية، وإخراجها وإنقاذها من براثن أعداء الإسلام.

٥ ـ مقارعة الاستغلال، والبشع لثروات المسلمين، والسيطرة على مصادرهم الاقتصادية بواسطَة قوى الكفر والاستكبار العالميين.

٦ ـ الوقوف في وجه تصدير الثقافة المادية، والمفاسد الأخلاقية إلى البلاد الاسلامية على أيدي الكفار وأعداء الاسلام.

إنَّ الهَدَف من الوحدة، ومن التقريب بين المذاهب الإسلامية يجب أن يكون التعاونَ والتعاضدَ بين المسلمين أجمعهم في طريق الوصول إلى مثل هذه الأهداف المشتركة المهمَّة والحيويّة للعالَم الإسلامي.

إن الاسلامَ والقرآنَ يريدان مثلَ هذه الوحدة القابلة للتحقيق، وعلى العلماء والمصلحين أن يجتهدِوا غاية الجهد في سبيل وصول الامة الإسلامية اليها.

إن التفرق والتشتُّت الذي ابتلي به المسلمون، وإن الأوضاع المؤسفة والمؤلمة الراهنة تنافي صريحَ الآيات والاحاديث، وهي تخالف مطلب ورغبة رسول الاسلام محمّد صلى الله عليه وآله، وان من واجب العلماء والمصلحين أن يعبّئوا كلَّ المسلمين بلا إستثناء لتحقيق هذه الوحدة المهمّة القيمّة.

* * *

فكّروا وأجيبوا

١ ـ ما هو الدّليل على وحدة المسلمين وكونهم أُمّةً واحدةً؟

٢ ـ ما هي العبادات التي توسّل بها الإسلام لدعمَ الوحدة.

٣ ـ كيف استفاد الإسلام من الأُمور الأخلاقية.

٤ ـ ما هي أبرز المقاطع من الميثاق الذي عقده النبيُ بين الأنصار والمهاجرين التي تدلّ على الوحدة؟

٥ ـ فيما ذا يشترك المسلمون ويتفقون؟

٦ ـ كيف يجب أن تنظر المذاهبُ الاسلاميةُ بعضها إلى بعض ؟

٧ ـ لتحقيق أيّة أهداف يجب أن يتّحد المسلمون؟

٨ ـ هل أوضاع المسلمين الراهنة توافق رغبةَ النبي الاكرم (ص) ومطلبه.

* * *

الدرسُ السادسُ والثلاثون

الوظائفُ والحقوقُ المتبادَلة بين آحاد المسلمين

في الدرس المتقدّم قرأتم أنْ الاسلام يعتبر المسلمين جميعاً أُمّة واحدة ووحدة إجتماعيّة يجب أن تترتب عليها آثرٌ خاصة.

إنّ المجتمعَ الاسلاميَّ بمنزِلة بنايةٍ كبيرةٍ بل بمنزلة جَسَد بشريٍ واحدٍ.

إن الانسانَ ذو أعضاء وجوارح مختلفة مثل: العين، الأُذن، اللسان، الأنف، اليد، القلب، الرئة، الكُلَيَة، الكبد، المعدة، المعىٰ، الأعصاب، العُرُوق، الغُدَد، العقل، الذاكرة، الفهم، وغير ذلك من الأعضاء والجوارح، وكل واحدة من هذه الأعضاء والجوارح مركبة من آلاف بل ملايين الخلايا الحيّة.

ولكلّ من هذه الأعضاء والجوارح في الجسم البشريّ وظيفةٌ خاصةٌ ومسؤوليةٌ معينـةٌ وبين كلّ هذه الأعضاء نوع خاص من الإرتباط والتعاون، وهي تقومُ بهذه الوظائف ليبقى الإنسانُ سالماً ويواصل حياته في راحةٍ ودعةٍ.

ولو أن بعض هذه الجوارح والأعضاء عجزت عن اداء وظيفتها سرى ذلك إلى سائر الأعضاء أيضاً، وسلبها راحتها وسلامتها.

لقد اعتبرَ الاسلامُ جميع مُسلمي العالم وجماعتهم بمنزلة انسان حي يشكل

افرادُهم أعضاء تلك الأمة الواحدة وأجزاءها وجوارحِها وعلى أفراد المسلمين أن لا يعتبروا أنفسهم أشخاصاً منفردين ولا يلاحظوها بمنأى ومعزلٍ عن بقيّة المسلمين بل على كلّ فرد منهم أن يعتبر نفسَه جزءً في هيكليّة الأمة الاسلاميّة الواحدة، جزءً يشارِك سائر المسلمين في السَلامة والسَعادة والدعة.

يجب على كل فرد من أفراد المسلمين أن يَعْلَمُوا أنَّ عظمتهم وسعادَتَهم الإسلامية مرهونة بسعادة الأُمة الإسلامية الكبرىٰ وعظمتها، وللوصول إلى هذا الهدف الكبير يجب أن يقوم ارتباط وثيق وتعاون صادق وعميق بين أفراد هذه الأُمة الكريمة.

ولهذا قرر الشرع الاسلامي الشريف لكلٍ من المسلمين وظائف وحقوقاً متبادلة ومتقابلة ذكرت في الكتاب والسنة تحت عناوين مختلفة.

وحيث لا يمكننا هنا أن ندرج جميع تلك الآيات والأحاديث لذلك نكتفي بالإشارة إلى بعض عناوينها ونذكر حديثاً واحداً من كل باب.

١ ـ باب الإهتمام بأُمور المسلمين: عن أبي عبد الله عليه السَلام عن النبي صلى الله عليه وآله قالَ: مَنْ أَصْبَحَ لا يَهتَمُّ بأُمور المُسلِمِين فليسَ مِنهم، ومَن سَمِعَ رَجُلاً ينادي ياللمسلمِين فلمْ يُجِبْهُ فليس بمسلِمٍ[١].

٢ ـ باب أُخوّة المُؤمنين بعضهم لبعض ـ عليُّ بن عقبة عن ابي عبد الله عليه السلام قال: المؤمنُ أخو المؤمنِ، عينهُ ودليلُه، لا يخونهُ ولا يظلمُه ولا يغشّه ولا يعِدُه عِدةً فيخلفُه[٢].

٣ ـ باب حقّ المؤمن على أخيه وأداء حقه ـ معلّى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت: ما حقّ المسلم؟ قال: سَبعُ حقوقٍ واجباتٍ ما منهنَّ حقٌ إلّا

(١) الكافي ج٢ ص ١٦٤.

(٢) الكافي ج٢ ص ١٦٦.

وهُوَ علَيه واجبٌ، إن ضَيَّع مِنها شيئاً خرجَ مِن وِلاية اللهِ وطاعتِه ولم يكنْ للهِ فيهِ من نصيب.

قلتُ له: جعلتُ فداكَ وما هي؟

قالَ: يا معلّى: أيسرُ حق منها أنْ تحبَّ لهُ ما تحبُّ لنفسِك وتكرهُ له ما تكرهُ لنفسكَ.

والحقُّ الثاني: أن تجتنبَ سَخَطَه وتتّبع مرضاتِه وتطيعَ امره.

والحقُّ الثالثُ: أن تعينَه بنفسِك ومالِك ولسانِك ويدكِ ورجلِك.

والحقّ الرابع: أن تكون عينه ودليلَه ومرآته.

والحقّ الخامس: أن لا تشبعَ ويجوعَ، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبسَ ويعرىٰ.

والحقّ السادس: أن يكونَ لك خادمٌ وليس لأخيك خادمٌ فواجبٌ أن تبعثَ خادمَك فيغسِل ثيابَه ويصنع طعامَه ويمهدّ فراشَه.

والحقّ السابع: أن تبرَّ قَسمه، وتجيبَ دَعْوَتَه، وتعودَ مريضَه، وتشهدَ جَنازته، وإذا علمتَ أنَّ لهُ حاجةً تُبادر إلى قَضائها، ولا تلجئَه أن يسألَكها،ولكن تبادرَه مبادرة، فاذا فعلتَ ذلكَ وَصَلْتَ ولايَتَك بِولايته، وولايتَه بولايتكَ[1].

٤ ـ باب التراحم والتعاطف ـ أبو المغرىٰ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يحقُّ على المسلمين الاجتهادُ في التواصُل، والتعاونِ على التعاطف والمواساة لأهل الحـاجة، وتعاطُف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمَرَكم اللهُ عزوجل ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ متراحِمين مغتمينّ لِما غابَ عنكم مِن أمرِهم على ما مضىٰ عليه معشر الأنصار على عَهد رسول الله صلى الله عليه وآله [2].

---

(١) الكافي ج٢ ص ١٦٩.

(٢) الكافي ج٢ ص ١٧٥.

٥ ـ باب المصافحة ـ جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قالَ: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: إذا الْتَقَيْتُمْ فَتَلاقوا بالتسْليم والتصافُحِ ، وإذا تَفَرّقتم فَتَفَرّقوا بالإسْتغفار [١].

٦ ـ باب ادخال السرور على المؤمن قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: من سَرّ مُؤْمِناً فقد سَرّني وَمَن سَرّني فَقَدْ سَرَّ الله [٢].

٧ ـ باب قضاءُ حاجة المؤمن ـ بكر بن محمد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما قَضىٰ مسلمٌ لمسلمٍ حاجةً إلّا ناداهُ اللهُ تبارَكَ وتعالىٰ: عليّ ثَوابكَ ولا أرضىٰ لَكَ بِدُونِ الجَنَّة [٣].

٨ ـ باب السعي في حاجة المؤمن ـ ابن سنان قالَ قالَ أبو عبد الله عليه السلام: قالَ اللهُ عزوجلَ: الخَلق عِيالي فأحبُّهم إليَّ ألطفُهم بِهِمْ، وأسْعاهم في حوائِجِهِمْ [٤].

٩ ـ باب نصيحة المؤمن ـ قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: لِيَنْصَحَ الرجُلُ منكم أخاه كنصيحتِهِ لِنَفْسِهِ [٥].

١٠ ـ باب من طَلَب عثرات المؤمنين ـ قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: يا مَعْشرَ مَن أسلَم بلسانِه ولم يسلَم بقلبه لا تَتبعُوا عَثَرات الُمسْلمينَ فإنه مَن تَتَبعَ عَثَرات المسلمين تَتَبع الله عثرَتَه. ومَن تتبعَ اللهُ عَثرَتَهُ يفضَحه [٦].

---

(١) الكافي ج٢ ص ١٨١.

(٢) الكافي ج٢ ص ١٨٨.

(٣) الكافي ج٢ ص ١٩٤.

(٤) الكافي ج٢ ص ١٩٩.

(٥) الكافي ج٢ ص ٢٠٨.

(٦) الكافي ج٢ ص ٣٥٥.

١١ ـ باب من لم يناصح أخاه المؤمن ـ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: مَن سَعىٰ في حاجَةٍ لأخيهِ فَلم ينصحْهُ فَقَدْ خانَ اللهُ ورسولَه [١].

١٢ ـ باب من أخاف مؤمناً ـ قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: مَن نَظَر إلى مُؤمن ليخيفَه بها أخافَه الله عزوجلَ يومَ لا ظلٌ إلاّ ظلّه [٢].

يستفـاد من هذه الاحاديث ونظائرها التي تُعَدّ بالمئات المنقولة في الأبواب المختلفة أن الشارعَ الاسلامي المقدسَ أعتنىٰ بوحدةِ المُسلِمين وترابطهم عنايةً كاملة، ولهذا أوصىٰ بأُمورٍ توجب تقويةَ دعائمِ هذه الوحدة ونهىٰ عن أُمور توجب الفرقة والاختلاف.

فكروا وأجيبوا

١ ـ أُكتبوا الوظائفَ والحقوقَ المتقابلةَ بين المسلمين التي جاءت في هذا الدرس.

٢ ـ أُكتبُوا أربعةَ أحاديث من هذا الدرس.

٣ ـ ماذا يُستفاد من هذه الأحاديث؟

* * *

---

(١) الكافي ج٢ ص ٣٦٢.

(٢) الكافي ج٢ ص ٣٦٨.

الدرس السابع والثلاثون

بعض خصائص الأمة الاسلامية ومسؤولياتها

يعتبر القرآنُ الأُمةَ الاسلاميَة أُمّةً متميّزةً اختارها الله تعالى، وجعل على عاتقها مسؤولياتٍ جساماً .. إنها الأُمة التي سأل ابراهيم الخليل (ع) ربّه أن تكون من ذريته ونسله، وأن تكون أُمّة مسلمةً للأوامر الإلّهية، بل وسماهم ذلك النبي العظيم بالمسلمين.

يقول القرآنُ الكريمُ في هذا الصدد: ﴿يا أيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَاعْبُـدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَـيرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُـونَ . وَجَاهِدُواْ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ ٱجْتَبَـاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ . مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِـينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ . فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[1].

في هاتين الآيتين يوصي سبحانه بعدة أُمور:

١ ـ إركَعوا واسجُدوا لله.

---

(١) الحج ـ ٧٧ ـ ٧٨.

٢ ـ إعبُدوا ربكم.

٣ ـ إفعلوا الخير.

٤ ـ جاهِدوا في الله حقَ جهادِه.

ثم يقول بعد ذلك: إنّ اللهَ (اجتباكم) اختاركم وأنّ امتكم هذه هي أُمة إبراهيم، وهو الذي سمّاكم المسلمين، ولهذا قومُوا بوظائفكم، وواجباتكم ليكون الرسولُ شاهِداً عليكم، وتكونوا شهداءَ على الأُمم.

ثم يوصيهم بعد هذا بوظائف ثلاث أُخر:

١ ـ أقيموا الصلاة.

٢ ـ آتوا الزكاة.

٣ ـ اعتصموا باللهِ الذي هو نعم المولىٰ ونعم النصير.

ويقول في القرآن الكريم أيضاً: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[1].

في هذه الآية يطلبُ الخليلُ عليه السلام من الله تعالى أن يجعله وولَده مسلمين، كما ويجعل من ذريته أُمة مسلمة.

لقد ذكر في القرآن الكريم للأُمة الاسلامية خصائص وجعل على عاتقها مسؤولياتٍ ووظائفَ نشير إلى طائفةٍ منها هنا:

١ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[2].

في هذه الآية وُصِفَت الأُمة الاسلامية بخصيصة الوسطيّة .. وقد فسّر أكثُر المفسـرين الوسط بالمعتدل، وقالوا إن الامة الاسلاميّة إنما وصفت بأنها أُمة وسط

(١) البقرة ـ ١٢٨.

(٢) البقرة ـ ١٤٣.

لكونها ـ بالتزامها احكامَ الإسلام وقوانينه ـ بعيدة عن الإفراط والتفريط .. إنّها مَزَجت بين الأُمور المادية والمعنوية، وجمعت بين السعادة والكمال النفسيّين والسَعادة والكمال الجسديّين فهي كما تستقبح الإستغراق في الماديات واللذائذ الجَسَدية وتذمه، لا تجيز الرهبانيّة والإعتزال وترك الدنيا ولا تُسوّغه أيضاً.

ولهذا يكون معنى الآية هكذا: إن الله جَعَلَكُمْ أُمةً معتدِلة لتكونُوا شهداء على سائر الأمم وتراقِبُوها حتى لا تَقَعَ في الإفراط والتفريط بل يبقوا على حدّ الإعتدال والتوسط في المسلك والمنهج.

وَعلى هذا فقد طُلِبَ من الأمة الاسلامية أن تقوم ـ مضافاً إلى إحتفاظها باعتدالها ـ بمهمّة النظارة والرقابة على سائر الأمم أيضاً كيما تخرج تلك الأُمم من حالة الافراط والتفريط، وتلتزم جانب الاعتدال.

ولا شك أن القيام بمثل هذه المسؤولية الثقيلة عملٌ صعبٌ جداً وهو يحتاج إلى تهيّؤٍ وتهيئةِ مقدماتٍ.

إن لفظة «الوسط» يمكن تفسيرها كذلك بالواسطه والمتوسط بين أمرين، وعلى هذا فان الأمة الاسلامية انما سميت بالامة الوسط لكونها واسطة بين رسول الاسلام وسائر الامم والاقوام التي توجد إلى يوم القيامة. يعني ان نفس المسؤولية التي وُضِعَت من جانبِ الله تعالى على عاتِقِ رسول الاسلام وهي أن يجتهد في سبيل تبليغ الإسلام ونَشره وهداية الناس وإرشادهم، فهي ملقاة أيضاً على عاتِقِ الامة الإسلامية، فان عليها ان تواصلَ العَمَل لتحقيق أهداف النبي، وتجتهد في هذا السبيل.

وعلى هذا يمكن تفسير الآية على النحو التالي: إن الله جعلكم أُمة وسطاً لتواصلوا العملَ لتحقيق أهداف النبي، وتكونوا شهداء ومراقبين على سائر الأُمم والأقوام، وتجتهدوا في إصلاحهم وإرشادهم وهدايتهم،ويكون رسول الله شاهدا ـ بدوره ـ على عملكم، واجتهادكم، ومراقباً لسعيكم وجهادكم.

٢ ـ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

ويقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2].

في الآية الأولىٰ طُلب من الامة الإسلامية ان تجعل من نفسها أُمة قوية:

١ ـ تدعُو البشرية في العالم إلى الخير.

٢ ـ تأمُر بالمعروف.

٣ ـ تنهىٰ عن المنكر.

وفي الآية الثانية قيل: إنكم خير الامم لأنكم تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.

بناءً على هذا فإنَ مِن الخصائص المهمة للأمة الإسلامية هو أن هذه الأُمة تدعو الناس في العالم إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكَر. وهذه هي المسؤولية الثقيلة جداً التي اُلقيت على كاهل الأمة الاسلامية. ولا ريب في أن القيام بمثل هذه المسؤولية الثمينة الثقيلة تحتاج إلى التهيُّؤ والإستعداد وتهيئة المقدمات والأدوات، مثل تأليفِ الكتب المفيدة، ونشر المجلات والجرائد المناسبة على المستوى العالمي، وبث البرامج المفيدة من الإذاعة والتلفزيون والمحاضرات النافعة، وكل وسيلة ممكنة اُخرىٰ.

إن على الامة الاسلامية ـ لكي ترهِبَ الاعداء المستكبرين وتحول دونَ الظلم والعدوان، ولأجل النهي عن المنكر ـ أن تجهّز نفسَها بالسلاح والجيش القويين اللذَين يرهبان الأعداء بحيث لا يعودون يفكرون في العدوان والظلم قط.

---

(١) آل عمران ـ ١٠٤.

(٢) آل عمران ـ ١١٠.

٣ ـ إن الخصيصة الثالثة والرابعة للأُمة الاسلامية هما أن الامة الاسلامية أُمةٌ متشددةٌ مع أعداء الاسلام، رحيمة مع المسلمين.

يقول في القرآن: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[1].

في هذه الآية إشارة إلى خَصِيصتين من خصائص النبيّ وأصحابه (وهي بالتالي من خصائص الأُمة الإسلامية كذلك):

١ ـ إنهم أشدّاء في مقابل الكُفار والمشركين لا يلينون مع المستكبرين المستعمرين. ويجهزون أنفسهم تجهيزاً قوياً لا يحتاجون معه إلى التسليم والمداهنة.

٢ ـ وأما بالنسبة إلى المسلمين فرُحَماء سُمَحاء انهم يعتبرون المسلمين جزءً من هيكل الأُمة الإسلامية الواحد، فيعتبرون راحتهم وسلامتهم من راحتهم وسلامتهم، وألَمَهم وعَذابَهم من ألمِهِم وعذابهم، ولهذا لا يألون جُهداً في إصلاح أوضاع المسلمين العامّة وحلّ مُشكلاتهم، ويهتمون بها إهتماماً بالِغاً ومستمراً.

فكّروا وأجيبـوا

١ ـ لماذا الأُمة الاسلامية أُمة مختارة؟

٢ ـ ما هي الأُمة الوسط؟ وما هي المسألة الملقاة على كاهلها؟

٣ ـ ما هي الخصيصة الثانية للأُمة الاسلامية؟

٤ ـ للقيام بهذه المسؤولية ماذا يجب أن يُصنَع؟

٥ ـ كيف يجب أن يكون المسلمون تجاه الأعداء الكفار؟

٦ ـ كيف يجب أن يكونوا تجاه المسلمين؟

٧ ـ إحفظوا الآيات في هذا الدرس، وتفسيرها جيداً؟

---

(١) الفتح ـ ٢٩.

الدرسُ الثامن والثلاثون

الإنسانُ مِن مِنظارِ الإســلام

يَعتبرُ الإسلامُ «الإنسانَ» كائِناً متعدّدَ الأبعاد بدأت خلقتُه من عنصرٍ ترابيّ عديم الإدراكِ والشعورِ ويتحوّل ـ بعد طيّ مراحلِ التكامل ـ إلى صورة كائنٍ أسمىٰ من المادة.

ولقد وُصفَت خلقة الانسان في القرآن الكريم على النحو الآتي:

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ . ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُم يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ . وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾[1].

في هذه الآية ـ بعد استعراض مراحل التكامل المادّي، وبلوغ مرحلة الإستعداد لقبول الروح المجرّدة ـ جاءَت العبارة التالية: ﴿ثُمَّ أَنْشأناهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ حيث وصفَ الخَلقُ الجديدُ بأنه خلقٌ آخر، وبهذا يغيّر السياق ويَدَلْ كلمةِ (خلقناه)

---

(١) المؤمنون ـ ١٤/١٧.

يستعمل لفظة و «انشأناه»، وبهذا الطريق يشير إلى أنّ آخر مرحلة في خلقة الانسان تختلف عن المراحل السابقة.

من هذا يستفاد أن آخر مرحلة من مراحل وجود الإنسان أي الصورة والنفس الانسانية هي أسمى وأكمل من مراحل الوجود الإنساني السابقة، وهذا هو الموضوع الذي تمّ إثباته في الفلسفة، إذ ثبت فيها أنّ النفس والروح الإنسانية كائنٌ مجرّد عن المادة وآثارها.

إنّ هذا الأمر مهمٌ وعجيبٌ جداً أن تتحوَّلَ الصورة الماديةُ ـ على أثر الحركة الجوهرية ـ إلى أمرٍ مجرّدٍ ملكوتيّ، ولهذا امتدح اللهُ سبحانه فعله المهمَّ هذا إذ قال في ذيل الآية: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ﴾.

وفي آية أُخرى أيضاً يشرح قصة خلق الانسان على النحو التالي:

﴿ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَٰلَةٍ مِن مَّآءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾[1].

في الآيات المذكورة أشارَ سبحانَه إلى ثلاث نقاط:

النقطة الأُولى: انّه لا بدّ ـ لنفخ الرُوح الإنسانية ـ من حصول القابليّة والإستعداد في المادة، ولهذا جاء في الآية: ﴿ثُمَّ سَوّاهُ ونَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾.

النقطة الثانية: أنّ الله تعالى نسَبَ الروح الانسانية إلى نفسه، وقال: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾، وذلك لأجل أن يُثبتَ قيمته العليا، يعني أنّ الله سبحانه بعدَ أن هيّأ مادة البدنِ الإنساني أفاض عليه الروحَ التي نسبَها إلى نفسه والتي كانت من سِنخ العالَم الربوبي.

---

(١) السجدة ـ ٩/٧.

النقطة الثالثة: انّ من إمتيازات هذا الكائن الجديد هو أنه يمتلك السمعَ والبصرَ والقلبَ يعني اسباب تحصيل العلم، وبذلك يختلف عن المراحل السابقة.

وفي آية أُخرى أيضاً يشير إلى النقطتين الأُولى والثانية ويقول للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَـهُ سَاجِدِينَ﴾[1].

هذا مضافاً إلىٰ أنه فرَّعَ الأمرَ للمَلائكةِ بالسُجودِ على تسوية عُنصر البدن الإنسانّي ونفخِ الروح المنسوبة إلى الله فيه، وهو شاهد على إمتياز الوجود الإنساني، لأنّه كانَ بحيث صارَ مؤهّلاً ولائقاً لأنْ يصير مسجوداً للملائكة، وخليفةً لله في الأرض، له فطرة تنجذبُ إلى الله وإلى الكمال وتحبّها.

يقولُ في القرآنِ الكريم:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[2].

ويقولُ:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ . قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ . قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[3].

ويقولُ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا

---

(١) الحجر ـ ٢٩.

(٢) الاسراء ـ ٧٠.

(٣) البقرة ـ ٣١ ـ ٣٣.

لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ويقولُ:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعلَمُونَ﴾[2].

ومن جانب آخر ذمَّ هذا الإنسانَ نفسَه .. هذا الإنسان الضعيف، والبخيل، الظالم، الجاهل، والكفور، المشدود إلى متاع الدنيا، الطاغي، العجول، المغرور .. و.. و.

يقول في القرآن:

﴿إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[3].

ويقول:

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾[4].

ويقول:

﴿كَلَّا إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ . أَنْ رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ﴾[5].

ويقول:

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[6].

ويقول:

---

(١) البقرة ـ ٣٠.

(٢) الروم ـ ٣٠.

(٣) المعارج ـ ١٩.

(٤) النساء ـ ٢٨.

(٥) العلق ـ ٦.

(٦) الاسراء ـ ١١.

﴿وَآتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[١].

ويقول:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ﴾[٢].

ويقول:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[٣].

ويقول:

﴿قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنَسَانُ قَتُوراً﴾[٤].

لقد وُصِفَ الإنسان في القرآن الكريم ـ كما تلاحظون بنحوين متضادّين .. والآن ينطرح هذا السؤال وهو:

ما هي حقيقة الإنسان؟ وكيف يمكن أن نجمعَ بين هذين الصنفين من الآيات؟.

إذا كانت فطرة الانسان مبنيّة على التوحيد والانجذاب إلى الله، وكان طالباً للخير، والبر والاحسان، وباحثاً عن مكارم الأخلاق وراغباً فيها ذاتياً، فلماذا وُصِف بانه كفورٌ وظلومٌ وفخورٌ، ويئوسٌ وجهولٌ، وحريصٌ ومنوعٌ وجزوعٌ، وعجولٌ، وطاغ.

واذا كان يميل إلى الشرور والقبائح ذاتاً فلماذا وُصِف بانه مكرّم، وانه محبُ

---

(١) ابراهيم ـ ٣٤.

(٢) هود ـ ١٠.

(٣) هود ـ ٩.

(٤) الاسراء ـ ١٠٠.

للمعرفة الدينية ومنجذبٌ إلى الله، والكمال، وأنه بالتالي خليفة الله؟.

في الجمع بين هذه الآيات والأحاديث يمكن أن يقال: بأن الانسان كائنٌ ذو فطرتين بمرتبتين وجوديّتين. نصفُ تلك الفطرة من النور ونصفُها الآخر من الظلمة، ومع أنه ليس سوى حقيقة واحدة ولكنه من ناحيةٍ حيوان، أُودِعَت الميول والنزعات الحيوانية في كيانه ووجوده، وتنبع الشرور والآثام من جانبه الحيواني هذا ولهذا يتعرض للذمّ ويوصف بتلك الصفات الذميمة.

ومن ناحية أُخرى هو إنسان ذو نفس مجرّدة ملكوتية، وهو نفحةٌ إلٰهيةٌ مسانِخةٌ لعالَم القدس ومناسبة لمنبع الخيرات، ومن هذا الجانب يميل إلى الكمال ويرغب في الفضائل والمكارم، والخيرات، ومن هذه الجهة كُرِّم وتأهَّلَ ليكون خليفةَ الله، ومسجود الملائكة.

وعلى هذا الأساس لا يكونُ بين هذا القبيل من الآيات والأحاديث أيّ تناقض، وتضارب.

فَكِّروا وأجيبوا

١ ـ من أين بدأ خلق الإنسان وما هي آخر مراحله الوجودية؟

٢ ـ لماذا قيل في خلق الانسان: ثم أنشأناه خلقاً آخر؟

٣ ـ لماذا قيل في شأن الإنسان: ونفخ فيه من روحه؟

٤ ـ بماذا تأهَّل الانسانُ ليكون مسجوداً للملائكة؟

٥ ـ كيف وُصِف الإنسانُ في الآيات القرآنية؟

٦ ـ كيف يمكن الجمع بين الآيات المذكورة؟

* * *

الدرسُ التاسعُ والثلاثـون

الإنسانُ كائنٌ مُخيَّـــر

خُلِقَ الانسان مخيَّراً، حُرَّ الإرادة، قد وُهِبَ العقل والتفكير، والإرادة والإختيار.

إنَ الإنسان ليس في أفعاله مثل قطعة من الصخر تُلقى إلى الأعلىٰ من دون إختيار، وتهبط منجذبةً نحو الأرض من دون ارادة.

كما أنه ليس كشجرة تجذب العناصر الكيمياوية من الأرض وتكبر وتثمر.

وهكذا ليس الإنسان كحيوان يعمل بحكم الغريزة، من دون أن يمتلك القدرةَ على مقاومة الميول والرغبات الباطنية، والنوازع النفسية.

إن حركات الإنسان الإختيارية ليسَت ـ كذلك ـ مثل حركة قلبه، ونبضه الذي يتم من دون إرادة واختيار، بل يقوم الإنسان بجميع أفعاله عن علم وقصد، وعن إختيار وإرادة، فهو إذا تصوَّر فعلاً فكّر فيه أوّلاً، وقيّم مصالحه ومفاسده، ثم يتخذ قراره باتيان ذلك الفعل أو تركه، ويختار ثم يريد ذلك العمل، ويحرّك عضلاته نحوه من أجل إيقاعه، وايجاده.

إنّ أعمال الانسان تنبع من رضاه ومن تصديق قوة تشخيصه وتمييزه.

إنّ البَشَر يرى نفسَه دائماً أمام مفترق طريقين أو عدّة طرق يتوقف سلوك

كلّ واحِدَةٍ منها على نظره ورأيه، وإرادته الشخصية، يعني أنّ كيفية فكره وانتخابه هي التي تعيّن طريقه الخاص، ومسلكه المعيّن.

إذا كان الإنسان لا يتصفُ بالحرّية، ولا ينطوي على الإختيار، إذن لكانَ تفكيره، وتقييمه للعاقبة أمراً لا معنى له.

إنه يستحسِنُ بعض الأفعال عقلاً، ويحسّن فاعلها ويمدحه عليها، ويستقبح بعض الأفعال ـ كذلك ـ ويقبّح فاعلها، ويذمّه عليها، ومن الواضح أنّه إذا لم يعتبر فاعلَها حرّاً مختاراً لم يكن للتحسين والتقبيح مبرّر ووجه.

وعلى العموم إذا لم يكن البشر أحراراً في أعمالهم لم يكن معنى لا للتحسين والتقبيح، ولا للقيم الأخلاقية وما يضاددها.

إن الاسلام ـ أيضاً ـ يعتبر الإنسان حرّاً مختاراً قد أشار إلى هذا المطلب في آيات وأحاديث كثيرة..

ومن باب النموذج:

يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾(١).

ويقول: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾(٢).

ويقول: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٣).

ويقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن

---

(١) الدهر ـ ٢/٣.

(٢) آل عمران ـ ١٤٥.

(٣) الكهف ـ ٢٩.

كَثِيرٍ﴾[١].

ويقـول: ﴿ظَهَرَ ٱلفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢].

ويقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكتَسَبَتْ﴾[٣].

ويقول:﴿إنَّ ٱلَّذِيْنَ يُلْحِدُوْنَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ القِيامَةِ، إعْمَلُواْ ما شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيْرٌ﴾[٤].

وقد وردت في هذا المجال أحاديث أيضاً نشير إلى نموذج واحد منها:

ابراهيم بن أبي محمود (في حديث إلى أن قال): وسألتُه (أبا الحسن) عن اللهِ عَزّوَجلّ هلْ يُجْبِرُ عبادَه عَلى المعاصِي؟

فقال: بل يخيّرُهُم وَيُمهلهُم حتى يتوبوا.

قلت: فهل يكلّف عباده مالا يطيقون؟.

فقال: كيف يفعل ذلك وهو يقول: وما ربك بظلام للعبيد.

ثم قال: حدّثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه جعفر بن محمد (ع) أنه قال: من زَعَم أنَّ اللهَ يجبر عباده على المعاصي أو يكلّفهم ما لا يُطيقوُن فلا تأكلوا ذَبيحتَه ولا تَقبلوا شَهادته ولا تُصلّوا وراءَه ولا تعطُوه مِنَ الزَكاة[٥].

يستفاد من هذه الآيات والأحاديث والعشرات والمئات من نظائرها أن أعمال

---

(١) الشورى ـ ٣٠.

(٢) الروم ـ ٤١.

(٣) البقرة ـ ٢٨٦.

(٤) فصّلت ـ ٤٠.

(٥) بحارالأنوار ج٥ ص ١١.

الانسان وتصرفاته الحسنة أو السيئة تستند إليه نفسه، وأن فاعلها الحقيقي هو ذاته لا غير.

إن الإنسان ـ بالعلم والتفكير، والتدبر في العواقب ـ يختار الإتيان بالفعل او تركه، ويتحمل مسؤوليته أيضاً، وعلى هذا الاساس يتمتع الانسان ـ في أفعاله ـ بالحرية الكاملة والاختيار الكامل من دون جبر او تسيير.

وهنا يلزم أن نشير الى نقطتين مهمّتين:

النقطة الأُولى: أن معنى كون الانسان فاعلاً مخيّراً حرّ الإرادة، لا يعني أن علمه وانتخابه مستثنيان عن قوانين العلة والمعلول الكلّيّة الشاملة وأن افعال الإنسان وتصرفاته مفوَّضَة إليه تفويضاً، بل إن لها هي أيضاً عللاً خاصّة من دون وجود تلك العلل لا تتحقق معلولاتها.

صحيح أن الإنسان يتوجّه إلى فعلٍ خاص ويدرك بواسطة تفكره وتدبّره، تناسُبَه، ثم يختاره ويأتي به، ولكنَ التفاته وتفكيره، وتشخيصَه للتناسب وإرادته وإختياره كذلك لا تكون من دون علة.

إن شخصية كل إنسان، والتركيب الخاص لبدنه وأعصابه ودماغه، وأحاسيسه وعواطفه، وميوله الباطنية، وعاداته وأفكاره، وتربيته العائلية واوضاعه وشرائطه الاجتماعية وبيئته الحياتية مؤثرة برمّتها في تفكره واختياره تأثيراً كاملاً.

إن كلَ واحد من هذه الأُمور هو بدوره أيضاً معلولٌ لعلة خاصّة، وهذه السلسلة من العلل والمعلولات، والتأثيرات والتأثرات مستمرة مادامت المشيئة الآلهية.

إن الله هو الذي خَلَقَ عالم المادة على هذا النمط وأقام فيها هذه القوانين الخاصّة .. لقد أراد الله تعالى أن تقوم العلل الطبيعية بأفعالها من دون عِلم وقصد، ومن دونِ تفكير واختيار، وأراد الله أن تتحقق أعمال الانسان وتصرفاته عن علم وتفكر، واختيار وإرادة، ولقد أعطى الله مِثل هذه القدرة والميزة للانسان.

وعلى هذا الأساس يكون معنى كون الإنسان فاعلاً مخيراً حرّ الإرادة بمعنى ان اختياره وإنتخابه هو الجزء الأخير من العلة التامّة للفعل.

النقطة الثانية: يجب أن لا يُستنتَج من قولنا: أن افعال الإنسان ترتبط به نفسه، وأنه يتمتع بالحرية الكاملة في الإختيار والإنتخاب .. أن الإنسان مستقل في أفعاله، استقلالاً كاملاً، وأنه غير محتاج إلى الله في هذا المجال.

يجب أن لا يُتصوَّر أنّ أفعال الانسان وتصرفاته مفوَّضة إليه، وانه لا دخالة لله تعالى فيها ابداً، كلّا نحن لا نقول هذا الكلام مطلقاً، بل الانسان كما يحتاج في أصل وجوده وبقائه إلى إيجاد الله وإفاضته فانه يحتاج.كذلك في أفعاله وآثاره الوجوديّة إلى الله تعالى وإلى إفاضاته، لأنّ سلسلة العلل والمعاليل تنتهي اليه، وعلى أثر مشيئته سبحانه اتخذ عالمُ الخلق مثل هذا النظم، ويدار على هذا النمط، ولكن علّيتَه وفاعليتَه تكون في طول عليّة الانسان وفاعليته لا في عرضها.

وقد جاء هذا الموضوعُ في بعض الآيات القرآنية أيضاً.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيْمُ﴾[1].

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[3].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ

---

(١) ابراهيم ـ ٤.

(٢) آل عمران ـ ٢٦.

(٣) الشعراء ـ ٧٨ ـ ٨١.

ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

﴿وَما تَشاؤونَ إلاّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِيْن﴾[٢].

﴿وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣].

وعدة آيات أُخر من هذا القبيل مما ينسب إضلال البشر وهدايتهم إلى الله سبحانه.

إن هذه الآيات ـ كما تلاحظون ـ يمكن أن تُقَسَّم إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: ما ينسب الإيمان والكفر والهداية والضلالة وسائر أفعال الإنسان إلى البشر انفسهم.

الصنف الثاني: الآيات التي تنسب إضلال البشر وهدايتهم إلى الله سبحانه.

الصنف الثالث: الآيات التي تنسب أفعال البشر إلى الله تعالى وإلى البشر معاً مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

من مجموعة هذه الآيات نستفيد أن أفعال الإنسان إنما تُنسبَ إليه لأنه العلة المباشرة للفعل، أي ان أثر اختياره وانتخابه هو تحقق الفعل، ولكنها تنسبَ إلى الله أيضاً لأنه تعالى علة العلل، ولأنه هو الذي خلق النظام الكونيَ على هذا النمط، وهو يديره ويدبّره، وجميع العلل والمعلولات مقهورة لقدرته ومشيئته.

وبهذا يبطُل الجبرُ، لأَنَ الفاعلَ المباشر للأفعال هو الإنسان، وهو الذي يختار إتيان الفِعل أو تركه، كما أنَّ التفويض هو الآخر باطلٌ لأنَّ فعلَ الإنسان لم يفوَّض

---

(١) الانفال ـ ١٧.

(٢) التكوير ـ ٢٩.

(٣) النحل ـ ٩٣.

إلى نفسه، ولا يتصف بالاستقلال الكامل، وكما أنه مرتبط بالله تعالى في أصل وجوده، مرتبطٌ كذلك في قدرته وعلمه وإرادته واختياره وفعله إلى الإفاضة والمشيئة الإلٓهية، وما يبقى هو أنَّ فاعل الأفعال والمختار لها هم البشر أنفسهم، ولكن وجودَ الإنسان وفعلَه ودوافعها وعللها ومعلولاتها هي برمتّها تعمل وتؤثر تحت قدرة الله ومشيئته.

ولقد جاءت الإشارة إلى هذا المطلب في بعض الأحاديث: فعن الجعفري عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال: ذُكِر عنده الجبر والتفويض فقال: ألا أُعطيكُمْ في هذا أصْلًا لا تختَلِفون فيهِ ولا يخاصِمُكُمْ عَليه أحدٌ إلّا كَسَرْتموه؟.

قلنا: إن رأيتَ ذلك.

فقال: ان الله عزوجل لم يُطَعْ باكْراهٍ وَلَمْ يُعصَ بِغَلَبَةٍ، وَلَم يُهمل العباد في مُلكِهِ، هُوَ المالِك لِما مَلَّكَهُمْ وَالقادِرُ عَلىٰ ما أقدرَهم عليه، فانْ أئتمر العبـادُ بطاعتهِ لم يكن الله عنها صادّاً، ولا منها مانعاً، وإنْ ائتمروا بمعصيةٍ فشاء أن يَحُولَ بينهم وبين ذلك فَعَلَ وإن لم يَحُلْ وفَعَلُوهُ فليسَ هو الذي أدخلَهم فيهِ[1].

فكروا ثم أجيبوا

١ ـ ما هو الفَرق بين أفعال الإنسان وأفعال الجمادات والنباتات والحيوانات؟

٢ ـ ما هو رأي الاسلام حول حريّة الإنسان وإختياره؟ وما هو الدليل؟

٣ ـ ماذا يعني كون الإنسان فاعلاً مختاراً؟

٤ ـ هل علم الإنسان وإرادته وإختياره خارجة عن نطاق قوانين العلة والمعلول الكلية؟ فكيف إذن؟

٥ ـ هل الإنسان يتمتَّع بالإستقلاليّة في إيجاد أفعاله؟

---

(١) بحارالأنوار ج٥ ص ١٦.

٦ ـ وضّحوا مسألة حرية الإرادة الإنسانية جيّداً؟

٧ ـ إحفظوا الآيات واستظهروها.

* * *

الدرسُ الأربعــون

الإنسانُ وقبولُ المسؤوليّــة

انّ الجمادات والنباتات حيث أنّها لا تمتلك العلمَ والشعورَ والإرادة والاختيار لذلك ليست صالحةً للتكليف ..

وأمّا الحيوانات فهي وإن كانت تتمتّع بشيء من الشعور والاحساس والأرادة، إلاّ أنها لا تصلح مع ذلك للتكليف، ولا تتحمل مسؤوليّة، وذلك لأنها تفتقر إلى العَقل والتفكر، ولهذا لا تستطيع بواسطة التعقل والتفكر، وتقييم المصلحة، أن تقاوم ميولها النفسية، وتسيطر عليها.

إن الحيوانـات مقهورة لغرائزها، وليس لديها القدرة على كبح جماح ميولها ورغباتها، وإخضاعها للضوابط والقوانين والمقرّرات ولهذا فهي ليست مكلّفة.

إن الملائكة هي الأُخرىٰ ليست بحاجة إلى التشريع والتكليف بالأحكام لأنّها موجـودات أعلى وأسمىٰ من المادة والماديّات، ولانها لا تنطوي على قوى الشهوة والغضب حتى تحتاج إلى السيطرة عليها والتحكم فيها .. ليس لديها حركة ولا تكامل ولا تنزّل ولا تسافل .. بل وظيفة كل واحد منها واضحة، وهو يؤدّي الوظيفة المرسومة له، دون تخلف أو عصيان. بل لا يتصور التخلّف فيها قط، ولهذا فهي لا تحتاج إلى

التشريع والتكليف.

يقول القرآن الكريم حول الملائكة: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١].

ويقول: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[٢].

أما الانسان فهو بحكم خلقته الخاصة قابل لتحمّل المسؤوليّة، وهو بحاجة الى التكليف، لأنه كائن ذو بعدين، فهو من جانبٍ جسم نامٍ ويحظىٰ ويتصف بخصائص التغذية والنموّ، والتوليد للمثل، ومن جانب آخر هو حيوان يتصف بالخصائص الحيوانية مثل الإحساس والشعور والارادة والحركة والشهوة والغضب، وما شاكل ذلك من الخصائص المودوعة في كيانه، ومن جانب آخر هو روحٌ مجردةٌ ملكوتيةٌ وهو بالتالي انسان يمتلك العقل والتفكير ويمكنه أن يفكّرَ في عواقب الأُمور، ويقيّمَ المصالح والمفاسد فيها، وبهذه الطريقة يسيطر على رغباته وميوله النفسية ويلجمها، هذا مضافاً إلى أنه يتمتع بالحرية والإختيار الكامل في إتيان أفعاله أو تركها، ويمكنه أن يختار طريقه بنفسه، ويواصل السير فيها بمحض إرادته.

ولقد أشير إلى هذا الموضوع في الأحاديث.

عن عبد الله بن سنان قال: سألتُ أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟

فقـال: قال: أميرُ المؤمنين عليُ بن أبي طالب عليه السلام: إن اللهَ عزّوجل ركّبَ في الملائكة عقلاً بلا شهوة وركبّ في البهائم شهوة بلا عَقْلٍ، وركَّبَ في بني آدم كِلتَيْهما، فَمَنْ غَلَبَ عَقْلُهَ شهوتَه فهوَ خيرٌ مِنَ الملائكة، ومَنْ غَلَبَتْ شهوتُه عَقلَه فَهُوَ شرٌّ مِن

---

(١) التحريم ـ ٦.

(٢) الصافات ـ ١٦٤/١٦٦.

البَهائِم [١].

إنّ الانسان على أثر هذه الخِلقة وبحكم هذه التركيبة قابل لتحمّل المسؤولية، ويمكنه أن يكون مكلَّفاً.

يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا، وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[٢].

ولقد فَسَّر بعضُ المفسرين الأمانة في الآية المذكورة بالتكليف، وقال: إنّ الله تعالى عَرَض التكليف على السماوات والأرض ولكن حيث أن السماوات والأرض لم تكن صالحة ولا مؤهَّلة لقبول الأمانة، امتنعت عن تحمّل المسؤولية الصعبة.

إنّ وجودَها لم يكن بحيث تستطيع أن تقيّد نفسَها في إطار القوانين وحدود التشريعات.

ولكن الإنسان حيث انه يمتلك العقلَ والفكرَ والإرادة والإختيار يمكنه أن يقيّد حياته في إطار القوانين والمقررات.

وحيث أنه ظلوم جهول أي يمكن ان يَظلم أو يكون جاهلاً، يمكنه أن يحمل أمانة التكاليف الإلهية الثقيلة، وقد حملها فعلاً.

ان الله الحكيم إذ كان عارفاً بخلقة الإنسان الخاصّة، وتركيبه الخاص وكان يعلم أنه يحتاج لضمان سعادته الدنيويه والأُخروية إلى برامج وقوانين، ومقررات وتشريعات، وكان يعلم أنّ تنظيم مثل هذه البرامج الكاملة الشاملة لا يهتدي إليها الإنسان بذاته، لذلك اختار الانبياء من بين الناس، وزوّدهم بالقوانين والتعاليم الدينية لإبلاغها إلى الناس:

إن الإنسان وإن خُلِقَ حرَّ الإرادة مخيّراً ولكنه لا يمكن أن يعيش متحرراً

---

(١) بحارالأنوار ج٦٠ ص ٢٩٩.

(٢) الاحزاب ـ ٧٢.

بصورةٍ مطلقةٍ بل ليس من مصلحته الواقعية أن يعش كذلك أيضاً.

حيث أنه يعيش في المجتمع، لا بد له أن يتّبع المقررات الإجتماعية، ويقيّد حياته بحدودها وحيث أنه عبد الله تعالى، ويحتاج ـ لضمان سعادته الدنيوية والأُخروية ـ إلى أحكام الدين وقوانين الشريعة، ولا مناص له من إتباعها، لهذا يجب أن يجعل جميع أعماله وحركاته في إطار القوانين والضوابط الشرعية.

بناء على هذا فانّ الإنسان وإنْ كان كائناً مخيراً حرّ الإرادة لكنّه يجب أن يعتبر نفسَه مسؤولاً تجاه الله، والنبي، وأن يلتزم بالضوابطِ والمقرَّرات الدينية ومسؤولاً عنها. أُنظروا إلى الحديث الآتي وإلى الآية التالية:

جعفرُ بن محمّد بن عمارة عن أبيه قال سالتُ الصادقَ جعفرَ بن محمد عليه السلام فقلت له: لِمَ خَلَقَ اللهُ الخلقَ؟

فقـال: إنّ الله تبارَكَ وتَعالى لم يَخْلُق خَلْقَهُ عَبَثاً وَلم يتركهُ سُدىً، بل خَلَقَهُمْ لإظْهارِ قُدرته، ولِيُكَلِّفهم طاعتَه فَيَسْتوجبوا بذلك رضوانه، وما خَلَقَهُمْ ليجلب مِنْهم مَنفعةً، ولا ليدفَع بهم مَضَرَّةً بَلْ خَلَقَهُمْ لِينفعَهُمْ، ويُوصِلَهُمْ إلى نَعيم الأَبَدِ[١].

يقـول في القـرآن: ﴿كَـانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنـذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢].

لقد جاءَ الأنبياء ليُثبتوا للإنسان مسؤوليّته ويوضّحوا له تكاليفَه، وواجباته، ومسؤولياته.

---

(١) بحارالأنوار ج٥ ص ٣١٣.

(٢) البقرة ـ ٢١٣.

فكروا واجيبــوا

١ ـ لماذا الحيوانات غير مسؤولة؟

٢ ـ لماذا الملائكة لا تحتاج إلى النبي؟

٣ ـ لماذا يمكن للإنسان أن يتحمل مسؤولية؟

٤ ـ لماذا يحتاج الانسان إلى النبي؟

٥ ـ احفظو الآيــات.

* * *

الدرس الحادي والأربعُون

مسؤُوليـات الإنسـان

إنَ الانسـان كائنٌ مسؤُول ومكلَّف، أي إنه مسؤول تجاه تكاليف ووظائف ومسؤوليات واسعة ومتنوعة، وهي تتلخص في ثلاثة أقسام:

١ ـ مسؤولية الإنسان أمام الله والنبي.

٢ ـ مسؤولية الإنسان تجاه نفسه.

٣ ـ مسؤوليّة الإنسان تجاه الانسان الآخر.

الأوّل: المسؤولية تجاه الله

إنَ الانسانَ مكلَّفٌ عقلاً وشرعاً بأن يجدّ ويجتهدَ في طريق معرفة الخالِق الذي أوجده وأوجدَ كل ما هو موجودٌ في عالم الكون فهو المالك الحقيقي له ولها جميعاً، وهو الذي منحه كل تلك الأنعم .. وعَليه أن يطيع كلَ أوامره، وأوامر أنبيائه.

عليه أن يعبدَ الله خالق العالم، ويخضع أمامه. يقول في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ ٱللهَ وأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُواْ أَعْمَالَكُمْ﴾[1].

---

(١) محمد ـ ٣٣.

ويقول: ﴿يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ . فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَالرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱليَوْمِ ٱلآخِرِ ذٰلِكَ خَيرٌ وأَحْسَنُ تَأويلاً﴾(١).

ويقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلعِقَابِ﴾(٢).

ويقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٣).

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤).

الثاني: مسؤوليّة الإنسان عن نفسه

إنّ لِكل نوعٍ من الأنواع في عالَمِ الطبيعة كمالاً مقرراً مرسوماً لابدّ أن يجتهد لبلوغه .. وقد هيّئت ـ في نظام التكوين ـ الوسيلة اللازمة من أجل الحركة باتجاه تلك الغاية وبلوغها.

إنّ كلَّ كائنٌ من الكائنات الطبيعية يقطع طريقه ـ تكوينياً ـ نحو الكمال المطلوب من دون إرادة وإختيار. بل إنّ خالق الكون نَظَّم نظامَ الوجود بحيث يتحرك فيه كلُّ كائن إلى كما لِهِ المنشودِ وغايتِهِ المرسومَةِ بصورةٍ تكوينية.

إنّ للنوع الانسانيّ ـ هو الآخر ـ غايةً مقرّرةً يمكنه التحرُّك نحوها، وبلوغُها،

---

(١) النساء ـ ٥٩.

(٢) الحشر ـ ٧.

(٣) النحل ـ ٩٣.

(٤) البقرة ـ ٢١.

ولكنّ وسيلةَ البلوغ إلى الكمال المطلوب للإنسان ليست تكوينيةً، بل التحركُ نحو تلك الغاية إراديٌّ إختياري.

إنَّ الله الحكيم أنزلَ برنامج سعادة البشر وتكاملهم على أنبيائه المصطفين ليقوموا بتبليغه إلى البشرية،ولكنهم مخيَّرون ـ مع ذلك ـ في إختيار طريق السعادة، أو طريق الشقاء. وقد جعِلَتْ مسؤوليّة تربية النفس وتكميلها على عاتق البشَر أنفسهم .. فاذا لم يجتهد الانسان هو في هذا السبيل يكون قد ظلم نفسَه، ولن ينالَ شيئاً سوىٰ الخسران والشقاء.

يقول في القرآن الكريم: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[١].

ويقول: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢].

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣].

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأمّا حَقُّ نَفْسكَ عَلَيْكَ فَأَنْ تَسْتَوْفِيها في طاعَة الله فتؤدي إلى لِسانِكَ حَقَّه، والى سمعك حقه، وإلى بصرك حقّه، وإلى يدكَ حقَّها، والى بطنك حقَه، والى فرجِك حقه، وتستعينُ بالله على ذلك»[٤].

---

(١) البقرة ـ ٢٨٦.

(٢) البقرة ـ ٢٨١.

(٣) التحريم ـ ٦.

(٤) تحف العقول ص ٢٦٢.

الثالث: مسؤُولية الإنسان تجاه الآخرين

إن الانسانَ كائنٌ إجتماعي يعيش في المجتمع، ويميل إلى النمط الإجتماعي للحياة .. إن الحياة الإجتماعية لا يمكن أن تتحقق للبشر من دون التعاون والتعاضُد ومن دون رِعاية الحقوق المتقابلة.

إن أفراد المجتمع لا بدَّ لهم من تقسيم الأعمال الاجتماعية وتوزيعها فيما بينهم حتى ينفّع كلُ شخص الآخرين بجهوده وينتفع من ثمرة جهودِهم .. وفي هذا السبيل لا بدّ من أن يلتزموا بسلسلة من القوانين والضوابطِ والآداب الإجتماعية، لأن التخلّف عنها ينسف النظام والأمن، ويسلب من الأفراد الراحةَ والدعةَ.

إن الرُشدَ والعَظَمَة، والسقوطَ والشقاءَ في كل أُمة تتوقف ـ إلى درجة كبيرة ـ على مراعاة هذه القوانين .. وبناء على هذا فانّ على الأفراد في المجتمع، وكذا على المجتمعات الانسانية مسؤوليات متقابلة، ولا يمكنهم، بل ولا يجوز لهم عدم الإكتراث بالأُمور الاجتماعية.

إن الإسلام يهتمُّ ـ هو الآخر ـ إهتماماً بالغاً وكبيراً بهذا الأمر، وله تاكيدات كثيرة في هذا الصعيد.

وفي رؤيةٍ واسعةٍ: إنَّ جميعَ الناس عيالُ الله، وأفضل الناس عند الله هو من يخدم عيال الله، وعباده. وعلى سبيلِ المثال لا الحصر:

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: الخَلْقُ عِيالُ اللهِ فأحبُّ الخلقِ إلى الله من نَفَعَ عيالَ الله وأدخل على أهلِ بيتٍ سُروراً[1].

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله: خَيرُ الناسِ مَن انتَفَع به الناسُ[2].

---

(١) الكافي ج٢ ص ١٦٤.

(٢) بحارالأنوار ج٧٥ ص ٢٣.

ويقول في القرآن: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[١].

ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢].

وفي المرحلة الثانية يعتبر الإسلامُ جميع المسلمين أُمة واحدة، لكل واحدٍ منهم وظيفة تجاه شؤون العالم الإسلامي، ولو أنه قصّر أحدُهم في هذا المجال لم يكن مسلماً حقيقياً.

عن أبي عبد الله عليه السلام عَن النبّي صلى الله عليه وآله أنه قالَ: مَنْ أَصْبَحَ وَلَمْ يَهتَمّ بأُمُور المسلِمين فليسَ مِنْهُمْ ومن يسْمع رجلاً يُنادي يا لَلمسلمين فلم يجبْه فليسَ بمسلِم[٣].

عن أبي موسى قالَ قالَ رسولُ الله صَلى الله عليه وآله: المُؤمن لِلمؤْمنِ كالبُنْيانِ يَشُدّ بعضُه بَعضاً[٤].

ويقول في القرآن: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهمأَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥].

وفي المرتبة الثالثة: سعى إلى ان يثير في المجتمعات والجماعات الصغرى روح التعاون ورعاية الحقوق المتقابلة.

---

(١) المائدة ـ ٢.

(٢) الحجرات ـ ١٣.

(٣) بحارالأنوار ج٧٤ ص ٣٣٩.

(٤) صحيح مسلم ج٤ ص ١٩٩٩.

(٥) التوبة ـ ٧١.

إن مسؤوليات البشر الإجتماعية جاءت في الإسلام في صورة آداب العشرة والأخلاق الاجتماعية، والحقوق الفردية المتقابلة وقد ذكرت في القرآنِ الكريمِ وكتب الحديث، ولكنها واسعة ومتنوعة جداً بحيث لا يمكن ذكرُها في هذا المكان بل نشير إلى بعض عناوينها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ الحقوق المتقابلة بين الزوج والزوجة.

٢ ـ الحقوق المتقابلة بين الوالدين والاولاد.

٣ ـ الحقوق المتقابلة بين الإخوان والأخوات.

٤ ـ حقوق الأقرباء.

٥ ـ الحقوق المتقابلة بين أهل الدين.

٦ ـ حقوق الجيران.

٧ ـ الحقوق المتقابلة بين الأستاذ والتلميذ.

٨ ـ حق المحسن.

٩ ـ حق الراعي على الرعية وبالعكس.

١٠ ـ حق العلمـــاء.

١١ ـ حق إمام الجماعة.

١٢ ـ حق الجليس والصاحب.

١٣ ـ حق الشريك.

١٤ ـ حق المستشار.

١٥ ـ حق الناصح.

١٦ ـ حق المشيـــر.

١٧ ـ حق العدو.

١٨ ـ حق الشيوخ وذوي السن.

١٩ ـ حق الاطفال والصبيان.

وعشرات الحقوق الأُخــرى.

فكروا وأجيبُوا

١ ـ اشرحوا مسؤوليّة الإنسان تجاه الله؟

٢ ـ ما هي مسؤولية الإنسان تجاه نفسه؟

٣ ـ ما هي مسؤولية الإنسان تجاه المجتمع الانساني؟

٤ ـ ما هي مسؤولية الإنسان تجاه المجتمع الاسلامي؟

٥ ـ ماذا قال نبي الاسلام في هذا المجال؟

٦ ـ إحفظوا الآيات واستظهروها.

* * *

الدرسُ الثاني والاربعوُن

التكاليف والأحكام الإسلامية

في الـدروس السـابقة قرأتم أنّ الإنسان كائنٌ مُخيّرٌ ومسؤول، وأنّ برنامجَ التكاملِ البشريّ والإنسانيّ وسبيل سعادته الدنيوية والأُخروية قد رُسِم من جانبِ الله الحكيم، وزوّد به الانبياءُ والرسل لإبلاغه إلى الإنسان، وقد تُركت مسؤولية إختيار هذا السبيل وسلوكه على عاتق الإنسان نفسه.

إن برنامج السعادة الحقيقيّة للإنسان قد عُرِض في قالب الأوامر والنواهي، وفي صورة التكـاليف والأحكـام .. وإن الانســان الذي يفكر في سعادته الواقعية ويتوخاها يجب أن يأخذ بهذه التعاليم، ويعمل وفقها.

نعم إنّ الإنسان كائنٌ مختارٌ وموجودٌ حرُّ الإرادة ولكنَ حريةَ الانسان بصورة مطلقة ليست ـ في نظر الاسلام ـ من مصلحته الواقعية بل من مصلحته أن تكونَ مقيَّدةً في إطار القوانين والأحكام الدينية والدساتير الشرعية.

إنَ الاحكامَ والمقرَّرات التي وَضَعَها الاسلامُ كثيرةٌ جداً، وقد بُحثت وعولجت باسهاب وتفصيل في كتب الفقه والحديث، وهذه الدراسة لا تسَع لتلك التفصيلات، ولكن بغية التعرّفِ الإجماليِ نشير إلى جانب منها:

الأحكامُ التكليفيّةُ والوضعيّةُ

تنقسِم الأَحكامُ الاسلامية إلى صِنفين: الأحكام التكليفية، والأحكام الوضعية.

والأحكـام التكليفيّة عبـارة عن الـوجوب والحرمة والإستحباب والكراهة، والإباحة وهي التي تسمّىٰ بالأحكام الخمسة التكليفية.

وفي نظر الاسلام لا يخلو أيُ عمل من أحد الأحكام المذكورة، فهو إما واجب بمعنى أنه يجب الاتيان به، ولا يجوز تركه.

وإما حرام بمعني أنه يجب تركه ويعاقب الإنسـان إذا فعله.

وإمـا مستحب بمعنى أنـه مرغـوب فيه ومحبـوب ولكن تركه لا يستوجب عقاباً.

أو مكروه بمعنى أن فعله مبغوض في نظر الشرع ولكن لا يستوجب الإِتيانُ به عقاباً.

أو مباح بمعنى أنّ فعلَه وتركَه سواء في نظر الشرع.

إن الاحكام التكليفية جُعلت لتكون الوظيفة والتكليف، وأُبلغت إلى الناس في صورة الاوامر والنواهي.

وأمّا الأحكام الوضعيّة فقد جُعِلت بنحو آخر فهي لم تُجعَلْ في صورة التكليف بل إن جعل الشارع المقدّس تعلّق بها مباشرة طبعاً بهدف ترتّب آثارٍ خاصّةٍ مثل: الزوجيّة بين الرجل والمرأة (أي الزوج والزوجة) الملكية، المالكية، الشرطية، السببية، المانعية الجزئية، القاطعية، الحجيّة، الولاية، النيابة، الصحة، البطلان، وغير ذلك من الاحكام المشابهة لما ذكر.

الواجبـــات

إن الواجبات هي الأُخرى تتنوّع إلى أصناف من التقسيم، أحدها تقسيم

الواجبات إلى التَعبديّ والتوصّلي.

إن الواجب التعبّدي هو العمل الذي يؤتىٰ به بعنوان الخضوع لله، وبهدف عبادته ويجب أن يؤتى بقصد القربة والتقرب إلى الله تعالى، ويستوجب الرياءُ بطلانه وفسادَه وذلك مثل الصلوات الواجبة، الصوم الواجب، الغسل والوضوء، والتيمم للصلاة، والحج، والزكاة، والخمس. وباختصار: لا بد فيها من نيّة.

وإن الواجب التوصّليّ عبارة عن العمل الذي يجب أن يقوم به المكلفُ حتماً، ولو تركه بدون عذر شرعي عوقِب، ولكن لا يُشترَط في صحته قصدُ القربة، وذلك مثل الجهاد في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، والدفاع عن الإسلام والقرآن، والبلاد الاسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوفاء بالعهد وكفن الميت ودفنه، والدفاع عن المظلوم، وأداء الدَين، والإنفاق على الزوجة وغير الزوجة من واجبي النفقة.

إنَّ هذه الأعمال إذا أُتي بها بقَصدِ القربة أُثيب عليها فاعلُها، وإذا أُتي بها من دون قصد القربة لم يستحق فاعلُها ثواباً، ولكن يسقط التكليف باتيانها، ولا عقاب.

العينيّ والكفائيّ

إن الواجبات تنقسم بتَقْسيمٍ آخر أيضاً وهو العيني والكفائي.

وفي الواجب العيني يجب عَمَلٌ واحدٌ على آحاد المسلمين المكلفين، مثل الصلاة، والصيام والحج، والزكاة، والخمس، ولكن في الواجب الكفائي يوضَع عَمَلٌ مّا على عاتق عدة أفراد بحيث إذا أتىٰ به شخصٌ أو عدةُ أشخاص منهم سقط عن الباقين، ولكن إذا لم يأت به أحدُهم أثِمَ الجميع، وذلك مثل تكفين الميت والصلاة ودفنه، والجهاد، والدفاع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدّي للأشغال والمِهَن الإجتماعية الضرورية كالطبابة، والقضاء والعلوم والصناعات، والزراعة، والتجارة

والمشاغل الإدارية في الحكومة الاسلامية.

التعيينيُّ والتخييريّ

إن الواجبات تنقسم أيضاً إلى الواجب التعييني والتخييري .. في الواجب التعييني يجب على المكلّف فعلٌ معين وخاص مثل: الصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، والخمس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن في الواجب التخييريّ يُطلب من المكلَّف أن يأتي بأحد عملين أو اكثر على نحو التخيير مثلما إذا أفطرَ يوماً من شهر رمضان من دون عذر شرعي فإنّ عليه ـ مضافاً إلى قضاء ذلك اليوم ـ أن يُعطي كفّارة، وهي مُخيَّرة بين عتق رقبة، أو إطعام ستين مسكيناً أو صيام ستين يوماً بالشكل المذكور في كتب الفقه.

المستَحبّـات

إن المستحبات تنقسم هي الأُخرى إلى صنفين: تعبّديّ، وتوصّليّ، والمستحب التعبديّ عبارة عن العبادة المندوبة التي إذا أُتي بها بقصد القربة إستوجبت ثواباً، وإذا أُتي بها من دون قصد القربة لا يستحق فاعِلُها ثواباً، وذلك مثل: الصلوات المندوبة والصـوم المنـدوب، وقـراءة القرآن، والدعاء والذِكر، وغُسل الجمعة، وغير ذلك من الأغسال المندوبة، والحج والعمرة المستحبتين والتوسل، وزيارة مراقد النبي والأئمة من أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، والأضحية.

والمستحب التـوصـليّ عبـارة عن الأعمال المطلوبة لدى الشرع الاسلاميّ المقـدَس مثـل: التعاون في أعمال الخير، والإحسان إلى الوالدين، وإحترام المعلم، والرحمة بالصغار، وتوقير الكبار وصلة الرحم، والضيافة، وإطعام المؤمنين وخدمة الناس، والسعي في حل مشاكل الناس، وحسن الجوار، وعيادة المرضى، وإدخال السرور إلى

قلوب المؤمنين وزيارة الأخوة المسلمين وتعليم العلوم وتعلّمها، والرفق باليتامىٰ ورعايتهم، وإرضائهم، وحسن المعاشرة مع الأهل، والعشرات من هذا القبيل مما لو أُتي به بقصد القربة استوجب الثوابَ ولكن إذا أُتي به من دون قصد القربة كان مطلوباً للشرع المقدس ولكن لا ثواب عليه، وإن كان يمكن أن يقال أن هذا النمط من الأعمال حيث أنها من فضائل الأخلاق ومكارمها، ومن القيم الانسانية السامية، لذلك فهي تتمتع بالمطلوبيّة الذاتية ولن تكون من دون أثر في تكميل النفس وتربيتها.

المحرّمـــات

لقد نهي ـ في الاسلام ـ عن بعض الأفعال نهياً جازماً وقطعياً، وتُوُعّدِ عليها بالعذاب والعقاب، وهذا النمط من الأفعال تسمىٰ بالأُمور المحرّمة مثل: قتل النفس بغير مسوّغ شرعي، والزنا، واللِواط، وخلف الوعد، وظلم الآخرين، وغصب أموال الناس وسرقتها، والتصرف في أموال الآخرين من دون إذنهم، والتهمة، وعيب الناس، والكذب وشرب الخمر، والربا، أخذاً واعطاءً، والنظر إلى النساء الأجنبيات، وأكل لحوم الحيوانات المحرمة اللحوم، وأكل الميتة يعني الحيوان غير المذبوح على الطريقة الشرعية الاسلامية وترك كل واحد من الواجبات الدينية من دون عذر شرعي، وأكل الدم، وأكل الطعام النجس (المتنجس) والرشوة أخذاً وإعطاءً.

سـائر الأحكـــام

إنّ أحكام الاسلام لا تتلخص في العبادات والمحرمات بل هي أوسع من ذلك بكثير .. إن الإسلام يتدخل في جميع مجالات الحياة الفردية والإجتماعية للبشر، وله في كل واقعة وقضية حكم وقانونٌ.

إنّ موضوعات الإسلام ومسائلَه المتنوّعة ذكرت وعولجت في كتب الفقه على

نحو التفصيل ولكن المقام هنا لا يسع لجميع تلك التفاصيل ولكننا نشير إلى بعض تلك العناوين الكليّة في شكل جدول.

إننا يمكن ان نقسم سائر الأحكام بصورة عامة إلى عدة أصناف:

الأول: الأحكام المرتبطة بالنجاسات والمطهرات ففي الاسلام اعتبرت بعض الأشياء نجسة يجب الاجتناب عنها وهي أحد عشر شيئاً:

١ و٢ ـ بول الانسان وكل حيوان حرام اللحم له دم دافق عند الذبح وغائطه.

٣ ـ مني الانسان ومني كل حيوان له دم دافق.

٤ ـ الميتة من الإنسان ومن كل حيوان له دم دافق.

٥ ـ الدم من الإنسان ومن كل حيوان له دم دافق.

٦ و٧ ـ الكلب والخنزير البريّان.

٨ ـ المسكر المائع بالأصالة.

٩ ـ الفقاع وهو الشراب المسكر المتّخذ من الشعير.

١٠ ـ الكافر وهو الذي لا يعتنق الاسلام.

١١ ـ عَرَق الأبل الذي اعتاد على أكل النجاسة.

والمطهرات هي أيضاً أحد عشر وأهمُّها الماء ولمعرفة كيفية تنجّس الاشياء وعدد المطهرات وكيفية التطهير بها، وأحكام النجاسات يجب مراجعة الكتب الفقهية.

الثاني: المعاملات والأحكام المرتبطة بالأموال مثل الأحكام المرتبطة بالمكاسب، والبيع والشراء، والربا، وأنواع الخيارات، وحق الشفعة، والاجارة، والجعالة، والعارية، والوديعة، والرهن، والضمان، والحوالة، والقرض، والمضاربة، والمزارعة، والمساقاة، والشركة، والصلح، والوكالة، والوقف، والهبة، والوصية، والإرث، وإحياء الموات، والملكية، والحجر، واللقطة، والغصب، وغير ذلك من الأُمور المشابهة.

الثالث: الأحكام المرتبطة بالعائلة وذلك مثل: النكاح، والمهر، والحقوق

المتقابلة بين الزوج والزوجة، والرضاع، وأحكام الأولاد، والنفقة، والنشوز، والطلاق، وغير ذلك من الأُمور التي توجب إنقطاع العلاقة الزوجية بين الزوج والزوجة، وعدة الطلاق وعدة الوفاة، وغير ذلك من الأُمور المشابهة.

الرابع: الأحكام المرتبطة بالحكومة مثل الولاية والحكومة، وشرائط الوالي، وحدود صلاحيّات الحاكم، ووظائف الحاكم، والأموال العامة وميزانية الحكومة، والجهاد، والقضاء، والشهادات والإقرار والقصاص، والحدود والديات، والزكاة، والخمس وغير ذلك مما شابه.

الخامس: الأحكام المرتبطة بالأطعمة والاشربة والصيد، والذباحة، والملابس والمساكن وغير ذلك مما شابه.

وفي الختام لا بدّ أن نذكّر بهذه النقطة وهي أن الاحكام المذكورة قد بُوِّبَت وصُنِّفت في كتب الفقه بصورةٍ أُخرى، واختص كلُ صِنف بعنوانٍ خاصٍ.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ بيّنوا الأحكام الخمسة؟

٢ ـ كيف تكون الأحكام الوضعية.

٣ ـ ما هو الواجبُ التعبدي؟ عدّدوا نماذج منه.

٤ ـ ما هو الواجب التوصلي؟

٥ ـ ما هو الواجب الكفائي؟

٦ ـ ما هو الواجب التخييري؟

٧ ـ كيف تكون المحرمات؟

٨ ـ كيف تكون المكروهات؟

* * *

الدَرسُ الثالث والأربعون

المصادر الأساسية للمعارف والأحكام الاسلامية
١ ـ القرآن

الأول ـ القرآن الكريم

القرآنُ الكريم أهمُّ وأوثق المصادر للمعارف والأحكام الاسلامية .. فهو من حيث السَنَد والألفاظ والعبارات، وكذا من حيث المعاني والمفاهيم يتميّز على المصادر الإسلامية الأُخرى لأنكم قرأتم في الدروس السابقة أنّ القرآن الكريم الموجود في أيدي المسلمين الآن هو نفس السور والآيات التي نزلت ـ عن طريق الوحي ـ على قلب رسول الله الطاهر، واعتنىٰ بها (ص) غاية الاعتناء، وحفظها أصحابُه وحافظوا عليها حتى وصلت إلينا من دون زيادة او نقصان.

إنّ هذه الميزة ميزةٌ كبرىٰ حُرِمَت منها سائر الكتب السماوية، كما أنه يتميز من جهة العبارة على سائر الكتب لأن معاني القرآن نزلت على قلب رسول الله (ص) باللغة العربية الفصيحة البليغة وبنفس هذه الألفاظ والعبارات والتراكيب، وعباراتها هي أيضاً من جانب الله، وهو (اي القرآن) بذلك معجزة لا يستطيع أحد الإتيان بمثله

قط.

إن حجية ظواهر القرآن أمرٌ واضحٌ لا يحتاج إلى إقامة البرهان، لأن القرآن كتاب عمل، وبرنامج حياة أُنزل بعبارات مُيَسَّرَة وفصيحة ليستفيد منها البشر جميعاً، وهو قابل للفهم من قبل عامة الناس.

لقد كان الناس ـ في صَدر الإسلام ـ يعتَنِقون الدينَ الاسلامي بمجرّد سماعهم لآيات القرآن، وكان المسلمون يفهمون وظائفهم وواجباتهم من الآيات القرآنية ويعملون وفقها.

والقرآن اليوم كذلك في متناول أيدي المسلمين، ويمكن لمن له إلمام باللغة العربية أن يفهمه كاملاً، وحيث أنه يمكن فهمه لذلك أوصي بالتدبر في آياته واتباعها.

فاذا ما أُوصي بقرائة القرآن الكريم، وتقررت مثوبات لذلك، كان ذلك لأجل أن يستفيدوا من مفاهيمه الرفيعة، ويستفيدوا منها في مجال العمل.

وعلى هذا الأساس يجب أن لا نتردد في حجيّة ظواهر القرآن الكريم واعتبارها، وهذا الموضوع لا يحتاج ـ لوضوحه ـ إلى إقامة البرهان ولكننا نشير في هذا الصدد إلى موضوعين من باب الشاهد:

الموضوع الأول ـ الآيات: فانّ عدداً هائلاً من آيات القرآن تؤيّد الموضوع المذكور، وتصرّح بان القرآن نزل كحجة معتبَرة، ويجب أن تُستلهَم منه الدروس، وتتبَع تعاليمه ويؤخذ بارشاداته .. ونذكر من باب المثال ما يأتي:

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[٢].

---

(١) الاسراء ـ ٩.

(٢) فصلت ـ ٣.

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[١].

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢].

﴿الر ـ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[٣].

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ﴾[٥].

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦].

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[٧].

لقد وُصِفَ القرآنُ بالنور، والكتاب المبين، والبيّنة، والهدىٰ، والرحمة، وبانه تبيان لكل شيء، وبشرى للمحسنين، والهادي إلى الصراطِ المستقيمِ والقرآن العربي، وكُلِفّ الناسُ بأن يتدبّروا في معاني آياته، واتباعه.

إن كتاباً كهذا من دون ريب نَزَلَ كدستور معتبر للعمل ومصدَر وثيق جعل في متناوَل الناس، للإستلهام والعمل.

الموضوع الثاني ـ الأحاديث: لَقد كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله والأئمة

(١) ابراهيم ـ ١.

(٢) المائدة ـ ١٤/١٦.

(٣) يوسف ـ ١.

(٤) النحل ـ ٦٤.

(٥) ص ـ ٢٩.

(٦) الأنعام ـ ١٥٥.

(٧) الأنعام ـ ١٩.

المعصومون عليهم السلام ـ مضافاً إلى تمسُّكهم أنفسِهم بالآيات يُرجِعون الناس إلى القرآن في مواضع عديدة وقد وصَفوه بالحجّة المعتبرة والمصدَر الخالد.

وفي هذا المجال ثمة أحاديث كثيرة نشير إلى بعضها:

قال رَسولُ الله صلّى اللهُ عليه وآله (في حديث إلى أن قال): إذا التبسَت عليكمُ الفتن كقِطَعِ الليل المُظلم فَعَلَيْكم بالقرآنِ، فإنّه شافعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مُصَدَّق، ومَنْ جَعَلَهُ أمامَه قادهُ إلى الجَنة، وَمَن جعَلَه خلفَه ساقَهُ إلى النار، وَهُوَ الدليلُ يدلُّ على خَيرِ سَبيل، وَهُـو كِتابٌ فيه تفصيلٌ، وبيان وتحصيلٌ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيس بالهَزل وله ظَهرٌ وبَطن، فظاهرُه حُكمٌ وباطِنه عِلمٌ، ظاهرُه أنيقٌ وباطنُه عميقٌ، له نجومٌ وعلى نجومِه نجومٌ، لا تُحصىٰ عَجائبُه، ولا تَبلى غرائبهُ، فيه مصابيحُ الهدىٰ ومنارُ الحكمة، ودَليلٌ على المعرفة لِمن عَرَف الصِفة، فَلْيجلُ جالٍ بَصَرَهُ، وليبلغ الصفة نظرَهَ، يَنجُ من عَطبَ، ويتخلّص من نَشَب، فانَ التفكرَ حياةُ قلب البَصير كما يَمشِي فِي الظُلُمات بالنُورِ فَعَلَيكُمْ بَحسُنِ التخلُّص وَقِلة التَرَبُّص [1].

وهكذا حديث الثقلين المتواتر، القطعيُ الصدور:

زيدُ بن أرقم قالَ: قامَ رسولُ الله صَلى الله عليه وآله يوماً فينا خَطيباً، بماءٍ يُدعىٰ خُمّاً، بينَ مكة والمدينة فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليه ووَعَظ وذكّر، ثم قال: أما بَعدُ ألا أيها الناس فانّما أنا بَشرٌ يوشَك أنْ يأتِيَ رسولُ ربّي فاجيبُ وأنا تاركٌ فيكمُ ثَقَلين: أوّلهما كتابُ الله فيه الهُدىٰ والنُور، فخذوا بكتابِ الله واستمسكِوا بِه، فحثّ على كتاب الله وَرَغّبَ فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذَكركُمُ اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكّركُمُ اللهَ في أهل بيتي، أُذكّركُمُ اللهَ في أهلِ بيتي [2].

---

(١) الكافي ج٢ ص ٥٩٩.

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص ١٨٧٣.

إن القـرآن الكريم يتميز ـ كذلك ـ على سائر الكتب من ناحية المواضيع والمعاني، فإن معارف هذا الكتاب السماوي ومواضيعه عميقةٌ ومحكَمة جداً إلى درجة انه لا سبيل للباطل والبلىٰ إليه .. فهو يمكن أن يكون هادياً ومرشداً للبشرية في جميع الأزمنة والامكنة.

إن معارف القرآن الكريم ومواضيعَه وأحكامَه نابعة من صميم الحقيقة، وقد بُنيت مواضيعـه وقضـاياه على أساس الفطرة،ولهذا فان التقدّم العلميَّ والصناعيَ والحضاريَ الذي تحققه البشرية لا يوجبُ بطلان هذا الكتاب وبلاه.

يقول في القرآن: ﴿لا يَأْتِيهِ ٱلبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[1].

إن القرآن الكريم مُيَسَّر للذِكر ومفهومٌ لعامة الناس، ولكنَ المعارف والمعلومات المستفادة ليست سواء بالنسبة إلى جميع الأشخاص، فكلّما أزدادت معلومات الانسان واتسعت دائرة معارفه، من ناحية، وازداد إمعاناً في معاني القرآن ومعارفه من ناحية أُخرىٰ، أدرك معارف القرآن بشكل أدق وأعلىٰ، وأعمق وأوسع.

وليس هناك كتابٌ حظي بدراسة واسعة لمواضيعه بقدر ما حظي به القرآن، ومع ذلك فالقرآن الكريم مؤهَل للدراسة والتحقيق الأكثر، ولإستخراج مواضيع أكمل وأحْدَث.

لقد ألَّف العلماءُ والمؤلِّفون كتباً كثيرة تفوق العدّ في مجال تفسير القرآن وبيان مقـاصِدِه ومرامِيه ومع ذلك فان القرآن قابلٌ لتاليف المزيد من التفاسير والمؤلفات وبصورة أدق وأكمل حوله.

ولقد ألَّفَ فقهاء الاسلام حول الأحكام والقوانين الموجودة في القرآن الكريم

---

(١) فصلت ـ ٤٢.

مؤلفات كبيرة وكثيرة واستنبطوا منه مسائل كثيرة ولكن باب الإجتهاد، واستنباط أحكام ومسائل جديدة منه ـ مع ذلك ـ لا يزال مفتوحاً وممكناً.

كما أن علماء الأخـلاق والفلسفـة والكـلام والعلوم الطبيعية والانسانية قد إستخـرج كلٌّ في مجال علمه واختصاصه أُموراً من القرآن الكريم ولكن الطريق لتحقيقات وكشوف واستنباطات جديدة وأكمل لا يزال ـ مع ذلك ـ مفتوحاً.

نحن هنـا لا يمكننـا أن نبيّن ونستعرض جميع المواضيع التي يتضمنها هذا الكتاب السماوي الخالد غير أننا نشير ـ هنا ـ إلى بعض تلك الموضوعات والقضايا بصورةٍ كليّةٍ.

إن المواضيع والقضايا المطروحة في ثنايا القرآن الكريم يمكن تقسيمها إلى أصناف عديدة هي:

١ ـ المعارف الالٓهيّة وأُصول العقيدة مثل: معرفة الله سبحانه، وأسمائه الحسنىٰ وصفاته الثبوتية والسلبية، والمعاد وحشر الموتىٰ، والأُمور المرتبطة بعالم البرزَخ والقيامة، وتسجيل الأعمال وصحيفة عمل الإنسان، والحساب، وميزان الأعمال، والجنة ونعيمها، والجحيم وعـذابـه وضـرورة إرسال الأنبياء، وصفاتهم وخصوصيّاتهم وكيفيّة دعوتهم وإجتهادهم في تبليغ رسالات الله، والمشاقّ والمتاعب التي واجهوها وتحمّلوها في هذا السبيل، والإمامة والقِيادة وشروطها وخصوصيّات الإمام.

٢ ـ قصص طائفة مِنَ الأنبياء والرُسل.

٣ ـ حثّ الناس على الإيمان بالله واليوم الآخر والأنبياء.

٤ ـ تبشـير المؤمنـين والمحسنين بالمثوبات الأُخروية وبنِعَم الجنة، الخالدة، وتحذير الكُفّار والعصاة من العقوبات الأُخروية.

٥ ـ الدعوة إلى التوحيد ومكافحة كلّ ألوان الشِرك.

٦ ـ الدَعوة إلى التفكير في خلق السَماء والارض والكواكب والنجوم، والشمس

والقمر والشهب والجبال والبحار والنباتات والأشجار والبشر والحيوانات والرياح والأمطار.

٧ ـ التذكير بنعَم الله في هذا العالم.

٨ ـ وصف المؤمنين والكفار والمنافقين.

٩ ـ ذكر أحوال بعض الأقوام والأُمم الماضية وعواقبهم السيئة أو الحسنة.

١٠ ـ محاورات الأنبياء مع أُممهم فيما يتعلّق بإثبات وجود الله والمعاد والنبوّة.

١١ ـ الأخلاق الحسنة والدَعوة إليها.

١٢ ـ التذكير بالأخلاق السيّئة والتحذير منها.

١٣ ـ معجزات الأنبياء وأعمالهم الخارقة للعادة.

١٤ ـ تأييد الأنبياء السابقين وكتبهم.

١٥ ـ الدعوة إلى عبادة الله الواحد والترغيب في العبادات مثل: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، والخمس.

١٦ ـ الدَعوة إلى التفكّر والتعقّل والتفقّه.

١٧ ـ بعض الأحكام والقوانين السياسية.

١٨ ـ أحكام المعاملات.

١٩ ـ بعض أحكام الإرث والوصيّة.

٢٠ ـ بعض أحكام العائلة وحقوقها.

٢١ ـ بعض أحكام القضاء، الشهادة، القصاص، الحدود، الديات.

٢٢ ـ الدعوة إلى التقوىٰ وتزكية النفس.

٢٣ ـ إلفات النظر إلى النفس، وإلى خطر الوساوس الشيطانية.

إن ما ذُكِرَ ما هو إلاّ مجرد نظرة إجماليه إلى بعض المواضيع التي أشار إليها القرآن الكريم.

وعلى هذا يمكن أن نصفَ القرآنَ الكريمَ بأنه أهم وأوثق مصادر الثقافة والشريعة الاسلاميتين..

إن العلماء من ذوي الإختصاصات المختلفة يمكنهم أن يستفيدوا من القرآن الكريم في مختلف اختصاصاتهم.

وفي الختام لا بدّ من التذكير بنقطتين:

النقطة الأُولى: إن المواضيع التي طرحها القرآن هي غالباً كليّة، ولم يتعرض إلى المسائل الفرعية ولهذا فانه لا يغنينا عن الرجوع إلى السُنة والسيرة المحمديّة، وأحاديث وسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام والعقل.

النقطة الثانية: إن ظواهر القرآن وان كانت حجة، وقابلة للإستفادة بالنسبة إلى الجميع ولكن في إستنباط حكم مّا لا يمكن أن نكتفي بمطالعة آية من آيات القرآن، بل نحن بحاجة إلى الإلتفات إلى الآيات والأحاديث المرتبطة بها، والاجتهاد فيها لأن في الآيات ناسخاً ومنسوخاً، ومُحكماً ومتشابهاً، وعامّاً وخاصّاً، ومطلقاً ومقيّداً، وبعض الآيات تفسّرُ الآيات الأُخر أو تخصّصها فلا بد من ملاحظة ذلك.

إن كثيراً من الآيات تتجلّى معانيها ومقاصدُها أو تتخصّص أو تتقيّد بأحاديث أهلِ البيت عليهم السلام التي يجب على المجتهد الإلتفاتُ إليها عند الإستنباط.

وفي فهم المَعارف ـ كذلك ـ لا يُمكن الجمودُ على ظاهرِ آية مِن الآيات، لأنَ العقلَ له دورٌ أيضاً في الإدراك الصَحيح للموضوع، كما وأن الآيات والأحاديث الأُخرى يمكنها أن تعين على الفهم السليم للموضوع.

فكروا واجيبوا

١ ـ لماذا لا تحتاج حجيّةُ ظواهر القرآن إلى اقامة البرهان؟

٢ ـ كيف وُصِفَ القرآنُ في الآيات؟

٣ ـ وضحوا حديث النقلين.

٤ ـ بماذا وفي اي مجال يمتازُ القرآن على الكتب الأُخرىٰ؟

٥ ـ لماذا لا تبلى مواضيعُ القرآن الكريم؟

٦ ـ هل العلوم المستفادة من القرآن الكريم قابلة للتكامل؟ أم لا؟

٧ ـ هل يمكن الاكتفاء بظاهر آية معيَّنَة في إستنباطِ حكمٍ مّا؟ ... ولماذا؟

٨ ـ هل القرآنُ يكفينا لِوحدِه في علوم الدِين؟ ... ولماذا؟

* * *

الدرسُ الرابع والأربعـــون

٢ ـ سُنَّة رَسول الله صلى الله عليه وآله

بعـد القـرآن الكريم تُعتَبر سنةُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله أهم مَصدَر للمعارف والأحكام الإسلامية.

وتطلَق السُنة ـ حسب الإصطلاح الديني ـ على ثلاثة أنواع من الكلام:

الأول والثاني: القول والفعل الذي نُسِبَ إلى رَسول الله (ص) على أنّه أمرٌ دينيٌّ.

الثالث: الكلامُ الَّذي يحكي عن تقرير رسول الله لفعلٍ، وإمضائه المُنبىء عَن مَشروعيّته.

وتسمّى السُنّةُ ـ في الإصطلاح ـ الحَديث والخبر أيضاً.

إنّ لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله دوراً كبيراً في توضيح وبيان الأحكام والمعارف الدينيّة، ومن دون الاستناد إليها لا يمكن معرفة الدِين الاسلامي، لأنه وإن كان القرآنُ أوثقَ وأغنى المصادر للعلوم الإسلامية، ولكنّه في كثير مِن الموارد يحتاج إلى شارحٍ ومُفَسّرٍ، وَلِهذا فانّه لا يُغنينا عَن الأحاديث لأنّ بَعضَ الآيات عامّة لم يَردْ مُخَصِّصُها في القرآن الكريم، أو مطلَقة لا نجد مقيّدَها في ذلك الكتاب، أو منسوخة ولا

يوجَد ناسخُها في القرآن وحتى لو كانَ ذلك في القرآن، لم يمكن للأشخاص العاديّين أن يُميّزوا بين الناسخِ والمنسوخِ .. أو أن بعض الآيات مجمَلة، وتحتاج إلى مفسّرٍ ومبّين، أو أنّ هناك فِعلاً عبادِياً لم ترد شرائطُه ومقدماته وكيفيته ومسائله وفروعه، فيه.

وأساساً هناك بعض الأحكام لم يَرد ذكرُها في القرآن أبداً وفي هذه الموارد نحن بحاجة إلى شخصٍ عالمٍ مَعْصومٍ لبيانها، وان شخصاً كهذا لا يكون إلّا النبي صلى الله علَيه وآله، والأَئمّة المعصومون سلام الله عليهم اجمعين.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي حَظي بالعلوم الإلَهية كُلِّفَ بأن يَضَعَ معارف الاسلام وأحكامه في متناول أيدي المسلمين وقد فَعَل رسول الله (ص) ما أُمِرَ به بدقّة، وبذل في هذا السبيل من الجهد الأقصى، والعناية الابلغ ما لم يقم به أحد.

ومن جانب آخر كان المسلمون يتوقّعون مثل هذا الصنيع من جانب رَسول الله (ص) تماماً، وكانوا يتلقون واجباتهم الدينية بشوقٍ وحرصٍ بالغين، وكانوا يعتبرون النبي (ص) شخصيةً إلَهيةً عظيمةً، ويُعدّونه لأنفسهم مربياً ومعلّماً ومرشداً وهادياً، له إتصال بعالم الغيب وتنشأ أقواله وأفعاله وسيرته من ذلك العالم، ولها مثل إعتبار القرآن الكريم .. ولهذا عَمَدوا إلى ضَبطها وتسجيلها بدقة واشتياق ونقلوها إلى الأجيال اللاحقة بأمانة وعناية.

لقد إعتاد جماعةٌ من الصحابة ـ كلما تَلَقَّوْا من رسول الله صلى الله عليه وآله آية أو عدة آيات ـ أن يجتهدوا في أخذ ما يتعلق بها من عِلمٍ وَعَملٍ منه صلى الله عليه وآله، ثمَّ يعمَدون ـ بعدئذ ـ إلى تعلّم آياتٍ أُخرىٰ، فكانوا ـ لهذا الغرض ـ يَغتنمون كلَّ فُرصةٍ سانحةٍ للتشرّف بالحضُور عنده، وملاحظة أقواله وأفعاله، وكلّما حُرِمُوا من الحظوة بلقائه بسبب السفر أو الاشتغال بشؤون المعيشة، أوصَوا أحد زملائهم وإخوانهم بالحضور عند رسول الله (ص) وضبط أقواله وأفعاله ونقلها إليه كيلا يفوتهم شيء منها قدر الإمكان.

إنّ الذين كانوا يعيشون خارج المدينة كانوا يسافرون إليها بُغية تعلّم العلوم الدينية وأخذها من رسُول الله (ص) فيمكثُون فيها بعضَ الوقت ثم بعدَ التفقّه يَرجعون إلى مواطنهم وديارهم.

جاء في صحيح البخاري: عن أبي سليمان مالكِ بن حويرث قال: أتينا النبيَ صلى الله عليه وسلّم ونحن شبَبَةٌ متقاربُون، فأقمنا عندَه عشرين ليلة، فظن أنّا إشتَقْنا أهلَنا وسَألَنا عمّن تركنْا في أهلنا، فاخبرناهُ وكانَ رفيقاً رحيماً، فقال: ارجعُوا إلى أهْليكم فَعَلّمِوُهُمْ ومُرُوهُم وَصَلّوا كَما رَأَيْتُموُني أُصَلّي وإذا حَضَرتِ الصَلاةُ فليؤذِّنْ لكم أحدُكم ثم ليؤمُّكم أكبرُكُم[١].

إن رسول الله (ص) لم يكن لِيَتعبَ من هذا الأمر مطلقاً بل كان يجتهدُ في بث أحكام الدين وتعليم المسلمين وتربيتهم مثل معلمٍ رؤوفٍ ووالدٍ رحيم، ولم يقصّر في القيام بهذه المسؤولية الكبرى قط.

لقد كان (ص) يَغتنم كلَ فرصَة لنَشر مَعارف الدين وأحكامه في المسجد والمنزل، وفي الأزقة والأسواق، وفي المجالس العامة والخاصة، وفي السفر والحضر، وفي الحرب والسلم وفي كل حال .. وفي كل مكان ..

كانَ صلّى الله عليه وآله ـ ضمن تعليم الآيات للمسلمين ـ يشرح لهم كذلك ما يرتبط بها من العِلم والعمـل، وربـما قام بعملٍ إذا وَجَد ذلك ضرورياً ليتعلمه المسلمـون، واذا شاهد شخصاً يأتي بعملٍ بصورةٍ خاطئةٍ، ذكّره، ثم بيّن له كيفيّته الصحيحة، ولو أنه أتى به بصورةٍ صحيحةٍ أيّدَهُ.

كما أنه كان يذكّر المسلمين ضمنَ تعليمهم الآيات ـ بالمخصّص، أو الناسِخ لو كان.

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ٥٢.

وأساساً كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يوصي أصحابه بأن يأخذوا عنه مناسكَ الحج.

يقـول جابر: رأيتُ النبيّ (ص) يرمي براحلته يوم النحر ويقول: لتأخذوا مناسِكَكُم، فاني لا أدري لعلّي لا أحجّ بَعدَ حِجّتي هٰذِهِ[1].

وبهذا الشكل ضُبِطت وحُفِظَت أحاديثُ رسولِ الله (ص) بواسطة أصحابهِ وبقيَت للمسلمين.

أدلّةُ حجيّةِ السنّة

في نظري لا تحتاج حجيَّة السُنّة الشَريفة إلى إقامة البرهان لأنه كان منذ عهد رسولِ الله (ص) ولا يزال أمراً مسلَّماً به ومقبولاً عندَ الصحابة والمسلمين .. ولو شُكِّكَ في حجيّة الأحاديث لما وَصَلَ الأسلامُ إلينا في صورته الحاضرة.

وأساساً فانّ حجّية الأخبار الصحيحة أمرٌ عقلائيٌ عليه مدارُ حياة الناس اليَوميّة، فانهم يعتمدونها ويرتِّبون عَلَيها الآثار .. وان الشَرع الإسلاميَّ هو الآخر أقدم ـ من هذا الطريق ـ على نشر أحكام الدين، ولكننا مع ذلك نشير إلى بعض الآيات لتأييد هذا المطلب:

﴿وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللّٰهَ إِنَّ ٱللّٰهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

﴿فَـلاَ وَرَبِّـكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾[3].

---

(١) صحيح مسلم ج٣ ص ٩٤٣.

(٢) الحشر ـ ٧.

(٣) النساء ـ ٦٥.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[١].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَالَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيراً﴾[٣].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَالَكُمْ﴾[٤].

أقسامُ الحديث

لابدَّ من التذكير بهذه النقطة وهي أَنّ حجيّة السُّنة الشريفة لا تعني أنّ كلَ حديثٍ جاءَ في الكتب حجّـة معتـبرة، بل ان بَعض الأحاديث غيرُ معتبر ونذكّر القارىء الكريم ـ لتوضيح هذا المطلَب ـ بأنَ الأحاديث بصورةٍ عامةٍ تنقسمُ إلىٰ صِنفين:

الخبرُ المتواتر، والخبر الواحد.

إذا كانَ الـرواة لحديثٍ عن مَعْصوم والرُّواة عنهم لِتلك الرواية من الكَثرة بحيث يستحيل عادةً تواطؤهم واتفاقهم على الكذب، و كانت بحيث توجبُ اليقين. إن حديثاً كهذا يسمى الحديث المتواتر، وإذا لم يكن الرواةُ بذلك القدر سُمّيَ

---

(١) النساء ـ ٨٠.

(٢) الاعراف ـ ١٥٧.

(٣) الاحزاب ـ ٢١.

(٤) محمد ـ ٣٣.

خبراً واحداً، ولا شك أن الخبر المتواتر حجة، لأن العقلاءَ يعتبرون مثل هذا الخبر، ويعملون وفقه، لكونه يوجب اليقين. ويورِث الاطمئنان.

ثم إن الخبر الواحد هو الآخر ينقسم إلى عدة أصناف: الخبر الصحيح، الخبر الحسن، الخبر الموثق، الخبر الضعيف، الخبر المرسَل.

إن كلَّ خبر يكون جميع رُواته إلى المَعصوم إماميّين اثني عشريّين عُدُولاً سمي «صحيحاً».

وكل خبر يكون جميع رواته إماميين مُوَثّقين سمي «حَسَناً».

وكلُ حديث كان بعض رُواته غير أماميين ولكنهم كانوا موثقين سمّي «موثقاً».

وكلُ حديث كان على غير هذه المواصفات سمّي «ضعيفاً».

وإذا كانَ بين رُواة الحديث وَضّاعٌ سُمّي «مجعولاً» و «موضوعاً».

وإذا كان مجهولَ الحالِ سُمِّي الحديث «مجهولاً».

والحديث المرسَل هو أن ينقل أحدُ رواته ذلك الحديث ممن لم يكن في عصره.

ثم إن هناك أقساماً من الحديث مذكورة ومبحوثة في كتب «الدراية»، وهو علم يهتمّ بتصنيف الحديث من هذه الناحية.

والأحاديث الصحيحة، والحَسَنةُ حجةٌ و معتبرةٌ عندهم .. وأما الحديث الموثَق فالأغلب إعتبارُه ـ أيضاً.

وأما الأحاديث الضعيفة فلا إعتبار لَها، ولا عبرة بها.

بل هي مرفوضة إلّا إذا إحتَفَّتْ بها قرينةٌ، أو كانت هناك ناحيةٌ جَبَرَتْ ضَعْفَها.

وهناك خلافٌ بين العُلَماء في حجّية الخبرِ المرسَلِ.

ثم إن ما قيلَ حول حجيةِ الأخبار الآحاد إنما يرد في الأحاديث التي تتضمن بيان الوظائف العملية، وتكاليف الانسان، دون الأحاديث المرتبطة بالعقائد، والتاريخ، والإنسان والطبيعيات، وفوائد بعض الأطعمة والأشربة أو مضارّها، والاُمور المتعلّقة

بالصحة والطب والمرض والعلاج، وغير ذلك من الأُمور المشابهة فلا يمكن تسمية هذا النمَط من الأحاديث والأخبار بالحجة الشرعية.

وفي هذا المجال يمكن القول بأنّ الخبر الواحد لو كان يدور حول الأُمور التي يجب فيهـا الإيمان واليقين مثل: وجود الله، ووجود المعاد، وحشر الموتى، ولزوم بعث الأنبياء، ففي هذه الموارد لا يجوز التمسك والاكتفاء بخبر الواحد، لان الخبر الواحد لا يفيد شيئاً أكثر من الظن على حين لابدّ في مجال الإيمان مِن اليقين والقطع.

وعلى هذا الأساس لابدّ في هذه الأُمور من مواصلة البحثِ والتحقيقِ حتى يحصلَ اليقينُ.

ولكنْ إذا كان الخـبرُ الواحد يدور حولَ الأُمور التي لايُشتَرط فيها اليقينُ والإيمان القـطعي مثـل بعض خصـوصيّات النبيّ صـلى الله عليه وآلـه وصفـاته، وخصوصيات وتفاصيل عالم البرزَخ والقيامة، وصحيفة العمل، والميزان، ونعم الجنة، وعذاب النار، ففي مثل هذه الموارد يمكن القول بانه يجوز التمسّك بالأخبار الآحاد، ولكنها لا تُعتَبَر إلا في مستوى الدليل الظني، اي إن لها من الإعتبار ما للدليل الظنّيّ. ولا توجب يقيناً وقطعاً، ويمكن نسبة مفادها ومدلولها إلى الاسلام في هذا الحدّ، اللّهم إلّا أن توجب يقيناً وتورث قطعاً بسبب ما يحتفّ بها من قرائن صادقة، اذ في هذه الحالة يمكن أن تعدَّ من الأدلة القطعية.

والأخبـار الآحـادُ المرتبطة بالتاريخ، والطبيعيات والصحة والطب، والمرض والعلاج هي من هذا النوع.

فكّروا وأجيبوُا

١ ـ هل يمكن الإكتفاء بالقرآن وحده لبَيان مَعالم الاسلام وقوانينه؟

٢ ـ ماذا كانتْ رؤية المسلمين حولَ رسول الاسلام؟ وكيف كان إستعدادهم

لأخذ أحكام الدين منه (ص)؟

٣ ـ كيف كانَ رسول الله (ص) يعلّم المسلمين أحكام الاسلام؟

٤ ـ لماذا لا تحتاج حجيةُ الأحاديث إلى الاستدلال والبرهنة؟

٥ ـ عرّفوا الخبرَ المتواترَ.

٦ ـ ما هو الخبرُ الصحيح، وبماذا يفترقُ عن الخبر الحسن؟

٧ ـ هَل يمكنُ الاكتفاء بالخبرِ الواحدِ في أُصول العقائد، ولماذا؟

٨ ـ في أيّ مستوى تُعتَبر الأخبار الآحاد في غير التكاليف الشرعية؟

* * *

الدرسُ الخامسُ والأربعون

٣ ـ سُنةُ أهلِ البيتِ وسيرتُهم

المصدرُ الثالث للمعارف والأحكام الإسلامية هو سُنة أهلِ البيت، عِترةِ رسول الإسلام صلّى الله عليه وآله وسيرتهم ..

لقد عَلِم رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنه ميّتٌ وراحل إلى رَبّهِ لا محالة، وأنّ الأُمة الإسلامية الفتية تحتاج من بَعده إلى مرجَعٍ علميٍ معتبرٍ معصوم عن الأشتباه والزلل، والذنب والمعصية لكي يجتهدَ في نشرِ معارفِ الاسلام وأحكامه وحفظها، ويقود الأُمةَ الأسلامية. ولهذا نَصَبَ أهلَ البيتَ مَرجَعاً عِلمياً غنياً ومَوثوقا به، وعرّفهم باشخاصِهم وأعيانِهم للمسلمين، ليَبقوا أبداً إلى جانبِ القرآن الكريم، ويتكفّلوا رفعَ إحتياجات المسلمين العلميّة.

ولقد بالغَ رسول الله (ص) في الإيصاء بهم، فهو لم يوصِ المسلمين بهم مرّةً أو مرّتين فقط بل مراتٍ عديدةٍ ضمن أحاديث وَرَدَت في كتب الشيعة وأهل السنة، وَمِنْ تِلك الأحاديث حديث الثقلين المعروف الوارد بعبارات متنوّعة وطرق (وأسناد) متعدّدة، ونحنُ نشير فيما يأتي إلى ذلك الحديث بنصه:

زيد بن أرقم (في حديث إلى أن قال:) قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يوماً

فينا خطيباً بماءٍ يُدعى خمّاً، بين مكة والمدينة، فحمدَ الله وأثنى عليه ووعَظ وذكر ثم قال: أما بعدُ ألا أيها الناسُ فإنّما أنا بَشَرٌ يوشك أنْ يأتي رَسولُ ربّي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أوّلهما كتابَ الله فيه الهُدىٰ والنُور، فخذوا بكتابِ الله واستمسكوا به، فحثَّ على كتابِ الله ورغّبَ فيه، ثم قال: وأهلَ بيتي، أُذكّرُكم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهلِ بيْتي، أُذكّركُمْ اللهَ في أهلِ بيْتي[١].

زيدُ بنِ أرقم قال: لما رَجَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزلَ غديرَ خُم، أمرَ بدَوحاتٍ فقُمِمن فقال: كأنّي قَدْ دُعِيتُ فأجَبْتُ، إنّي قد تَركتُ فيكم الثقلين: أحدَهما أكبر مِنَ الآخرِ، كتابَ الله تعالىٰ وعترَتي، فانْظرُوا كيفَ تخلِفوُني فيهما، فإنهما لَنْ يَفْترقا حتىٰ يَرداَ عَليّ الحَوضَ. (ثم قال:) إنَّ الله عَزّ وجلّ مَولايَ وانا مولى كُلِّ مُؤمِنٍ.

ثم أخذ بيد عليّ رضيَ اللهُ عنه فقال: مَنْ كُنتُ مَوْلاهُ فهذا عَليٌ مولاهُ، أللهمَ والِ مَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ[٢].

وقد نقل أحمد بن يحيى البلاذري عن زيد بن أرقم أنه قال: كنّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلّم في حجة الوداع، فلما كنّا بغدير خم أمَرَ بدوحات فقُمِمْنَ، ثم قال: كأنّي دُعيْتُ فأجَبْتُ، وإنَ الله مَولايَ ومَولىٰ كلّ مؤمن، وأنا تاركٌ فيكُمْ ما إن تَمَسّكْتُم بِهِ لَنْ تَضِلّوا: كتابَ اللهِ وَعِتْرَتي أهلَ بيْتي فإنّهما لنْ يَفْتَرقا حتى يَرداَ عليّ الحوض.

ثم أخذ بيَدِعليّفقال:مَنْكُنْتَوَليَّهُ،فَهذاوَليّهأَللّهُمّوالِمَنْ والاهُ وَعادِ مَنْ عاداهُ.

قال أبوُ الطفَيل: قُلْتُ لزَيد: أنتَ سَمعْتَ هذا مِنْ رَسولِ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، قالَ: ما كانَ في الدَوْحاتِ أَحدٌ إلاّ وَقدْ رَأى بعَيْنيْهِ وسَمعَ بأُذُنِه[٣].

(١) صحيح مسلم ج٤ ص ١٨٧٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص ١٠٩.

(٣) أنساب الاشراف ج٢ ص ١١٠.

ونَقَلَ عليُّ بن أبي بَكر الهَيثمي عن زيد بن ثابت أنه قال قالَ رسولُ الله صَلى الله عليه وسَلم: إنّي تاركٌ فيكُمُ الثقَلَيْن خليْفَتَيْن كِتابَ الله عَزوَجلّ حَبلٌ ممدودٌ ما بينَ السَماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرْض ، وعِترَتي أهلَ بَيتي، وإنهما لَنْ يَفْتَرِقا حَتى يَردا عليّ الحَوضَ[1].

وقد نُقِل هذا الحديث بعَينه في هذا الكتاب ذاتِه بعباراتٍ أُخرىٰ عن أبي هريرة وعلي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري وزيدِ بن ارقم وحذيفة بن اسيد كذلك .

ونقل احمد بن علي الخطيب البغدادي عن حذيفة بن اسيد أنه قال قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم: يا أيها الناسُ إنّي فَرَطٌ لَكُمْ وأَنْتُمْ واردُون عَليَّ الحوضَ، وإنّي سائلكم حِينَ تَردُون عَليَّ عن الثقلين فانظُرُوا كيف تَخْلِفوُني فيهما: الثقلَ الأكبرَ كتابَ الله، سَبَبٌ طَرَفُه بيدِ الله وطَرَفهُ بأيديكم، فاسْتَمِسكوا بِهِ وَلا تَضِلُّوا وَلا تُبدِّلوا[2].

وروىٰ الإمام احمدُ بن حنبل عن أبي سعيد أنه قالَ قالَ: رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلّم: إنّي قَد تركتُ فيكم ما إنْ أَخَذْتُم بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعدي: الثقلين أحَدَهُما أكبرُ من الآخَر، كتابَ الله حَبلٌ ممَدودٌ مِنَ السَّماء إلى الأرْض وعترتي أهلَ بَيْتي، ألا وإنَّهما لَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَردَا عَليَّ الحوض[3].

وبالجملة قد رُوي حديث الثقلين بعبارات متنوعة واسناد عديدة عن جمع من صحابة النبي الكبار مثل زيد بن أرقم، أبي ذر الغفاريّ، أبي سعيد الخدري، علي بن أبي طالب، زيد بن ثابت، حذيفة بن اليمان، ابن عباس، سلمان الفارسي، أُبو هريرة، جابر بن عبدالله الأنصاري، حذيفة بن أُسيد الغفاري، جبير بن مطعم، الحسن بن

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص ٦٢.

(٢) تاريخ بغداد ج٨ ص ٤٤٢.

(٣) ينابيع المودة ص ٤١.

علي، فاطمة الزهراء، أم هاني بنت أبي طالب، أم سلمة، أبو رافع مولى رسول الله، وغيرهم.

ولقد قامَ عليُ بن أبي طالب بين الأصحاب ـ في عهد خلافته ـ وقال: أُنشدُ الله مَن شَهِدَ يومَ غدير خُم .. وسَمِعَ حديث الثقلَين من رسول الله (ص) إلاّ قامَ وشهد فقام جماعة وهم سبعةُ عشر شخصاً وشهدوا بذلك قائلين: نحنُ حَضَرنا وسَمِعْنا ونَشْهَدُ، منهم خزيمة بن ثابت، وسهل بن سعد، وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وأبو أيوب الانصاري، وابو سعيد الخدري، وأبو شريح الخزاعي، وأبو قدامة الأنصاري وأبو يعلي الأنصاري، وأبو الهيثم بن التيهان[1].

ولقد كتبَ أحمد بن حجر الهيثمي يقول: إن لحديث التمسك بذلك (اي التمسك بالثقلين) طرقاً كثيرة وَرَدَتْ عن نيِّفٍ وعشرين صَحابياً[2]. ويُستفاد من حديثِ الثقلين ثلاثة أُمور ومطالب هي:

المطلَب الأول: أنّ عترة النبيّ (ص) وأهل بيته الكرام وُصِفوُا في هذا الحديث بأنهم المرجَع العلمي المعتبر، والحجة الشرعية واجبة الاتباع، وان سنتهم وسيرتهم تعدّ من مصادر المعارف والأحكام الإسلامية، وأنّ المسلمينّ مكلّفون بالرجوع إليهم لتحصيل علوم الدين، وانّ هذا الموضوع غير مسألة إمامتهم.

المطلَب الثاني: كما أنّ القرآن باقٍ بين الناس الى يوم القيامة، فإن أهلَ البيت

---

(١) ينابيع المودة ص ٤١.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٥٠.

لقد ورد حديث الثقلين ـ مضافاً إلى كتب الشيعة ـ في مصادر وكتب كثيرة من مؤلفات أهل السنة أيضا مثل: صحيح مسلم، مسند الامام احمد بن حنبل، المستدرك على الصحيحين، أسد الغابة، مجمع الزوائد، تاريخ بغداد، السيرة النبوية لابي الفداء، أنساب الاشراف، التفسير الكبير، الفصول المهمة، المناقب للخوارزمي، ينابيع المودة، إسعاف الراغبين، تذكرة الخواص، ذخائر العقبى، السيرة الحلبية، منتخب كنزالعمال، نسيم الرياض، وكتب أخرى.

هم أيضاً باقون إلىٰ يوم القيامة.

المطلَب الثالث: انّ القرآن وأهل البيت حجتان شرعيتان، ومصدران علميّان واجباْ الاتباع لا يفترقان أبداً .. وان المسلم لا يمكن (ولا يجوز له) أن يَدَعَ أهلَ البيتِ جانباً ويقولَ حسْبُنا كتاب الله، وحتى لو لم يقبَل بإمامتهم فانه يجب عليه أن يقبل بمرجعيتهم العلمية الدينية.

إنّ هناك أحاديث أُخرى أيضا بهذا المضمون والمحتوىٰ تعتبر إتباع أهل البيت موجِباً للفلاح والاعراض عنهم موجباً للضلال والخسران. ومن ذلك حديث السفينة:

قال ابنُ عباس: قال رسولُ الله صلّى الله علَيه وآله: مَثل أهلِ بَيتي مَثَلُ سَفِينة نوح، مَن رَكِبَ فيها نَجا وَمَن تخلّفَ عَنها غَرِق [١].

وقد روي هذا الحديث باسناد أُخرى عن أبي سعيد الخدري وعبدالله بن الزبير وأبي ذر الغفاري عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أيضاً.

أهلُ البيت

ليسَ المراد من أهل البيت كل من انتسب إلى رَسول الله (ص) أو الذين كانوا يعيشون تحت كفالته، بل هُم أفراد مخصوصون، لأنّ أهل البيت وُصِفوا ـ في الأحاديث المذكورة ـ بأنهم المراجعُ الشرعيون في العلم والدِّين، وأنهم موضعُ ثقة مائة بالمائة، وأن إتّباعهم لا يستتبع ضلالةً ولا انحرافاً.

وعلى هذا يجب أولاً: أن يكونوا علماء بمعارف الدين وأحكامِه عارفين بها كمالَ المعرفة والعلم، وثانياً: أن يكونوا معصومين مَصُونين مِن كلِ نوع مِن أنواع الزَلَلِ

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص ١٦٨.

والمَعصِيَة، ولهذا جاءَ في ذيل حديث الثقلين: فَقُلْنا: مَنْ أهلُ بيته؟ نساؤُه؟ قالَ: لا وأيمُ الله، إنّ المرأةَ تكونُ مَعَ الرجُلِ العَصَر من الدَهر، ثم يُطلِّقُها فترجعُ إلى أبيهَا وَقومِها، أهلُ بيته أصلُه وعُصْبَتُه الذين حُرِموُا الصَدَقَةَ بَعدَهُ[1].

يجب علينا الرجوعُ إلى أحاديث رسول الله (ص) نفسِه لمعرفة المراد من أهل البيت. وها نحن نشير إلىٰ طائفة من هذه الأحاديث على سَبيل النَموذج:

عن أُم سلمة قالت: في بيتي نَزَلَتْ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: فارسَـلَ رسـولُ الله صَلّى اللهُ عليه وسَلّم إلىٰ عَليّ وفـاطمةَ والحَسَنِ والحُسَيْنِ، فقال: هؤلاءِ أهلُ بَيْتي[2].

وقال عمرُ بن ابي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية على النبي: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بَيت أُمّ سلمة، فدعا النبيُ صلى الله عليه وسلّم فاطمة وحَسَناً وحُسَيْناً فجلّلهُمْ بكساءٍ وعليٌ خَلْفَ ظَهْرِه، ثم قال: هؤلاءِ أهلُ بَيتي فأذهِبْ عنهم الرجسَ وطَهِّرْهُمْ تَطهيراً. قالت أُمُ سلمة: وأنا مَعَهُمْ يا رسولَ الله؟

قال: أنتَ عَلىٰ مَكانِكِ. أنتِ عَلىٰ خَيرْ[3].

وقالت عائشة: خَرَجَ النبيُ صلى اللهُ عليه وسلّم غداة وعَلَيْه مرط مرحّل من شعر أسوَد، فجاء الحسنُ بن علي فأدخَلَهُ ثم جاء الحسينُ فدخَلَ معه، ثم جاءَتْ فاطمة فأدْخَلَها، ثم جاءَ عليٌ فأدْخَلَهُ، ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[4].

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص ١٨٧٤.

(٢) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص ١٤٦.

(٣) أُسد الغابة ج٢ ص ١٢.

(٤) صحيح مسلم ج٤ ص ١٨٨٣.

وقالَ عَبْدُاللهِ بن العباس: سَمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقولُ: أنا وَعَليٌّ والحَسَنُ والحُسَين وتسعةٌ مِن وُلْدِ الحُسَيْنِ مُطَهَّرُون مَعْصُومُونَ [١].

مِن هذه الأحاديث ونظائرها يستفاد أنَّ المراد من أهل البيت الذي ذكر في حديث الثقلين وغيره إنما هم أفرادٌ مخصوُصوُن إهتم رسولُ الله (ص) نفسه بتعريفهم بأعيانهم وأشخاصهم وفي طليعتهم عليُّ بن أبي طالب وَفاطمة والامامُ الحَسَن و الامام الحُسَين عليهم السلام، وهم وصَفُوا تِسْعَةَ أُولاد الامام الحسين بهذا الوَصف: أيْ بأنَّهُم أئِمة مَعْصُومُون مِن الخطأوالمعصية، وقد جاءَت أساميهِمْ فِي الكُتُبِ المَذكُورَةِ وَغَيرها.

فَكِّروا واجيبوا

١ ـ إحفظوا حديث الثقلين.

٢ ـ ما هُوَ حديث الثقلين؟

٣ ـ بَيِّنوا المَطالبَ التي تُستفادِ مِن حديث الثقلين؟

٤ ـ إحفظوا حديث السفينة.

٥ ـ مَن هم أهل البيت؟

٦ ـ احفظوا واحداً من الأحاديث التي تُعَرِّف أهلَ البيت.

* * *

(١) فرائد السمطين ج٢ ص ١٣٣.

الدرس السادس والاربعون

حَمَلَةُ عُلوُمِ النَبِيّ

رَغم أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله كان يجتهد في تبليغ الدين، ونَشر معارف الاسلام وأحكامه، وحرّص جماعة من أصحابه على ضَبطها وحفظها، ولكن رسول الله صلى الله عَليه وآله لم يكتفِ بهذه الدُروس العامّة، وهذه الإرشادات العمومية لأنه كانَ يعلَم جيّداً أنَّ ظروف وأوضاع صدر الاسلام الصعبة المتأزمة لا تسمح لعامّة المسلمين بأن يضبطوا ويحفَظوا جميع العلوم والمعارف والأحكام الإسلامية بشكلٍ كاملٍ، هذا مضافاً إلى أنّهم لن يكونُوا مَصُونين عن الخطأ والإشتباه .. فتكون النتيجة أنه يمكن أن ينسوا قسماً من معارف الإسلام وأحكامه، أو يصيرَ موضعَ خلاف بينهم، ولهذا صمّم على أن يستودِعَ معارف الإسلام وأحكامه عند أشخاص أُمناء ثقات، مصونين عن الخطا والزَلَل، معصوُمين عن الإشتباه والنسيان، حتى يمكن رجوع المسلمين اليهم عند الحاجة.

وَلقد اختار لهذه المهمّة علي بن أبي طالب عليه السلام، واستودع عنده ما أمَرَه الله تعالى باستيداعه عنده.

أنظر إلى الحديث الآتي:

قال عليُّ بن أبي طالب: ضَمّني رسولُ الله صلى الله عليه وآله، وقال لي: إن الله أمَرَني أن أُدْنيكَ ولا أُقْصيك وأن تسمَعَ وتَعِي، وحَقَ على اللهِ أن تسْمَعَ وتَعي، فنزلتْ هذهِ الآيةُ: ﴿وتعيَها أُذنٌ واعِيةَ﴾[١].

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله علَيه وآله انهُ قال: لما نَزَلت: ﴿وتعيَها أُذنٌ واعِيَةٌ﴾ قال النبيُ صلّى الله عليه وآله: سَألتُ ربّي عزَّ وجَلَّ أن يَجْعَلَها أُذُنَ عليّ . قالَ عليٌّ عَلَيه السلام: ما سَمِعتُ مِن رَسوُلِ الله (ص) شَيئاً إلاّ حَفِظْتُهُ وَوَعَيْتُهُ وَلَمْ أنْسَهُ مَدى الدَهرِ[٢].

وعن ابن عباس ايضا قالَ قالَ رسولُ الله صلى الله علَيه وآله: لما صرتُ بَينَ يدي رَبّي كَلَّمَني وَناجاني، فما علمتُ شَيْئاً الاَّ علّمتُهُ عليّا فَهُوَ بابُ علْمي[٣].

وقالَ عليٌّ عَليه السلام: وقد عَلِمْتُمْ مَوْضِعي مِن رسوُلِ اللهِ صَلى الله عَلَيه وآله بالقَـرابَةِ القَريبَة وَالمنزلةِ الخَصِيْصَةِ، وَضَعَني في حِجرهِ وأنا وَلَدٌ، يَضُمُّنَي إلى صَدرِه، وَيكنُفني في فِراشِهِ ويُمسُّني جَسَدَه، ويشمني عَرفه، وكانَ يمضَغُ الشَيءَ ثم يُلْقِمَنيهِ وما وَجَد لي كِذبةً في قولٍ ولا خَطْلَةً في فِعلٍ ، وَلَقد قَرَنَ اللهُ به صلى الله عليه وآلهِ مِن لَدن أن كانَ فَطيماً أعظَمَ مَلَكٍ مِن مَلائكتِهِ يَسلُك به طريقَ المكارمِ ومحَاسِنَ أخلاقِ العالم ليلَهُ ونهارَه، ولَقَد كنتُ أتبعُهُ إتباعَ الفَصيلِ إثرَ أُمِّه، يرفعُ لي في كل يَومٍ مِن أخْلاقهِ علماً وَيَأْمُرُني بالإقتداءِ بهِ وَلَقد كانَ يُجاوِرُ في كلِ سَنَةٍ بحِراء، فأراهُ ولا يراهُ غَيري ولم يجمعْ بيتٌ واحدٌ يَومَئذٍ في الإسلام غيرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَخديجة وأنا ثالثهما، أرىٰ نورَ الوَحْي والرسالة وأشُمُّ رِيحَ النُبوةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَيْطان حِين نزول الوحي عَلَيْهِ فقلتُ يا رسوُلَ اللهِ ما هذهِ الرَنّةُ؟

---

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٩٩.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٩٩.

(٣) ينابيع المودة ص ٧٩.

فقال: هذا شيطانٌ أيسَ مِن عِبادَتِهِ إنك تَسْمَعُ ما أَسْمَعُ وترىٰ ما أرىٰ إلّا أنك لستَ بنبيّ لكنَّكَ وَزيرٌ وإنكَ لَعَلىٰ خيرٍ[1].

وَقيلَ لِعَليّ عَليه السلام: مالَكَ أكثرُ أصحابِ رَسولِ الله حَديثاً؟

فقال: إني كنتُ إذا سَألتُه أنبأني وإذا سَكتُّ إبتدأني[2].

وقال عليٌ عليه السلام (في حديث) وقَد كنتُ أدخلُ على رسول الله صَلى الله عليه وآله كلَ يومٍ دَخْلةً فيخلّيني فيها، أدورُ مَعَه حيث دار، وقد علمَ أصحابُ محمد أنه لم يَصْنَع بأحَدٍ مِنَ الناسِ غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله، اكثر ذلك في بيتي، وكنتُ اذا دخلتُ عليه بعضَ منازله، أخلاني وأقام عَنّي نِساءَهُ فَلا يَبقى عندَه غيري، وإذا أتاني لِلخَلوة مَعي في مَنزلي لَمْ تقمْ عَنّي فاطِمةُ ولا أحَدٌ من بنيّي، وكنتُ إذا سألته أجابَني وإذا سكتُّ عَنه وفنيتْ مَسائِلي إبتَدَأني، فَما نزلت علىٰ رسولِ الله آية من القرآن إلا أقرأنيها واملاها عليَّ، فكتَبتها بخطّي، وعَلَّمني تأويلَها وتفسيرَها وناسخَها ومنسوُخَها، ومُحكَمها ومُتشابهَها، وخاصها وعامَّها، ودَعا الله أن يعطِيَني فَهْمَها وَحِفْظَها، فما نسيتُ آيةً مِن كتابِ الله، وعِلماً أَمْلاهُ عليَّ وكتبتهُ منذُ دَعا اللهَ لي بما دَعا وما تَرَكَ شَيئاً عَلَّمهُ اللهُ مِنْ حَلالٍ وحرامٍ وَلا أمر ولا نَهيٍ كانَ أو يكونُ وَلا كتابٍ مُنَزَّلٍ على أحدٍ قَبله مِن طاعةٍ أو مَعْصيَةٍ إلّا عَلَّمَنيه وحَفِظْتُهُ فلم أنسَ حَرْفاً واحداً، ثم وضَعَ يَدَه على صَدري وَدَعا الله لي أن يَملأ قَلبي عِلماً وَفَهماً وحُكما ونورا. فَقُلت يا نبيَّ الله بأبي أنتَ وأُمّي منذُ دعوتَ الله بما دَعَوْتَ لم أنسَ شَيئاً ولم يَفُتْني شيء لم أكتبه، أفتخوَّفُ عَليَّ النِسْيانَ فيما بَعد؟

فقال: لا، لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ النِسْيانَ والجَهْلَ[3].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٨٧.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص ٣٣٨ وانساب الاشراف ج٢ ص ٩٨.

(٣) الكافي ج١ ص ٦٤.

وقالَ عَليٌ عَليه السلام: والله ما نَزَلَتْ آيةٌ إلّا وَقَد عَلِمْتُ فيما نَزَلَتْ، وأين نَزَلَتْ وَعَلىٰ مَن نَزَلَتْ إنّ رَبّي وَهَبَ لي قَلْباً عَقُولاً وَلِساناً ناطِقاً [١].

يُستفاد من الأَحاديثَ المذكورة أن رسول الله صلى الله عليه وآله بَذَلَ عنايةً خاصةً في تربية علي بن أبي طالب عليه السلام وتعليمه، ولهذا وَفّر له إمكانات خاصة، وأوقفه على كلِ ما كانَ يتلَقّاهُ مِن جانبِ الله عن طريقِ الوحي، ويدعو الله تعالى بان يحفَظَهُ مِنَ الزَلَل والخطأ، ويصُونه من الإشتباه والنِسيان وقد استجاب اللهُ لِدُعائِهِ ..

الجامِعُ للعلوم

لقد استوعَبَ الإمام عليٌ عليه السلام بِفَضل قابليّاته الذاتية، وعناية رسول الله صلى الله عليه وآلـه الخـاصـة به، وتوفيقاتِ الله وتأييداته له وبصورةٍ تدريجية استغرقت ثلاثـاً وعشرينَ عاماً هي مدة الرسالة المحمدية، كلَ معارِفِ الاسلامِ وأحكامِه وأصبح جامعاً لعلوم الدين ..

إن هذا أمر شهِدَ به رسولُ الله صلى الله عليه وآله مراتٍ عديدةٍ وفي مواضع مختلفة واليك على سبيل المثال:

قال النبي صلى الله عَلَيه وآله: لِيَهنِئكِ العلْمُ يا أبا الحسن، لقد شَرِبْتَ العِلْمَ شُرباً، ونهَلْتَه نَهلًا [٢].

وقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أيضاً: أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌ بابُها، فَمَنْ أرادَ العِلمَ فَلْيَأْتِ البابَ [٣].

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله كذلك: يا عَليّ أنا مَدينَةُ العِلْمِ وأنتَ بابُها،

---

(١) الطبقات الكبرى ج٢ ص ٣٣٨.

(٢) ذخائر العقبى ص ٧٨.

(٣) ينابيع المودة ص ٨٢، وأُسد الغابة ج٤ ص ٢٢.

كَذِبَ مَن زَعَمَ أنه يَصِلَ إلى المَدينةِ إلاّ مِن قِبَلِ بابِها [١].

وعن سلمان الفارسي عَنِ النَبيّ صلى الله عليه وآله: أنه قالَ أعلمُ أُمتّي مِن بَعْدي عَليُّ بنُ أبي طالِبٍ [٢].

وعن أنسَ بن مالك قال: إنَ النَبيَّ صلّى الله علَيه وسلّم قال لعلي: «أنتَ تُبيّنُ لِامَّتي ما اختَلَفُوا فيهِ بَعْدي [٣].

وعن أبي سعيد الخدري قالَ قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم: إنَّ أقضىٰ أُمَّتي عَليُّ بنُ أبي طالِبٍ [٤].

كتابة الأحاديث

لقد كانَ عليُّ بن أبي طالب معصوماً من الخطأ والزلَل والإشتباه والنِسيان ولم يكن بحاجةٍ إلى الكتابةِ والتدوين لضَبط الأحاديث وحفظها، ولكنَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله أمرَهُ ـ مع ذلك ـ بأن يكتبَ الأحاديث التي يَسمَعُها منه في كتابِ لتبقى للآخرين.

قال عَليُّ بنُ أبي طالبِ علَيه السلام قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ أُكتُبْ ما أُمْلي عَلَيْكَ.

قُلتُ: يا رَسولَ الله أتَخافُ عَليَّ النِسْيانَ؟

قال: لا، وَقَد دَعَوتَ الله عَزَّوجلَّ اَنْ يَجْعَلَكَ حافِظاً وَلكِن أُكتبْ لِشُرَكائِكَ الأئمةِ مِن وُلْدِكَ [٥].

---

(١) ينابيع المودة ص ٨٢.

(٢) فرائد السمطين ج١ ص ٩٧.

(٣) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص ١٢٢.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٣٩.

(٥) ينابيع المودة ص ٢٢.

ولقد كتبَ علي عليه السلام إطاعةً لأمر رسول الله كلَ ما سَمِعَهُ مِن رسولِ الله (ص) في كتاب وَحافَظَ عليه، وقد توارثَ الأئمةُ من ذريته هذا الكتابَ أو الكتب واحداً بعدَ واحدٍ وانتقلَ إلى إمام بعدَ إمام .. وهو أحدُ مَصادر أهلِ البيت العلمية، وهم يَسْتَنِدُون ـ في نقل المواضيع ـ إليها ويقولُونَ كتب في كتاب عِليّ، أوْ في صحيفة عَليّ، أوْ في الجامِعَةِ .. وَثَمّة أحاديثُ عديدة مِن هذا النَمط نشير إلى طائفة منها:

قال بَكـرُ بن كرب الصيرفي: سمعتُ أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول: إنَّ عِنْدَنا ما لا نحْتاجُ مَعَهُ إلى النّاس، وإنَ الناسَ لَيَحْتاجُوْنَ إلَيْنا وإنَّ عِنْدَنا كِتاباً إملاء رَسُول اللهِ صَلّى الله عليه وآله وخطّ عَليّ عليهِ السلام، صَحِيْفةٌ فيها كلُ حَلالٍ وَحَرام، وإنّكُمْ لَتَأتُونا بالأَمْر فَنَعْرِفُ إذا أخَذتُمْ بِهِ وَنَعْرِفِ إذا تَركْتَمُوهُ [١].

عَن عَبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعتُه يقول: انَّ عِندَنا جلداً سَبعون ذِراعاً أملىٰ رسولُ الله صَلّى الله عليه وآله وخطهُ عليٌ عليه السلام بيدِهِ وإنَّ فيه جميعُ ما يحتاجوُن إليه حتى أرش الخدشِ [٢].

لقد استودع رسولُ الله صلى الله عليه وآله معارف الإسلام وأحكامه في مواضع أمينة وموثوق بها بطريقتين:

الأولىٰ: بيّنهـا جميعاً لعليّ بن أبي طالب الذي كانَ مَصُوناً من الخطأ والزلل والإشتباه والنسيان.

الثانية: أمَرَ علياً بكتابة الأحاديث في كتابٍ أو كُتُب لتبقىٰ لِلأئمة مِن بعده..

وعندما توفّرت منل هذه الأرضيّة نَصَب أهل البيت في حديث النقلين وغيره من الاحاديث مراجعَ مُعتَبَرة ومَوثوقاً بها للمسلمين في العلم والدين.

ولقد استفادَ الامامُ عليٌ عليه السلام في حياته من كلا هذين الطريقين، ونقل

---

(١) الكافي ج١ ص ٢٤١.

(٢) جامع احاديث الشيعة ج١ ص ١٠.

أحاديثَ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام الحسن عليه السلام ونقلها الامامُ الحسَن ـ بدوره ـ إلى الإمام الحُسين، وهكذا نقلَ كل إمام ما سَمِعَهُ من الإمام السابق والكتب التي ورثها منه إلى الامام اللاحق الذي يخلفه.

ولقد أشارَ أئمَّة اهلُ البيتَ عليهم السلام أنفُسهم إلى هذا المطلب، وإليك على سبيل المثال ما يأتي:

عَن جابر (ابن عبدالله الانصاري) عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال: يا جابر إنا لو كنا نُحَدِّثُكُمْ برأينا لَكُنّا مِنَ الهالِكينَ ولكنا نُحَدِّثُكُمْ بأحاديثَ نَكنِزُها عَن رسولِ الله صَلّى الله عليه وآله كما يكنِزُ هؤلاء ذَهَبَهُمْ وَفِضَّتَهُمْ [1].

وعن هشـام بن سالم وحماد بن عثمان وغيره قالوا: سَمِعنا ابا عبدالله عليه السلام يقول: حَديثي حديثُ أبي، وحَديث أبي حَديث جدّي، وحَديث جَدّي حديثُ الحسين، وحديثُ الحسين حديثُ الحَسَن، وحديث الحَسن حديث أميرالمؤمنين وحديث أميرالمؤمنين حديثُ رسولِ الله صَلّى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل [2].

إنَ النبي صلى الله عليه وآله ـ كما تلاحظون ـ إختار الطريق المذكور الموثوق به بهدَف حِفظِ معـارفِ الإسـلام وأحكـامـه وصيانتهـا، ونَشرِها وإبلاغها بصورةٍ صحيحةٍ، ولأجل أن يُبْقِيَها للمسلمين دائماً وأبداً.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر أهلَ البيتِ النبويّ الأئمة المعصومين أوثقَ السُبُل وأفضل الطرق لنَقْلِ أحاديث النبي، وعلى المسلمين أن يَرجعوا إليهم في أخذ المعارف والأحكام الإسلامية الصَحيْحة وحتى أولئك الذين لا يَقبَلون بإمامتهم فإنهم

---

(١) جامع احاديث الشيعة ج١ ص١٣.
(٢) الكافي ج١ ص ٥٣.

مكلّفون ـ حسب وصيّة رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ـ بأن يرجعوا إليهم لتعلّم مَعارفِ الإسلام وأحكامه النَقيّة.

وفي الختام يَنبغي أن نُذَكِّرَ بهذا الموضوع وهو: أن علوم الأئِمة المعصومين لا تنحصرُ في ما يتلقّونه من هذين الطريقين بل هم يَستفيدون من طرق أُخرى لا يسع المقامُ لذكرها.

فَكِّروا وأجيبوُا

١ ـ لماذا إختار النبي الإمام علياً لتعليمه أحكام الدين؟

٢ ـ ماذا سألَ النبيُ (ص) ربّه لعليّ؟

٣ ـ لماذا كان الإمام علي يعلم أحاديث اكثر؟

٤ ـ ماذا قالَ رسول الله (ص) حول علم الإمام عليّ؟

٥ ـ لماذا قال النبيّ للإمام عليّ: أُكتُب ما أُملِيٰ عليك؟

٦ ـ من أي طرق يحصل الائمة على علومهم؟

٧ ـ ممن يجب أن يتلقى المسلمون معارف الدين وأحكامه؟

* * *

الدرسُ السابع والاربعون

العَقل

يُعدُّ العقل ـ هو الآخر ـ من منابع المعارف و الإحكام الاسلامية، وأدلتها ..
ان للعقل ـ من دون ريب ـ إستقلالاً في ادراك بعض القضايا والأمور، فهو يُصدِر فيها حُكماً قطعياً مثل: إمتناع اجتماع النقيضين، وارتفاع النقيضين، وامتناع اجتماع الضدّين في موضوع واحد وزمان واحد .. وغير ذلك من القضايا العقلية البديهية التي تسمىٰ بـ «الأوليّات».

وكذا مثل الحكم بأنَ كلَ ممكنٍ مرتبطٌ بعلة..

إن العقلَ ربّما يتوصّل ـ من خلال عملية التفكير والاستدلال والبرهنة اى ترتيب الصغرى والكبرى، وتشكيل قياس منطقيٍ ـ إلى نتيجة قطعيّة لايُشكّ في حجيتها واعتبارها.

إنّ الحياة الإنسانية اليوميّة تقومُ أساساً على هذه المدرَكات والقضايا العقلية، التي من دون القبول بها لا يمكن القيام بأي عمل، حتى استخدام الحواس والتجربة ـ، لأنّ الإنسان بعد أن يعترف بمبدأ «العلية» يعمد إلى التجربة، ويواصلها، فهو حينما يعترف مثلا ـ بتأثير الماء في رفع العطش يعمد إلى تحصيل الماء عندما يتعرض للعطش.

وهذا ينطلق من قانون العلية الذي يقضي به العقل نفسهُ.

ومن هنـا فان حجّية الدليل العقليّ أمرٌ مسلَّمٌ ومسألةٌ بديهيةٌ، لا تحتاج إلى الاستدلال والبرهنه.

ولقد اعترفَ القرآنُ الكريم أيضاً بكون العقل كاشفاً قطعياً عن الحقائق والواقعيات.

إن القرآنَ لا يقولُ: إقبَلوا بالعقائد والمعارف الدينية من دون دليل قطّ، بل يطلبُ من النـاس أن يستخـدموا عقولهم، ويتوصلوا إلى الحقيقة والواقع بالتفكير والاستدلال، ويؤمنوا عن يقين.

إنّ القـرآنَ الكريم يدعو الناس ـ في آيات عديدة ـ إلى التعقل، والتدبر، والتفكر، والتفقه. ونشير إلى طائفة من هذه الآيات على سبيل المثال:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَٱخْتِلافِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَا أَنزَلَ ٱللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَٱلأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَومٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ . وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلافُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[2].

وعَشرات الأُخرى مثل هذه الآيات.

وفي أحاديث عديدة وُصِفَ العقلُ بالحجية ايضاً، وأُوصي بالتعقل والتفكير.

---

(١) البقرة ـ ١٦٤.

(٢) المؤمنون: ٧٨ ـ ٨٠.

ومن باب المثال:

عن عَبدالله بن سنان عن أَبي عبدالله عليه السلام قال: حُجة اللهِ عَلى العباد النبيُ، والحجةُ فيما بينَ العبادِ وبينَ اللهِ العقلُ[1].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: العَقلُ دليلُ المؤمنِ[2].

ولا نظن أن ديناً من الأديان أوصىٰ بالتعقل والتفكر وحث عليهما بقدر ما صَنَعَ الاسلام..

لقد استدل القرآن الكريم لإثبات بعض حقائقه ومواضيعه وأتى بالبراهين والحجج لكى يحرّك عقولنا، ويدفعنا إلى التفكير، ويحملنا على التدبر والنظر.

ولقد جرت سيرةُ رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله) والأئمة المعصومين عليهم السلام على البرهنة والإستدلال كذلك ..

ولهذا يجب ان لا نتردد أو نشك في حجية الادلة العقلية.

ولكننا ـ مع ذلك ـ لا ندّعي قطّ أنّ الأدلة العقليّة لا تخطىء أبداً .. بل كما أن الحواسّ يجوز عليها الخطأ، والاشتباه، كذلك قد يخطىء الانسان في استدلالاته العقلية أيضاً.

ولكن يجب ان لا نتخذ موارد الخطأ دليلًا على عدم حجيّة الأدلة العقلية وكاشفيتها، بل يجب أن نفتش عن عِلَل الخطأ ونتجنبها وعلم «المنطق» هو الذي يتكفّل هذا الأمر، وقد دُوِّن لهذا الغرض.

وعلى هذا الأساس يمكن إثبات بعض الحقائق عن طريق العقل والتفكر، واقامة البراهين العقلية، والإيمان بها عن يقين: مثل أصل وجود الله، وصفاته الثبوتية والسلبية وأصل المعاد، وحشر الأموات والعقوبات والمثوبات الاُخروية، ومثل أصل

(١ و٢) الكافي: ج١ ص ٢٥.

ضرورة بعث النبي، وبعض صفاته، وكذا القضايا العامة في مجال الإمامة.

ففي هذه الموارد يمكن الاستفادة من العقل والادلة العقلية والايمان بها عن يقين.

ولكن لا يمكن الإستفادة من الأدلة العقلية في جميع المعارف، فمثلاً لا يمكن اكتشاف خصوصيات وتفاصيل القيامة، وعالم البرزخ، وصحيفة الأعمال، والحساب، والميزان، والصراط، ونِعَمِ الجنة، وعذاب الجحيم، عن طريق العقل، بل لابدّ في مثل هذه الموارد من الرجوع إلى ما ورد لها في القرآن والاحاديث من وصف، ولا يُطلَبُ في الايمان بها أكثر من هذا القدر.

إستنباط الأحكام التكليفية

يمكن الإستفادة من العقل في استنباط بعض الأحكام التكليفية واكتشافها .. وهذه الأحكام والمسائل تتنوَّع إلى عدة أنواع:

النوع الأوّل: هي الأحكام التي يستطيع العقل تحصيلها عن طريق اكتشاف ملاك الأحكام وفلسفتها.

ومنشأ هذا النوع من الأحكام مسألة كلاميّة يعتقدها أكثر المسلمين وبخاصة الشيعة الإمامية.

فإن الشيعةَ الإمامية تعتقد أنّ أحكام الشرع تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية فيقولون: إذا حرّم الشرع شيئاً أو أوجبه فانما هو لأجل وجود مصلحة لازمة الاستيفاء أو مفسدة لازمة الاجتناب. فالأحكام الشرعية إذن تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية الكامنة في الأفعال، سواء أكانت مرتبطة بجسم الانسان او بروحه، مرتبطة بحياته الدنيوية أو الأُخروية، مرتبطة بالفرد او بالمجتمع.

وعلى هذا إذا لم تكن هناك مصلحةٌ أو مفسدةٌ لم يكن هناك حكم.

وعلى فرض القبول بهذه العقيدة يقولون: لو أنَ الشارع المقدَّس جعل حُكماً لموضوع، وبيّن إلى جانب ذلك علّته، ثم وجد العقلُ مثلَ هذه العلة في موضوع آخر، حَكَمَ بشمول هذا الحكم للموضوع الثاني ايضاً.

مثلاً؛ إذا قال الشارع: لا تشرب الخمرَ لأنّه مسكر، ووجَدَ العقلُ خاصية الإسكار في مشروب آخر كالنبيذ مثلاً، حكم بحرمةِ هذا المشروب، ووجوب الاجتناب عنه أيضاً، وتبعاً لقاعدة (التلازم) العقلية التي تقول: كل ما حكم به العقلُ حكم به الشرع، حكم بأنّ الشرع لابدّ أنّ له مثل هذا الحكم وإن لم يبلغنا، ولم يصل إلينا.

مسألة أُخرى: إذا وَجَدَ العقلُ فعلاً معيناً ينطوي على مفسدة لازمة الإجتناب ولكن لم يرد في الشرع حكمٌ بحرمته، حكَمَ العقلُ بحرمته ووجوب الاجتناب عنه، وهو يرى ـ بواسطة قاعدة الملازمة ـ انه لابدّ أن يكون للشرع حكم بحرمته لان لطف الله يقتضي أن يهدي عباده بواسطة جعل الأحكام ـ إلى استيفاء المصالح الواقعيّة واجتناب المفاسد.

فمثلاً: لم يكن لمادة الأفيوُن وجودٌ في عهد رسول الله (ص) والأئمة المعصومين (ع) حتى يصدرَ حكم من الشرع في شأنه، ولهذا لا نرى للأفيون حكماً في الأدلة الشرعية (الكتاب والاحاديث).

ولكن إذا بلغت مفاسدُ الإعتياد على استعمال هذه المادة الخطيرة حداً يرى العقلُ وجوب الإجتناب عنه بادر إلى الحكم بحرمة استعمالها، وأثبت من طريق قاعدة الملازمة حرمته الشرعية أيضاً.

وهنا لابدَّ من التذكير بهذه النقطة الهامة وهي: أن استنباط حكمٍ شرعيٍ من حكْم عقليّ إنما يصحّ إذا كان ملاكُ الحكم، والمصلحة أو المفسدة الكامنة في الفعل، قد ثبت بالأدلّة القطعية وأما بمجرد الظن والحدس والإستحسان فلا يمكن إثبات الحكمِ الشرعي.

وعـلى كلّ حال فانَّ هذا العمل لايتيسر إلاّ للمجتهدين العارفين باوضاع الزمان والمكان، وبالمصالح والمفاسد الواقعيّة .. دون غيرهم.

النوع الثاني: ما يرتبط بلوازم الأحكام: فان لكلِ حكمٍ من أحكام الشرع بطبيعة الحال آثاراً ولوازم يجب على العقل الحكم فيها، وذلك مثل وجوب تهيئة مقدمات العمل الذي أوجَبَهُ الشرعُ.

فمثلاً إذا وجب الحجُ على أحَدٍ فان العقل يحكم بأنه مكلّف بتهيئة مقدمات السفر، وان لم يوجب الشرعُ هذه المقدمات بحكمٍ خاصٍ.

مسألة أُخرى: وجوب تقديم الواجب الأهمّ على الواجبِ المهمّ عندما لا يمكنُ الجمع بينهما.

فمثلاً عندما يضيقُ وقت أداءِ الصلاة الواجبة، ولم يبق منه إلا بمقدار اداء واجباته لا أكثر، ومن جانب آخر كان هناك مؤمنٌ في حال الغرق والهلاك، ولم يكن المكلّف بكلا الواجبين (الصلاة، وإنقاذ الغريق) قادراً على الإتيان بهما معاً في وقت واحد، بل لابد أن يختار أحدهما، حكم العقل بأن انقاذَ الغريق وحفظ النفس المؤمنة أهم، وعلى هذا يجب أن يقدم انقاذ الغريق على أداء الصلاة.

مسألة أُخرى: إجتماع الأمر والنهي والوجوب والحرمة، فهل يمكن إن يكون عملٌ واحدٌ حراماً من جهة وواجباً من جهة أُخرىٰ؟

مثـلا هل يمكن القـول: أن الصلاة في المكان الغصبيّ من جهة الصلاتية صحيحة وواجبة، ولكن من جهة التصرف في مال الغير حرام، أو أن هذا الأمر غير ممكن أساساً؟

في هذه المسألة يمكن الاستفادة من حكم العقل.

ان هذه المســائل وما يشابهها من المسائل والفروع المستخرَجة منها قد تمّ بحثها في كتب الأُصول، وقد وُضحت الوظيفة فيها بالاستدلالات العقلية الدقيقة.

فكّروا واجيبوا:

١ ـ ما هو «الدليلُ العقلي»؟

٢ ـ ما هو الدليل على حجّية «البرهان العقلي»؟

٣ ـ ماذا يقول القرآن في هذا المجال؟

٤ ـ ماذا نفعل للمنع من وقوع الخطأ للادلة العقلية؟

٥ ـ ما هي المجالات الإعتقادية التي يمكننا الإستفادة من البراهين العقلية فيها؟

٦ ـ كيف نستفيد من الأدلة العقلية في الأحكام الشرعية؟

٧ ـ كيف نستفيد من الأدلة العقلية في لوازم الأحكام؟

* * *

الدرسُ الثامنُ والاربعون

الإجتهاد والتقليد

الإجتهاد من حيث اللغة بمعنى السعي والجهد، وفي مصطلح فقهاء الإمامية عبارة عن: استفراغ الوسع في استنباط وفهم الوظائف والموضوعات والأحكام الشرعية من المصادر والأدلة الشرعية المعتبرة، كالقرآن الكريم وأحاديث النبي أي المنقول من أقواله وأفعاله وتقاريره، وأحاديث وسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، والعقل، والقواعد الكلية والاصول العمليّة التي ثبتت حجيتها بالأدلة الشرعية.

وعلى هذا الاساس يجب أن لا نعدَّ «الإجتهاد» أحد المصادر للأحكام الشرعية، بل هو وسيلة للإستفادة الصحيحة والكاملة من مصادر الفقه الاسلامي لا غير.

ونحن هنا نبحث في ثلاثة مواضيع باختصار:

(المطلب الأول): ضرورة الإجتهاد ـ إن المسلمين مكلّفون بأن يتعلّموا الوظائف والأحكام الدينية ويعملوا وفقها .. ولقد كان المسلمون في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله يسألون عن وظائفهم إما بصورة مباشرة من النبي (ص) وإما أنهم كانوا يسألون عنها الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولهذا لم يكونوا

يواجهون مشكلة في هذا المجال غالباً.

وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كان في مقدور المسلمين ايضا أن يسألوا مسائلهم من أهل البيت المعصومين عليهم السلام الذين اختيروا وعُينوا لهذا الغرض من قِبَل النبي صلى الله عليه وآله.

وكان أوّل هؤلاء الائمة هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم هو الامام الثاني عشر الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف.

ولقد ظلَّ الشيعة الإمامية والتابعون لأهل البيت عليهم السلام يتلقّون مسائلهم الشرعية وحتى عام ٢٥٥ هجرية، وبعده إلى نهاية عصر الغيبة الصغرى من هذا الطريق .. ثم بعد ذلك انقطع هذا الارتباط المباشر .. ولكن المسلمين بَقوا محتاجين إلى تعلّم مسائلهم الشرعية، وكانوا مضطرين في هذا المجال إلى أن يرجعوا إلى رواة الأحاديث ونقلة الأخبار غير أنه كان هناك ثلاث مشاكل:

المشكلة الأولى: أنّ المسائل المستحدثة واحتياجات المسلمين الفقهية المتجدِّدة كانت في توسّع مستمر، ولم يكن من الممكن أخذُ جزئيات المسائل الفقهيّة والوظائف الدينية من الأحاديث والروايات بصورةٍ مباشرةٍ، لأنَّ الأحاديث المأثورة كليّة غالباً، وقلما تتضمن التفاصيل والجزئيات.

المشكلة الثانية: هي أنّ جميع تلك الأحاديث لم تكن معتبرة، كما أن جميع رواتها لم يكونوا ثقاة يعتمد عليهم، لأنه كان فيهم الكذّاب والوضّاع، والمجهول الحال، كذلك.

المشكلة الثالثة: انّ بين الآيات القرآنية والأحاديث ناسخاً ومنسوخاً، عامّاً وخاصاً، مطلقاً ومقيداً، وربما كان هناك المتعارضان، ولهذا لم يكن جميع الأفراد قادرين على إستنباط الأحكام الشرعيّة منها.

بناءً على هذا يجب أن يكون بين المسلمين من يتصدّى لمسؤولية إستنباط

الاحكـام الشرعية ويتخصص في هذا المجال عن طريق اكتساب العلوم والمعارف اللازمة، لينهضوا باحتياجات المسلمين الفقهيّة.

وهؤلاء يُدعونَ: الفقهاء المجتهدون .. ولقد أراد القرآن هو الآخر هذا الأمر من المسلمين إذ قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُواْ كَافَّةً . فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُواْ فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

ان التفقـه أعلى من التعلم وهو بمعنى التخصص في أحكام الشريعة. قال الراغب: وتفقّه إذا طلبه فتخصّص به، قال: ليتفقّهوا في الدِين[2].

(المطلب الثاني): شرائط الاجتهاد ـ إن الاجتهاد عمل صعب وشاقّ، وإن المجتهد ذو مسؤولية ثقيلة، ولهذا فإن الاجتهاد لا يتيسر لكلّ أحد.

إن الذين تتوفّر فيهم الشروط التالية هم الذين يصلحون للتصدي لهذه المهمة الخطيرة ويحق لهم القيام بهذه المسؤولية:

١ ـ أن يكون متخصِّصاً في العلوم التي تتوقف عليها عملية استنباط أحكام الشـريعـة مثل: اللغة، وآداب اللغة العربية، وعلم الدراية والرواية، وعلم الرجال والمعرفة الكاملة برواة الاحاديث، وبعلم التفسير والإطلاع على الآيات القرآنية وفهم معانيها الصحيحة، والمعرفة الكاملة باحاديث النبي والائمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، والمعرفة بالفِقه وبالكتب الفقهية لدى سائر المذاهبِ الاسلاميةِ، وعلى الخصوص المذاهب السنّية الأربعة، والتخصص في علم الأُصول، والإحاطة بالمباني المحكَمَة في شتى مسائل عِلم الأُصول، والمعدودة من أُسس وقواعِدِ الإجتهاد، والإستنباط.

---

(١) التوبة ـ ١٢٢.

(٢) المفردات ص ٣٨٤.

٢ ـ الإطـلاع على تقـدّم العلوم والصنـاعات وتكاملها المستمر والصاعد، والمعـرفـة بمدى أثرها في تغيير ظروف الحياة الفردية والبشرية، والإلمام بالأوضاع والظروف السياسية والإجتماعية المتطوِّرة في المجتمعات، والإطلاع على العلوم التي يمكن أن تكون مؤثرةً في تشخيص الموضوعات الشرعية وتحديد الأحكام المترتبة عليها، والعلم بمقتضيات الزمان والمكان، وبالمتطلَّبات الفقهية الجديدة.

إن مثل هؤلاء الأشخاص هم الذين لا يعجَزون عن تلبية الإحتياجات، وحلّ مشاكلِ المسلمين مطلقاً.

قال الإمامُ الصادق عليه السلام: والعالِم بزمانِه لا تهجمُ عَلَيْهِ اللَوابِسُ [١].

وعلى هذا الاساس إنما يكون الشخص مجتهداً وفقيهاً واقعياً إذا تخصص في جميع العلوم التي تتوقف عليها عمليّة الإستنباط، ويكون عارفاً بالحوادث الواقعة والوقائع العامة الجارية في العالم وبخاصة العالم الإسلامي، و يعرف بالأخص مدى تأثيرها في الحياة الفردية والإجتماعية والسياسية والثقافية والأقتصادية والعلمية للأمة الإسلامية معرفة كاملة، ويجتهد إلى جانب ذلك وبرؤية فقهيّة واسِعة في تشخيص وتحديد الموضوعات الشرعية واستنباط أحكام الشريعة، واستخراج وعرض الحلول المشـروعـة والمناسبة، وأن يقود المجتمع الاسلامي جنباً إلى جنب مع تقدم العلوم والصناعات ومع رقي الحياة الانسانية.

إنَّ مثـل هذا الشخص هو الـذي يمكن تسميتـه بالمتخصِص الاسـلاميّ وبالمجتهد الواقعي، وإلا فان مواصلة البحث في المسائل المطروحة بواسطة القدماء، أو تبديلها بـ «الأقوى» و «الأحوط» او بالعكس على الأكثر ليس عملاً مهماً.

إن إجتهاداً كهذا هو الذي يمكنه أن يقوم مقام الأمامةِ، وأن يبعث في الأُمة

---

(١) الكافي ج١ ص ٢٦.

الاسلامية الحركةَ المستمرة، ويضمن لها الإستقلال والعظمة.

إن الفقيه يمنع من الإنحراف والزَيغ، ومن الإفراط والتفريط، ومن المداهنة والتطرف، كما يمنع من التأويلات المغلوطة، والتفسيرات الخاطئة التي يرتكبها المنتحلون والمبتدعون، و العابثون والمبطلون، ويحافظ على الإسلام من مؤامرات أعدائه وخصومه، ويهدي الاُمة الإسلامية الكبرى إلى صراط الاسلام المستقيم.

إن المجتهد لا يتجاوز ـ في اجتهاده ـ أبداً حدود المصادر والأدلة الاسلامية المعتبرة وليس أهلَ القياس والإستحسان والإفتاء بالرأي، بل هو يتعمّق في مصادر الفقه الأسلامي بما له من الرؤية الفقهية العميقة وبما عنده من سعة النظر فيستخرج منها الأجوبة المشروعة للمسائل المتجددة في المجتمع الإسلامي باطراد، ويعرض الحلول الإسلامية لمشكلات الاُمة. وبهذه الطريقه يثبت خلود الاسلام وتمشي قوانينه واحكامه مع التقدم والتطور عملياً.

إن مثل هؤلاء الفقهاء يمكن اعتبارهم من المصاديق الواقعية لحصون الاسلام التي جاء ذكرها في الاحاديث.

قال علي بن أبي حمزة: سَمِعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: اذا ماتَ المؤمنُ بَكَتْ عَليه المَلائكةُ، وبقاعُ الأرض التي كانَ يَعبُدُ اللهَ عَلَيها وأبوابُ السَماء اَلتي كانَ يصعَد فيها بأعمالِه، وثلم في الاسلام ثلمةً لا يسدُّها شيءٌ، لأنَّ المؤمنين الفُقَهاءَ حُصُونُ الإسْلامِ كحصنِ سُورِ المدينَة لها[١].

(المطلب الثالث) ـ جواز التقليد: حيث أنّ المجتهد يستنبط المسائل والأحكام من المصادر الشرعية المعتبرة، ويبذل في هذا السبيل غايه الجهد، لهذا فان ما يستنبطه من الأحكام حجة معتبرة لنفسه، ويجب ان يعمل وفقها، كما أن على غيره

---

(١) الكافي ج١ ص ٣٨.

من المسلمين ان يأخذوا ما يحتاجون إليه من الأحكام منه، ويعملوا وفقها، لأنه خبير متخصص في إستنباط احكام الشرع، والرجوع إلى الخبير المتخصص أمر عقلائي.

فكما أن الناس يرجعون للحُصول على معلومات خاصة إلى المتخصص في ذلك القسم، عليهم إن يرجعوا لتعلّم أحكام الدِين إلى المجتهد الخبير بأحكام الدين ايضاً.

إن رجوعَ الجاهل إلى العالِم والمتخصص أمرٌ عقلائيٌ، وقضيّةٌ إرتكازية جُبلت عليها النفوسُ ولا تحتاج إلى الاستدلال والبرهَنة والى دليل غير هذا.

ولقد أُشير في آية النَفْر إلى هذا الموضوع بالذات .. فان المجتهد تفقّه في الدين وتخصص في معرفة المسائل والقضايا الإسلامية حتى إذا رجع إلى قومه، أو راجعه الناس بيّنَ لهم أحكامَ الدين ومعارفه، وقوانين الاسلام ومسائله، وبذلك ينذرهم ويبشرهم.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ عَرِّفوا الاجتهاد الإصطلاحي.

٢ ـ لماذا يحتاج المسلمون إلى الاجتهاد؟

٣ ـ بيّنوا شرائط الاجتهاد.

٤ ـ من هو المجتهد الواقعي؟

٥ ـ كيف يستخرج المجتهد الاجوبة المناسبة للمسائل الجديدة؟

٦ ـ كيف يثبت المجتهد عملياً خلود الاحكام الاسلامية ودوامها؟

٧ ـ ما هو الدليل على جواز التقليد؟

* * *

الدرسُ التاسعُ والأربعون

العقائد في الإسلام

تتنوعُ التعاليمُ الاسلاميةُ إلى نَوعين: العقائد، والوظائف .. وتسمىٰ العقائد «أُصول الدين» بينما تسمّىٰ الوظائف «فروع الدين».

وفروعُ الدين هي تلكَ الأوامر والنواهي، وهي المسؤوليات التي أُلقيت على عاتق الإنسان من جانب الشرع .. وهي تنقسمُ بدورها إلى ثلاثة أصناف:

الأخلاق، العبادات، الأحكام والقوانين غير العباديّة التي تَسَمّىٰ بالمعاملات .. ونحن لا يمكننا في هذا الكتاب أن نبحث فيه بشكل مفصَّل، ولكن يمكننا أن نشير إلى بعضها بصورة مضغوطة.

القسم الأول: أُصول الدين وهي عقائد خاصّة يكون الإيمان بها ضرورياً وواجباً، وتعدُّ من قواعد الإسلام، وتسمى «أُصول الدين» مثل الإعتقاد بوجود الله، والإعتقاد بالمعاد والحياة الأُخروية، والاعتقاد بالنبوة وبرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وتعتبر الشيعة أصل الإمامة أيضاً من العقائد ويُعد اصطلاحاً من أُصول المذهب.

إن العقائدَ المذكورة تُعتبر من أُسس الإسلام وقواعده، وهي بالتالي تشكّل

النظرة الإسلاميّة العامّة إلى الحياة.

إن الوظائف والتكاليف قائمةٌ على هذه الأُسس والمسماة بأُصول الدين، وتنشأ من هذه الرؤية والنظرة.

في مثل هذه الرؤية يشعر المَرءُ بالمسؤولية تجاه رب العالمين، ويقبل برامج الشريعة وتكاليفها التي زُود بها الأنبياء والرُسل بهدفِ ضمانِ السعَادة الدنيوية والأُخروية.

ويمكن تقسيمُ المسائل الإعتقادية هي الأُخرى إلى صنفين: أُصول العقائد. فروع العقائد.

وأُصول العقائد هي تلك الأُمور التي يتوقف تحققُ الإيمانِ والاسلام على اليقين بها، وذلك مثل الاعتقاد بوجود الله، والاعتقاد بالمعاد والحياة الأُخروية، والإعتقاد بنبوة رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وآله.

وفروع العقائد عبارة عن المسائل الفرعية التي تتفرع من أُصول العقائد مثل تفاصيل وخصوصيات المسائل المرتبطة بأسماء الله وصفاته، الثبوتية والسلبية، وخصوصيات الأوصاف والقضايا المتعلقة بالقيامة، من قبيل الحياة في عالم البرزخ، السؤال والجواب في القبر، كيفية إحياء الموتى للقيامة، صحيفة الأعمال، الحساب، الميزان، الصراط، نعم الجنة، عذاب جهنم، ومثل صفات النبي، والشروط المتعلقة به، كالعلم، والعصمة، والاعجاز ومثل مسألة الجبر والإختيار، والقضاء والقدر، والبداء، والشفاعة وغير ذلك من المسائل المشابهة.

إن القضايا والمواضيع الاعتقادية تحظى في نظر الإسلام بأهميّة خاصة، كما أن لها أثراً كبيراً وهامّاً في نوعية الحياة، وكيفيتها.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى عدة مسائل على نحو الاختصار والإيجاز:

المسألة الأولى: ان الوظائف والتكاليف الشرعية والأوامر والنواهي التي لها

دورٌ كبيرٌ في ضمان سعادة البشر الدنيوية والأُخروية تقوم ـ كما أسلفنا ـ على أساس العقائد، وتنشأ منها، ومن هنا يمكن ان نعتبر العقائد مؤثرة في مصير الانسان.

هذا ويستفاد من الآيات والأحاديث أنّ الايمان والعقيدة يمكن أن يكونا مؤثرين في ضمان سعادة الانسان من جهتين أُخريين.

الجهة الاولى: ان تحصيل العلم والمعرفة والايمان يعد من الأعمال الباطنية النفسية، كما وتعدّ من أفضل العبادات، وليست العبادة منحصرةً في الأعمال والحركات الظاهرية بل ان التعقل والتفكر، واكتساب العلم عُدَّت في الاسلام أيضاً من العبادات، والعوامل الموجبة للتقرب.

إن العلوم والمعارف الحقيقية تترك أثراً مباشراً في النفس، وتعمل على ترقيتها في مدارج الكمال تدريجاً حتى تصل بها إلى مقام القرب الآلهي.

بل حتى في العبادات يمكن أن يُقال أن ما يوجب منها التكامل والتقربَ، ويبقى خالداً هو تلك الآثار التي تبقى في النفس.

وفي الآيات والأحاديث عُدّ العلم والايمان أيضا ضرباً من الكمال والعبادة كذلك وها نحن ندرج هنا بعض النماذج في هذا المجال:

قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[1].

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَابِ﴾[2].

---

(١) الطلاق ١٢.

(٢) الرعد: ١٩.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١].

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢].

وعن ابن نباتة قال قال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: تَعَلَّموا العِلمَ فانَ تعلُّمَهُ حَسَنَة، ومُدارَسَتَهُ تَسْبيحٌ، والبَحْثُ عَنْه جِهادٌ، وتَعْليمهُ لِمَنْ لا يَعْلَمُهُ صَدَقَـةٌ، وَهُوَ أنيسٌ في الوَحْشةِ وصاحِبٌ في الوَحْدَةِ، وسِلاحٌ عَلى الأعْداءِ، وَ زينُ الأخِلاّء، يرفَعُ اللهُ بِهِ أقْواماً يَجْعَلُهُمْ في الخَيْرِ أئمة يُقتدىٰ بهم، تُرمَقُ أعمالُهم، وتُقتَبَس آثارُهُمْ، ترغَبُ المَلائكةُ في خُلّتِهِمْ، يَمْسَحونَهُم بأجْنِحَتِهِمْ في صَلاتِهم، لأنَّ العلم حَياةُ القلوب، ونورُ الأبصار من العَمىٰ، وقوّة الأبْدان مِن الضَعْفِ، وينزّلُ اللهُ حامِلَهُ منازلَ الأبْرارِ، ويَمْنَحُهُ مُجالَسَةَ الأخيارِ في الدُنيا وَالآخِرَة.

بالعلم يُطاعُ اللهُ وَيُعْبَدُ، وبالعِلْم يُعرَفُ اللهُ ويوُحَّدُ، وبالعِلْمِ تُوْصَلُ الأرْحَامُ، وبِهِ يُعرَفُ الحلالُ وَالحَرامُ، والعِلْمُ امامُ العقل والعقل تابعه يُلْهِمُهُ اللهُ السُعَداءَ ويُحرمُه الأشقياء [٣].

قال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا مُؤْمِن إنّ هذا العِلمَ والأدَبَ ثمنُ نَفْسِكَ فاْجْتَهِدْ في تَعَلّمهما فما يزيدُ في عِلْمِكَ وأدبكَ يزيدُ في ثَمنِكَ وقَدْرِكَ، فانَ بالعِلْمْ تهتَدي الىٰ رَبِّكَ وَبالأدَبِ تُحسِنُ خِدمةَ رَبِّكَ، وبأدَبِ الخِدمةِ يَستوجِبُ العَبْد ولايته فاقبل النصيحة كي تَنْجو مِنَ العَذابِ [٤].

---

(١) المجادلة ١١.

(٢) الحج ٥٤.

(٣) بحار الأنوار ج١ ص ١٦٦.

(٤) بحار الأنوار ج١ ص ١٨٠.

وقال الامام الصادق عليه السلام: أَفْضَل العِبادَةِ العِلْمُ بالله والتواضع له [١].

هشام بن الحكم عن ابي الحسن بن موسى بن جعفر عليه السلام (في حديث إلى إن) قال: يا هِشـام ما بَعَث الله أنبياءَهُ ورُسُلَه إلى عبادِهِ إلاّ ليَعْقلوُا عن الله، فأحسنُهم إسْتِجابَةً أحْسَنُهُمْ مَعْرِفةً، وأعلَمُهُمْ بأمرِ الله أحْسَنُهُمْ عَقْلاً، وأكْمَلُهُمْ عَقْلاً أرْفَعُهُمْ دَرَجَة في الدُنياْ وَالآخِرَةِ[٢].

الجهـــة الثـانية: إن وجـود الإيمان والعقيدة لازم وضـروريّ لتحقّق قصـد الإخلاص، وقصد الإخلاص هو الآخر من الشروط الحتمية لصحة العبادة والمقرّبية .. ولهذا إذا لم يكن الايمان لم تتحقق العبادةُ والثواب أيضاً.

المسألة الثانية: وسائل المعرفة ـ يرى الإسلام والقرآن إمكان معرفة الحقائق، يعني تحصيل العلم القطعيّ للإنسان، ولكن لا بصورةٍ مطلَقةٍ، وشامِلَة لجميع الأشياء، بل بصورةٍ محدودةٍ مقتصرةٍ على طائفة من الأشياء.

إن القرآن يرى أنّ في مقدور الإنسان أن يحصِّل عِلماً قطعياً ببعض الحقائق، ولهذا يدعو الناس في آيات عديدة إلى المطالعة والنظر في الأرض والسماء والجبال والبحار والأشجار والنباتات والحيوان والإنسان، والتفكير والتأمل فيها ليصلوا عن هذا الطريق إلى وجود خالق الكون، ومعرفة أسمائه وصفاته .. فإذا لم تكن معرفةُ الله ممكنة لم يُدعَ الانسان إلى هذا الأمر.

والآن يجب أن نرى ما هي أدوات المعرفة؟.

يمكن تحصيل العلم والمعرفة من عدة طرق هي:

الـوسيلة الأولى: الحـواس يعني حاسـة البصر، والسمع، والذوق، والشمّ، واللّمس، فبهذه الوسائل والحواسّ يمكن الإرتباط بالعالم الخارجي وإدراك الأشياء.

---

(١) تحف العقول ص ٣٨٣.

(٢) الكافي ج١ ص ١٦.

نعم يمكن إدراك الأشياء المادّية فقط بواسطة الحواس، بينما لا تقدر الحواسّ على إدراك المجرّدات .. ولذا لا يمكن معرفة الله تعالى عن طريق الحواس بصورةٍ مستقيمةٍ .. ولكن يمكن أن تفيد في مطالعة الآفاق والأنفس.

الوسيلة الثانية ـ القَلب والعقل: يريد القرآن من الإنسان في آيات عديدة أن ينظر في الأرض والسماء ويستخدم عقلَه في التعرف على الحقائق حتى يتوصّل من هذا الطريق إلى خالقها.

يقول في القرآن الكريم: ﴿قُلِ انْظُرُواْ مَاذَا فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أو آذانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2].

ان القرآن ليس فقط يعتبر العقلَ، ويدعو الانسان إلى التعقل والتدبّر، بل يقوم هو أحياناً بالبرهنة والإستدلال العقلي.

ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4].

الوسيلة الثالثة ـ تصفية النفس وتزكيتها: إنّ من الوسائل التي يمكن عن

---

(١) يونس ١٠١.

(٢) الحج ٤٦.

(٣) الأنبياء ٢٢.

(٤) المؤمنون ٩١.

طريقها تهيئة النَفس وتأهيلها لتصيرَ قابلةً ومستعدّةً لإلقاء بعض الحقائق إليها من عالمِ الغيب هي تزكية النفس وتهذيبها وتصفيتها.

إذا تزوّد الانســانُ بالتقوىٰ .. واجتَنَب المعاصي ثم ربّى نفسه بالإجتهاد في العبادة وذكر الله سبحانه أمكن أن يصير محلًا للألطاف الآلهية وقابلًا لإلقاء بعض الحقائق إليه.

وبهذه الطريقة يمكن أيضا رؤية بعض الحقائق بوضوح، ولكن سلوك هذا الطريق صعب جداً، وغير متيسّر للجميع، ولا يتسنى لكل أحد. ولكنه ممكن لأهله، كما انه يفيد اليقين.

يقول في القرآن الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقواهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2].

الوسيلة الرابعة ـ إخبار الأنبياء والمعصومين وأولياء الله: إن الإسلام وإن كان يؤكّـد على تحصيل الإيمان عن طريق النظر والتدبر في الآفاق والأنفس، والتعقل والتفكر، واستخدمت الإستدلالات العقلية في القرآن والأحاديث أيضاً ولكن طريقة الأنبياء جرت في كثـير من الأحيان على دعوة الناس إلى الايمان من دون إقامة البرهان لهم.

الوسيلة الخامسة ـ إيحاءات الوالدين والمعلم: إنّ الإيمان لدىٰ الكثير من الأشخاص نابعٌ من إيحاءات الوالدين والمعلمين والمربّين.

فالأولياء والمربُّون يُعرِّفُون الأطفال بلفظة الجلالة: «الله» منذ عهد الطفولة

(١) الشمس ٩ ـ ١١.

(٢) الانفال ٢٩.

وَالصبا، ثم يلقنونهم أُصولَ الدين بلغةٍ بسيطةٍ، تناسب مدارِكَهم وعقولَهم، أو يعلّمونهم قصائد طفوليّه في هذا المجال. ثم يعلّمونهم قراءة سورة الحمد وبعض السور القصار، ثمّ يعلّمونهم الصلاة.

ان الطفل يتعوّد على هذه الأُمور والبرامج تدريجاً ويؤمن بوجود الله وبالنبيّ والمعاد والإمامة في مثل هذه البيئة.

إن الإيمان عند الكثير من الأشخاص يحصل من هذا الطريق، وحيث أنه يطابق الحق ويقترن باليقين فهو صحيح لا إشكال فيه، ويُعدُّ صاحبه مؤمناً بلا ريب، لأنه لا يشترط في تحقّق الإسلام والايمان أكثر من أن يكون إيمان الشخص عن جزم ويقين، وهو حاصل في هؤلاء.

(المسألة الثالثة): مقدار ما يُعتبر في حصول الأيمان: هل يُشترط في تحقّق الإيمان أن يؤمن الإنسان بجميع العقائد عن جزم ويقين، وأن يكون إيمانه عن طريق الأدلّة العقلية والبراهين الفلسفية؟ أم لا يعتبر هذا، بل لابدّ من التفصيل، والفرق.

لقد عَلِمتم ـ قبلَ هذا ـ أنّ العقائد على صنفين: أصول العَقائد، والعقائد الفرعية.

فبالنسبة إلى أُصول العقائد لابدّ من الجزم واليقين، ولا يحصل الايمان بها ولا يتحقق من دون ذلك اليقين والجزم، من أي طريقٍ حَصَلَ هذا اليقينُ، وتحقق هذا الجزمُ، سواء حَصَلَ على أثر دعوة الأنبياء أو إيحاءات الأبوين والمعلم وتلقيناتهم.

ولقد طرحَ رسولُ الاسلام في بدء دعوته، صدقه وامانته وذكّر بهما، ثم قال: واللهِ لَتموتونَ كما تنامونَ، ولتُبعَثونَ كما تستيقظونَ[1].

وعلى كلّ حالٍ فإنّ نبيّ الاسلام وغيره من الأنبياء غالباً ما كانوا يبيّنون

---

(١) بحار الانوار ج١٨ ص ١٩٧. قال النبي (ص): «أيّها الناس إن الرائد لا يكذب أهله ولو كنتُ كاذباً لما كذبتكم».

العقـائـد الحقـة للناس، ويدعونهم إلى الإيمان بها .. وكان الناسُ يقبلون دعوتهم، ويعتنقون تلك العقائد ثقةً بصدقهم وامانتهم..

ولقد اتبع اكثرُ الناس، الرسلَ والأنبياءَ من هذا الطريق .. ولقد كان إيمان هذه الطائفة من الناس عن علمٍ ويقينٍ، ولكن منشأ هذا اليقين كان هو دعوة الأنبياء الجازمة وبيانهم القاطع، ولم يكن إيمان هؤلاء الأتباع إيماناً ناقصاً، بل هو إيمان - في الأغلب - يفوق في العمق والقوة إيمان من يعتمد على الإستدلال الفلسفيّ ولهذا لا يوجب مثل هذا الايمان ايَ نقصٍ في كمالاتهم، وسعادتهم الاُخروية.

بنـاءً على هذا يمكن إعتبـار دَعوَة الأنبياء القاطعة الجازمة إحدىٰ الطرق والسبل المورثة لتحصيل العلم والإيمان.

نعم لا يساوي إيمانُ هذه الطائفة إيمانَ المقلّدين لآبائهم وأجدادهم الّذي ذمّه القرآن وشَجَبَهَ مِراراً وتكراراً .. لأنّ هؤلاء يقبلون دعوة الأنبياء الحقة، وبهذا يحصل عندهم يقينٌ لا يحتملون معه الخلاف ايضاً.

ولكن الذي يقلّدون ليسوا هكذا، بل هم يقبلون مجموعة من العقائد الباطلة من آبائهم بمجرد الحدس والظن، ومع انهم يحتملون خلافها، لا يفكرون في تمحيصها والتحقيق فيها.

على أنّ هذه الحقيقة لاتقبل الإنكار وهي: أنّ الإيمان النابع عن الأدلّة العقلية يتمتع بقوة وتماسك، وبقيمة اكبر، ولكن لا يشترط أن يكون حاصلاً من هذا الطريق حتماً، بل يمكن الإكتفاء في هذا المجال بالرجوع إلى سائر الاُمور المفيدة، واستخدام سائر الأدوات التي تورث الايمان الصحيح.

ولكن إذا كان شكّ أحدٌ في شيء من اُصول العقائد وجب عليه أن يزيل شكّه وتردّده بالفحص والتحقيق، وبالإستفادة من البراهين العقلية.

وأما بالنسبة إلى العقائد الفرعية فليس هناك دليلٌ على وجوب تحقيق القطع

بها وتحصيله، بل يمكن الإكتفاء فيها بالادلة الظنية مثل أخبار الآحاد.

نعم تُعَدّ هذِه العقائد من معارف الإسلام أيضاً، ويكون تحقيق اليقين والقطع فيها مفيداً، وهي تُعَدّ مِن الكمالات النفسية وينبغي للمؤمنين أن يجتهدوا في هذا السبيل أيضاً، ولكنه على كلّ حالٍ لا يُعتبر من الشرائط الضروريّة للإيمان.

فكِّروا وأَجيبوُا

١ ـ على أيّ أساسٍ تقومُ التكاليفُ الشرعيةُ؟

٢ ـ وَضِّحوا أُصُولَ العقائد وفروعَها.

٣ ـ ما هي ثمارُ أُصول العقائد وآثارُها ما عدا كونها وسيلة للشعور بالمسؤُولية؟

٤ ـ عرّفوا أدوات المعرفة ووضحوها.

٥ ـ ما هو رأي القرآن في اعتبار الأدلة العقليّة؟

٦ ـ في أي موضع من القرآن أُشير إلى الدليل العقلي؟ وَضحوا ذلك.

٧ ـ ما قيمة إيمان من قَبِل دعوة النبي في بعض أُصول العقيدة؟

٨ ـ هل يُشتَرط اليقينُ والجزمُ في العقائد الفرعيّة أيضاً؟ ولماذا؟

٩ ـ ماذا يجب على من شكَّ في بعض أُصول العقائد؟ ولماذا؟

* * *

الدَرس الخَمسون

الأَخْلاقُ في الإسلام (١)

تحظى الأخلاقُ بمكانةٍ رفيعةٍ، وأهميّة كبرى في الإسلام .. فقد عُدَّ التخلّق بالأخلاق الحسنة وأجتناب الرذائل من علائم كمالِ الإيمان.

ولقد اعْتُبِر حُسن الخلق من أفضل الأعمال، كما وُصِفَ بأنه أثقل عملٍ يوضع في الميزان.

ولقد بَلَغَت تنمية الأخلاق الحسنة من حيث الأهميّة أن جُعِلَت من أهداف الأنبياء.

يقول في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤمِنِينَ إذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وإن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: عَليكم بِمكَارِمِ الأخْلاقِ فَإنَّ الله عَزَّ وجلَّ بَعَثَني بها [2].

---

(١) آل عمران ـ ١٦٤.

(٢) بحار الانوار ج٦٩ ص٣٧٥.

وعن النبي صلّى الله عليه وآله أيضاً قال: إنّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّم مَكارِمَ الأخلاق [١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ أكمَلَ المؤمِنين إيْماناً أحسَنُهُمْ أخْلاقاً [٢].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما يوضَع في ميزان إمرىء يومَ القيامة أفضلُ من حُسن الخلق [٣].

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أكثَرُ ما يلجُ بِهِ أُمَّتي الجنَّة تَقْوى الله وحُسْنُ الخُلُق [٤].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنَّ الله تبارك وتعالى لَيعطي العَبدَ مِن الثَوابِ عَلى حُسْنِ الخُلُق كما يُعطي المجاهدَ في سبيل الله يغدو عليه ويروح [٥].

لقد اعتنى الاسلام بتزكية النفس وتهذيبها، وتقوية الاخلاق الحسنة وتنميتها، عنايةً خاصةً وبالغةً.

فقد نزلت طائفة كبيرة من آيات القرآن الكريم حول الأخلاق .. حتى أن أكثر القصص القرآنية تهدف إلى الأخلاق ..

كما قد صدرت آلافُ الأحاديث حولَ الأخلاقِ منَ النبيّ الأكرمِ محمَّد صلّى الله عليه وآله والأئمة المعصُومين عليهم السلامُ، وهي مدوَّنةٌ ومحفوظةٌ في كتب الحديث.

إنَ المثوبات والوعود الطيّبة التي ذُكِرت لمن يتخلق بالأخلاق الحسنة، والعقوبات المذكورة لمن يتصف برذائل الأخلاقِ ليسَت أقلّ مِن ما ذكر لغيرها من الأعمال.

---

(١) مستدرك الوسائل ج٢ ص٢٨٢.

(٢) الكافي ج٢ ص٩٩.

(٣) الكافي ج٢ ص٩٩.

(٤) الكافي ج٢ ص١٠٠.

(٥) الكافي ج٢ ص١٠١.

وعلى هذا فإنّ الأخلاقَ تشكّل ـ في الحقيقة ـ أساس الإسلام وقاعدته، ولا يمكن عدّها في الدرجة الثانية من أحكام الدين، ولا يجوز الإهتمامُ بها أقلّ من الإهتمام بالأحكام، والتساهل فيها، بحجة أنّها واجباتٌ ومحرّماتٌ أخلاقيّة .. بل إنّ رعاية الأخلاق الحسنة ـ على غرار سائر الواجبات الدينية ـ موجبة لتكامل النفس ، والتقرب إلى الله تعالى، كما أن الإتصاف بالأخلاق السيّئة على غرار سائر المحرمات ـ موجبة لانحطاط النفس، والابتعاد عن الله .. ومن خلال الأخلاق الحسنة لدى البعض، يمكن الوقوف على درجة إيمانهم ومبلغه.

تعريف الأخلاق

قالوا في تعريف الأخلاق: إن الخُلُق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعالُ بسهولةٍ ويسرٍ من غير حاجةٍ إلى رويّةٍ وفكرٍ فان كانت الهيئة بحيث تصدرُ عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سُمّيت تلك الهيئة خُلقاً حسناً، وإن كانت الصادرة منها أفعالاً قبيحة سمّيت خُلُقاً سَيّئاً[١].

إنّ الأخلاق كما تُطلَق على الصفات النفسانية كذلك تُطلَق على الأفعال والآثار الناشئة من تلك الصفات أيضاً، فمثلاً نفس فعل الصِدق والكذب يسمىٰ أخلاقاً أيضاً.

إن الفِعلَ الأخلاقيّ قيمة عملية يتفق على حسنها او قبحها كلُ البشر في جميع الأمكنة والأزمنة ... كما أن العقلَ البشريَ السليمَ يدرك حُسنَه أو قُبحَه بنفسه، ويرى كل انسانٍ أن من واجبه الإنساني أنَ يأتي بالفعل الحَسَن ويتجنب الفِعلَ القبيحَ.

ونذكّر ـ توضيحاً للمطلب ـ بأنه قد ثَبَتَ في العلوم العقليّة أن الانسان حقيقة

---

(١) الحقائق للعلامه الفيض الكاشاني ص٥٤.

واحدة لكن ذات جهات ومراتب وجودية متعددة.

فهو من جهة جسمٌ طبيعيٌ وله آثاره الخاصة، ومن جهة أخرى جسمٌ نامٍ وله آثاره الخاصة أيضاً، ومن جهة ثالثة هو حيوان تترتب عليه آثار الحيوانية .. وفي النهاية هو إنسان له خصائص الانسانِ وآثاره التي ليس للحيوانات. هكذا مراتب وجهات.

فهو عند ما يقول: وَزني وَصورتي فهو يتحدّث عن المرتبةالجسمانية.

وعندما يقول: غذائي ونمّوي فهو يتحدّث عن مرتبةالجسم النامي.

وعند ما يقول: حركتي وشهوتي وغضبي فهو يتحدث عن المرتبة الحيوانية.

وعند ما يقول: فكري وتعقّلي فهو يتحدّث عن مرتبته العالية، الإنسانية.

إنّ للإنسان مراتب وجودية مختلفة، ولكن الذي يميزه عن سائر الحيوانات هو جانب الروح المجرَّدة، الملكوتية، والنفحة الالهيةْ فيه .. وبين المرتبة الحيوانية وبين الجانب الانساني ، في الانسان صراع دائم وجدل مستمر.

إنّ المرتبة الحيوانية في الكيان البشريّ تلح على الإنسان أن يحقق مطاليبها بكل وسيلةٍ ممكنةٍ، وأن يسخّر عقلَه لبلوغ الأهداف الحيوانية.

بينما ـ على العكس من ذلك ـ تطلبُ المرتبةُ العاليةُ، الانسانيةُ وروحُه الملكوتيةُ، منه أن يلجم غرائزه، ويعدّل ميوله الحيوانية، ويسعى إلى تقوية الكمال والانسانية في كيانه.

لقد بُعِث الأنبياءِ لكي ينصروا الإنسان في معركته الصَعبة هذه، وليساعِدُوه ويعينوه في طريق بناءِ ذاته، وتربية الجوانب الإنسانية وتقوية روحِهِ الملكوتية في كيانه.

كانَ الأنبياء يقولون: أنتَ إنسانٌ، فلا تنسىٰ إنسانيّتك .. ولا تترك نفسَك أسيرة بأيدي المطاليب الحيوانية، فتتضرر وتخسر.

يقول في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إنَّ ٱلخَاسِرِينَ ٱلَّذِيْنَ خَسِرُواْ أنْفُسَهُمْ وَأهْلِيهِمْ

يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[١].

وقال علي عليه السّلام: عَجِبتُ لِمَن ينشُدُ ضالَّته وقد أضلَّ نفسَه فلا يطلُبُها [٢].

إنَّ للإنسان ـ في كل جانبٍ من جانبيه الحيوانيّ والإنساني ـ احتياجات توجد مبادئُها في وجوده، وكيانه.

فمن جِهـة كونِـهِ حيواناً نامياً، يحتاج إلى الماء والغذاء والمسكن واللباس، والهواء، ولهذه الجهة ذاتها أُودع في كيانه الاحساس بالجوع والعطَش والميل واللّذة في وجوده كيما يواصلَ حياته، ويجدّ ويجتهد ولقد رُكِبِّت فيه الغريزة الجنسية لغرض الإبقاء على نوعِهِ، ولضمان استمرار نسلِهِ.

إنّ على الإنسان أن يعمل ويجتهد، ليضمن استمرار حياته، وسلامته، وعليه أن يتقيّد بكل لوازم حياته الحيوانية، ومتطلباتها، ومقتضياتها. ولم يرد نهيٌ في الاسلام عن هذه البرامج فحسب، بَل تكرَّرت التوصية بها، ودعي إلى الاهتمام بها، ولكن على الانسان أن يلتفت إلى نقطة هامّةٍ هنا، وهي أن حياته وسعادته لا تتلخص في المرتبة الحيوانية، بل عليه أن يأخـذَ بنـظر الإعتبـار الجانب الإنساني ويلتفت إلى روحه المجـرَّدة، والملكـوتية، واحتياجاتها ومتطلباتها أيضاً .. وعليه أن يعطي الأصالة لهذا الجـانب من الحياة، فاذا كان في جانبه الدنيويّ والجسمانيّ يحتاج إلى الماء والغذاء والمسكن وما شابه ، فان لِجانبه الباطنيّ والروحانيّ والإنساني كذلك إحتياجات من سنخه.

إنّ الـروح الإنسانية جوهرةٌ مجردةٌ ملكوتيةٌ هَبَطَت من عالم القدس، وهي

---

(١) الزمر ـ ١٥.

(٢) غرر الحكم ـ ص٤٩٥.

تتطلَّب قِيَماً إنسانيةً علياً .. فاذا عرف الانسانُ نفسه، والتفت إلى روحه الملكوتية فانه سيرى أنها جاءت من عالم القدرة والكرامة، والعلم والرحمة، والنور والإفاضة، والإحسان والخير ، والطهر والعدل، وبكلمة واحدة: جاءت من عالم الكمال، وهي تناسب ذلك العالم وتسانخه.

في ضوءِ هذه النظرة وفي ظل هذه الرؤية يجدُ القيَم الأخلاقيةَ، ويرغب في أن يهاجر بواسطتها من مرتبة الحيوانية الدنيا، ويرتقي في مدارج الكمال الانساني إلى أن ينال مقام القرب والزلفىٰ الى الله، ويحظى بتلك المنزلة الرفيعة .. وهنا تتضح مكانة القيم الأخلاقية.

إنَّ مكارم الأخلاق وما يسمّىٰ بالقيم الأخلاقية عبارة عن سِلسِلةٍ من الكمالات الروحانيةِ والمعنوية التي تدركُ روح الإنسان الملكوتية مناسَبتها لاحتياجاتها الاستكماليّة، وتحكم بانّ عليَّ أن أقومَ بها، لأنها تناسب مقاميَ الانسانيَ الرفيعَ.

إنَّ الإنسان إذا راجع فطرَتَه الطاهرةَ النقيّة، المُحبّة للكمال، وفكر جيّداً، بعيداً عن الهوىٰ، والهوس، لاستطاع أن يدركِ الفضائل، والقيَم الأخلاقيّة، وكذا رذائل الأخلاقَ وما يضادّ القيَم الخيِّرة.

ولقد كان البشر كلُ البشر وسيكونون في جميع الأزمنة والأمكنة هكذا .. ولو وَجَدنا بعض الناس قد حُرِمُوا من هذا الإحساس والادراك المقدَّس فإنما هو لاجل أن الهوى والَهوَسُ والميول الحيوانية الشديدة قد أطفأت نور عقولهم.

ولقد بُعِثَ الأنبياءُ والرسُل لهذه الغاية أي ليوقظوا فَطر البشر النقيّة، ويغيّروا الإحساس الأخلاقي الغافل في الكيان البشريّ إلى شعورٍ يقظٍ مدركٍ، ليعرفوا مكارِمَ الأخلاق، ويربّوا أنفسهم ـ بواسطة ذلك ـ ويجتنبوا عن رذائل الأخلاق.

يقول في القرآن الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَماسَوَّاها . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهاَ وَتَقْوَاهَا . قَدْ

أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[١].

فكّرُواْ وأجِيبُواْ

١ ـ ما هي المنزلة التي تحظىٰ بها الأخلاقُ في الإسلام؟ ولماذا؟

٢ ـ عَرِّفوا الأخلاق.

٣ ـ عدّدِوا الجهات الوجودية في الإنسان ووضِّحوا آثار المرتبة الإنسانية.

٤ ـ عَدّد الإحتياجات الروحانيّة الإنسانية.

٥ ـ كيف يقف الإنسانُ على القيم الأُخلاقية؟

٦ ـ ما هو نوعُ المعونةِ التي يقدِّمُها الأنبياءُ للبشر في هذا المجال؟

* * *

---

(١) الشمس ٧ ـ ١٠.

الدَرسُ الواحِدُ والخَمسون

الأخلاق في الإسلام (٢)

يمكن تقسيمُ المسائل الأخلاقيّة بصورة عامّة إلى صنفين:

الصنف الأوّل ـ الأخلاق الفرديّة مثل : التوجّه إلى الله، وذكره، حبّ الله، التوكّل على الله، الرضا برضاءِ الله، إخلاص العمل لله، الأمل، الصبر، غنىٰ النفس، الشجاعة، الإستقامة والثبات، العزم، طمأنينة النفس، التي هي من الأخلاق الحميدة. ومثل: الرياء، العُجْب، الحسَد، الغضب، الإضطراب الباطنّي، اليأس، الجزع، حبّ الدنيا، والجاه والشهرة، والخوف، الحرص، الطمع، وحشة النفس، عدم الرضا بالرضا الالهيّ وضعف الإرادة، التي هي من الأخلاق الرذيلة.

الصنف الثاني ـ الأخلاق الإجتماعية مثل: حسن الخلق، طِيب الكلام، حسن العشـرة، التـواضع، إحترام الناس، حب العدالة، الإيثار، الدفاع عن المظلومين والمحرومين، حب الخير، الإحسان إلىٰ الناس، الأمانة، الوفاء بالعهد، الصِدق، حفظ الأسرار، الرفق، المداراة، اللين، العفو، الاغماض عن عيوب الآخرين، الإحسان الىٰ الوالديّن، الإحسان إلى الولد، صلة الرحم، رعاية الحقوق المتقابلة بين الزوجين، السعي في قضـاء حوائـج المؤمنين، الإهتمام بأمور المسلمين، خدمة الناس، إحترام

الواجب، والعمل به، حسن الجوار، رعاية حقوق الآخرين وإنفاع الآخرين، التي هي من آداب الحياة الاجتماعية، واخلاقها الحسنة.

ومثل: سوء الخلق، البذائة، سوء العشرة، التكبر، إحتقار الآخرين، الظلم، عدم الدفاع عن حقوق المحرومين والمظلومين، الإضرار بالآخرين، إيذاء الآخرين، الخيانة، نقض العهد، الكذب، إفشاء أسرار الآخرين، الخشونة والعنف، تتبّع عورات الآخرين، سوء معاملة الأبوين، سوء معاملة الولد، قطع الرحم، إيذاء الجيران، عدم رعاية الحقوق المتقابلة بين الزوجين، عدم الإهتمام بأمور المسلمين، الإخلال بالواجب، عدم العمـل بالوظيفة، البخل، السعي لدى الظالم والوشاية عنده، النميمة، ابتغاء الفتنة، المكر والغدر، التهمة، الغيبة، مساعدة الظالم، الإسراف والتبذير، وخُداع الآخرين.

إنّ العنـاوين الأخـلاقية المذكورة والعشرات من العناوين الأُخر المشابهة نلاحظها ونشاهدها في القرآن الكريم وكتب الحديث، وقد تناولها علماءُ الاسلام ـ في كتب التفسير والحديث والأخلاق بالبحث والشرح بصورة دقيقة، وعميقة.

وقد تضمّنت هذه الأبحاث والدراسات بيان فوائد الأخلاق الحسَنة، وتأثير كلّ واحد منها في ضمان سعادة الحياة الدنيوية، واستقامتها. وفي تكميل النفس وضمان سعادة الإنسان في الحياة الأُخروية .. وكذا الآثار والتبعات السيئة المترتبة على كلّ واحد من الأخلاق الرذيلة في الحياة الدنيويّة والأخروية.

كما قامَت تلك الأبحاث بدراسة علل وأسباب ظهور هذه الأخلاق ونشأتها وطرق معالجة المصابين بها، وسبُل الوقاية منها.

ومع الأسف لا يَتّسع هذا المجال لتلك البحوث والدارسات، ولكننا نرى أن من اللازم أن نشير إلى عدة مطالب:

المطلب الأول: انّ للأخلاق الحسنة أو السيئة ـ كما أسلفنا ـ دوراً جوهرياً

وتاثيراً هاماً في السعادةأو الشقاوة الدنيوية والأُخروية، بحيث لا يمكن تجاهلُه او التهوين من قيمته وأهميته.

المطلب الثاني: انّ تهذيب النفس من الأخلاق الرذيلة، وحملها على مراعاة الأخلاق الحسنة لا شك عملية صعبة وشاقة، ولكنها ضرورية على كل حال.

إنّ النجاحَ والتوفيقَ في مثل هذا العمل المهم يحتاج إلى:

١ ـ معرفة الأخلاق الحسنة والسَيّئة.

٢ ـ معرفةالنفس وأمراضها الأخلاقية وطرق معالجتها، معرفة كاملة.

٣ ـ العزم الجدّي على إصلاح النفس.

٤ ـ الصمود أمام الميول الحيوانية الشديدة ومقاومة الوساوس والحيل النفسانيّة.

٥ ـ مجاهدة النفس الأمّارة ومكافحتها.

٦ ـ المراقبة الدائمة والإستمرار في المجاهدة.

إنّ الذين يفكرون في سعادتهم الواقعية، عليهم أن يبدأوا عَملَهم في مرحلتين متزامنتين:

المـرحلة الأُولى: عبارة عن تطهير النفس وتخليصها من الذنوب والأخلاق الرذيلة وهذا العمل يدعى إصطلاحاً بالتخلية.

المرحلة الثانية: عبارة عن العبادة، وعن ذكر الله تعالى، وتنمية الأخلاق الحسنة وهذا يُدعىٰ اصطلاحاً بالتحلية.

إن هذين العملين ضروريّان لضمان سعادة الانسان، لأنّ النفس إذا لم تتطهر من الأخلاق الرذيلة كيف يمكن أن تصير محلاً للإفاضات الإلٓهية وتصل إلى الكمال المنشود.

ومن جانب آخر إذا لم تحصل النفسُ على تربيتها عن طريق الإيمان والعمل

الصالح والأخلاق الحسنة، فبهاذا وبأيّة وسيلة تتحرك وتتكامل وتبلغ درجة القرب إلى الله.

قالَ عليٌ عليه السلام: أكرِمْ نَفْسَكَ مِنْ كُلِ دَنيّة، وإنْ ساقَتْكَ إلى الرَّغَائِب، فانّك لن تعتاضَ بما تبذلُ من نفسِك عِوَضاً، ولا تكن عَبدَ غيرك وقد جَعَلَك الله حُرّاً، وما خيرُ خيرٍ لا يُنال إلا بشرٍّ، ويُسرٍ لا يُنال إلا بعُسْرٍ [١].

وقال عليٌ عليه السلام: إنَ النفسَ جَوهرةٌ ثَمينةٌ مَن صانها رَفَعَها، ومن إبتذلَها وَضَعَها [٢].

وقال عليه السلام: ألا وإن الجهادَ ثمن الجنّة فمن جاهَدَ نفسَه مَلكها، وهي أكرمُ ثوابِ الله لَمِن عرفها [٣].

وقال علي عليه السلام: من عَرف شرف معناه صانه عن دنائة شهوته وزورمناه [٤].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ أُكتبُوا الأخلاق الفردية الحسنة.

٢ ـ أُكتبُوا الأخلاق الفردية السيئة.

٣ ـ أُذكروا عشرة من الأخلاق الإجتماعية الحَسنَة.

٤ ـ أُذكروا عشرة من الأخلاق الإجتماعية السيئة.

٥ ـ ماذا يجب لتهذيب النفس وتنمية الأخلاق الحسنة.

---

(١) نهج البلاغة الكتاب ٣١، صبحي الصالح.

(٢) غرر الحكم ص٢٢٦.

(٣) غرر الحكم ص١٦٥.

(٤) غرر الحكم ص٧١٠.

الدَرس الثاني والخَمسون

العِبادة في الإسلام

في الدين الإسلاميّ مجموعةٌ منَ الأعمال التي تسمى العبادات كالصَلاة والصيام والحج، والجهاد وغير ذلك من الأعمال التي تُعَدُّ من العبادات .. ويكون القيامُ بها عبادة أيضاً.

إن العبادة في اللغة تعني غاية التذلّل والخضوع، وإظهار التسليم للغير.

يقول الراغب: العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلاّ مَن له غاية الافضال وهو الله تعالى[1].

والعبدُ الذي هو أيضاً مشتقٌّ من هذه المادّة يطلق على من يكون مملوكاً للغير، ينفّذ أوامرَه ويبدي له غاية التسليم، ويعطيه الحقَ في أن يتدخل في جميع شؤونه، ويخضع أمامَه غاية الخضوع، ويتذلّل له نهاية التذلل.

ولهذه المناسبة يُطلق وصفُ العبد على الإنسان، ويُعتبر الجميعُ عبيداً لله تعالى لأنهم جميعاً مملوكون لله تعالى.

---

(١) المفردات ص٣١٩.

ولكن مالكيّة الله للناس تختلف اختلافاً عن مالكيّة سائر الموالي .. لأنّ مالكيّة الموالي البشرية مالكيةٌ إعتباريةٌ، على العكس من مالكية الله سبحانه لعباده التي هي أمر حقيقي وتكويني.

إنّ الإنسانَ وجميعَ الموجودات الأُخرىٰ لكونها معلولة لله تعالى في أصل وجودها وفي بقائها واستمرارها، بل وجميع شؤون وجودِها، لهذا فهي مِلكُه، وتحت تصرّفه تكويناً، بل هي عين الارتباط والاحتياج والمملوكية، وهي مرتبطة به في جميع شؤونها الوجودية.

يقول في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللهِ وَٱللهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1].

وبهذا المعنى يكون الإنسانُ، بل وجميع الموجودات في عالم الخلق وحتى الكفار والمشركون عبيداً لله واقِعاً وحقيقة، وهي مسلَمة وخاضِعة أمامَ إرادة الله التكوينيّة وقوانينه الحاكمة على الكَون.

يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ إِلاَّ آتِي ٱلرَّحْمَانِ عَبْداً﴾[2].

إن ما قيل إلى الآن يرتبط بتوضيح عبودية الإنسان التكوينية، ومن هذا الطريق يمكنُنا الوصول إلى معنى العبادة التشريعية.

إنّ الإنسانَ الّذي هو كائنٌ عاقلٌ ومختارٌ ومريدٌ، مكلَّفٌ بان يقبل بمملوكيّته وعبوديته التكوينيّة لله عمليّاً .. وأن يُظهر أمام خالقه ومالكه الحقيقي غاية الخضوع، ونهاية التذلّل والعبوديّة .. وأن يُسلّم لأوامره ودساتيره تسليماً محضاً وخالصاً.

---

(١) فاطر: ١٥.

(٢) مريم: ١ ـ ٢.

وهنا عدة أُمور يجب الإشارة إليها:

١ ـ إنَّ العبادة ـ كما علمتم ـ عبارة عن إظهار العبد الواقعي للعبودية أمامَ مالكِهِ الحقيقيّ والتكوينيّ، وليس لمثل هذا المالك من مصداقٍ سوى الذاتِ الالهية المقدسة.

وبناءً على هذا لا يليق غير الله للعبادة والمعبودية، ولا يستحقها سواه.

إن العبادة والخضوع والتذلُّل الخاص وإن إظهار العبودية لغير الله لا يجوزُ مطلقاً كانَ من كان ذلك الغيرُ وكانَ ما كانَ الشيء المعبودُ.

ولهذا كان جميع الأنبياء يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد، وينهون عن عبادة غيره.

يقول في القرآن الكريم في هذا المجال: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾[1].

اذنْ فالعبادة، والنَذر، والصَلاةُ خاصة بالله، ولو أُتي بها لغيره كان شركاً، وحراماً.

٢ ـ إن من شرائط صحّة العبادةِ الاتيانُ بها خالصة لوجه الله، وبقصد التقرب اليه لا غير.

إن العمل العبادي إنما يكون سبباً لتكامل النفس، وموجبا للتقرب إلى الله، وضامناً للسعادة الأُخروية، إذا أُتي به عن إخلاصٍ، ومن دون رياءٍ أو سمعة.

أما إذا أُتي بالعمل العباديّ بقصد الرياء أو توصّلاً إلى الأهداف الدنيوية لم يكن ذلـك فقط غير موجب للكمال الروحيّ والسعادة الأُخروية بل يكون سبباً للانحطاط النفسي والنقصان الروحي، والعذاب الأُخرويّ. ولهذا وصف الرياء ـ في

---

(١) هود: ١ ـ ٢.

الأحاديث ـ بالشِرك ونهيَ عنه بشدَّة.

قال أبو عَبد الله عليه السلام : كلُّ رياءٍ شِركٌ ، إنّه مَن عَمِلَ للناس كانَ ثوابُه على الناس ، ومن عَمِلَ لله كان ثوابُه على الله [١].

علي بن سالم قال :سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: قالَ الله عز وجلّ: أنا خيرُ شريكٍ ، من أشركَ معي غيري في عَمَلٍ عَمِلَهُ لم أقبلْه إلّا ما كان لي خالِصاً [٢].

٣ ـ إنَّ مصاديق العبادة، وكيفيّتها لايعيِّنُها إلا الله والنبي، ولا يحقّ لأحد أن يشرِّعَ أو يخترع ـ من لدن نفسه ـ عبادةً.. فكيف و من أين يستطيع الانسان أن يعرف أيّ عمل يوجب التقرب إلى الله، و يورث كمالَ النفس، ويستوجبُ السعادة الاُخرويّة؟

انه لا طريقَ الىٰ مثل هذا الأمر إلّا الاستفادة من هِدايات الله، وإرشادات النبي، ولهذه الجهة يُعتبَر تشريع العبادة من غير هذا الطريق بدعة وحراماً.

إنّ البدعة في الدين، بمعنى جعل عبادةٍ او حُكمٍ من دون الإستناد إلى القرآن والحـديث، ونسبته إلى الاسلام، من المحرمات، والمعاصي الكبيرة التي نهي عنها في الأحاديث نهياً شديداً وقاطعاً.

عن أبي عبدالله عليه السلام قالَ قالَ رسول الله صلّى الله عليه وآله: كلُّ بِدعَةٍ ضَلالةٌ وكلُّ ضَلالةٍ في النارِ [٣].

وعن يونس بن عبدالرحمان قال قلتُ لأبي الحسن الأول: بما أُوحِّدُ الله؟ فقال: يا يونُس لا تكونَنَّ مُبتدِعاً، مَن نَظَرَ برأيه هَلَكَ، ومَنْ تركَ أهلَ بيت

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٩٣.

(٢) الكافي ج٢ ص٢٩٥.

(٣) الكافي ج١ ص٥٧.

نبيِّهِ صلّى الله عليه وآله ضَلَّ، ومَن تَرَكَ كتابَ الله وقولَ نبيّهِ كَفَرَ [١].

وعن زُرارة قال: سألت أبا عَبدالله عليه السلام عن الحلال والحَرام. فقالَ: حَلالُ محمّدٍ حَلال أبداً إلى يَوم القيامةِ، وحَرامُهُ حرامٌ أبداً إلى يَوم القيامة، لا يكونُ غيُره ولا يجيء غيُره وقال: قال عليٌ عليه السلام: ما أحَدٌ ابتدَعَ بِدعَةً إلاّ تَرَكَ بها سُنّة [٢].

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: إذا ظَهَرَت البِدَعُ في أُمّتي فَلْيُظْهِرِ العالِمُ عِلْمَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله [٣].

٤ ـ ان العبادات الإسلاميّة بصورة عامّة تنقسم إلى:

١ ـ الواجبات.

٢ ـ المستحبات.

والواجبات العباديّة عبارةٌ عن الأعمال التي أوجبه الشارع الاسلاميّ المقدّس على المكلّفين فهم مأمورون بأن يأتوا بها بقصد القربة، ويكون تركها موجبا للعذاب الأُخروي مثل الصلاة والصوم والحج والواجب، والجهاد في سبيل الله.

والمستحبات هي الأعمال التي أُمِر بالإتيان بها، وهي توجبُ التقرّبَ إلى الله، ونيل الثوابِ الأُخروي، ولكن تركَها لا يكونُ معصيةً مثل: النوافل اليوميّة، والصلوات المستحبّة والحج والعمرة المستحبة، وقراءة القرآن، وذكر الله، وأنواع الأدعية والتوسلات التي وصَلت الينا من النبيّ والأئمة المعصومين عليهم السلام، والصدقات المستحبة، وأنواع الصوم المندوب، والإحسان إلى الناس وخدمتهم، والإحسان إلى الوالدين، وغير ذلك من مكارم الأخلاق.

(١) الكافي ج١ ص٥٦.
(٢) الكافي ج١ ص٥٨.
(٣) الكافي ج١ ص٥٤.

ويشتَرَط في صحة العبادات المستحبة واستيجابها الثوابَ أيضاً قصد القربة.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ عرّفوا العبادة؟

٢ ـ وَضحوا عبودية الناس التكوينية لله؟

٣ ـ وَضّحوا العبادة التشريعية؟

٤ ـ لماذا لا تجوزُ عبادةُ غير الله؟

٥ ـ ما هو أكبر شرطٍ لصحة العبادة؟

٦ ـ مِن أيّ طريق يمكن معرفة العبادة؟

٧ ـ ما هي البدعة وما هي أدلة حرمتها؟

* * *

الدرسُ الثالث والخَمسون

الصَلاة

الصَلاةُ من أفضل العبادات، وهي عمودُ الدين.

إنّ المسلم يُفـرّغ نفسَـه كلَّ يوم عدة مرات من الأعمال الدنيوية اليومية، ويتوجه إلى ربّه الكريم، ويستمد منه العون والمدد، فيتوضّأ، ويشتغل بالصَلاة، ويقيم إتصالاً مباشراً مع خالق الأرض والسماء، ويكلّمه ويتحدث إليه .. ويقف في كمال الخضوع والتواضع بين يدي رب العالمين، ويتوجه اليه بقلبه، ويظهر له العبودية. وينير فؤادَه بذكر الله، ويجلّيه من صدإ الغفلة والغفوة.

إنّـه بالصَّـلاة يصعد إلى عالم الصفاء والمعنوية، والكمال، ويترقى في مدارج التكامل النفسي، ويتحرك في مراتب التقرب إلى الله.

ولقد ركّزت آيات وأحاديث كثيرة على أهميّة وقيمة هذه العبادة الكبرى، وإليك نماذج منها:

يقول في القرآن الكريم: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّاكِعِينَ﴾[1].

(١) البقرة: ٤٣.

ويقول: ﴿يَا أَيُّها ٱلَّذِيْنَ آمَنُواْ ٱسْتَعِيْنُواْ بِالصَّبْرِ وَٱلصَّلاةِ إِنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلصَّابِرِيْنَ﴾(١).

ويقول: ﴿قُلْ لِعِبادِيَ ٱلَّذِيْنَ آمَنُواْ يُقِيْمُواْ ٱلصَّلاةَ وَيُنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيْهِ وَلَا خِلَالٌ﴾(٢).

ويقول: ﴿أُتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللهِ أَكْبَرُ وَٱللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٣).

عن زيد الشحّام عن ابي عَبداالله عليه السلام قال سمِعتُه يقول: أَحَبُّ الأعْمال إلى الله عزّ وجلّ الصَلاةُ وهي آخِر وَصايَا الأنبياء، فما احسنَ الرَّجل يَغْتَسِلُ أو يتوضّأ فَيُسْبغ الوُضُوءَ ثم يَتَنحىٰ حَيثُ لا يراهُ أنيسٌ فَيُشْرِفُ عَلَيْه، وَهُوَ راكِعٌ أو ساجِدٌ.

إنّ العَبْـدَ إذا سَجَـدَ فَأَطالَ السُجُودَ نادىٰ إبليس: ياوَيلاه أطاعَ وعَصَيتُ وسَجَدَ وأبيتُ (٤).

قالَ رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا قامَ العبدُ المؤمنُ في صَلاتِه نظرَ الله إليه ـ أو قال ـ اقبَلَ الله عليه حَتى ينصرفَ، أظَلّتهُ الرحمةُ من فوق رأسه إلى أُفُق السماءِ والملائكةُ تحفُّه من حوله إلى أُفقِ السماء ووكّل الله به مَلَكاً قائماً على رأسه يقول له: أيها المُصَلّي لو تعلمُ مَن ينظرُ إليك ومَن تناجي ما الْتَفتَّ ولا زلتَ من موضِعك أبداً (٥).

---

(١) البقرة: ١٥٣.

(٢) ابراهيم: ٣١.

(٣) العنكبوت: ٤٥.

(٤) الكافي ج٣ ص٢٦٤.

(٥) الكافي ج٣ ص٢٦٥.

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: ليسَ منّي من استخَفَّ بصلاته. لا يَردُ عَلَيّ الحوضَ لاَ والله، ليسَ منّي من شرب مُسكِراً، لا يردُ عليّ الحوضَ لا والله [1].

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: إذا كانَ يومُ القيامة يُدعىٰ بالعَبد فأوّل شيء يُسئَل عنه: الصَلاةُ فاذا جاءَ بها تامّةً وإلاّ زُخّ في النار [2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال (في كلام يوصي أصحابه): تعاهَدوا أمرَ الصَلاة وحافِظوا عليها، واستكثِروا منها، وتقرّبوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً [3].

لقد اعتنى الاسلامُ بإقامة الصلاة والإلتزام بايقاعها في أوقاتها المعيّنة، وبخاصة مع جماعة المسلمين في المساجد، والحضُور في الجماعات والجُمعات عناية بالغة، وأكّد على كلّ ذلك تأكيداً شديداً.

إنّ إقامة الصَلاة تُعَدّ من علائم الاسلام ولا يجوّز الشارعُ الاسلاميُ المقدَّسُ تركَها أبداً..

إن المسلمين مكلّفون باقامة الصلاة الواجبة في كل حال، في السفر والحضر، في حال السلامة وحال المرض، في حال الفراغ وعند شدّة الإشتغال، بل حتى في ميادين القتال وفي حال الغرقِ في البحر.

على أن لكل حالةٍ من هذه الحالات وظيفة خاصة عيّنها الشارع الاسلامي المقدس.

إن تَرك الصلاة الواجبة عمداً يُعدّ من أكبر الذنوب .. بل ربما عُدّ كُفراً.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاءَ رجُلٌ إلى النبي صلّى الله عليه وآله

---

(١) وسائل الشيعة ج٣ ص١٦.

(٢) وسائل الشيعة ج٣ ص١٩.

(٣) وسائل الشيعة ج٣ ص١٩.

فقال: يا رسولَ الله أوصِني.

فقال: لا تَدَع الصَلاةَ مُتَعمِّداً، فإنَّ مَن تَرَكَها مُتَعمِّداً فقدْ برِئتْ منه ملةُ الإسلام [١].

عن جابر قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما بَين الكُفْرِ والإيْمان إلاّ تركُ الصَلاة [٢].

إنَ الصَلَوات تنقسم إلى نوعَين:

الصَلَوات الواجبة.

الصلوات المستحبة.

النوع الأول ـ وهي الصلوات الواجبة على أربعة أنواع:

١ ـ الفرائض اليومية، وتعدّ منها صلاة الجمعة أيضاً.

والفرائض اليومية عبارة عن ١٧ ركعة تؤدّىٰ في كل يوم: أربع ركعات هي صلاة الظهر، وأربع ركعات هي صلاة العصر، وثلاث ركعات هي صلاة المغرب، وأربع ركعات هي صلاة العشاء وركعتان هي صلاة الصبح.

٢ ـ صلاةالآيات، وهي ركعتان ولها كيفية خاصة.

إن صلاة الآيات تجب عند كسوف الشمس أو خسوف القمر أو الزلزلة أو وقوع أيّة حادثة سماوية هامّة هائلة يخاف بسببها اكثر الناس.

٣ ـ صلاة الطواف الواجب وهي ركعتان ويُؤتىٰ بها بعد طواف العمرة والحج.

٤ ـ قضاء فوائت الوالد الذي يجب على الولد الاكبر.

٥ ـ صلاة الميت التي تقام على الميت المسلم ولها كيفية خاصة.

---

(١) وسائل الشيعة ج٣ ص٢٩.

(٢) وسائل الشيعة ج٣ ص٢٩.

إن كيفيّة الصلوات المذكورة مفصَّلة ومسائلها كثيرة جداً، ولا يسع لذكرها مجالُ هذه الصحائف، وللتعرف الكامل عليها يجب الرجوع إلى الكتب الفقهيّة والرسائل العمليّة.

النوع الثاني ـ الصَلَوات المستحبة:

إن الصلوات المستحبة هي أيضاً كثيرة جداً وهي تؤدّى بكيفياتٍ خاصةٍ في مناسباتٍ وأوقاتٍ خاصةٍ، يمكن للراغبين في معرفتها مراجعة الرسائل العملية وكتب الأدعية.

وفي الختام يجب أن أُشير إلى نقطة مهمّة وهي حضور القلب في حال الصلاة.

إن على المصَلّي أن يعرف أنه يقف بين يدي ربّ العالمين، ويناجيه ويدعوه، فيجب أن يُخرِجَ جميع الأغيار من فؤاده، ويُخلّيه من جميع الشواغل الصارفة، ويُقبِل على صَلاته بكل قلبه، ويقف بين يدي الله بتوجّه كامل ويتحدث اليه ويدعوه بكمال الآدب والخضوع.

إنّ الصَلاة من دون حضور القلب أشبه ما يكون بجسم من دون روح.

إن الأذكار والقراءات والركوع والسجود والتشهّد والسلام هي الصوره الظاهرية للصلاة، ولكنّ حضور القلب والإقبال على الله فيها هو روح الصلاة.

إنّ الصلاة من دون حضور القلب وإن كانت مسقِطةً للتكليف الشرعي ولكنها لا تصعَد ولا ترقى بالمصلي إلى مقام القرب الالهي الرفيع.

إن قبول الصلاة يتوقف على مَدىٰ حضور القلب في المصَلّي، ولأجل هذا وَرَدت أحاديث كثيرة تؤكد على تحصيل حضور القلب، ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

قال النبي صلّى الله عليه وآله: إنّ من الصَلاة لما يُقبَل نصفُها وثُلثُها ورُبعُها وخُمسُها إلى العُشر، وإنّ منها لما يُلَفّ كما يُلفّ الثوبُ الخَلِقُ فيُضرَب بها وجه صاحبها،

وإنّما لك مِن صلاتَك ما أقبلتَ عليه بقلبكَ [١].

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ايّما عبدٍ إلتفتَ في صَلاتِه قالَ الله: يا عَبدي! من تقصُد ومن تطلبُ؟ أرباً غيري تريدُ؟ أوَ رَقيباً سواي تطلُب؟ أوَ جواداً خلايَ تبغي؟ وأنا أكرمُ الأكرَمين، وأجودُ الأجوَدين وأفضلُ المعطين، أُثيبُك ثواباً لا يُحصىٰ قدْرُه. أقبل إليَّ فإني عليك مُقبل، وملائكتي عليكَ مُقبلون. فإنْ أقبَلَ زالَ عنه ما كان. فان التفتَ ثانيةً أعاد الله مقالَته، فان أقبلَ على صلاته غفرَ الله له وتجاوزَ عنه ما كانَ . فان التفتَ ثالثةً أعادَ الله مقالَتَه، فان أقبَلَ على صَلاتِه غفر الله ما تقدَّم مِن ذَنبه. فان التفَت رابعةً أعرضَ الله عنه واعرَضَتِ الملائكةُ ويقول: ولَّيتك يا عبدِي إلىٰ ما تولَّيتَ [٢].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ ماذا يفعلُ المصلّي في الصلاة؟

٢ ـ إحفظوا إحدىٰ الآيات المذكورة في الدرس.

٣ ـ كيف يحصلُ الإهتمامُ بالصلاة؟

٤ ـ هل السلامُ يجوِّز تركَ الصلاةِ في حالٍ من الأحوال؟

٥ ـ عَدّدوا الصلوات الواجبة.

٦ ـ ما هو شرط قبولِ الصَلاة؟

٧ ـ اكتُبوا حديثاً حول حضُور القلب في الصلاة.

* * *

---

(١) بحار الأنوار ج٨٤ ص٢٦٠.

(٢) بحار الأنوارر ج٨٤ ص٢٤٤.

الدرسُ الرابع والخمسون

الصَوم

الصَومُ من العبادات الإسلامية الكبرى .. إن هذه العبادة تتحقق بأن يمسك الإنسان عن الأكل والشرب ويتجنّب الجماع وإنزال المني والكذب على الله والنبي والإرتماس في الماء والبقاء على الجنابة إلى الفجر وتعمّد القيء والاحتقان العمدي، من طلوع الفجر إلى المغرب بقصد الصوم..

إنّ الصَوم يحظى من بين العبادات الإسلامية بمكانة متميّزة جداً، وقد وردَت حولَه روايات عديدة نذكر منها ما يلي:

قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: الصَومُ جُنّةٌ من النار [١].

عن أبي عبدَ الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى يقولُ: الصَومُ لي وأنا أجزي عليه [٢].

عن أبي عَبد الله عليه السلام قال: نومُ الصائم عِبادَة وصَمْته تسبيحٌ، وعَمَلُه

---

(١) الكافي ج٤ ص٦٢.
(٢) الكافي ج٤ ص٦٣.

متقبَّل، ودعاؤُه مستجاب [١].

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: قال الله عز وجل: كل أعمال ابنِ آدم بعَشَرة أضعافِها إلى سبعمأة ضعف إلاّ الصبرُ فانه لي، وأنا أجزى به، فثوابُ الصبر مخزونٌ في عِلم الله، والصبرُ الصوم [٢].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: عَلى الصلاة والزَكاة والحج والصَوم والوِلاية [٣].

إن وقت الصَوم الواجب في الاسلام هو شهر رمضان فيجب على كلّ فردٍ مسلمٍ وَصَل إلى سن البلوغ ولم يكن له عذر شرْعي، أن يصومَ شهر رمضان من أوّله إلى آخره .. ولو أفطر من دون عذر شرعيّ ارتكب معصية كبيرةً ووجب عليه القضاءُ والكفارة معاً.

ثم إنه يجوز لعدة طوائف أن يفطروا ولا يصوموا شهر رمضان بعضه أو كلّه وهم كالتالي:

١ ـ المريضُ الذي يضرّ به المرضُ.

٢ ـ المسافرُ الذي يقطع على الأقلّ ثمانية فراسخ ذهاباً واياباً، أو ذهاباً فقط.

٣ ـ الحائض والنفساء.

٤ ـ المرأة الحامل المقرب، أو التي يضرّ الصوم بحملها.

٥ ـ المرأةُ المرضعة، ويقلّ لبنُها على أثرِ الصوم، أو يضرّ الصوم بها أو بطفلها.

هذه الأصناف يجوز لها الإفطارُ ولكن يجب عليها القضاء، فيما بعد.

٦ ـ الشيخ والشيخة اللذان لا يستطيعان الصوم أبداً أو يشقّ عليهما ذلك، ولا

---

(١) وسائل الشيعة ج٧ ص٢٩٤.

(٢) وسائل الشيعة ج٧ ص٢٩٥.

(٣) الكافي ج٤ ص٦٢.

يجب على هؤلاء القضاء أيضاً[١].

إن ما ذكرناه في تعريف الصوم يطابق فتوى فقهاء الإسلام، ولكن للإمساك في الصوم في نظر علماء الأخلاق معنى أوسع .. فهم يقولون: إن صوم المرء إنما يكون كامـلاً ومقبولاً إذا صامت جوارحهُ عن الذنوب، مضافا إلى الإمساك عما ذكر من المفطرات، يعني أن يُجنِّبَ بصرَه المعصيةَ المرتبطة بها، وأذنه ولسانه ويدَه ورجله الإثمَ المرتبط بها.

انّ مِثل هذا الصوم يسمىٰ بصوم الخواصّ..

والأعلى من هذا الصوم هو صوم أُولئك الذين يمنعون قلوبَهم عن كل ما سوى الله، مضافاً إلى الإمساك عن الأكل والشرب، وتجنب المعاصي والذنوب .. ويرون الله حاضراً ناظراً أبداً، ويشاهدون مجلس ضيافته..

إن مثل هذا الصوم يسمىٰ بصوم خواص الخواص.

ولم يذهب علماءُ الأخلاق إلى هذا التقسيم إعتباطاً، بل استفادوه من أحاديث ورَدَت في هذا المجال، ونذكر على سبيل المثال ما يأتي:

محمد بن عجلان قال: سَمِعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: ليسَ الصيامُ مِن الطعامِ والشراب، أن لا يأكل الانسان ولا يشربَ فقط، ولكن إذا صمتَ فليصمْ سمعُك وبصرُك ولِسانُك وبطنُك وفرجُكِ واحفظ يدَك وفرجَك وأكثِرِ السكوت إلا من خير، وارفق بخادمك[٢].

قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا صمتَ فَلْيصم سمعُك وبصرُك من الحرام والقبيح، ودع المِراءَ وأذى الخادمَ، وليكنْ عليك وقارُ الصائم، ولا تجعل يومَ صومِك

---

(١) للوقوف على تفاصيل هذه المسائل يجب الرجوع إلى كتب الفقه والرسائل العملية.

(٢) وسائل الشيعة ج٧ ص١١٨.

كيوم فِطركَ [١].

قال رسـولُ الله صلّى الله عليه وآله في خُطبة له: ومَن صامَ شهرَ رمضان في إنصاتٍ وسكوتٍ وكفَّ سمعَه وبصرَه ولسانَه وفرجَه وجوارحَه من الكَذِب والحرامِ والغَيْبة تقرُّباً، قرّبَهُ الله مِنهَ حتى تمسَّ رُكبتاهُ ركبتَيْ إبراهيم خليلِ الرحمانِ [٢].

وعن أبي عبـدالله عليه السلام قال: إن الصيامَ ليس من الطعام والشرابِ وحده، إنما للصومِ شرطٌ يحتاج أن يُحفَظ حتى يتم الصومُ، وهو الصمتُ الداخل أما تسمع قول مريم بنت عمران: إني نَذَرْتُ لِلرحْمٰن صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَومَ إنسيّاً، يعني صمتاً، فإذا صُمتم فَاحفظوا ألسنَتَكُمْ عنِ الكذب، وغُضُّوا أبْصارَكم ولا تَنازَعوا ولا تحاسَـدوا ولا تغتابُوا ولا تمارُوا ولا تكذبوا ولا تباشِروا ولا تُخالِفوا ولا تَغاضبوا ولا تسـابّـوا ولا تشاتموا ولا تنابزوا ولا تجادِلوا ولا تبادوا ولا تظلِمُوا ولا تسافهوا، ولا تزَاجـروا ولا تغفلوا عن ذكـرِ الله وعن الصَلاة، والْزموا الصمتَ والسكوتَ والحلمَ والصبرَ والصِدقَ ومجانبةَ أهلِ الشرِّ، واجتنِبوا قول الزور والكذب والمراء والخصومة، وظن السُوء والغيبة والنميمة، وكُونوا مشرفين علىالآخرة منتظرين لأيّامكم، منتظِرين لماَ وَعَدَكُمُ الله متزوِدّين لِلقاء الله وعليكم السكينة والوقارَ والخشوعَ والخضوعَ وذلَ العبد الخائف من مولاه راجين خائِفين راغِبين راهِبين قد طهّرتم القلوبَ من العيوب وتقدسَتْ سرائركُمْ من الخب، ونظفت الجسم من القاذورات، تبرأ إلى الله من عداه، وواليت الله في صومك بالصمت من جميع الجهات مما قد نهاك الله عنه في السرِّ والعلانية، وخشيت الله حق خشيته في السر والعلانية وَوَهَبْتَ نَفسَك لله في أيّام صومك، وفرغت قلبَك له فيما أمرك الله ودعاكَ إليه فاذا فعلتَ ذلك كلَّه فانت صائمٌ لله بحقيقة صومه

---

(١) وسائل السيعة ج٧ ص١١٧.

(٢) وسائل السيعة ج٧ ص١١٧.

صائمٌ لما أمرك، وكلّما نقصتَ منها شيئاً مما بيّنتُ لك فقد نقصَ من صومكَ بمقدار ذلك (إلى أن قال:) إن الصومَ ليس من الطعام والشراب إنما جعل الله ذلك حجاباً مما سواها من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصوم، ما أقلّ الصُوّام واكثر الجوّاع[1].

إنّ الصومَ ليست عبادة بسيطة وعادية بل هي أكبر عبادة ذات مصالح وحِكَم متعددة أشارت اليها الاحاديث، ونحن ندرج هنا بعضها للاطلاع:

الأول: المعنوية، والافاضات الربانية التي يحظى بها الصائم من جانب الله.

عن أبي حمزة الثمالي قال سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الصائم ليرتعُ في رياض الجنة، وتدعو له الملائكة حتى يفطرَ[2].

أمير المؤمنين عليه السلام صلّى الله عليه وآله قال في ليلة المعراج: يا ربّ ما أوّل العبادة قال: أول العبادة الصمتُ والصومُ.

قال: وما ميراثُ الصوم؟ قال: يورثُ الحكمةَ، والحكمةُ تورث المعرفةَ، والمعرفةُ تورث اليقين، فاذا استيقن العبدُ لا يبالي كيف أصبح بعسرٍ أم بيسرٍ[3].

حسن بن صدقة قال قال أبو الحسن عليه السلام: قيلوا، فان الله يطعمُ الصائمَ ويسقيه في منامه[4].

وعن علي عليه السلام قال: ان رسول الله خطبَنا ذات يوم فقال: أيها الناس إنه قد أقبلَ إليكم شهرُ الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهرٌ هو عند الله أفضلُ الشهور وأيامُه أفضلُ الأيام، ولياليه أفضلُ الليالي، وساعاتُه أفضلُ الساعات، هو شهرٌ دعيتم فيه إلى ضيافةِ الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله أنفاسُكم فيه تسبيحٌ، ونومُكم فيه

---

(١) وسائل الشيعة ج٧ ص١١٩.
(٢) مستدرك الوسائل ج١ ص٥٩٠.
(٣) الكافي ج٤ ص٦٥.
(٤) وسائل الشيعة ج٧ ص٢٢٧.

عبادةٌ وعملكم فيه مقبولٌ، ودعاؤكم فيه مستجابٌ [١].

الثاني: الفلسفة الثانية للصوم التي اشير اليها في الاحاديث هي انّ الأغنياء يذوقـون على أثـر الصوم ألم الجوع، وبهذا يتذكّرون حالة الفقراء والمحرومين وما يلاقونه من ضيق ومشقة في مأكلهم ومطعمهم فيفكرون في مدّ العون إليهم.

سأل هشام بن الحكم أبا عبدالله عليه السلام عن علة الصيام؟

فقال: إنما فرَض الله الصيامَ ليستوي به الغني والفقير، وذلك ان الغنيّ لم يكن ليجد مسَّ الجوع فيرحم الفقيرَ لأن الغنيَ كلما أراد شيئاً قدر عليه، فارادَ الله أن يسوّيَ بين خلقه، وان يذوقَ الغني مسّ الجوعِ وإلّا لم يرقَ على الضعيفِ ويرحمَ الجائعَ [٢].

كتبَ أبو الحسن علي بن موسى عليهما السلام إلىٰ محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسائله: علة الصَّوم لعرفانِ مسّ الجوع والعطش ليكون ذليلاً مستكيناً مأجوراً صابراً، ويكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة مع ما فيه من الإنكسار له عن الشهَوات،واعظاً له في العاجل دليلاً له على الآجل ليعلم شدّة مبلغ ذلك من أهل الفَقر والمسكنة في الدنيا. والآخرةِ [٣].

مع مراعـاة هذه الفَلسفة للصوم يمكن المساعدة بشكلٍ فعّالٍ والى درجةٍ كبيرةٍ على حلّ مشكلة الجوع في العالم.

فكّروا أنتم لو ادّخر جميعُ الأثرياءِ الصائمين وجبة واحدة من طعامِهم، ثم قدَّموا كل ذلك في نهاية شهر رمضان إلى فقراء بلادهم او البلاد الاُخرى في صورة مُؤَن، أو مساعدات نقدية، فكم ياترى يمكنهم معالجة الفقر والجوع.؟ وبملاحظة زكاة

---

(١) وسائل الشيعة ج٧ ص٢٢٧.

(٢) الوافي ج١١ ص٣٣.

(٣) الوافي ج١١ ص٣٤.

الفطرة التي يؤديها كلُّ مسلم، والصدقات وأعمال البر التي ندب إليها الاسلامُ وأكّد عليها في هذا الشهر، تهيأت للفقراء والمحرومين مبالغ هائلة.

الثالث: الفلسفة الثالثة والأهم للصوم هي ترويض النفس وتمرينها على ترك المعصية وتحصيل صفة التقوى:

إن الصائمَ الواقعيّ يتجنب ـ طوال شهر رمضان ـ كلّ نوع من أنواع المعصية باجتهادٍ كاملٍ، بل يغمض ـ لأجل الصوم ـ حتى عن اللذائذ المشروعةِ كالأكل والشرب كذلك .. ويواصل هذا العمل الذي هو رياضةٌ روحيّةٌ كبرى لمدة شهرٍ واحدٍ.

إن شخصاً كهذا يسيطر على نفسه، ويمكنه أن يواصل مثل هذه السيطرة على نفسه بعد شهر رمضان أيضاً، وفي مقدوره أن يبقى تقيّاً دائماً.

إن الفلسفة المذكورة يمكن اعتبارها من أهمّ أهداف الصوم، وقد أشار إليه القرآن الكريم أيضاً.

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

فكروا وأجيبوا

١ ـ ما هي الأعمال التي يجب أن يتجنّبها الصائم؟

٢ ـ ما هي الأصناف التي يجوز لها الإفطار في شهر رمضان؟

٣ ـ في أية صورةٍ يكون الصوم صوماً كاملاً ومقبولاً؟

٤ ـ وضّحوا حِكَم الصوم، وجوانب من فلسفتها؟

---

(١) البقرة ـ ١٨٣.

الدرسُ الخامسُ والخَمْسُون

الحجّ

الَحجّ من الفرائض والواجبات الالهية الكبرىٰ التي عُدت في الأحاديث من أركانَ الإسلام، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: بُني الإسلامُ على خمسه أشياء: على الصلاةِ والزكاةِ والحجِ والصومِ والولايةِ [1].

ينقسم الحجّ إلى ثلاثة أنواع: حجّ التمتُّع، حَجّ القران، حجّ الإفراد .. ونشير هنا إلى أعمال حج التمتع فقط:

إنّ أعمال حجّ التمتّع تنقسمُ إلى قِسمين: الأوّل: العمرة، الثاني: الحجّ.

الأوّل: العمرة؛ وتتألّفُ من خمسة أعمال:

١ ـ الإحرام في أحد المواقيت الخاصّة، وتجنّب أعمال معينة طوال مدة الإحرام.

٢ ـ الطواف حول الكعبة المعظّمة سبعة أشواط.

٣ ـ الصلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم بنيّة صلاة الطواف.

٤ ـ السعي بين الصَفا والمروة سبعة أشواط.

---

(١) الكافي ج١ ص٦٢.

٥ ـ التقصير أيّ قصّ شيء من شعر الرأس أو الوجه أو الأظافر.

كل هذه الأعمال عبادات يجب الإتيان بها بنيّة القربة، وبالصورة والكيفية والشرائط المعتبرة وتسمى العمرة.

الثاني: الحجّ، وفي الحج أيضاً يجب القيام بـ (١٣) عمل هي:

١ ـ الإحرام في الحرم المكّي،

٢ ـ الوقوف في عرفات من الظهر إلى الغروب من يوم عرفة. (أي اليوم التاسع من شهر ذي الحجة).

٣ ـ الإفاضة إلى المشعر الحرام، والوقوف هناك من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس من صبيحة عيد الأضحى.

٤ ـ الإفاضة إلى منى يوم العيد، ورمي جمرة العقبة.

٥ ـ الأضحية يعني ذبح بقرة او شاة أو بعير بمنى.

٦ ـ حلق شعر الرأس او تقصيره بمنى.

٧ ـ الوقوف في منى من أوّل الليل الى نصفه من ليلتي الحادي عشر والثاني عشر من شهر ذي الحجة.

٨ ـ رمي الجمرة الأولى والوسطى والعقبة في اليوم الحادي عشر والثاني عشر.

٩ ـ العودة إلى مكة والطواف حول الكعبة سبعة أشواط، بنيّة طواف الحج.

١٠ ـ الصلاة ركعتين بنيّة صلاة الطواف خلف مقام ابراهيم.

١١ ـ السعي سبعة أشواط بين الصفا والمروة وبهذه الأعمال الثلاثة (الأخيرة) تنتهي أعمال طواف الحج.

١٢ ـ وبعد ذلك يقوم الحاجّ بالطواف سبعة أشواط حول الكعبة بنيّة طواف النساء.

١٣ ـ وبعد الطواف يأتي بركعتين من الصلاة خلف مقام إبراهيم.

ويبـدأُ وقتُ الإتيان بأعـمال مكة من يوم العيد، بعد الإنتهاء من المناسك، ويستمر إلى آخر شهر ذي الحجة .. ويمكن للحاجّ أن يذهب إلى مكة يوم العيد للقيام بأعمال مكة، ثم يعود إلى منىٰ. أو يؤخر ذلك إلى اليوم الثاني عشر وبعده.

إنّ مجموع هذه الأعمال التي تشكّل مناسكَ الحجّ عباداتٌ يجب الإتيانَ بها بقصد القربة، وبالكيفية والصورة المخصوصة والشرائط المعتبرة فيها.

ثم ان هناك عدة أعمال تحرم على المُحْرِم[١].

إن الحجّ عبادة كبرىٰ ذات مراسم متنوعة تؤدىٰ طوال عدةأيام.. ولو أنها أُتي بها على الوجه الصحيح لكان لها تأثير بالغ وعظيم في تزكية النفس، وتهذيبها، وتكميلها وفي تقرّبها إلى الله تعالى.

وإن أكبـرَ أهداف هذه العبادة العظيمة هو تمرين المرء نفسَه على مواصلة التوجه إلى الله، وإدامة ذكره، والاعتقاد بأنه في محضره سبحانه، وعلى مرأى منه ومسمع.

يقول تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَأَذِّنْ فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٢].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الحجُّ والعمرةُ سوقان من أسواق الآخرة والعاملُ بهما في جوارِ الله، إن أدْرَكَ ما يأمل غَفَرَ الله له، وإن قصّرَ به أجلُه وقعَ أجرُه على الله [٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام ايضاً: إذا أخذَالناسُ منازلَهم بمنى نادىٰ منادٍ:

---

(١) للوقوف على هذه المحرّمات في حال الإحرام وبقيّة مسائل الحج والعمرة يجب الرجوع الى كتب الفقه والرسائل العملية.

(٢) الحج: ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) الكافي ج٤ ص٢٦٠.

لو تعلمون بفناء مَن حَلَلتمْ لأيْقَنْتم بالخلف بعد المغفرة»[١].

عن الرضا عليه السلام (في حديث) قال: «إنّما أُمِروا بالحج لعلّة الوفادة إلى الله عز وجلّ وطلَبِ الزيادة والخروجِ من كلّ ما اقترف العبدُ، تائباً مما مضىٰ، مُستأنفاً لما يستقبل مع ما فيه من إخراجِ الأموال، وتَعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والوَلَد، وحَظر النفس عن اللّذات، شاخصاً في الحرّ والبرد، ثابتاً على ذلك دائماً، مع الخضوع والإستكانة والتذلّل، مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، مَن في شرق الأرض وغربها، ومَن في البر والبحر، ممن يحجّ وممَن لم يحجّ، من بين تاجرٍ وجالبٍ وبايعٍ ومشترٍ وكاسبٍ ومسكينٍ ومكاريٍّ وفقيرٍ، وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الإجتماع فيه، مع ما فيه من التفقّه، ونقل أخبار الأئمة إلى كلّ صقعٍ وناحية، كما قال الله عز وجل ﴿فَلَوْ لا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّين ولِيُنْذِرُوا قَوْمَهُم إذا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونْ﴾ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ﴾»[٢].

إنّ السَفَر إلى بيت الله للحجّ سفرةٌ روحانيةٌ ورحلة معنويّة، وحركة مباركة نحو الله ربِ العالمين.

إن الحاجّ يهيّىء نفسَه لهذا السَفَر الهام قبل هذه الحركة .. يتوبُ إلى الله من ذنوبه، ويفرّغ نفسه من جميع الشواغل ، والتعلّقات الدنيوية، من أجل لقاءِ الله .. يراقبُ الله في كل حال .. ويذكره على الدّوام، ويرى نفسَه في محضره أبداً ودائماً.

إنه يؤدّي مراسمَ العمرة والحج ومناسِكها عن بصيرةٍ ووعي، ومع العلم بحِكَمِها وأهدافها، وعند الإحرام كما ينزع عن جسمه الثياب ويلبس قطعتين من

---

(١) الكافي ج٤ ص٢٦٣.

(٢) وسائل السيعه ج٨ ص٧. التوبة: ١٢٢ ، الحج: ٢٨.

القماش الأبيض العادي كذلك يطهّر ذاته من التعلّقات الدنيوية، ويأتي بالتلبية استجابةً لنداء الله ودعوته وكلّما إزداد اقتراباً إلى الكعبة المعظّمة ازداد قلبُه اقترابا إلى الله .. وفي الطواف والصلاة والسعي بين الصفا والمروة يبقى ذاكراً لله دائماً .. ويرى نفسَه في محضره وعلى مرأى ومسمعٍ منه سبحانه وتعالى.

عند الوقوف في عرفات يتذكّر وقوفَه يوم القيامة بين يدي الله تعالى ... وعند رمي الجمرات يرمي في باطنه نفسَه الامّارة بالسوء .. والشيطان الموسوِسَ في الصدور .. وعند الأضحيّة يتذكر تضحياتِ النبيّ ابراهيم الخليل وابنِه إسماعيل عليهم السلام ويخلّدها ويكرمها.

وفي نهاية مناسك الحج يعزم على أن يترك إرتكاب الذنوب، والمعاصي، كما يعزم على أن يبقى ذاكراً لله، مراقباً إياه، مسلّما لأوامره.

ان الحاجّ الواقعيّ يعود إلىٰ وطنه بمثل هذه الفوائد، وعلى مثل هذه الحالة.

المؤتمر الإسلاميّ العالميّ

ولكن منافعَ الحجّ لا تنحصر في الأصعدة العبادية والمعنوية، بل ينطوي الحجُ على منافع أُخرى قد أُشيرَ إليها على سبيل الإجمال في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

ولفظ «المنافع» كلّيٌ ومطلقٌ يشمل كلَ منفعة وفائدة.

كما أن «لهم» يستفاد منه أن المراد من المنافع هي المنافع التي ترتبط بالمسلمين من حيث كونِهم مسلمين..

إن هذه المنافع يمكن ـ بطبيعة الحال ـ أن تتفاوتَ بتَفاوُتِ الأزْمِنَة والأمكنةِ .. يمكن أن تكون منافعَ سياسيةً، واجتماعيّةً، وثقافيةً وإقتصاديةً، وعسكريةً.

إنَّ الإسلامَ يعتبر جميع المسلمين ـ أينما كانوا، وأيّ مذهب اختاروا ـ أُمةً واحدةً

ذات مصالح مشتركة ومسؤولياتٍ مشتركة واعداء مشتركين في العداء لها.

إنّ المسؤولياتِ المشترَكَة بين المسلمين عبارة عن:

١ ـ تبليغ الثقافة الاسلامية الاصيلة ونشرها وبثّها بين المسلمين انفسهم وبين غيرهم من الأمم.

٢ ـ مكافحة الثقافة المتميّعة والمفاسد الاخلاقية الآتية من ناحية أعداء الاسلام.

٣ ـ مكافحة الكفر والشرك والوثنية سواء كان الوثن من خشب أو حجر أو ذهب أو فضّة أو كان بشراً طغى فصار طاغوتاً يعتدي على حريم التوحيد الالهي، ويعطي لنفسه حق التقنين والتشريع للآخرين ويفرض طاعته عليهم.

٤ ـ إختيار سياسةٍ واحدةٍ في كيفيّة العلاقات بينها وبين البلاد غير الإسلامية.

٥ ـ السعي لدعم أواصر الوحدة بين البلاد الاسلامية، وتقوية العلاقات المتقابلة.

٦ ـ التعاون الاقتصاديّ، والثقافيّ، والعلميّ بين البلاد الاسلامية.

٧ ـ الدفاع عن الأراضي الاسلامية.

٨ ـ مكافحة محاولات أعداء الإسلام التسلّطية على البلاد الاسلامية.

٩ ـ المنع من أيّ عدوانٍ احتماليٍ من قِبَلِ دَولة إسلامية على دَولة إسلامية أُخرى.

١٠ ـ النظر في شكوى الدولةِ المعتدى عليها.

١١ ـ الدِفاع عن الإسلام ومواجَهَة مؤامرات أعداء الاسلام.

١٢ ـ الدفاع عن حقوق المسلمين الإسلامية وكذا عن حقوق غير المسلمين الّذين يعيشون في البلاد الاسلامية.

وغير ذلك من الأمور المشتركة التي ترتبط بجميع المسلمين، وبالعالَم الاسلاميّ

جميعاً.

إن الأُمور المذكورة يمكن أن تكون مِن مصاديق «المنافع» التي جاء ذكرُها في الآية .. من المعلوم أن الاُمّه الإسلامية لا يمكنها أن تعيش كاُمّةٍ مستقلّةٍ قويّة، عظيمةٍ في عيون العـالمِ إلّا إذا اجتَهَدَتْ في القيام بهذه المسؤوليات الإسلامية المشتركة، وبقيت وفيّةٍ لها. ولا بدّ للقيام بهذه المسؤوليات الكبرىٰ من تشكيل مجمع اسلاميّ عالمي .. مجمـع يمثّـلُ فيه عن جميع المـذاهب والبـلاد الاسـلامية ممثـلٌ أو ممثلون متعـدّدون يتدارسون قضايا العالم الإسلامي، ويتخذون القرارات اللازمة ويبلّغون نتائجها الى البلاد الاسلامية.

إنَّ المجمع المذكور يمكن أن يكون له أعضاءٌ دائميّون، ولجان مختلفة تراقب اُمور المسلمين طوال السنة ثم يكون لها عند مواسم الحجّ مؤتمرٌ عالميٌ أوسَع.

إن الإسلام يعتبر الحَرَمَ الآلهيّ الآمِنَ وجوار الكعبة المعظمة أفضل مكانٍ لمركز هذا المجمع الاسلاميّ العالميّ.

يقول في القرآن الكريم: ﴿إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّة مُبارَكاً وَهُدىً لِلعالَمِيْنَ فيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقَامُ إبْراهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيْلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِيْنَ﴾[1].

﴿وَإذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِنْ مَقَامِ إبْراهِيمَ مُصَلّىً وَعَهِدْنَا إلَىٰ إبْراهِيْمَ وَإسْمَاعِيْلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِيْنَ وَالعَاكِفِيْنَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[2].

قالَ الراغب في شرح لفظة «مثابة»: وسمّيَ مكان المستَسْقي على فم البئر

---

(١) آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧.

(٢) البقره: ١٢٥.

مثابة[١].

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِياماً لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

كتب الراغبُ في تفسير «قِياماً»: والقيام والقوام إسم لما يقومُ به الشيء، أي يثبت كالعماد والسناد لما يعمد ويسند به كقوله ﴿ولا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الّتي جَعَلَ الله لَكُمْ قِياماً﴾ أي جعلها مما يمسككم وقوله: ﴿جَعَلَ الله الكَعْبة البَيْتَ الحَرامَ قِياماً لِلنّاسِ﴾ اي قواماً لهم يقوم به معاشهم ومعادهم[٣].

وقد وُصِفت الكعبةُ في الآيات المذكورة بأنها: «مبارَك» و «هدىً للعالمين» و «مثابة للناس» و «أمْن» و «قياماً للناس».

ومن المعلوم أن الحَرَمَ الالهيّ الآمنَ والكعبةَ المعظمة أفضل وأنسب مركزٍ يمكن أن يقودَ العالَم الاسلاميَ ويقومَ بهدايته، وفي مثل هذه الصورة يمكن أن يقال أن قِوام الأمة الاسلاميّة يرتبط بوجود الكعبة.

وقد أُشير إلى هذا الموضوع في بعض الأحاديث أيضاً واليك بعضها:

أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قالَ: لا يَزالُ الدِّينُ قائماً ما قامَتِ الكَعْبَةُ[٤].

لقد اعتبر رسولُ الاسلام صلّى الله عليه وآله أيضا الحَرَمَ محلا مناسباً لاظهار البرائة من المشركين إذ أمر علياً عليه السلام بأن يتلو آيات البرائة على مسامع

---

(١) المفردات: ص٨٣.
(٢) المائدة: ٩٧.
(٣) المفردات ص٤١٧.
(٤) الكافي ج٤ ص٤٧١.

المشركين يوم الحج: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[1].

وعَلى هذا الأساس فانَ تأسيس مثلَ هذه المنظمة الإسلامية العالميّة في جوار الكعبة المعظمة يعتبر أفضل وألزم نفع يمكن أن يصلَ إلى العالم الإسلاميّ، ولو أن العالم الاسلاميّ سعوا إلى تأسيس مثل هذه المنظمّة لتغَيّرَ وضعُ المسلمين في العالم حتمًا، ولكان على غير ما هو عليه الآن.

ومن الواضح أن الوُصُولَ إلى مثل هذا الهَدَف العظيم ليس عملاً سهلاً بل يحتاجُ إلى جهاد كبير وتضحية هائلة.

فاوّلاً: على السلطة الحاكمة على الحَرَمين الشريفين أن تراعي مصالحَ المسلمين العليا بعيداً عن العصبيّات الطائفيّة والمذهبيّة، وحبّ الجاه والمنصب، وأن يهيّئوا الإمكاناتِ اللازمة لتأسيس مثلِ هذه المنظمّة وأن يطلُبوا مِنَ البلاد والفِرَق الإسلاميّة ليبعَثُوا بممثّليهم للإشتراك في تلك المنظمّة.

وثانياً: على حُكّام البلادِ الاسلاميّة جميعاً أن يطالِبوا حكّامَ الحَرَمين بأن يهيّئوا مستلزَمات تأسيس مثل هذه المنظمة.

وثالثاً: على علماء الدين والمصلحين الخيّرين أن يَبدَأوا الترويج لهذه الفكرة، ولتحقيق هذا الهدف الكبير، ويهيّئوا أذهان المسلمين له حتى يضغطوا على دوَلهم وحكوماتهم ليسعوا إلى تاسيس وإقامة منل هذه المنظمة.

وفي الخاتمه لا بدَّ من التذكير بهذا الموضوع وهو أنّ وحدة البلاد الإسلامية وتضامُنَها وتاسيسَ منل هذه المنظمة العالميّة الاسلامية ومعالجتها لقضايا البلاد ذات المصالح المشتركة في الحَرَم الطاهر الآمن، هو الهدفُ النهائي الذي يجب السعيُ

---

(١) التوبه: ٣.

الدَؤوبُ للوصول إلى تحقيقه، ولكن لا بدّ قبل ذلك وفي الظروف الحاضرة أن يستفاد أيضاً من مراسم الحج، وإقامة المؤتمرات تحت عناوين مختلفة في الحرمين الشريفين والسعي ـ قدر المستطاع ـ في تقوية الاواصر السياسيّة، والاقتصادية، والثقافية، والعلميّة، بين البلاد الإسلامية، وإظهار البراءة من المشركين، وفضح مخطّطات أعداء الاسلام التقليديين والجُدُد ومؤامرات الإستكبار العالميّ البغيض.

فَكِّروا وأَجيبوا

١ ـ ماذا يمكن استفادتُه معنوياً من الحج؟
٢ ـ كيف يعود الحاجُ الواقعيُ إلى وَطنه من الحج؟
٣ ـ ما هي المسؤوليات المشتركة بين المسلمين؟
٤ ـ ماذا يلزم للوصول إلى الأهداف المذكورة؟
٥ ـ ما هو المكان الأنسَب والأفضَل لإقامة مجمع إسلامي عالميّ؟
٦ ـ ما هو أفضل منفعةٍ يمكن أن تعود على المسلمين من الحج؟
٧ ـ مَن الذي يجب أنَ يعمَل ويسعىٰ لتحقيق هذا الهدف؟
٨ ـ ما الذي يمكن أن يستَفادَ من موسم الحج في الظروف الراهنة؟

* * *

الدَرس السادس والخمسون

الدُعاء

الدعاء يعني الإستعانة والإستغاثة بأحَد أو شيء أو طلب شيء منه .. والدعاء إنما يكون صحيحاً إذا توفّر في المدعُوّ شرطان:

أحدهما: أن يكون ذا شعور وعاقلاً، يسمع نداء الداعي، ويفهم طلبه.

الآخر: أن يكون قادراً على تنفيذ مطلب الداعي، وقضاء حاجته.

وعلى هذا فليس من الصحيح أن يدعوَ الانسان الجمادات، وكذا لا يصح أن يدعو من لا يقدر على قضاء حاجته، وتنفيذ مطلبه، إلاّ أن يكون الداعي يتخيّل أن المدعوّ قادر على ذلك.

ولهذا فانَّ على العباد ـ بغية قضاء حوائجهم وحلّ مشكلاتهم ـ أن يمدّوا يد الاستغـاثـة والاستعانة إلى الله تعالى، ويطلبوا منه سبحانه حوائجهم، لأنه أقرب الأشياء إلى العباد ولأنه حاضر أينما كانوا، يسمع دعاءَهم ونداءهم ويقدر كذلك على تلبية مطاليبهم وحـوائجهم.

إنّ الإنسـان وجميع الكائنات مخلُوقون لله تعالى، ومرتبطون به ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً وآثاراً ارتباط المعلول بعلّته، بل هم عين الفقر والربط. فكل ما عندهم، هو

من الله تعالى، بحيث لو انقطع فيضُه عنهم لحظةً واحدةً لفَنوا جميعاً، وتبدّل وجودُهم إلى عَدَم.

وعلى هذا فإنّ الله تعالى عالمٌ بجميع عبادِهِ محيطٌ بهم إحاطَة قيّوميّةٍ وعِلْمٍ، وهو قريبٌ إليهم .. يسمعُ إستغاثاتِهِم، ويقدِرُ على قضاءِ حوائجهم.

إنّ على الإنسان أن يتذكّر فقرَه الذاتيّ أبداً دائماً، ويطلبَ منه حاجاته، وبهذا الطريق يكونُ قد عَمِلَ أمرين:

من جانبٍ يكون قد لجأ إلى الله خالقِ الكونِ، في رفع إحتياجاتِهِ، فهو يستمدّ منه، ويستغيث به.

ومن جانب آخر يكون قد خضع أمامَه وأظهر العبودية له تعالى، وهو لا شك عبادةٌ موجبةٌ للتقرب إلى الله.

وهنا يجب الإشارة إلى مطلبين:

المطلب الأول: أنّ الدعاءَ عبادةٌ واقعيّةٌ بل هو من أفضل العبادات، لأنّ العبادة تعني في الحقيقة أنّ العبد يعتقد أنّ الله مالِكه الحقيقيّ، وأنّه مملوك له وعبدٌ من عباده، فيخضعُ له ويُظهرُ العبودية بين يديه، ويرفعُ إليه فقرَه، وفاقته، وهذا المعنى نفسُه موجودٌ في الدعاء أيضاً.

ولهذا وُصف الدعاءُ بالعبادةِ في القرآن والحديث أيضاً:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

لقد عُدّ ترك الدعاء في الآية المذكورة إستكباراً عن العبادة.

عن حنان بن سدير عن أبيه قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: أيّ العبادة

---

(١) غافر: ٦٠ داخرين: أذلّاء.

أفضلُ؟

فقال: ما مِن شيء أفضلُ عند الله عز وجل من أن يُسْأَلَ ويُطْلَبَ مما عِنده، وما مِن أحد أبغضُ إلى الله عز وجل ممن يَستَكْبِر عن عبادته ولا يسأل ما عند الله [1].

وعن سيف بن التمار قال: سَمِعْتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: عَليكُم بالدعاء فانّكم لا تُقَرَّبُون بمثله، ولا تتركوا صغيرةً لِصغرِها أن تدعوا بها، إن صاحبَ الصِغار هو صاحب الكِبار [2].

حّماد بن عيسى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ادعُ ولاتقل: قد فُرِغَ مِنَ الأمر، فانّ الـدُعاء هو العبادةُ، إنّ الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ وقال: ﴿أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

وعلى هذا فانَ الدعاء من أفضل العبادات، لو أُتي به بقصد القربة استوجب تكاملَ النَفْس وَالتقرّب إلى الله، والثواب الأُخرويّ، وهذا أثر يترتّب على الدعاء حتماً .. وان لم تَترتّب عليه آثارٌ دنيوية.

إن الذي يعتبر نفسَه عبداً لله يجب أن لا يغفل عن هذه العبادة الكبرىٰ أبداً وفي أيّ حالٍ من الأحوال.

المطلب الثاني: يُستفاد من الآيات أنّ الدعاء لو تحقق لاسْتَتبع الإجابة حتمًا:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيْبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ، فَلْيَسْتَجِيْبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[4].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٤٦٦.

(٢) الكافي: ج٢ ص٤٦٧.

(٣) الكافي: ج٢ ص٤٦٧.

(٤) البقرة: ١٨٦.

إنّ الله تعالى يقولُ لنبيّه في هذه الآية: إذا سألكَ عبادي عني، فقل لهم إني قريبٌ إليهم فليدعُني من شاء أُجبهُ.. ففي الآية المذكورة كما تلاحظون لم يشترط في الإجابة شرطاً، ولم يعلّقها على شيء، وإنّما رتّب الاجابة على الدعاء بصورة مطلقة بل بعبارة «إذا دَعان» أشار إلى نكتة مهمّة جداً وهي أنه يقول: إنني إنما أُجيب الدعاء، إذا كانَ العبد يدعو في حقيقة، وواقعاً.

مِن هذه الآية يستفاد أن دعاء العبد إنما يحظى بالاجابة إذا لم يأمل غيرَ الله ولم يرج شيئاً او شخصاً سواه، بل دعا الله خاصة ومن أعماق قلبه، وصميم ضميره.

إنّ طلب شيء من الله يجب أن يتحقّق في القلب أوّلاً، ثم يجري ذلك على لسانه لا أن يتصوَّر مفهوماً ما في ذهنه، ويجري ألفاظاً على لسانه، بينما يعلّقُ آماله في باطن كيانه، على العلل والأسباب الطبيعية ويعتبرها هي المؤثرة.

وعلى هذا فانّ الانقطاع عمّا سوى الله، وطلَب شيء من الله بجدّ، شرطٌ في استجابة الدعاء لأنه بدون ذلك لا تتحقق حقيقة الطّلب من الله، لتتحقّق ـ بعد ذلك ـ الإجابةُ. ولكن هذا الكلام لا يعني بالمرّة إنكار تأثير العلل والمعلولات الطبيعية وتأثرها، بل المراد هو أن الداعي يجب أن يلتفت إلى أنّ جميع العلل والمعلولات الطبيعيّة محتاجةٌ في وجودها وتأثيرها إلى الله المتعال، ومرتبطة به، غير مستقلة عنه، لا في ذاتها، ولا في آثارها.

إن منشأ جميع هـــذه الافاضات هو الله الحق، ولكن أبى الله أن يجريَ الأُمورَ إلّا بأسبابها.

وعلى هذا الأساس فإنّ من علل عدم إجابة بعض الأدعية هو أنه لم يتحقق الدعاءُ الواقعيُ حتى يستتبع الإجابة.

ولقد أُشير ـ في بعض الأحاديث ـ إلى هذا الموضوع أيضاً.

عن سليمان بن عمر قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله عز

وجل لا يستجيبُ دعاءً بظهر قلبٍ ساهٍ، فاذا دعوتَ فأقبِلْ بقلبِكَ ثم استيقِنْ بالإجابة [١].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يَقبلُ الله عز وجل دعاءَ قلبٍ لاهٍ [٢].

موسى بن جعفر عليه السلام قال: قالَ قوم للصادق عليه السلام: نَدعُوا فلا يستجابُ لنا؟

قال: لأنّكم تدعُون من لا تعرِفونَه [٣].

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه جعفر بن محمد عن آبائه عن علي عليهم السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله، قال: يَقُولُ الله عز وجل: ما مِن مَخْلوقٍ يعتصمُ بمخلوقٍ دوني إلّا قطعتُ به أسبابَ السماواتِ وأسبابَ الأرض من دونه، فإنْ سألَني لم أُعطِهِ وإن دعاني لم أُجبْهُ، وما مِن مخلوقٍ يعتصمُ بي دون خَلقي إلّا ضمّنت السماوات والأرض رزقَه، فإن دعاني اجبتُه، وإن سألني أعطيتُه، وان استغفرني غفرتُ لهُ [٤].

العلة الثانية ـ قد لا يحظى الدعاءُ اللسانيُ بالاجابة لأنَ الداعيَ يطلبُ في باطنهِ شيئاً آخر، لأنّ الانسانَ يطلب مصالحه الواقعية دائمًا، وإذا ما نجدُه يطلب شيئاً من الله بلسانه فلأنه يتصور أن ذلك الشيء من مصاديق مصلحته الحقيقية، ولو أنه عَلِم أن ذلك ليسَ من مَصلحته لما سأله من الله مطلقاً.

وعلى هذا فان الإنسان ربما يطلب بلسانه شيئاً من الله لا يطابق مصالِحَه الواقعية، ويطلب في باطنه شيئاً آخر .. وفي هذه الصورة لا يُستجاب دعاؤه أيضاً.

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٧٣.

(٢) الكافي ج٢ ص٤٧٣.

(٣) البحار ج٩٣ ص٣٦٨.

(٤) البحار ج١ ص١٥٥.

وربما تقتضي مصالح الانسان الأخروية أن لا يحظى دعاؤه بالإجابة، حتى يظلّ على ارتباطه بالله، ويديم حالة الدعاء والمناجاة، وبهذه الطريقة يتقرّب إلى الله، وينال المثوبات العظيمة في عالم الآخرة.

عن اسحاق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ المؤمنَ ليَدعو الله عزّ وجل في حاجته فيقول الله عز وجل أخّروا إجابَته شوقاً إلى صَوته ودُعائه، فاذا كانَ يوم القيامة قال الله عز وجلّ: عَبدي دَعَوْتَني فأخّرتُ إجابَتَك وثوابَك كذا وكذا، ودَعوتَني في كذا وكذا فاخّرتُ إجابتكَ وثوابَك كذا وكذا. قال: فيتمنّى المؤمنُ أنه لم يُستَجَبْ له دعوة في الدنيا مما يَرَىٰ من حُسْنِ الثَواب [1].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قالَ قالَ رسول الله صلّى الله عليه وآله: رَحِمَ الله عَبْداً طَلَب من الله شيئاً عز وجل حاجةً فَألحّ في الدعاء اسْتجيبَ له أو لم يُستَجبْ له، وتلا هذه الآية ﴿وَادعُو رَبِّي عَسىٰ أَلَّا أكُونَ بدُعاءِ رَبِّي شَقيّاً﴾[2].

وعلى هذا الأساس يكون هذا الدعاء أحد أكبر العبادات التي لو أُتي بها على وجه الإخلاص وبقصده لاستوجب التقرّب إلى الله والزلفىٰ لديه. وليس للعبد الذي يقرّ بالعبوديّة لله أن يغفل عن هذه العبادة أبداً وفي أيّة حال من الأحوال، وإن لم تقترن ـ حسب الظاهر ـ بالإجابة والتلبية.

إشكال ـ يمكن لأحد أن يعترض على أصل مسألة الدعاء ويقول: إنّ مايطلبه الانسان من الله إما أن يكون من المقدرات الالهية، وموافقاً للعلل والأسباب الطبيعية فيتحقق ذلك المطلب في هذه الصورة ومن دون الدعاء أيضاً، وكان الدعاء حينئذ عبثاً وأمراً غير مفيد.

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٩٠.
(٢) الكافي ج٢ ص٤٧٥.

وإمـا أن لا يكون من المقدرات الالهيّة، ولا تكون له علل طبيعية، لم يكن للدعاء في هذه الصورة، أثر كذلك، لعدم تحقُّق العلل الطبيعية، وقد أبى الله أن يجرى الأُمور إلّا بأسبابها.

وعلى كل تقدير يكون الدعاء عملاً بلا أثر.

الجواب: في الإجابة على هذا السؤال يمكن أن يُقال: إنّ الاسلام لا ينكر العلل والاسبـاب الـطبيعية، بل يرى من الـلازم وجود مجموعة العلل والمعلولات الـطبيعيّة لتحقق شيء .. وقـد خلق الله ذاتـه الظواهرَ الكونية عن طريق العلل والأسباب الطبيعية، ولكن بالنسبة إلى الدعاء الذي يتحقق ويستجاب فان الدعاء نفسُه يكون جزءً من علل الشيء الذي لا يتحقق إلا عندما تكتمل علّته التامة، ويُفاض الوجود من جانب الله المتعال، وبمشيئته.

وبناء على هذا يمكن تغيير القضاء الالهيّ بواسطة الدعاء.

ولقد أُشير إلى هذا المطلب في الأحاديث أيضاً .. وإليك من باب النموذج ما يأتي:

بسطام الزيات عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الدُعاء يردُّ القضاءَ وقد نزل من السماء وقد أبرِمَ إبراماً [١].

عمر بن يزيد قال: سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول: إنّ الدعاءَ يردّ ما قَد قُدّر وما لم يُقَدّر، قلت: وما قد قُدِّر عَرَفْتُهُ فما لم يُقَدَّرْ؟ قال: حتّى لا يكونَ [٢].

عبدالله بن سنان قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول:الـدُعـاءُ يَردّ القَضاءَ بعد ما أُبرِمَ إبراماً، فاكثِرْ مِنَ الدُعاءِ فانّه مفتاحُ كلّ رَحمة،ونجاح كلّ حاجةٍ

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٦٩.

(٢) الكافي ج٢ ص٤٦٩.

ولا يُنالُ ما عِندَ الله عزّ وجلّ إلّا بالدُعاءِ وإنّه ليس بابٌ يُكثَرُ قَرعُهُ إلّا يوشَك أنْ يُفتَحَ لِصاحِبه [١].

أبو ولاد قال قال أبو الحسن موسى عليه السلام: عَلَيْكُمْ بالدُعاء فإنَ الدُعاءَ لله والطَلَب إلى الله يردُّ البَلاءَ، وقد قُدِّرَ وَقُضِيَ ولَم يَبْقَ إلّا إمضاؤُهُ، فإذاْ دَعى الله عز وجلّ وسُئِلَ صُرِفَ البَلاءُ صَرْفَةً [٢].

فكِّروا وأجيبوا

١ ـ لماذا يجب أن يمدّ الناس يدَ الحاجة إلى الله؟

٢ ـ كيف يمكن أن يُعتَبَر الدعاءُ عبادة؟

٣ ـ في أيه صورة يستجيب الله لعَبده؟

٤ ـ ما هي العلة الأُولىٰ لعَدم إجابَة الدعاء؟

٥ ـ ما هي العلةُالثانية لعدَم إجابة الدُعاء؟

٦ ـ ما هو الإشكال على أصْلِ مسألة الدعاء وما هو الجواب؟

* * *

---

(١) الكافي ج٢ ص٤٧٠.

(٢) الكافي ج٢ ص٤٧٠.

الدرسُ السابع والخَمسون

الجهاد والدفاع

الجهـاد والـدفـاع من الأحكام الإسلامية والتكاليف الشرعية الهامة جداً. والجهاد يعني في اللغة بذل الجهد، وتحمّل المشقة في طريق الوصول إلى الهدف .. وفي الإصطلاح الجهاد عبارة عن نهاية السعي في محاربة العدوّ بهدف نشر الإسلام وإعلاء كَلمة التوحيد أو الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

إنَّ الجهاد يحظىٰ في الاسلام بأهميّة كبرى لأنّ بقاء الاسلام وانتشاره، واقتدار الإسلام، وتنفيذ قوانين الشريعة يقوم على هذه الفريضة ولهذه الجهة وردت تاكيداتٌ كثيرةٌ في القرآن والأحاديث على هذه الفريضة ونذكر ما يأتي على سبيل المثال:

قال الله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

(١) آل عمران: ١٤٢.

ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[3].

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ، وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4].

وقال أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أما بَعد فإنّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنة فتحَه الله لخاصّة أوليائه، وسوّغهم كرامةً منهُ لهم ونعمة ذَخرَها، والجهادُ هو لباسُ التقوى، ودرعُ الله الحصينة، وجُنته الوثيقة، فمن تركه رغبةً عنه ألبسَه الله ثوبَ الذُّلِ وشمِلَه البلاء، وفارقَ الرضا، وديثَ بالصغارِ والقماءة، وضُربَ على قلبه بالأسْداد، وأُديل الحقُ منه بتضييع الجهاد وسيمَ الخسفَ ومُنعَ النَصَف [5].

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: للجَنّة بابٌ يقالُ له: بابُ المجاهِدِيْنَ يمْضُون إليه فإذا هُوَمفتوحٌ وهُمْ متقلّدُون بسيوفهم والجمعُ في الموقفِ والملائكةُ ترحّبُ بهم ثم قال: فمن ترَكَ الجهادَ ألبسَه اللهُ عز وجل ذُلّاً وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله اغنى أُمّتي بسنابكِ خيلها ومراكِزِ رُمحِها[6].

---

(١) التوبة: ٧٣.

(٢) البقرة: ٢١٦.

(٣) الصف: ٤.

(٤) النساء: ٩٥.

(٥) الكافي ج٥ ص٤.

(٦) الكافي ج٥ ص٢.

٤ ـ لماذا أُصيبت البلاد الاسلامية بالوضع المأساوي الراهن؟

٥ ـ ما هو أكبر حلّ لمشَكلات البلاد الاسلامية؟

* * *

الدرس الثامن والخمسون

الأمر بالمعروف والنَهي عن المنكر

المعروف في اللغة يعني العمل الحسن،،والمُنكَر يعني العمل القبيح. يقول الراغب: المعروف اسمٌ لكلّ فعلٍ يُعرَف بالعقل أو بالشرع حُسنُه، والمنكرَ ما يُنكر بهما[1].

إنّ الأمر بالمعروف والنهيَ عن المنكر من الواجبات الإسلامية المهمة.

بواسطة هذه الفريضة تؤدى سائر الواجبات حتى الجهاد في سبيل الله، وتُترك المحرمات، ولهذا وَرَدَتْ تاكيداتٌ كثيرةٌ بشأن هاتين الفريضتين، وعلى سبيل المثال:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[2].

---

(١) المفرداب ص٣٣١.

(٢) آل عمرران: ١٠٤.

(٣) لقمان: ١٧.

﴿ٱلتَّـٰٓئِبُـونَ ٱلعَـٰبِدُونَ ٱلحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلآمِرُونَ بِٱلمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَٱلحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللهِ وَبَشِّرِ ٱلمُؤْمِنِينَ﴾[1].

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[2].

محمد بن عمر بن عرفة قال: سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول: لَتأمُرنَّ بالمعروفِ وَلَتنهُنّ عن المنكر أو ليُستَعملَنَّ عَلَيْكُمْ شرارُكُمْ فيدعو خيارُكُمْ فَلا يُستجابُ لَكُمْ[3].

محمـد بن عمـر بن عرفة قال: سمعتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: كانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يقول: إذا أُمّتي تواكَلَتْ الأمرَ بالمعْروفِ والنهيَ عنِ المُنْكَرِ فَلْيَأْذَنُوا بِوقاعٍ مِنَ الله[4].

جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: يَكُونُ في آخِرِ الزمانِ قومٌ يُتَّبَعُ فيهم قومٌ مراؤُون يَتَقرأُون ويتَنَسّكُون، حُدَثاء سُفَهاء، لا يُوجبون أَمراً بالمعروف، ولا نَهياً عن مُنكَرٍ إلاَ إذا أَمِنوا الضَرَر، يطلُبون لأنفسهم الرُخَص والمعاذير، يتّبعون زلّاة العلماء، وفسادَ عَمَلِهم، يُقبلونَ على الصَّلاةِ والصِيَام وما لا يَكْلِمُهُمْ في نفسٍ ولا مالٍ، ولو أَخَـذتِ الصـلاةُ بسـائـر ما يعملون بأموالِهم وأبدانِهم لرَفَضوها كما رَفَضوا أسمىٰ الفـرائض وأشرفها. إنّ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر فريضةٌ عظيمةٌ بها تقامُ الفرائضُ، هنالك يَتمُّ غضبُ الله عزّ وجل عليهم فيعمُّهمْ بعقابه فيهلك الأبرار في دارِ الفجار، والصغار في دار الكبار.

---

(١) التوبة: ١١٢.

(٢) المائدة: ٧٩.

(٣) الكافي ج٥ ص٥٦.

(٤) الكافي ج٥ ص٥٩.

إن الأمرَ بالَمعْروفِ والنهيَ عن الُمنكر سبيلُ الأنبياء، ومنهاجُ الصُلَحاء، فريضةٌ عظيمةٌ بها تقامُ الفرائض، وتأمَنُ المَذاهبُ وتحلُّ المكاسبُ، وتُرَدُّ المظالُم، وتعمر الأرضُ ويُنتصَف من الأعداء ويستقيمُ الأمْر، فأنكروا بقلوبكم، والفظُوا بألسِنَتِكم، وصُكوا بها جباههم ولا تخافُوا في الله لومة لائمٍ، فانْ اتّعظوا، والى الحق رجعوا، فلا سبيلَ عليهم، إنـما السبيلُ على الّذين يظلِمون الناسَ، ويبغونَ في الأرض بغير الحق، اولئكَ لهم عذابٌ أليمٌ، هنالكَ فجاهِدُوهم بأبدانِكم، وابغَضوهُم بقُلُوبكم غير طالبين سُلطاناً، ولا باغين مالاً، ولا مُريدين بظلمٍ ظَفَراً، حتى يَفِيْئوا إلى أمر الله، وَيَمضوا على طاعتِه[1].

وعن حذيفة بن اليمان عن النَبي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال: وَالّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَتَأمُرُنَّ بالمعروفِ وَلتنهنَّ عن المنكَر أو لَيوشَكنَّ الله أن يبعَثَ عليكم عِقاباً منهُ ثمّ تدعُونَهُ فلا يُستجابُ لَكُمْ [2].

أبو سعيد الخدري عن النبي صلّى الله عليه وسـلم انه قال: إنّ مِن أعظَمِ الجِهادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطانٍ جَائِرٍ [3].

يستفاد من هذه الآيات والأحاديث التي يكثر نظائرها أن على المسلمين أن يدعواالناس إلى الأعمال الحسنَة وينهوهم عن الأعمال السيئة .. ولقد وضعَ الاسلام هذه الوظيفة على عاتقهم، وأراد أن يكونوا أُمة آمرةً بالمعروف ناهيةً عن المنكر، وتُعتبر هذه الصفة مِن مميزات الأمة الإسلامية.

إن من واجب المسلمين أن يقوموا بهذه المسؤولية الكبرى في مجالين:

المجال الأول: فيما بينهم وبالنسبة إلى سائر المسلمين .. فانّ على كل مسلم أن يراقب سائر المسلمين أيضاً .. يدعوهم إلى القيام بالأعمال الحسنة وينهاهم عن

---

(١) الكافي ج٥ ص٥٥.

(٢) سنن الترمذي ج٤ ص٤٦٨.

(٣) سنن الترمدي ج٤ ص٤٧١.

الأعمال القبيحة.

ولو تمت هذه الرقابةُ العامةُ والنظارةُ العموميةُ لسَلَك آحادُ المسلمين طريق الخير والصلاح، وصين المجتمع الاسلاميّ من التلوّث بأدران الظلم والجور، والمفاسد الأخلاقية والإجتماعية. وبهذه الطريقة يمكن الحفاظ على وحدة الأُمة.

ولقد أثبت القرآنُ الكَريم أيضاً ولاية المؤمنين بعضهم بالنسبة للبعض الآخر:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

إن المسلم كما يجب عليه أن يقوم بالأعمال الحَسَنة ويتجنب ارتكاب المحرمات والسيئات كذلك يجب عليه أن يدعو سائر المسلمين والمؤمنين إلى الأعمال الحسنة وينهاهم عن الأعمال القبيحة والآثام.

إن كلَّ مسلم لا يقصّر في القيام بهذه الرقابة والنظارة العامة يرى ثمار ذلك في الحياة الدنيوية، كما أنه لن يؤاخذ يوم القيامة.

المجال الثاني: بالنسبة إلى سائر سُكان العالم فإن رسولَ الاسلام بُعث لجميع البسر، وأُرسِل لكي يستأصل جذور الشرك والوثنية، وينشر تعاليم الاسلام في العالم كله، ويكون الدين كله لله.

يقول تعالى في القرآن الكريم: **﴿هُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾**[2].

ومن المَعلوم أن رسول الاسلام لا يمكنه بمفرده أن يقوم بمثل هذه المسؤولية

---

(١) التوبة: ٧١.

(٢) التوبة: ٣٣.

الكبرىٰ بل إن من واجب المسلمين أن يواصلوا هدف النبي (ص)، ويسعَوا إلى تحقيقه .. فيجب عليهم أن يكافِحوا الشركَ والكفرَ والإستكبار ويدعو سُكّان العالم الىٰ كلمة التوحيد، والإسلام وإلى تنفيذ العدالة الاجتماعية.

إن هذه المسؤولية العالميّة الكبرى قد وُضِعَت على عاتِقِ المسلمين.

﴿ٱلَّـذِيْنَ إِنْ مَّكَّنَّـاهُمْ فِى ٱلأَرْضِ أَقَـامُـواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتواْ ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِٱلمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلمُنكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ ٱلأُمُورِ﴾[1].

إنّ المسلمين أُمةٌ وسطٌ يجب أن يكون لها حضور في كل مكان من العالم.

يقول في القرآن الكريم: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيْداً﴾[2].

ومن الطبيعي أنّ القيام بمثل هذه المسؤولية الكبرى ليس عَمَلاً سهلاً يمكن أن يتحقّق من دون إستعداد ومقدمات .. ولهذا فإنّ على المسلمين أن يوفّرُوا ويهيّئوا الأسبابَ والمقدمات اللازمة، وهي على سبيل الإجمال:

١ ـ المعرفة الصحيحة بتعاليم الاسلام والمعروف والمنكر.

٢ ـ الإطّلاع الكامل على الأوضاع السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية، والدينية، والأخلاقية لسائر البلاد.

٣ ـ المعلومات الكافية عن الأديان والمذاهب ورسومها وآدابها.

٤ ـ تربية الأفراد العارفين باللغات المختلفة حتى المحلّية منها.

٥ ـ إرسال المبلّغين العارفين بالإسلام والملمّين باللغات.

٦ ـ تهيئة أجهزة الارسال القويّة، واستخدامها في طريق تبليغ الإسلام والدعاء

---

(١) الحج: ٤١.

(٢) البقره ١٤٣.

إليه.

٧ ـ إصدار ونشر الصحف والمجلّات الاسلامية باللُغات المختلفة وإرسالها إلى البلاد غير الإسلامية.

٨ ـ تأليف وترجمة الكتب الإسلامية باللغات المختلفة ونشرها وتوزيعها في نطاقٍ واسعٍ.

وباختصار فإنَّ على المسلمين التهيّؤ من خلال التعاون وبكل طريقةٍ ووسيلةٍ ممكنةٍ للقيام بهذه المسؤولية الالهيّة .. وان هذا الموضوع نفسه يمكن ان يكون كهدفٍ مشترك أهم عامل من عواملِ وحدةِ الأُمةِ الاسلاميةِ.

الوجوب كفائيٌ أوعينيٌ

هناك خلاف بين الفقهاء: هل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجِب كفائيّ أو عينّي.

والواجب الكفائي بأن يجب عَمَلٌ واحدٌ على أفراد متعدّدين بحيث إذا قامَ به شخص أو عدة أشخاص سقَطَ التكليفُ عن الآخرين، ولكن إذا لم يقم به أحد أثِمَ الجميع، وأُوخذوا.

وأما في الواجب العينيّ فيجب عَمَلٌ واحدٌ على أشخاصٍ متعدّدين بحيث يجب على الجميع إتيانه، والقيام به.

فاذا عرفتم معنى الوجوب العينيّ والكفائي أمكنكم ـ بقليل من التدبر ـ أن تصدّقوا بأنّ وجوبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوب كفائيٌ لا عينيٌ، لأنه ليس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنفسه، موضوعيةً في نظر الاسلام، بل هو وسيلة وطريقٌ إلى الاتيان بالفِعْل الحَسَن، وتركِ العمل القبيح ... فاذا تحقق الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر على يد شخص او عدة اشخاصٍ، وحَصَل في النتيجة أنْ

تحقّق الفِعْلُ الحَسَن، أو تركَ الفعل القبيح خارجاً لم يبقَ مبررٌ ـ بعد ذلك ـ ولا أرضية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نعم إذا لم يؤثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شخص أو عدة أشخاص وجب على الآخرين أيضاً بأن يأمروا أو ينهوا، وأن يتوسّلوا بأيّة وسيلة مؤثرة مشروعة إلى ان تتحقق النتيجة المطلوبة.

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنّ الهدف من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو فعلُ الواجب وترك الحرام.

إن القيامَ بهذه المسؤولية يجب ان يتم في عدة مراحل، وعدة صور:

المرحلة الأُولى: الإنكار القلبيّ .. فالمكلَف في هذه المرحلة ينزعجُ من فعلِ المنكرِ قلبيّاً، ويبدي نفورهَ، وإنكاره القلبيّ بوسيلَة مّا، فاذا كان النهيُ عن المنكر بهذه الطريقة مؤثراً لا يجوز التمسك والتوسل بالوسائل الاُخرىٰ.

المرحلة الثانية: الأمر والنهي اللسانيّان مع مراعاة المراتب المختلفة،نظير الوعظ برفق ولين، والعتاب، والخطاب، والتنديد، والتهديد.

المرحلة الثالثة: إستخدام القوّة للحيلولة دُون وقوع المنكر، وذلك أيضاً مع مراعاة المراتب المختلفة.

جابر بن عبدالله عن أبي جعفر عليه السلام (في حديث) قال: فَأَنْكِرُوا بِقُلُوبِكُمْ، والفظوا بألسنتكم، وسُكّوا بها جباهَهم، ولا تخافوا في الله لومة لائم، فان اتَعَظُوا وإلى الحق رَجَعوا فلا سبيل عليهم إنما السبيل على الذين يَظلمون الناس ويبغُون في الأرض بغير الحق أُولئك لهم عذابٌ أليم، هنالك فَجاهِدُوهُمْ بأبدانكم وابغَضوهم بقلوبكم غيرَ طالِبين سُلطاناً ولا باغين مالاً، ولا مُريدين بالظُّلم ظَفراً حتى

يَفيئُوا إلى أمر الله ويَمضوا على طاعته [1].

فكّروا وأجيبوا

١ ـ ما هي وظيفة المسلمين بالنسبة إلى أنفسهم؟

٢ ـ ما هي وظيفة المسلمين تجاه سائر سُكان الناس؟

٣ ـ ما هي المقدمات التي يجب أن يوفرها المسلمون للقيام بهذه المسؤولية؟

٤ ـ ما هو التفاوتُ والفرق بين الواجب الكفائي والعيني؟

٥ ـ هل الأمر بالمعروف واْجب كفائي أم واجب عيني؟ وما هو الدليل على ذلك؟

٦ ـ اشرحوا مراتب ومراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

٧ ـ إحفظوا آيات الدرس الحاضر؟

* * *

(١) وسائل الشيعة ج١١ ص٤١٤، للوقوف على تفاصيل مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشروطها راجعوا كتب الفقه والحديث.

عِدائهم وخُصُومتهم.

لقد كان المشركون واليهود والنصارى والملحدون ولا يزالون أعداء الاسلام .. وقد كانت لديهم ولا يزال مخطّطاتٌ شريرةٌ بهدف الحيلولة دون نفوذِ الاسلام، وانتشاره بل لِاسْتئصاله، واقْتلاع جذورِه، ولو أننا طالَعْنا التاريخ بدقّة وإمعان لَوَقَفْنا على خِياناتهم، ومؤامراتهم.

على أنه يكفى ـ في هذا المجال ـ أن نراجع تاريخ الحروب الصليبيّة الطويل، والجرائم الفضيعة التي ارتُكِبَت فيها بحقّ المسلمين.

إن جناياتهم وجرائمهم المدوّنة سوَّدتْ صفحات التاريخ البشريّ، واصابتها بالعارِ فكيف بالجرائم التي لم تدوَّن.

إن الَهدَف من ذلك كان هو القضاء على الإسلام واستئصال المسلمين، وهو لم يلق توفيقاً لحسن الحظ.

يقول في القرآن الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأبىٰ ٱللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلكَافِرُونَ﴾[1].

والآن هل تتصوَّرون أن معاداتهم للإسلام والمسلمين قد انتهت، وأنهم أصبحوا أصدقاء، ولا يفكرون في الخيانة؟ كلا .. أبداً .. بل إن معاداتهم أمر ذاتي، مستمرّ إلى الآن.

يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِيْنَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَاءَكُمْ مِّنَ ٱلحَقِّ﴾[3].

---

(١) التوبه. ٣٢.

(٢) النساء: ١٠١.

(٣) الممتحنة: ١.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾[١].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنَ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[٢].

﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣].

إن معاداة المشركين والكفار للإسلام وحقدهم عليه قضيةٌ واضحةٌ، وإن نماذجها وشواهدها معروفة لكم جميعا، ولكنهم لما أيسوا من محو الإسلام والمسلمين بالكامل أخذوا يفكّرون في تغييره .. وتتمثل خطتهم في حذف القيم الاسلامية الأصيلة الحيويّة، وبهذه الطريقة يمكنهم وصف الإسلام بأنه دينٌ خرافّي، رخيص، ومناقض للعلم، لكي لا يرغب غير المسلمين في اعتناقه، ولكي لا يتعارض تديّن المسلمين مع مصالح الإستعمار وأغراضه ومقاصده في البلاد الإسلامية.

إنهم يزعزعُون عقائد المسلمين، ويشوّشون على الشباب والشابات ليضعف إلتزامهم بالإسلام.

انهم يسلبون منهم روح العزة والشرف والغيرة والكرامة الاسلامية، ويفرّغون صدورهم من الإسلام بحيث يعتبرون إرتباطهم بالأجانب من الفضائل، ومما يدعو الى الفخر والاعتزاز.

وللوصول إلى هذا الهدف يستخدمون الطرق التالية:

١ ـ عن طريق تأليف الكتب ونشر المجلات والصحف التي تباع وتسوَّق

---

(١) المائده: ٨٢.

(٢) البقره: ١٠٩.

(٣) آل عمران: ١١٨.

بواسطتهم مباشرة أو بواسطة عملائهم، وهي تتضمن نقداً للقضايا الاسلامية، واستهزاءً بها، أو تحتوي على إهانات وقحة للمقدسات الدينية.

٢ ـ بواسطة الأفلام والمسرحيّات التي تسيىء إلى رسول الله والى رجال الدين الاسلاميّ والمقدسات الإسلامية بالإهانة والإستهزاء والسخرية.

٣ ـ عن طريق السخرية بالثقافة الاسلامية، أو نقدها نقداً جارحاً هداماً وتصدير ثقافتهم الخاطئة والخليعة إلى البلاد الاسلامية، وتمييع الفتيان والفتيات أخلاقياً.

٤ ـ بثّ الفرقة والاختلاف بين المسلمين بحجج متنوعة وتحت عناوين مختلفة.

٥ ـ بث حالة مِن سوء الظن بين البلاد الإسلامية وتشجيعها على التقاتل وإراقة الدماء.

٦ ـ التَرويج للنقافة المادية، وإشاعة روح الترف، والبطر.

٧ ـ نَهب ثروات المسلمين الطبيعية بثمن بخس بواسطة عملائهم الخوَنة المنصوبين على البلاد الاسلامية وإصدار البضائع الكمالية وغير الضرورية في المقابل، اليهم.

٨ ـ سلب المسلمين عزّتهم واستقلالهم الاسلاميّ وربطهم بعجلة التبعيّة لهم في جميع الأبعاد السياسية والإقتصادية والثقافية والعلمية والعسكرية.

٩ ـ جَذبهم إلى المسيحية عبر تأسيس المراكز والمؤسسات الثقافية والفنية والإقتصادية والصحّية والتعاونية والخيرية، والإعلامية بين الإسلامية.

١٠ ـ نَقد تنفيذ القوانين والاحكام الاسلامية ومهاجمتها والتشكيك في شرعيتها بحجة الدفاع عن حقوق الانسان وتحت غطائه.

وعشرات بل ومئات المؤامرات الأُخرىٰ التي يحولون بواسطتها بين المسلمين وبين حقائق الإسلام وقيمها الأصيلة، والوقوف دون إنتشارها ونفوذها في القلوب.

ولا شك أنه بالنظر إلى عمق هذه المؤامرات الاستكباريّة ضدّ الاسلام وسعتها وتنوعها يتهدّد هذا الدين المقدّس خطرٌ جدّيٌ.

والآن ينطرح هذا السؤال وهو: هل المسلمون لا يملكون أيّة مسؤولية ولا وظيفة في هذه الظروف الحساسة؟

هل يمكن السكوت على هذه المؤامرات، والوقوف منها موقف المتفرج؟

هل يكفي أن نُقنعَ أنفسَنا بمجرّد القيام ببعض المراسم الدينية ونصفها بأننا مسلمون كاملون؟

ألا يحتاج الاسلام إلى دفاعٍ ونصرةٍ؟ ومساعدة وحماية؟

وهل تعرفون غير المسلمين من ينصر الاسلام، ويبادر إلى تعطيل المؤامرات التي تحاك ضده مِن قِبَل أعدائِهِ وخصومه؟

إنّ الجـواب هو: أن وظيفة الدفاع عن الدين ملقاة على عاتق المسلمين .. فيجب عليهم إحياء روح الجهاد والشهادة، ومنطق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب الدفاع عن الدين بين المسلمين، ومواجهة مؤامرات أعداء الإسلام..

ولـو تساهَلْنا وتواكَلْنا في هذا المجال لفَقَدْنا عزَّتنا وشَرَفنا الإسلامي اكثر مما مضىٰ، وأوخذنا وعُوقبنا يوم القيامة أيضاً.

إنّ هذه المسؤُولية الكبرى ألقاها الاسلام على عواتقنا.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام: إذا حَضَرتْ بليةٌ فاجْعَلُوا أموالَكُمْ دونَ أنفسكُم، وإذا نَزَلَت نازلةٌ فاجْعلُوا أنفسَكُم دونَ دِينكم، وأعْلموا أنّ الهالِك من هَلَكَ دينُه والحريبَ من حرب دينُه، ألا وإنّه لا فقرَ بعدَ الجنة، ألا وإنّه لا غنى بعدَ النّار، لا يُفَكُّ أسيرُها ولا يَبرأ ضريرُها [١].

---

(١) وسائل الشيعة ج١١ ص٤٥١.

قال النبي صلّى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ لَيبغضُ المؤمنَ الضعيفَ الّذي لا دينَ له، فقيل وما المؤمنُ الضعيفُ الّذي لا دينَ له؟ قال: الذي لا ينهى عَنِ المنكَر؟[1].

قال النبي صلّى الله عليه وآله: لا تَزالُ أُمّتي بخيرٍ ما أمَرُوا بالمعروف ونَهَوْا عن المُنكر وتعاوَنوا على البر، فإذا لم يَفْعَلوا ذلكَ نُزعَت منهمُ البركاتُ وسُلِّطَ بعضُهم على بعضٍ ولم يكنْ لهُمْ ناصرٌ في الأرْض ولا في السماء [2].

عبد الرحمان بن أبي ليلى قال: سمعتُ علياً عليه السلام يقول: (يومَ لَقِينا أهل الشام): أيّها المؤمنونَ إنه مَن رأىٰ عُدواناً يُعْمَلُ به، ومُنكراً يُدعى إليه فانكَرَهُ بقلبه فقدْ سَلِم وبرىء، ومَنْ أنكرَهُ بلِسانه فَقَدْ أُجرَ وهو أفضلُ مِن صاحِبه، ومَنْ أنكَرَهُ بالسّيْف لتكـونَ كَلِمَةُ الله العُلياَ وكَلِمَةُ الظالمينَ السُفْلى فَذلكَ الذي أصابَ سبيلَ الْهدىٰ وقامَ على الطريقِ ونوّر في قلبه اليَقين [3].

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: . والله يُميتُ القلبَ ويَجلبُ الهمَّ من إجْتماع هٰؤلاءِ القومِ على باطِلِهم وتفرّقكم عن حقكم! فقُبحاً لكُمْ وتَرحاً، حينَ صِرتم غَرَضاً يُرمى، يغارُ عَلَيْكم ولا تُغيرون، وتُغزَونَ ولا تَغْزُونَ، ويعصىٰ الله وتَرْضونَ [4].

إن هذا الدفاع المقدس وان كان وظيفةً عامةً ولكن على فقهاء الاسلام وعلمائه مسؤوليةٌ اكبر.

إنَ واجبَهم هو بيان حقيقـة الـظَرف الحسّـاس للبـلاد الاسـلامية، وفضح

(١) الكافي ج٥ ص٥٩.

(٢) الوسائل ج١١ ص٣٩٨.

(٣) نهج البلاغة باب المختار من الحكم الرقم ٣٧٣.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ٢٧.

المؤامرات والمخطّطات الخطيرة التي يحيكُها أعداءُ الاسلام الألِداء، وتعبئة المسلمين للدفاع عن القرآن .. واقامة الدين بواسطة إحياء القيم الاسلامية الاصيلة والباعثة على الحركة والعمل.

عليهم أن يتكفلوا القيادة الدينية لهذه الحركة المقدسة، ويحركوا معهم المسلمين.

قال السبط الشهيد الامـام الحسين عليه السلام: ذلكَ بأن مجاري الأمُور والأحكام على أيْدي العلماءِ بالله، الأمَناء على حَلالِه وحَرامِه، فانتمُ المسلوبُون تلكَ المنزلة وما سُلِبتم ذَلك إلاّ بتَفَرُّقكمْ عَن الحق واخْتلافِكُمْ في السنَّة بَعدَ البيّنَة الواضِحَة .. ولو صَبرْتُمْ عَلى الأذىٰ وتحمَّلْتُمْ المؤونَةَ في ذاتِ الله كانَتْ أمورُ الله عَلَيْكُمْ ترد، وعَنْكم تصـدُر، وإليكم ترجع، ولكنّكم مَكّنْتم الظلمةَ مِن مَنزلتكم، واستَسْلَمْتم أُمورَ الله في أيديهم يَعْمَلُونَ بالشُبُهـات ويَسـيْرون في الشَهَوات، سلّطهم على ذلك فرارُكم مِنَ المَوتِ، وإعجابُكم بالحياة التي هي مُفارِقَتُكم فاسلَمتُم الضُّعَفاء في أيديهِمْ، فَمِنْ بين مُستعبَـدٍ مَقهـورٍ وبين مستَضْعَفٍ على مَعيشتِهم مَغلوب، يتقلّبون في المُلك بآرائِهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداءً بالأشرار، وجرأة على الجبّار [1].

فَكِّروا وأجيبوا

١ ـ ماذا كان يهدفُ الأعداءُ في صَدر الإسلام وكيف كان المسلمون يواجهون ذلك؟

٢ ـ هل كفّ أعداء الاسلام عن معاداتهم للاسلام بعد النبي؟

٣ ـ هل انتهت عداوة المشركين والكفار في هذا العصر؟

٤ ـ ما هي عقيدة القرآن الكريم في هذا المجال؟

---

(١) تحف العقول ص٢٤٢.

اللهُ إنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢].

﴿ٱلَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَاةَ وَآتَواْ ٱلزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَواْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[٣].

ولقد وَرَدَتْ تاكيداتٌ كثيرةٌ في الأحاديث أيضاً على أداءِ الزكاةِ. ونذكر على سبيل المثال ما يأتي:

معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام قالَ: إنّ الله تَبارَكَ وَتَعالى قَرَنَ الـزكاةَ بالصَّلاةِ فقالَ: ﴿أقيْمُوا الصَلاةَ وآتو الزَكاةَ﴾ فَمَنْ أقامَ الصَلاة ولم يؤتِ الزَكاةَ فَكأنّه لم يُقِمِ الصَلاةَ[٤].

رفاعة بن موسىٰ انه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: ما فَرَضَ الله عَلى هٰذِهِ الأُمَّةِ شَيئاً أشدّ عَلَيْهِمْ مِنَ الزَكاة وَفيها تَهْلَكُ عامَّتُهُمْ[٥].

أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قالَ: مَنْ مَنَعَ قِيْراطاًمِنَ الزَّكاةِ فَلْيَمُتْ إنْ شاءَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرانِيّاً[٦].

محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: ما مِنْ عَبْدٍ مَنَعَ مِنْ زكاةِ مالِهِ شَيْئاً إلاّ جَعَلَ الله ذٰلِكَ يومَ القِيامَة ثُعْباناً مِنْ نارٍ مُطَوّقاً في عُنُقه يَنهش من لحمِهِ

---

(١) التوبة ٧١.
(٢) التوبة: ٣٥.
(٣) الحج: ٤١.
(٤) الوسائل ج٦ ص١١.
(٥) الوسائل ج٦ ص١٥.
(٦) الوسائل ج٦ ص١٨.

حتى يَفرغ مِن الحساب وهُو قولُ الله عزّ وجلّ ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ﴾ يعني ما بَخِلو بِهِ مِنَ الزكاةِ[١].

وقد وردت كذلك أحاديث تشير إلى علة تشريع الزكاة، نذكر بعضها:

عن معتب مولى الصادق عليه السلام قال: قال الصادق عليه السلام: إنّما وُضِعَتِ الزَّكاةُ إخْتِباراً للأغْنِياء، ومعونةً لِلفقَراء، وَلَو أنّ النّاسَ أدَّوا زَكاةَ أمْوالِهِمْ ما بقِيَ مُسْلمٌ فقيراً مُحتاجاً ولاستَغْنىٰ بما فَرَضَ الله له وأنّ الناسَ ما افْتَقَروا ولا احْتاجُوا ولا جاعُوا ولا عَرَوْا إلّا بِذُنوب الأغْنِياء، وحقيقٌ على الله تبارَكَ وتعالىٰ أن يمنَعَ رحْمَته ممن منَعَ حقّ الله في مالِهِ (الحديث)[٢].

عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله عزّ وجلّ فَرَضَ الزكاةَ كما فَرَضَ الصَلاةَ، فَلو أنّ رجلاً حملَ الزكاةَ فأعطاهاٰ علانيةً لم يكن عليه في ذلك عَيْب، وذلك أن الله عزّ وجل فرض للفقراء في أموالِ الأغنياء. ما يكتَفون بِه، ولَوْ عَلِمَ أنّ الذي فرض لَهُمْ لا يَكْفِيْهم لزادَهم ، وإنّما يؤتىٰ الفُقراء فيما أُوتوا مِن مَنْع مَن مَنَعهم حقوقَهم لا مِن الفريضة[٣].

موسى بن بكر عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: حَصِّنُوا أموالَكُمْ بالزكاةِ[٤].

وقال أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ثم إنّ الزكاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصّلاةِ قُرباناً لأهلِ الإسلام، فمن أعْطاها طيّبَ النفس بها فانها تُجْعَلُ له كفارةً، ومن النار حِجازاً ووِقايَة، فلا يتبعها أحدٌ نفسَه، ولا يُكثرنّ عَليها لَهفَه، فإنّ من أعطاهٰا

---

(١) الوسائل ج٦ ص١١.
(٢) الوسائل ج٦ ص٤.
(٣) الوسائل ج٦ ص٣.
(٤) الوسائل ج٦ ص٦.

غيرَ طيّب النفس بها يرجُو بها ما هو أفضَلُ منها فهو جاهلٌ بالسُنة مغبونُ الأجر، ضالُّ العَمَلِ، طويلُ النَدَم[1].

وقال علي عليه السلام: فَرَض الله الإيمانَ تطهيراً مِنَ الشِرك، والصَّلاة تنزيهاً عن الكَذِب، والزكاة تَسْبيباً لِلرزْق [2].

ولقد أُشير في الأحاديث المذكورة إلى عدة علل لتشريع الزكاة:

١ ـ إختبار الأغنياء وأنهم هَلْ هم مُسْتَعِدّون لإعطاء شيء من أمْوالهم التي أعطاهم الله، إلى الفقراء.

٢ ـ ضمان إحتياجات الفُقَراء بواسطة دفع الزكاة إليهم.

٣ ـ حفظ أموال المرء من خطر الحوادث بفضل أداء الزكاة.

٤ ـ أداء الزكاة إحدى أفضل العباذات التي لو أُتي بها بقصد القربة لاسْتوجَبَتِ التقربَ إلى الله، وكانت كفارةً للذنوب.

٥ ـ إنها سببُ البركة في المال، والسَعة في الرزق.

مصارف الزكاة:

تُصرَفُ الزكاة في ثمانيةِ مجالاتٍ تسمّى مصارف الزكاة:

١ ـ الفُقَراء: والفقير هو الّذي لا يملك مؤنةَ سنته لنفسِه ولعيالِه لا بالقوّة ولا بالفعل .. وعلى هذا فانّ الذي يمكنُه أن يُحصِّلَ مؤنةَ سنَتِه عن طريق العمل لا يجوزُ له أخذ الزكاة.

٢ ـ المساكين، والمسكين هو الأكثر فاقةً من الفقير جداً.

٣ ـ العاملون على الزّكاة، وهم المَنْصُوبون من قِبَلِ الحاكِمِ الشرعي

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١٩٩.

(٢) نهج البلاغة باب المختار من الحكم الرقم ٢٥٢.

الإسلاميّ لجباية الزكوات.

٤ ـ المؤلّفة قلوبهم، وهمُ الكفار الذين يساعِدون الاسلام وينصرون المسلمين إذا ما تلقّوا مساعدات مادية، وكذا المسلمون ضعفاءُ الإيمان الذين يمكن تقوية ايمانهم من خلال مساعدتهم إقتصادياً.

٥ ـ لعتق الرقاب وتحرير العبيد الأرقاء.

٦ ـ الغارمون، الّذين لا يمكنُهم أداء ديونهم.

٧ ـ في سبيل الله، يعني كلّ ما هو من مَصالح المسلمين العامّة مثل: إنشاء الـطُرُق والجُسُور، وإجراء العُيُون والأنهار وإنشاء المدارسِ والمساجدِ والجامعاتِ، والدعوة إلى الاسلام، وطبع ونشر الكتب والمجلات والصحف المفيدة إسلامياً، وفي طريق الجهاد والدفاع عن الإسلام والمسلمين وما شابه ذلك.

٨ ـ ابن السبيل، وهو الذي انقطع في بلاد الغُربة وليس له من المال ما يعودُ بِهِ الىٰ وطنه .. فانّه يمكن إعطاؤه ما يوصلُه إلى وَطَنه من أموال الزكاة وإن كان ثرياً في بلده.

ولقد صرّحَ القرآن الكريم بمصارف الزكاةِ الثمانية هذه اذ قال تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِيْنِ وَٱلعَامِلِيْنَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيْلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللهِ وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

موارد الزكاة:

الـزكـاة ضريبـةٌ ماليةٌ إسلاميةٌ في أموال الأغنياء يأخذها الحاكمُ الشرعيُّ

(١) التوبة: ٦٠.

الاسلاميّ ويصرفها في المجالات المذكورة.

لقد كلّف رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من جانب الله أن يأخذَ هذه الضريبة ويصرفها في مصارفَها.

يقول في القرآن: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

ولقد استفادَ النبيُّ الكريمُ صلّى الله عليه وآله من هذا الحكم الكلّي وفرضَ الزكاة ـ طبقاً لظروف وأوضاع المسلمين يومذاك ـ على تسعَة أشياء كانت مصدَر ثروة الأغنياء في ذلك العصر، وعفىٰ عن سائر الأمور الجزئية.

وتلك الأُمور التسعة هي عبارة عن: الإبل والبَقَر والغَنَم، والذهَب والفضة المسكوكين، يعني الدِينار والدِرهم الرائجين والحِنطة والشَعير وقد كانت غلّاتُ المسلمين يومذاك، والتمر والزبيب وقد كانتا تشكلان الفاكهتين المعروفتين عند المسلمين آنذاك.

على أنّه كان لدىٰ المسلمين أموالٌ أُخرى أيضاً ولكن لم تكنْ بذاتِ أهميّة، ولهذا أغمض عنها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ... ولقد أُشيرَ إلى هذا الموضوع في الأحاديث.

عبدالله بن سنان قالَ قالَ أبُو عبدالله عليه السلام: لمّا نَزَلَتْ آيةُ الزَكاةِ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ في شهر رمضان فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله مناديه فنادىٰ في الناس: إنَ الله تبارَكَ وتعالى قد فَرَضَ عليكُم الزَّكاةَ كما فرضَ عليكم الصَّلاةَ، ففرضَ الله عَليكم مِنَ الذَهَبِ والفِضّةِ والإبلِ والبَقَرِ والغنَمِ ومِنَ الحنطةِ والشَعيرِ والتمرِ والزبيبِ ونادى فيهم بذلك في شهر رمَضان وعفىٰ لهم عما سوىٰ ذلك [٢].

---

(١) التوبة: ١٠٣

(٢) الوسائل ج٦ ص٣٢.

عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قال: فرض الله عزّ وجلّ الزكاةَ معَ الصَّلاةِ في الأموالِ وَسنَّها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في تسعَة أشياء وعفىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله عما سواهنَّ: في الذهَبِ والفِضَّةِ والإبلِ والبَقَر والغَنَمِ والحنطةِ والشَعيرِ والتمرِ والزبيب. وعفى رسول الله صلّى الله عليه وآله عما سوى ذلك [1].

لقد عيَّنَ رسولُ الله ـ مع مراعاة أوضاع ذلك العصر وظروفه أنصِبَةً معينةً في الأشياء التي يتعلّق بها الزكاةُ، كما قرّر مقدارَ الزكاةِ الذي يجب أن يؤخَذ، أيضاً.

ولقد لاحظ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في هذه المقرَّرات أمرين:

أوّلاً: القدرة على الأداءِ ومَصادر الثروة.

ثانياً: مِقدار الإحتياجات في ذلك الزمان[2].

فكِّروا وأجيبوا

١ ـ بَيِّنُوا عِلَلَ تشريع الزكاة.

٢ ـ بَيِّنُوا مَصارف الزكاة.

٣ ـ عَلى ماذا وفي أيّ شيءٍ فرضَ رسول الله الزكاةَ في ذلك العصر.

٤ ـ ما هي علّة الفقرِ والفاقةِ عند بعض المسلمين؟

٥ ـ إذا أُخِذَت الزَّكاة ثم صُرِفَتْ بصورةٍ صحيحةٍ وكاملةٍ فكيفَ كانت أوضَاع المسلمين في هذه الصورة؟

٦ ـ إحفَظُوا الآيات في الدرس الحاضر.

---

(١) الوسائل ج٦ ص٣٤.

(٢) أما البحث في أن الزكاة ـ في هذا العصر ـ تتعلّق بماذا وكيف يجب جبايتُها وصرفُها، وبصورةٍ عامةٍ جميع مسائل الزكاةِ فحيثُ أنّها خارجةٌ عن نطاق هذه الصفحات لهذا يجبْ مراجعةُ كتبِ الفِقه والحديث.

الدرس الواحد والستون

الخُمس في الإسلام

الُخمسُ حق مالي يؤخَذ بشروط خاصة وهو عبارة عن قسم واحد من خمسة اقسام من المال.

إن أداء الخمس أمر واجب، وإن أصحاب الثروة مكلَّفون بإعطائه إلى الحاكم الشرعي الاسلامي ليُصرف في مصارف معيّنة.

إن الخمسَ يجب في سبعة أشياء:

الأول: غنائم الحرب.

الثاني: المعادن.

الثالث: الكنز.

الرابع: ما يحصل عليه الإنسان من المجوهرات بالغوص في البحار.

الخامس: أرباح المكاسب التي تفضل عن نفقة الإنسان وعائلته.

السادس: الأرض التي يشتريها الانسان من أهل الذمة.

السابع: المال المختلط بالحرام الذي لا يُعرف مالكه ولا مقدار المال الحرام.

* * *

الأدلة على وجوب الُخمس:

استُدِلَّ لوجوب الخمس بالآيات والأحاديث العديدة .. منها قوله تعالى:

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

والغنيمة ـ في اللغة ـ هي المالُ الذي يَستفيده الإنسانُ من دون أن يكون قد أنفقَ شيئاً في قباله.

يقول في القاموس: الغُنْم والَمغنَم والغنيمة ما يصيبه الانسانُ وينالهُ ويظفرُ به من غير مشقة.

ويقول الراغب: الَمغْنم ما يُغنم، وجمعه مغانم، قال: فعند الله مَغانِمُ[2].

يقول العلامة الطباطبائي: الغُنْم والغنيمة إصابة الفائدة من جهة تجارة، أو عمل أو حرب، وينطبق بحسب مورد نُزُول الآية على غنيمة الحرب[3].

وجاء في المنجد: الغَنِيْمَةُ ما يُؤخَذ من المحاربين عنوةً، المكسَب عموماً.

بناء على هذا فان هذه الآية وإن نزلت في شأن غنائم الحرب، ولكنها لا تختصّ بذلك بل باطلاقها تشمل كلَ ربح ومكسب، وخاصة لو لاحظنا عبارة «من شيء» المفيدة للعموم.

ولقـد أُشير إلى هذا الموضوع في بعض الأحاديث. فعنِ الصادق عن آبائه عليهم السلام (في وصيّة النبي صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام): قال: يا عليّ

---

(١) الانفال: ٤١.

(٢) المفردات: ٨٩.

(٣) الميزان ج٩ ص٨٩.

إن عَبْدَ المطّلب سَنّ في الجاهلية خمس سُنن أجْراها الله لهُ في الاسلام (الى أن قال:) ووَجَد كنزاً فاخرج منه الخمسَ وتصدّق به فانزلَ الله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية[1].

علي بن مهزيار قال: كتب إليه أبو جعفر عليه السلام (في حديث إلى أن قال): فامّا الغَنائم والفوائدَ فهي واجبةٌ عليهم في كلّ عام قالَ الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فَالغنائمُ والفوائد يرحمُك الله فهي الغنيمة يغنمها المرءُ والفائدة يفيدها، والجائزة من الإنسان للإنسان التي لها خَطَرٌ، والميراثُ الذي لا يحتسَبِ من غير أب ولا ابن، ومثل عدوّ يُصطَلَمُ فيؤخَذ مالُه، ومثلُ مالٍ يؤخَذ ولا يُعرَف له صاحبٌ. الحديث[2].

سماعة قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس، فقال: في كلِّ ما أفادَ الناسُ من قليلٍ أو كثيرٍ[3].

مصرفُ الخمس:

يُقَسَّم الخمس إلى ستة أقسام ثم تصرَفُ في الموارد الستة المذكورة في الآية؛ وهــذه الموارد الستة هي عبارة عن: الله، رسول الله، ذي القربىٰ، الأيتام، المساكين، أبناء السبيل من السادة أيْ من ذرّية رسولِ الله صلّى الله عليه وآله.

وسهم الله يوضَع تحت تصرّف رسول الله لِيصرفَه في ترويج الدين، وفي مصالح

(١) الوسائل ج٦ ص٣٤٥.

(٢) الوسائل ج٦ ص٣٥٠.

(٣) الوسائل ج٦ ص٣٥٠.

المسلمين العامة.

ولقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يأخذ سهمَه من الخمس وينفقُ منه على نفسِه وعلى عيالِه، ثم يصرِف ما زاد منه في المصارف العامة.

ولقد فُسِّر ذو القربى في الأحاديث بالإمام المعصوم وهو الحاكم الشرعي الاسلامي المنصوب من جانب رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي عُيِن له سهم في الخمس.

إن هذا السهم أيضاً كان يأخذُه رسول الله بصفته الحاكم الشرعيَ الاسلاميَ ويصرفه في تلك المصارف.

والأسهم الثلاثة الاخرىٰ من الُخمس أيضاً كان يأخذُها رسولُ الله بصفته الحاكم الشرعي للمسلمين وكان يصرفُها في المصارف الثلاثة المذكورة، ثم يُصرف ما زاد عن ذلك في مصارف المسلمين العامة.

وَيُستفاد من الأحاديث أنّ الأئِمة المعصومين عليهم السلام يعني الإمام علي بن أبي طالب والأحد عشر من ولده، هم خلفاء الرسول والحكام الشرعيون الإسلاميّون من بعده صلّى الله عليه وآله. فكان الخمس يعطىٰ لهم ليصرِفوه ـ بدورهم ـ في ما كان يصرفه فيه رسولُ الله (ص).

أحمدُ بن محمّد عن الرضا عليه السلام قال: سُئِلَ عن قول الله عز وجلّ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقيل له: فما كان لله فلِمَن هو؟

فقال: لِرسُول الله صلّى الله عليه وآله وما كان لرسول الله فهو للإمام.

فقيل له: أفرأيتَ إن كان صنفٌ من الأصناف اكثر وصنف أقلّ ما يصنَع به؟

قال: ذاك إلى الإمامِ، أرأيتَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله كيف يَصنع؟ أليس

إنّما كان يعطي على ما يرىٰ؟ كذلك الإمامُ[١].

يُستفاد من بعض الأحاديث أن الخمس فريضةٌ آلهيةٌ وضريبةٌ إسلاميةٌ جَعَلها الله لنفسِه ليُصرَفَ في سبيل الترويج للدّين، ولعامّة المسلمين .. وعلى هذا فإنّ مجموعَ الخمس يختص بالله، ولكنّه جُعِل أمرُهُ إلى النبي ليصرفه وينفقه في ذلك الطريق.

وبعد رسولِ الله جُعِل أمرُهُ إلى الإمام المعصوم وهو خليفة رسول الله، والحاكم الشرعي للمسلمين، ليصرَفه ـ هو الآخر أيضاً ـ في نفس ذلك الطريق.

إن المراد من المصارف الثلاثةَ المذكورة في الآية هو الجهة التي تصرف فيها هذه الأسهم لا أنهم المالكون الواقعيّون لها.

محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿**وَاعْلَموا أنّ ما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيءٍ فانَّ لله خُمُسَهَ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُربىٰ**﴾ قال: هُمْ قرابةُ رسولِ الله والخمسُ لله وللرسول وَلَنا[٢].

عمران بن موسى عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قرأتُ عليه آية الخمس، فقال: ما كانَ لله فهو لرسولِه وما كانَ لرسولِه فهو لَنا[٣].

ولقد بُحِثَ الموضوع التالي في كُتُب الفقه على نحو الإسهاب والتَفصيل وهو انه ما هي وظيفة المسلمين في مجال أداء الخمس في عصر غيبة الإمام المعصوم مثل عصرِنا هذا، وانه مَن الذي يجب عليه الخمسُ وفي أية مَصارف يجب أن تصرَف.

فقـد تمّ في تلك الأبحـاث إثبات أن الُخمسَ يجب أن يعطىٰ للفقيه الجامع للشرائطِ الذي يتكفّل مسؤولية إدارة الشؤون الدينية ويقوم بقيادة الأُمة ليصرفه في نفس المصارف التي كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يصرف الخمس فيها.

---

(١) الكافي ج١ ص٥٦٤.

(٢) الكافي ج١ ص٥٣٩.

(٣) الوسائل ج٦ ص٣٣٨.

إن الفقيه الجامع للشرائط يصرف أموالَ الخمس في طريق تربية وإعداد العلماء الدينيّين والدعاة والمبلغين الإسلاميّين، ونشر العلوم والثقافة الإسلامية، وإقامة الحكومة الإسلامية العادلة وتقوية دعائمه، وتطبيق أحكام الشريعة وقوانينها وسد حاجات السادة[١] الفقراء العاجزين عن سدّ احتياجاتهم .. وهذه هي المصارفُ التي اختارها رسولُ الله والأئمة المعصومون عليهم السلام، ومن الحتمي أنها مرضيّة عندهم.

يقول العلّامة آية الله العظمى الإمامُ الخمينيّ (قدس الله نفسَه الشَريفة):

النصفُ من الخمس الذي للإصناف الثلاثة المتقدّمة أمره بيد الحاكم على الأقوىٰ فلا بدّ إما من الإيصال إليه، أو الصرف باذنِه وأمره كما أنّ النصفَ الذي للإمام عليه السلام أمرُهُ راجعٌ إلى الحاكم فلا بدّ من الإيصال إليه حتى يصرفه فيما يكون مصرَفهُ بِحسب نَظرِه وفَتواه أو الصرفُ بإذنِه فيما عُيِّن لَه من المَصرَف[٢].

فكِّروا وأجيبوا

١ ـ ما هي الأشياءُ التي يجبُ فيها الخمسُ؟

٢ ـ وضِّحوا آيةالغنيمة؟

٣ ـ هل الغنيمةُ تختصُّ بغنائم الحرب؟ لِماذا؟

٤ ـ كيف فُسِّرَتِ الآية في الأحاديث؟

٥ ـ بيِّنوا مَصارِفَ الُخمسِ؟

٦ ـ منَ الذي يصرف الُخمسِ؟

٧ ـ لِمن يجب إعطاء الخمس في عصرِ غيبة إمام العصر؟

---

(١) المراد من السادة هم أبناء رسول الله (ص) وذرّيتُه على مدار العُصور.

(٢) تحرير الوسيلة كتاب الخمس.

الدرسُ الثاني والستّون

مكانة المرأة في الإسلام

مكانةُ المرأة في نظر الاسلام هي ذاتُها المكانة الإنسانية الرفيعة، فاذا ما وُصف الإنسان في القرآن الكريم بأنه خليفة الله، وإذا ما كُرِّمَ، وأُحيط بالتبجيل والتكريم، وقيل في حقه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

واذا ما جَعل الله آدم مسجوداً للملائكة وقيل في شأنه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2] فإنَ جميع ذلك إنما هو لأجل إنسانيّته، والمرأة والرجل لا يختلفان ولا يتفاوتان في هذا الجانب. بل هما سواء في الإنسانية.

إنّ الإنْسان خَليفة الله، ولقد خضع الملائكة للمقام الإنساني الشامخ .. وإنّ آدم لكونه إنساناً إستطاع أن يفهم الأسماء ويجيب عنها حيث يقول في القرآن في هذا الصَدَد: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَىٰ ٱلْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلاَءِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ.

---

(١) الاسراء ـ ٧٠.

(٢) الحجر ـ ٢٩.

قالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ. وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1].

وبصورة عامّة إن أيّ تكريم وتبجيل للإنسان وَرَدَ في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تشارك فيه المرأةُ أيضاً. وليست هناك ولا آيةٌ واحدةٌ في القرآن الكريم تندّدُ بالمرأة أو تقبّحها، قط.

نعم إنّ في القرآن الكريم إشاراتٌ وإلماعات إلى نقاط ضَعفٍ في الشخصية الانسانية، تشترك فيه المرأة أيضاً، وذلك مثل قوله:

﴿خُلِقَ ٱلإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾[2] و ﴿إِنَّ ٱلإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[3] و ﴿كَانَ ٱلإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[4] و ﴿كَانَ ٱلإِنْسَانُ قَتُوراً﴾[5] و ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[6] و ﴿إِنَّ ٱلإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً﴾[7].

ولكننا لا نلاحظ في القرآن أيَّ شيء يدلّ على نقطة ضعفٍ خاصّة في شخصيّة المرأة وكيانها، على وجه الخصوص.

وهنا نشير إلى النقاط المشتركة بين المرأة والرجل، والى مكانتها ومنزلتها:

الأولى: انّ المرأة والرجل يَتساويان في كونِها منشأً لظهور النَوع البشريّ وتكاثر أفراده وبالتالي إستمرار النسل الإنساني، ودوامِه.

يقول في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

(١) البقره ٣١ ـ ٣٣.
(٢) النساء ٢٧.
(٣) ابراهيم ٣٤.
(٤) الإسراء ١١.
(٥) الإسراء ١٠٠.
(٦) الأحزاب ٧٢.
(٧) المعارج ١٩ ـ ٢١.

إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ﴾[١].

وإن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله هي احدىٰ تلك النساء الفضليات المتميّزات وقد نزل في شأنها وشأن أبيها وبعلها وابنيها الحسن والحسين عليهم السلام قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢] وهي الآيه التي تصدق عصمتهم بصراحة.

وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في حقها: سَيّداتُ أهل الجنّةِ أربعٌ: مَريم بنتِ عمران، وفاطمةُ بنت محمَّد، وَخَديجةُ بنت خوَيلِد، وآسِية بنت مزاحِم امرأة فِرْعَون[٣].

وكما أنّ النساء يستطعنَ مثل الرجال أن يرتقين ـ بالإيمان والعمل الصالح ـ سُلّم القُرب إلى الله، ويصعَدْنَ إلى ذلك المقام الشامخ والدرجةِ الرفيعةِ، كذلك يمكن أن يَسْلُكن طريقَ الكُفر والنِفاق ويسقُطن في وديان المهالك بارتكاب الذنوب واقتراف المعاصي، وسينَلْنَ عقابهنّ الصارمَ على أفْعالِهنّ القَبيحة في العالَم الآخرَ.

يقـول في القـرآن الكريم: ﴿لِيُعَذِّبَ ٱللهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[٤].

ولقد ذمّ القرآن الكريم عدداً من النسوة وندّد بمواقفهنّ إذ قال: ﴿ضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُما مِنَ ٱللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾[٥].

---

(١) التحريم ١١.

(٢) الأحزاب ٣٣.

(٣) كسف الغمة ج٢ ص٧٦.

(٤) الأحزاب ٧٣.

(٥) التحريم ١٠.

وقال عن أبي لهب وزوجته: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ . سَيَصْلَىٰ ناراً ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ . فِي جِيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَّسَدٍ﴾[1].

الثالثة: لقد اعتبر الاسلام المرأةَ والرجل معاً ركني المجتمع الذين لهما دور مشترك في تأليف الإجتماع، وإدارة شؤونه. فهما يعيشان معاً في المجتمع، وتعود النتائج الطيبة للاجتماع الصالح والآثار السيئة للاجتماع الفاسد إليهما معاً دون استثناء.

وعلى هذا الأساس فان على المرأة كالرجل مسؤولية اجتماعية، ولا يمكن لها أن لا تكترث بالامور الاجتماعية.

يقول في القرآن: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيْمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيْعُوْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيْمٌ﴾[2].

صحيح أن الحضور في ساحات المعارك وميادين الجهاد لا يجب على النساء، ولكن الأدلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الاسلام وعن مقدّسات الدين، والدعوة إلى الاسلام والعمل على نشره، ومكافحة الظلم والعدوان، والدفاع عن المحرومين والمظلومين، والتعاون في أعمال البر والخير، ومساعدة الضعفاء والمعوزين ومكافحة الفساد الأخلاقي، والدفاع عن القيم الإسلامية، وتقوية ودعم الحكومة الإسلامية العادلة، تشمل النساء أيْضاً.

وعلى هذا الأساس فانّ على النساء ـ مضافا إلى المسؤوليات الملقاة على عواتقهن تجاه أزواجهن وأولادهن، مسؤُوليات اجتماعية أيضاً.

الرابعة إن تحصيل العلم، واكتشاف أسرار الكون ورموز الحياة للإستفادة منها

---

(١) سورة المسد.

(٢) التوبة ٧١.

في تأمين السعادة الدنيوية، واختراع وإعداد وسائل الرفاه في الحياة الدنيوية لهو من مميزات الانسان .. والمرأة والرجل متساويان في هذا الجانب، فكلاهما بلا تفريق مهيَّئان ذاتياً لهذا الأمر، بل ومسؤولان عنه بصورة متساوية.

لقد أكّد الإسلامُ كثيراً على تحصيل العلم واكتساب المعرفة، وهذه التأكيدات تشمل المرأة والرجل معاً.

إنَّ الاسلام يعتبر تحصيل العلم، واكتساب المعرفة فريضة من الفرائض، وواجباً من الواجبات المؤكَّدة .. وإليك على سبيل المثال:

عن أبي عبدالله عليه السلام قالَ قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله : طَلَب العِلْم فَريضَةٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلمٍ، ألا إنَّ الله يحبُّ بُغاةَ الْعِلْم [١].

وعن أبي جعفر عليه السلام : عالِمٌ يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ أَفْضَلُ مِن سَبْعِينَ ألفِ عابِدٍ [٢].

إنَ على النساء أيضاً أن يجتهدْنَ في طلب العِلم ويدأبْنَ في هذا السبيل إلى أن يصلن إلى مرحلة الإكتفاءِ الذاتي، وبخاصّة تلك العلوم التي يحتجن إليها مباشرةً مثل علم الطبّ، وطبّ الأسنان، والطب النفسيّ والصيدَلة، والتوليد، والعلوم المختبرية والتمريض، والتربية والتعليم، وعِلم النفس، وعلم الاحياء، والإدارة، والمحاسَبة، والكيمياء وما شابه ذلك من العلوم التي تحتاج إليها النساء للاكتفاء الذاتي.

إنَّ النساءَ يُشَكِّلْنَ ما يقرب من نصف المجتمع ويجب أن يبلغ عدد العالمات والمتخصصّات في المجالات المرتبطة بهن إلى عدد العلماء والمتخصصين من الرجال، ليصلن إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي فيما يخصهنَّ.

يجب أن يَختصَّ نصفُ المستشفيات والمستوصفات والجامعات والثانويات والمدارس المتوسطة والإبتدائية والمعاهد وكلّيات الصَيدلة والمختبرات، وجميع مراكز

---

(١) الكافي ج١ ص٣٠.
(٢) الكافي ج١ ص٣٣.

التوليد، ونصف مدارس العلوم الدينية، وتربية الدُعاة والمبلغين، ونصف مراكز الدعوة والتبليغ الاسلامي، بالنساء .. ويجب أن يصلن في هذه المراكز بصورة عامة إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، ويستغنين عن الرجال، ولكن الأمر ليس كذلك مع الأسف.

إنّ للنُقصان المذكور علّتين:

إحداهما: ظلم الرجال، واستئثارهم، واسْتبدادهم على مرّ التاريخ.

والاُخرى: قصور النساء أنفسِهنّ في استيفاء حقوقهن.

إنّ على النساءِ انْ يجتهدنَ في هذا السبيل ليصلن إلى حقوقهنّ المشروعة.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ ما هي مكانة المرأة في الإسلام؟

٢ ـ ما هو دورُ المرأة في ظهور النسل البشريّ واستمراره؟

٣ ـ ما هو الهدفُ من خَلْق الانسان؟

٤ ـ هل بين المرأة والرجل فرقٌ في هذا الجانب؟

٥ ـ ماذا قال القرآنُ الكريم حول النساء الصالحات؟

٦ ـ ماذا قال القرآن الكريم حول النساء الفاسدات؟

٧ ـ هل على النِساء مسؤوليات إجتماعية، ما هي تلكمُ المسؤوليات؟

٨ ـ ماذا يجب على النِساء في صعيد تحصيل العلم والوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي؟

٩ ـ ما هو الوضعُ المطلوب للعلومِ المرتبطة بالنساء؟

* * *

الدرسُ الثالث والستُون

المَرأة والحريّة

إنَّ المـرأة ـ مثل الرجل ـ خُلِقَت حرّة، وهي ترغب في أن تعيش حرّة، لا يتدخّلُ الآخرون في حياتها، ولا فيما تتخذه من قرارات.

إنّ الرغبةَ في الحريّة رغبةٌ طبيعيةٌ وحقٌ مشروعٌ من حقوق الإنسان، ولكن الحريّة المطلقة لا يمكن أن تقع لأحد، لأن الانسان يعيش في المجتمع، ويحتاج إلى الآخرين، ولهذا فهو مضطرٌ إلى أن يراعي المقررات الإجتماعية ويلاحظ حقوق سائر الأفراد .. ولهذا فهو مضطر إلى أن يقيّد رغباته وميوله في حدود المقررات الإجتماعية.

هذا مضافاً إلى أنّ على الإنسان أن يراعي عند اختياره عَمَلًا، او اتخاذه قراراً، مصالح نفسِه أيضاً، لأن بعض رغباته وميوله لا تلائم حتى مع مصالحه هو أيضاً.

إنَ الاسلام يحترم حق الناس في الحريّة والعيش حراً، ولكن لا يرى الحريةَ المطلقةَ في مصلحتهم، ولهذا فهو يحدّدُ حرّياتهم بجعل وتشريعِ التكاليف الفرديّة والاجتماعية.

ويمكن أن لا يَستَسيغ طائفة من الناس بعض الواجبات والوظائف، ويعتبرها معـارضـةً ومـزاحمـةً لحرياتهم، غير أنّ هذا الحكم ناشيءٌ من عدم معرفة الانسان

الصحيحة بمصالحه الحقيقية. ولهذا السبب يحتاج البشر إلى الأنبياء والشرائع السماوية.

إنّ الاسلام احترم حقَّ المرأة في الحريّة وراعاها في جميع تشريعاته مراعاةً كاملةً، ولكن لا الحريّة المطلقة، وغير المقيّدة، بل سنّ تلك التشريعات مراعياً تركيب المرأة الخاص، ومصالحها الحقيقية، إلى جانب مراعاة سائر أفراد المجتمع.

ونحن هنا لا يمكننا أن نأتي بتفصيل هذه الأُمور كلها، ولكننا نشير باختصار إلى طائفة منها:

١ ـ **الحريّة في العَمَل:** إنّ المرأة ـ كما أسلفنا ـ أحد ركنَي الإجتماع وهي لذلك تتحمل طائفة من المسؤوليات.

إن المرأة لا تستطيع، بل ولا ينبغي أن تكون عضواً مشلولاً، وعنصراً عاطلاً، فارغاً في المجتمع.

إنَّ الاسلام يعتبر العمل واجباً من الواجبات ووظيفة من الوظائف، بل أفضل العبادات ويحذّر أتباعَه من البِطالة، والفراغ، ولنا في هذا المجال احاديث كثيرة نشير إلى بعضها:

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: العِبادَة سَبْعون جزءً أفضلُها طلبُ الحلالِ [١].

وعن بشير الدهّان قال: سمعتُ أبا الحسن موسىٰ عليه السلام يقول: إنَّ الله جلَّ وعزّ يُبْغِضُ العبدَ النوّامَ الفارغَ [٢].

ان العمل حقٌّ من حقوقِ الانسانِ بل ووظيفة من وظائفه، وإن المرأةَ والرجلَ متساويان في هذا المجال.

إن المرأة ـ كذلك ـ يجب أن تقوم بهذه الوظيفة، وهي حرة في إختيار نوع

(١) الكافي ج٥ ص٧٨.

(٢) الكافي ج٥ ص٨٤.

كاملةً. إنّ تزويج الفتاةِ البالغةِ بدون رضاها لا يصحُّ، ولا يحقّ لأحَدَ أن يجبرها على الزّواج حتى الأب والأُمّ والجد والأخ .. وهذا من ضروريّات الفِقه وأحكامه المسلّمة .. وقد صرّحت به أحاديثُ منها:

عن مَنصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تُسْتأمَر البِكْر وَغَيرها ولا تُنكَح إلاّ بأمْرِها[١].

وعن داود بن سرحان عن أبي عبدالله عليه السلام في رجل يريد أن يُزوّجَ أُخته، قال: يؤامِرُها فإنْ سَكتَتْ فهوَ إقْرارُها ولا تُنْكَحُ إلاّ بِأمْرِها[٢].

وعلى هذا الأساس يشترطَ رضا المرأة بالزواج في جميع الموارد سواء كانت بكراً أو ثيّباً. ولكن هل يشترط مضافا إلى ذلك إذن أبيها أو جدها في صحة الزواج أيضاً أولا، هنا تفصيل نشير إليه.

إذا كانت المرأةُ ثَيّباً أي كان قد أُزيلت بكارتها قبلَ ذلك فانّها لا تحتاج في الزواج الجديد إلى اذن الاب او الجد أو أي فرد آخر. وهذا أمر قد صرّحت به أحاديث منها:

عن الحَلَبي عن أبي عبـدالله عليه السلام قالَ: في المرأة الثيّب تخطب إلى نفسِها، قال: هيَ أمْلَكُ بِنَفْسِها تولّي أمرَها مَن شاءَت إذا كانَ كفوْاً بَعد أنْ تكون قد نكحَتْ رجلًا قبلَه[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا بَأسَ أن تزوّجَ المرأةُ نفسَها إذا كانت ثيّباً بغير إذنِ أبيها إذا كان لا بأسَ بما صنَعَتْ[٤].

---

(١) وسائل النسيعة ج١٤ ص٢٠٣.
(٢) وسائل التنيعة ج١٤ ص٢٠٦.
(٣) وسائل السيعه ج١٤ ص٢٠٢.
(٤) وسائل السعة ج١٤ ص٢٠٤.

أما إذا كانت الفتاة بكراً فان أكثر الفقهاء يشترطون إذن أبيها أو جدِّها أيضاً في صحة الزواج. وتمسكوا في هذا المجال بأحاديث منها:

أبو مريم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الجاريةُ البِكْر التي لها أبٌ لا تتزوّجُ إلّا بإذنِ أبيها[1].

وبناء على فتوىٰ هؤلاء الفُقَهاء تتقيّد حريةُ الفتاةُ الباكِرة في اختيار الزوج بإذن الأب أو الجد.

ولكنَّ هذا الموضوع ليس فقط غير ضارٍّ بالفتاة، بل يكون غالباً في مصلحتها، لأنّ معرفةَ الزوج واختياره أمر جدّ مُهِمّ ومصيريّ من جهة، ومن جهة أُخرى حيث أنّ الفتاة الباكرة لم تتزوّج قبل هذا، وليست لديها تجربةٌ سابقةٌ، كما وأن حياءَها يمنعها ـ في الأغلب ـ من الفَحص التام والتحقيق الكامِل حول من يخطبها، لهذا فهي تحتاج في مسألة اختيار الزوج إلى مشاورٍ حكيمٍ، ومرشِدٍ مجرَّبٍ مخلصٍ، والأب والجد هما في الغالب أفضل الأفراد الذين يمكنهم مساعدة الفتاة في هذا الأمر المهمّ.

ثم إنّ استشارةَ الأب واستئذانَه ينطوي على احترامه وتقديره، ولا شك أن لهذا الأمر أثراً كبيراً في حياة الفتاة المستقبلية، وحل المشاكل التي يُحتمل أن تعترض حياتَها الزوجيّة.

ولا يخفىٰ أن هناك موردين قد استُثنيا من مسألة وجوب استيئذان الأب وهما:

أولاً: إذا لم يمكن تحصيل إذن الأب أو الجد.

ثانياً: إذا خطب الفتاة خطّابٌ صالحون أكفّاء، ولكن والدها امتنع عن تزويجها بحجج واهيةٍ ومعاذير تافِهة.

لقد استثنىٰ الفقهاءُ هاتين الحالتين وقالوا يمكن للفتاة أن تقرّرَ كما تريدُ في

---

(١) الوسائل ج١٤ ص٢٠٥.

شأن الزواج ولا حاجة إلى إذن الأبِ.

٤ ـ الحرّية في تحصيل العلم: المَرأة إذاْ لم تكن بذات بعل يمكنها مواصلة دراستِها، ولا يحقُّ لأحدٍ منعها من ذلك.

نعم ـ كما قلنا سابقاً ـ من الأفضَل أن تكون دراستُها هادفةً ومناسبةً .. وأن تواصلَ دراستها في المجالاتِ التي تهمُّ النساءَ ويحتاج إليها المجتمع النسويّ، وتكون مناسبةً للمرأة، وشأنها.

ولكن إذا كانت المرأة متزوّجةً يجب أن تشاور زوجها وتتفاهم معه في مسألة مواصلة دراستها كما أن عليها أن تراعي حقوق زوجِها وأبنائها في هذا المجال.

٥ ـ الحريّة في اختيار المسكن: المرأه إذا لم تكن متزوجة فهي حرةٌ في إختيار المسكن والمكان الذي تقطنهُ.

ولكن إذا كانت متزوّجةً فهي تتبع زوجَها في مسألة اختيار المسكن والمكان الذي تقطنه.

إن تهيئة المسكن تعد من نفقة المرأة وهي على عهدة الرجل (الزوج)، ولهذا فانّ إختياره أيضاً من صلاحيّاته وحقوقه.

يجب أن يكون المسكنُ الذي يختاره الرجلُ (الزوج) لأهْله مناسباً لشأنهم، وفي مستوى وحدود مقدرته المالية، وأن يكون محلًا مريحاً.

إذاكـانوا يعيشون في منزلٍ مشترَك ولم تكن الزوجة مرتاحة، فطلبتْ مَنزلاً مستقلاً وجب على الزوج ـ إذا كان قادراً ـ أن يحقق مطلبها هذا لأنه جاء في القرآن الكريم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوْفِ﴾[١].

وقال تعالى : ﴿وَلَا تُضَارُّوْهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾[٢].

---

(١) النساء ١٩.

(٢) الطلاق ٦.

ولكن إذا اشترطَ ضمن عقد الزواج أن يكون اختيار المنزل ، والوطن بيد المرأة وجب على زوجها أن يتّبع اختيار زوجته في هذا المجال .. وتُعدُّ مخالفتُه لها في ذلك معصية، إلّا إذا حَصَل على رضا زوجته.

فَكِّروا وأجيبوا

١ ـ هل يمكن للانسان أن يعيش مطلقَ العنان؟ ولماذا؟
٢ ـ لماذا يعتبر البعض الواجباتِ الشرعيةَ معارِضةً للحرية؟
٣ ـ ما هي النواحي التي يجب أن تراعيها المرأة في إختيار العمل؟
٤ ـ هل يجوز أن تُزَوَج الفتاة البالِغة (البكر) بدون رضاها؟
٥ ـ متى تكون المرأةُ حرةً في اختيار الزَوج كاملًا؟
٦ ـ في أية حالة يجب إذنُ الأب أو الجدّ؟
٧ ـ ما فائدة إذن الأب للفتاة؟
٨ ـ إذا كانت المرأة متزوّجة ماذا يجب عليها لمواصلة دراستها؟
٩ ـ مَن هم الذين يجب أن تراعي المرأةُ حقوقَهم؟
١٠ ـ في أية صورة تكون المرأة حرّة في اختيار المسكن.
١١ ـ إذا كانت المرأة متزوجةً الى مَن يكون إختيار المسكن والموطن؟

* * *

الدرسُ الرابع والستون

الحجاب والمَرأة

الحِجـاب في اللغـة يعني الستر .. جاءَ في المنجد: الحِجاب: السَتر وكل ما احتجبَ به.

والمراد من الحجاب هنا هو اللباس الذي يستر جسد المرأة.

الأدلّة على وجوب الحجاب:

استـدلّ لإثبات وجوب الحجاب على المرأة بعدة آيات من القرآن الكريم؛ وبطائفةٍ من الأحاديث الشريفة؛ منها قوله تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللهَ خَبِيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ وَلاَ يُبْـدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُـرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوْبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُـوْلَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُوْلَتِهِنَّ أَو ابنائِهِنَّ أَو ابناءِ بُعولَتِهِنَّ أَوْ إِخْـوانِهِنَّ أَوْ بَني اخْـوانِهِنَّ أَوْ بَني أَخَـواتِهِنَّ أَو نِسَائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ ٱلتَّابِعِيْنَ غَيرِ أُوْلِي ٱلإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوْ ٱلطِفْلِ ٱلَّذِيْنَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْراتِ

ٱلنِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُواْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

لقد تضمنت هذه الآية التي نزلت حول حِجاب المَرأة الإشارة إلى مسائل عديدة يجب بيانها وتفسيرها:

في البداية طُلِبَ من الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات أن يغضّوا من أبصارهم فلا يحدّق الرجال في النساء ولا النساء في الرجال، ولا يواصِلوا النظر.

إنَّ الغضّ في اللغة يعني الخَفْض والنقصان من الطرف، وغضُّ البصر يعني عدمَ التحديق والإمعان في الشيء.

قد ينظر الإنسان إلى أحد وهو لا يهدف من نظره هذا النظرَ والالتذاذ، بل يهدف أمراً آخر.

وقد يكون هدفُه هو النظر والإلتذاذ وفي هذه الحالة يلتذّ من النَظر، ويُشبِعُ به شهوة في نفسه.

إن مثل هذه النَظَرات المسمُومة يمكن أن تجرَّ الإنسان إلى الفساد والإنحراف وقد نهى الإسلامُ عن مِثل هذه النظرات.

أما النَظَرات التي لا تكونُ مهدوفةً بذاتها، ولا تكون بقصد الريبة والإلتذاذ فليسَت محرّمَة، لأنّها من لوازم الحياة والمعاشرة الاجتماعية بين الرجالِ والنساءِ .. وهي أمرٌ لا مناصَ منه ولا مفرّ.

ثم انه يوصي ـ في الآية ـ الرجالَ والنساءَ بان يحفظوا فروجهم .. والفروج جمع فَرج، ويعني: عورة الرجل والمرأة.

والمـراد من حفظ الفـروج سَترها، أو الاجتهاد في حفظ العفاف، والطُهر، بالغضّ من الطرف، ورعاية الحجاب والستر.

---

(١) النور ٣٠ ـ ٣١.

على جيبها أُمرن بإلقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن، فقد قيل: إنهن يلقين مقانعهن عن ظهورهن فتبدو صدورهن[١].

وفي ذيل هذه الآية يقول: ﴿ولا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ اى بهدف التأكيد على رعاية العفاف والحيلولة دون المفاسد الإجتماعية يوصي النساء بأن لا يضربن الأرض بأرجُلِهن حين المشي حتى لا تثير هذه الضربةُ صوتَ الزينة (الخلاخل) فيسمعه الرجالُ الأجانبُ، فيوجب ذلك إثارةَ شهواتهم وغرائزهم الجنسيّة، فتنشأ على أثر ذلك مشاكلُ ليست في صالحِ المجتمع أبداً.

فاستُفيد من الآية المذكورة عدة أُمور هامّة:

١ ـ ان على الرجال والنساء الأجانب أن يَجتنِبُوا النظرات المَسْمومة .. أى النَظَر بدافع الشهوة والالتذاذ.

٢ ـ ان على النساء أن لا يُبدين زينَتَهنَّ الباطنة الخفيّة للرجال الأجانب.

٣ ـ انه يجب على النساء أن يسترنَ أُذُنهن وأقراطهن ورقابهن وصدورَهن سَترا كاملًا بالخمار والمقانع.

٤ ـ إن على المرأة زيادة في الحفاظ على الحجاب والعفاف أن تتجنب حتى من ضرب الأرض برجلها.

٥ ـ ستر الوجه والكفّين وما عليها من الزينة الظاهرة ليس واجباً على المرأة.

الآية الأُخرى في الحجاب:

﴿يا أَيُّها النَبيُّ قُلْ لأَزْواجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المؤمنين يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنىٰ أَنْ يُعرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٢].

---

(١) مجمع البيان ج٧ ص١٣٨.

(٢) الأحزاب ٥٩.

هنا يجب أن نبحث في عدة مواضيع: ١ ـ ما هو الجلباب؟ ٢ ـ ما معنى يدنين عليهن؟ ٣ ـ ما فائدة هذا العمل؟

جاء في القاموس في معنى الجلباب: الجلباب: القميص وثوبٌ واسع للمرأة، دون الملحَفة، أو ما تغطي به ثيابها من فوق كالملحفة، أو هو الخمار.

وقال الراغب: والجلابيب: القُمُص والخُمُر، الواحد جلباب.

وجاء في المنجد: الجلباب: القميص او الثوب الواسع.

إذن يستفاد من كتب اللغة أن الجلباب كما يستعمل في القميص يستعمَل في الخمار أيضاً، ولكن الظاهر أنه قد استعمِل في الخِمار في هذه الآية.

وأما يدنين فقد جاء في المنجد: أدنى الستَرَ: أرخاه.

وقال العلامة الطباطبائي: «يُدنينَ عَلَيْهِنَّ من جَلابِيبهنّ»أي يتسترن بها فلا تظهر جيوبهن وصدورهن للناظرين[1].

وفي هذه الآية أُوصِيَت النِساء أيضاً بأن لا يتركن جِلبابَهن، بل يستُرن بها رقابَهن وصدورَهن، وغير ذلك من أنحاء البدن.

ثم قال تعالى في فائدة هذا العمل «ذلك أدْنىٰ أنْ يُعرَفْنَ فلا يُؤْذَيْنَ».

قال العلامة الطباطبائي في تفسير ذلك: أي ستر جميع البَدن أقرب إلى أن يُعرَفْنَ أنهن أهل الستر والصلاح فلا يُؤذين، أي لا يُوذيَهن أهل الفسق بالتعرّض لهنّ[2].

فيستفاد من الآية أن على المرأة المسلمة أن تكون من حيث المتانة والستر عندما تخرج من المنزل بحيث تكون ظاهرة العفاف والوقار، حتى لا يجرؤُ أحدٌ على مزاحمتها، والتعرض لها بسوء.

(١ و ٢) الميزان ج١٦ ص٣٦١.

الآيةُ الأُخرىٰ:

﴿يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَاءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلجَاهِلِيَّةِ ٱلأُوْلَىٰ﴾[1].

إن الخطابَ في هذه الآية وإن كان موجَّها إلى نِساء النبي، ولكنَ الوصايا المذكورة فيها تشمل النساء الأُخريات أيضاً.

هنا أُوصيت النِسوة بثلاث توصيات:

التوصية الأُولى: أن لا يخضعن بالقَول، أي لا يُرَقِّقن أصواتَهنَّ عند التحدّث، لأن هذا النوع من التكلّم يثيرُ الرجال من ذوي القُلوب المريضة، فيطمَعون فيْهن. بل عليهنّ أن يتكلَّمْن بصورةٍ عاديةٍ وعلى النحو المتعارف.

التوصية الثانية: أن يُقرن في بُيُوتِهنَّ، أى يكنَّ إمرأة بَيت.

التوصية الثالثة: أن لا يخرُجن من البيت متبرّجات غير محتجبات كما كانت النساء يفعلنَ في الجاهلية.

والمقصود من ﴿قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ليس هو أن تلازم النساء البيوت ولا يبرحنَها إطلاقاً، لأن المرأة في نظر الاسلام عضوٌ حقيقيٌ من أعضاء المجتمع، وعليها مسؤوليات يقتضي القيامُ بها خروجَهن من البيت.

إن الاسلامَ لم يقترحْ قط أن يتعطّل نصفُ المجتمع .. ولقد كانت النسوةُ في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله يخرجنَ من البيوت، ويحضرنَ في المسجد، يَستمِعنَ إلى أحاديثه .. ويسألنه أُمورَ دينهنَّ.

---

(١) الاحزاب ٣٢ ـ ٣٣

ولقـد كانت لِرسول الله جَلَسات خاصة بهنّ مقصورة عليهنَّ .. وقد روت الكثيرُ من النساءِ أحاديث النبيَ، كما روى الكثيرُ من الرواة الحديثَ عنهنَّ.

ولقد شاركتْ طائفةٌ من النساء في الحروب أيضاً، وكنَّ يقمن بإسنادالجبهة، ويداوينَ الجرحىٰ بل وحتى رسول الله كذلك كان يقرعُ بين نسائه في كل معركة يخرج إليها، ويأخذ منهن إحداهن إليها.

وعلى كلّ حال لم تكن سِيرةُ النبيّ وأصحابه أن يحصروا النساء في البيوت.

فَليس المقصـودُ في الآية هو هذا المعنى، بل المقصـود من قوله ﴿**وقَرنَ في بُيُوتِكُنَّ**﴾ هو أنّ على النساء أنْ تجعل المرأة البيتَ مثابةً لها والمقر الأصليّ في حياتها. وأن تعتـبر البعـولةَ وتربية الأولاد، وإدارة شؤونِ المنزل أهم مسؤولياتها، لأنَّ عدم الإكترات واللا مبالاة بأُمور البيت، والخروج من المنزل من دون قيدٍ أو شرطٍ يزعزع صرح العائلة، ويعرض بُنيانه لخطر الانهيار، وهو أمرٌ لا يناسب شأن المرأة المسلمة.

في هذا الدرس تعرَّفتُمْ على بَعض الأدلة على وجوب الحجاب، وسوف تتعرفو ن في الدرس القادم على حدود الحجاب.

فكّروا وأجيبوا

١ ـ في الآية ﴿**قُلْ لِلمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّوا..**﴾ نُهي عن أيّ نوعٍ من النظرات؟

٢ ـ ماذا تعني الزينة؟

٣ ـ ما هي الزينة التي يجب أن تخفيها النساء؟

٤ ـ ما هي الزينة التي لا يجب سترها على المرأة؟

٥ ـ فَسِروا جملة: «وليضر بن بخمرهنّ على جيوبهنّ».

٦ ـ لماذا على النساءان لا يضرِبْن الأرض بأرجلهن؟

٧ ـ كيف يُستَدلُّ بهذه الآية على وجوب الحجاب؟

٨ ـ فسِروا عبارة: « يُدنين عليهنَّ من جَلابِيبهنّ».

٩ ـ فسِروا جملة: «أدنىٰ أن يُعرفنَ» وبيّنوا فائدة ذلك.

١٠ ـ كيف يجب أن تخرج المرأة المسلمة من البيت؟

* * *

الدرسُ الخامس والستون

حُدود الحجاب

يُعتبر أصلُ وجوب الحجاب من الأحكام الإسلامية القطعيّة. ففقهاء الاسلام جميعـاً متفقون في أنّ على النساءِ أن يَسترن رؤوسَهن وأبدانَهن من عيون الرجال الأجانب، سواء بالعباءة أو اللباس، أو الجلباب أو المعطف أو المقنعة أو أيّة وسيلةٍ أُخرىٰ.

فلا خلاف بين الفقهاء في أصل وجوب ستر الرأس والبَدَن، إنما الاختلاف هو في حكم ستر الـوجـه والكفين، فاكثر الفقهاء يستثنون الوجه والكفين، ولا يَرون وجـوبَ سترهـا، بينما افتى جماعةٌ من الفقهاء بوجوب سَترها او حكموا بوجوب الإحتياط في هذا المجال.

ونحن مع الرأيِ الأوّلِ، ويمكن أن نستدل لإثبات صحّته بالأدلة التالية:

الدليل الأوّل: الأحاديث التي تدلُّ بصورةٍ مباشرةٍ على عدم وجوبِ ستر الوجه والكفّين وجواز النظر إليها:

عن مسعـدة بن زياد قال: سمعتُ جعفراً (ع): وسئل عما تُظهِر المرأه من

زينتها؟ قال: الوجه والكفين[1].

وعن مروك بن عمير عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما يحلُّ للرجل أن يرى من المرأة إذا لم يكن محرَماً؟ قال: الوَجه والكَفان والقَدَمان[2].

وعن علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام قال: سألته عن الرجل ما يصلح ان ينظر إليه من المرأة التي لا تحل له؟ قال: الوَجه والكَف وموضع السِوار[3].

وعن علي بن سويد قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إني مبتلى بالنَظَر إلى المرأة الجميلة يُعْجِبُني النظرُ إليها. فقال لي: يا عَلي لا بأس إذاً عُرِفَ مِنْ نيّتِكَ الصِدقُ وَإياكَ وَالزِنا فَإنّه يَمحقُ البركة ويُهلِك الدينَ[4].

وعن مفضل بن عمر قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جُعِلت فداك ما تقـول في المرأة تكونُ في السفر مع الرجال ليس فيهم لَها ذو مَحْرم ولا مَعَهم امرأة فتموتُ المرأةُ ما يصنع بها؟

قال: يُغسَلُ مِنها ما أوجَبَ الله عليه التَيمُّم وَلا تُمَسّ ولا يُكشَفُ لَها شَيء مِن محَاسِنِها التي أمرَ الله بِسَتْرِها.

قلت: فكيفَ يصنع بها؟ قال يغسل بَطن كفيها ثم يغسل وجهها ثم يغسِلَ ظهر كفيها[5].

إن الوجهَ والكفّين ـ كما تلاحظون في الحديث الأخير ـ اعتبِرَت من مواضِعِ التيمُّم التي لا يجب على المرأة سَترها.

---

(١) الوسائل ج١٤ ص١٤٦.

(٢) الوسائل ج١٤ ص١٤٦.

(٣) تفسير نور النقلين ج٣ ص٥٩٠.

(٤) نور النقلين ج٣ ص٥٩٠.

(٥) الوسائل ج١٤ ص١٤٤.

الدليل الثاني: الأحاديث التي لا تصريحَ فيها بالوجه والكفين ولكن يمكن استفادة عدم وجوب ستر الوجه والكفين منها بصورةٍ غير مستقيمةٍ مثل ما:

عن محمد بن أبي نصر عن الرّضا عليه السلام قال: سألتُه عن الرجُل يحلُّ له النَظَرُ إلى شَعر أُخت إمرَأَتِهِ؟

فقال: لا، إلاّ أنْ تَكُونَ مِنَ القَواعِد. قلت: اخت امرأته والغريبةُ سَواء؟ قال: نعم. قلت: فما لي مِنَ النَظَر إلَيْهِ منها؟ فقال: شَعرها وذِراعها[1].

لقدَ سئِل في هذا الحديث عن جواز النظر إلى شعرِ أُخت المرأة، ولم يكن في السؤال أية اشارة إلى وجهها .. فيستفادُ من هذا أن جواز النظر إلى وجهها كان أمراً مسلّما ومعلوماً عند السائل والإمام عليه السلام معاً، ولهذا لم تأت الاشارة إلى ذلك لا في السؤال ولا في الجواب.

كما أنه يمكن الاستدلال بذيل الحديث أيضاً لأن الإمام قال في جواب السائِل الذي سأل عن مقدار ما يجوز النظرُ إليه مِن النساء القواعد: «شعرها وذِراعها»، ولم يقل شيئاً حول الوجه والكفين،ومن المعلوم ان النظر إلىالشعر والذراع إذا كان جائزاً فلا بد أن النظر إلى الوجه والكفين جائزاً أيضاً.

من هنا يُعلم أن النظر إلى الوجه والكفين اذ كان جائزاً على كل حالٍ لم تكن حاجة إلى ذكره.

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن الرضا عليه السلام قال: يؤخَذُ الغُلام بالصَّلاةِ وهو ابنُ سَبْع سِنِينٍ ولا تُغَطيّ المرأة شَعرَهَا منه حتى يَحْتَلِمَ[2].

عن عَبد الرحمان بن الحجاج قالك سألتُ أبا ابراهيم عليه السلام عن الجارية التي لم تدرك متىٰ يَنْبغي أن تغطّي رأسَها منه، ممن ليسَ بينَها وبينه محرم؟ ومتى يجب

(١) الوسائل ج١٤ ص١٦٩.

(٢) الوسائل ج١٤ ص١٦٩.

عليها أن تقنّع رأسَها للصّلاة؟

قال: لا تغطى رأسَها حتى تحرم عليها[١].

في هذين الحديثين طُرِحت أيضاً مسألة سَتر الشعر والرأس، ولم تأت فيهما الإشارة حول ستر الوجه، في حين إذا كان ستر الوجه واجباً كان أولى بالذِكر.

الدليل الثالث: يمكن أن يُستفاد من آية الحجاب أيضاً أن سَتَر الوجه والكفين غير واجب، ولكن لا بصورةٍ صريحةٍ بل بالملازمة، وذلك بالبيان التالي:

في موضع من الآية المذكورة جاء قولُه تعالى: **﴿ولا يُبدينَ زينَتهنَّ إلاّ ما ظَهَر منها﴾** وهنا استثنيت الزينةُ الظاهرةُ من موارد وجوب سَتر الزينة، وحيث أن الأئمة المعصومين عليهم السلام ـ كما قرأتم في الدرس السابق ـ اعتَبروا الكحل والخاتم من مَصاديق الزينة الظاهرة لهذا لا يجب ستر الكحل والخاتم على المرأة وهذا يَستلزمَ أن لا يكون الوجهُ واليدان أيضاً واجبة السَتر لأنها محالّ الزينة التي لا تكون واجبة الاستتار.

ثم يقول في موضعٍ آخَر من نفس الآية: **﴿وَلْيَضرِبْنَ بخمُرُهِنَّ على جُيُوبِهِنَّ﴾** فهنا أيضاً يوصي النساءَ ـ تأكيداً على رعاية الحجاب ـ بأن يَضعَن خُمُرَهُنَّ على نُحورهنَّ وصدُورِهنّ حتى يكونَ الحجابُ كاملاً، ولكن لم يتحدّث أبَداً عن سَتَر الوجه .. فيُعلم من ذلك أنه ليس بواجب.

هذا مضافاً إلى أنه ذُكِرَ الوجه والكفّان في بعضِ الأحاديث بعنوان أنها مصادبق لِلزينة المستّثناة متل ما عن:

مسعدة بن زياد قال سمعت جعفراً (ع) وسُئِل عَما تُظهِرُ المرأةُ مِن زِينتها، فال: الوجهَ والكفين[٢].

---

(١) الوسائل ج١٤ ص١٦٩.

(٢) الوسائل ج٤ ص١٤٦.

الـدليلُ الرابع: يُستفاد من بعض الشواهد التاريخية وبعض الأحاديث أن النساء في صدر الاسلام كنَّ يحضرنَ في المجالس والمجامع سافراتِ الوجوه، وكانت عيونُ الرجال تقع عليهن، ولكنَ النبي الكريم صلّى الله عليه وآله لم يوص النِساءَ بسَتر الوجه، ولم يمنَع الرجال من النَظَر إليهن إذا لم يكن بريبةٍ وبقصدِ التلذّذ.

عن جابرِ بن عبدالله الانصاري قال: خَرَجَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يريدُ فاطمة عليها السلام وأنا معه. فلما انتهَيْتُ إلى الباب وَضَعَ يَدَه فدفَعَه ثم قال: السَلام عليكم. فقالت فاطمةُ: عليكَ السلام يا رَسول الله. قال: أدخلُ؟ قالت: أُدْخلْ يا رسولَ الله، قال: ادخلُ ومَن مَعي؟ قالت: يا رسولَ الله ليس عليَّ قناعٌ، فقال: يا فاطمة خُذي فَضْـلَ ملحفتكِ فقنّعي به رأسَكِ، ففعلتْ، ثم قال: السلامُ عليكم، فقالت: وعليكَ السلام يا رسولَ الله، قال أدخلُ؟ قالت: نعم يا رسولَ الله، قال: أنا ومَن مَعي. قالت: ومَن معك؟ قال: جابرٌ فدخل رسول الله صلّى الله عليه وآلـه ودخلتُ فاذا وجـه فاطمة عليها السلام أصفَر كأنه وجهُ جرادَة، فقال رسول الله (ص): ما لي أرىٰ وجهَكِ أصفر؟ قالتْ يا رسـولَ الله، الجـوعُ. فقال صلّى الله عليه وآله اللّهُمَّ مُشْبِعَ الجوعَة ورافِعَ الضَيْعَـة، أشْبِـعْ فاطمـةَ بنتَ محمّد. قال جابر: فوالله لنظرتُ الى الدَمِ ينحدرُ من قَصَصِها حتى عادَ وجهُهَا أحمر، فما جاعَت بعد ذاك[1].

إن الحديث المذكور يدلُّ على أن وَجه الزهراء المبارك كان مكشوفاً بحيث شاهد جابر الصفرةَ فيه ابتداءً ثم بعد دعاء النبي (ص) رأى انتشارَ الحمرة فيه.

عن سعـد الإسكـاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: استقبل شابٌ من الانصار إمرأةً بالمدينة وكان النساء يتقنَّعْنَ خلفَ آذانهن فنظر إليها وهي مقبلةٌ، فلما جازَت نظرَ اليها ودخل في زقاق قد سمّاه يعني فلان. فجعلَ ينظر خلفَها واعترض

---

(١) نور الثقلين ج٣ ص٥٨٧.

وجهَه عظمٌ في الحائط أو زجاجة فشقَّ وجهَه، فلما مضت المرأةُ نظرَ فاذا الدماءُ تسيلُ على ثَوبه وصدره، فقال: والله لآتينَّ رسولَ الله ولأُخبرنّه، قال: فاتاهُ فَلما رآه رسولُ الله قال له: ما هذا فاخـبرَهُ، فهبط جبرئيلُ بهذه الآية: ﴿قُـلْ لِلْمُؤْمِنِـيْنَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذٰلكَ أَزْكىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خبيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

يُستفاد من هذا الحديث أنّ النساء في زمن رسول الله لم يكن يسفرن عن وجوهِهِنّ فحسب بل كنّ لا يسترن آذانهن بخمرهن أيضاً فكنَّ يضعنَ الخِمار خَلف الآذان فَتَظْهرُ بذلك آذانُهن وأقراطُهن ورقابُهن وصدورُهن .. ولهذا وقعَ ما وقعَ للشاب الأنصاري، وشكىٰ إلى رسول الله ذلك، فنزلت آيةالحجاب.

إنّ الجدير بالذكر هنا هو أن النساء أُوصين في الآية المذكورة بأن لا يُظهِرنَ زينَتَهنَّ البـاطِنَـة للرجال الأجانب، وأن يُدلين بخمارهنّ على صدُورهن ونحورهن ليستُرن بذلك الرقبةَ والصدرَ والآذانَ ولكنْ لم يَرد في الآية ذكرٌ عن الوجه أصلاً وأبداً. ولكن مَنعاً مِن وقوع المفاسِد ونشوءِ المشاكل الاجتماعية، وحتى لا تتكرر الحوادثُ المشابهةُ للحادثة التي وردت في شأن نزولِ الآية أُوصيت النساءُ والرجالُ بأن يَغُضُّوا أبْصارَهُمْ، ولا يواصِلوا النظرات .. فيُعلَم ان ستْر الوجه لم يجب على النساء.

فكروا وأجيبوا

١ ـ في الحديث الذي يتضمن السؤال حول جواز ان ينظر الرجل إلى شعر أُخت زوجته كيف يُستفاد منه عدم وجوب ستر الوجه على المرأة؟

٢ ـ كيفَ تستفيدون من آية الحجاب عدم وجوب سَتر الوجه والكفين؟

٣ ـ ماذا تستفيدون من حديث جابر في شأن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام؟

---

(١) نور الثقلين ج٣ ص٥٨٨.

الدرسُ السادس والستون

فلسفَةُ الحجاب

في الدرس السابق قرأتم أنّ وجوبَ الحجاب على المرأة من الأحكام الاسلامية القطعية التي لا تقبل الشكّ والإنكار .. والآن تنطرح هذه المسألة وهي: لماذا الحجاب، وما هي فلسفته وحكمته؟

ولماذا سَلب الاسلام ـ بتشريعه حكم الحجاب ـ حرية المرأة ، وقيّدها؟

أليس هذا الحكم هو نوع من التمييز، وبالتالي هو جورٌ على النساء؟

في الجواب على هذا السؤال يقال: صحيح أن تشريع وجوب الحجاب يقيّد المرأة ويحدّدها في هذا المجال، ولكن هذا التحديد والتقييد ليس فقط لا ينطوي على الإضرار بها فحسب، بل يتضمن مصلحتها الحقيقية والواقعية.

إن حجاب المرأة ينطوي على فوائد للنساء، وللشباب والرجال أيضاً، وإن اثبات هذا الموضوع يحتاج إلى البيان والتوضيح ولكن قبل ذلك يجب الإنتباه والالتفاف إلى عدة اُمور:

الأمر الأول: إنّ المرأة والرجل وإن كانا يَشتركان ويتساويان في أصل الإنسانية غير أن لكلّ واحدٍ منهما خصائصَ خاصة به، يجب أن تلحَظ وتراعىٰ عند

تشريع الأحكام لهما، وإنّ تجاهل هذه الخصائص يَضرّ بالمرأة وبالرجل معاً.

إن المرأة والرجل إنسانان، ولكن من نَمطين وبنوعين من الخصائص الجسّدية والنفسية التي أُودعت في خلقتهما، وتركيبهما، ولهذا فهما يَقتضيان نوعين من الحكم.

الأمـر الثـاني: إن المرأة والرجل يعيشان في أحضان المجتمع، وينتفعان أو يتضرران بمحاسنه أو مساوئه، وكلاهما يحتاجان إلى مجتمع سليمٍ مبرّأ من المفاسد الأخلاقية والإجتماعية لأن المشاكل الأخلاقية والإجتماعية تسري إلى بقية الأفراد أيضاً، وتسلب أمنهم وراحتهم.

وعلى هذا الأساس فانّ على المرأة والرجل كليهما أن يتعاونا ويتساعَدا في تشكيل مجتمعٍ سليم معافى، وفي تكوين بيئةٍ نزيهةٍ طاهرةٍ، وفي الحيلولة دون المفاسد الأخلاقية، وأن يعمل كلُ واحدٍ منهما بمسؤوليته الخاصّة.

الأمـر الثالث: إن المرأة كائنٌ لطيفٌ وظريفٌ ينطوي على عنصر الجاذبيّة الخاصّة للرّجل، فهي ترغب بشدّة أن تتجمل وتتزيّن، وتظهر بمظهرٍ رائعٍ وانيقٍ، وتحب أن تكون جميلة تسحر العيون، وتسخّر قلوب الرجال وتستحوذ عليها.

وأما الرجل فهو كائنٌ يرغب في التنوعّ وهو ضعيف جداً أمام ضغط الغريزة الجنسية، فانه يتحرك جنسياً فوراً، وسرعان ما تخرج غريزته هذه عن قبضته .. وتفلت من سيطرته، بل وحتى يعجز العقل والقانون عن التحكّم فيها، وكبح جماحها غالباً.

إن المرأة وجميع آثارها يمكن أن تحرّك غريزة الرجل وسهوته الجنسية .. إن زينة المرأة وألبستها الجميلة، وصوتها الرقيق، وحركاتها الجذابة، ولمس بدنها، ومشاهدة جسدها وشعرها، بل وحتى حرارة جسمها كل ذلك يمكن أن يحرك هذه الغريزة الجامحة ويشعلها.

الأمـر الرابع: إنَّ في المجتمع أفراداً لا يمكنهم الزواج، إما بسبب مواصلة الدراسة الجامعية، او الفقر، او البطالة أو بسبب آخر من الاسباب المعوّقة.

إنّ وضع هؤلاء الخاص لا يمكن تجاهله قط، لأنّهم أيضاً أبناء هؤلاء الآباء والأُمهات، ومن أعضاء هذا المجتمع نفسه.

مع ملاحظة هذه النقاط والأُمور وفي ضوئها ينطرح هذا السؤال وهو: ما هي مصلحة المرأة الحقيقية في ظلّ هذه الإعتبارات والأُمور؟

هل الأقرب والأفضل لمصلحتها أن تتستّر وتتحجب وتخرج من البيت في هيئة عاديّة غير مثيرة؟

أم تتزين وتتبرّج ولاتراعي الحجابَ والسّتر؟

لتحصيل الجواب على هذا السؤال الهامّ مِنَ الأفضل أنْ ندرسَ آثارَ كلّ واحدة من هاتين الحالتين وعواقبها حسنة كانت أم سيئة.

في البداية لا بدّ أنْ نفترض مجتمعاً تعاشر فيه النساءُ الرجالَ الاجانب بمطلق الحرية، ومن دون التقيّد بالحشمة والوقار والتستّر والحجاب.

في مجتمع تخرج فيه النساءُ من البيت وقد تزين بالثياب الجميلة الأنيقة، الملوّنة، ومن دون حجاب، ويتواجدنَ في الأزقّة، ،والأسواق والشوارع والدوائر والمتاجر الكبرى، والجامعات والمدارس، والمستشفيات والمستوصفات من دون التقيّد بشيء، ويعاشِرنَ الرجال الأجانب ويتحدَّثنَ إلى الرجالِ من دون حِجاب أو إحتِشام.

في مثل هذا المجتمع لا شكَّ قد حفِظت للمرأةِ حريتها، وتركت طليقةً غير مقيدةٍ، ولكنَّ هذا المجتمع لن يكونَ مجتمعاً سليماً معافىً، لأن هذا المجتمع لا ينفك ـ في هذه الحالة ـ عن تزعزع صرح العائلة، وظهور سوء الظن بين الزوجين، والإختلافات العائلية، ونصاعُد أرقام الطلاق والإفتراق وتزايد الأطفال بلا كفيل والمشرّدين، وازدياد الأمراض النفسية، وكثرة القتل والجناية والإنتحار والإعتياد، وتأخر سنّ الزواج وتزايد الفتيات العازبات والشباب العزاب، وغياب الأمن الجنسيّ،

وانْجـرار الشبـاب إلى أنـواع المفاسد الأخلاقية والإنحرافات الجنسية، وعشرات اللوازم الفاسدة الخطيرة.

ولعلّكم تتعجبون من هذا الكلام وتعتبرونه إدعاءً مبالغاً فيه، ولكن إذا لاحظنا قوةَ الغريزة الجنسيّة وسرعة تحرّكها، واشْتعالها والعوامل المثيرة لها، وآثارها وعواقبَها الناشئة من ذلك بصورةٍ كاملةٍ ودقيقةٍ لأبّدتُم هذا الإدعاء، وصدّقتم هذا الكلام.

إنَ الأوضـاع المؤسفـة والخطيرة للعلاقات العائلية في البلاد الغربية، وحالة الإنفلات والتشتت فيها، وكثرة الجرائم والمفاسد الإجتماعية، والإنحرافات الجنسيّة بين الشباب، وانتشار مختلف أنواع الامراض النفسيّة أفضل شاهد على ذلك.

والآن ينطرح السؤال التالي وهو: هل مثل هذا الوضع هو في مصلحة النساء؟

هل النساء يَعِشنَ ـ في ظلّ هذا المجتمع ـ في أمنٍ وراحةٍ وسعادةٍ؟

جوابكم ـ هو بكل يقين ـ بالنفي القاطع، فانكم ولا شك لا يعجبكم مثل هذا المجتمع، والإسلام كذلك لا يعجبُه مثل هذا الوضع المأساويّ ولا مثل هذا السلوك الّذي لا يعتبره في مصلحة المرأة.

إن الإسلام يجعل مسؤوليّة الحيلولة دون المفاسد، والحفاظ على طهارة البيئة الإجتماعية، على عاتق النساء، ويقرر لكل واحدة منها وظائف نسير إليها:

١ ـ يأمر النساءَ أن لا يُبدينَ زينتهنَّ، وأن يسترنَ رؤوسَهن وأجسادَهن عن الرجال الأجانب ستراً كاملاً .. يقول في القرآن الكريم: ﴿**وَيَحْفَظْنَ فُرُوْجَهُنَّ وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِيْنَ زِيْنَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ**﴾ الآية[١].

وفي حديث المناهي عن النبي (ص): وَنَهى أنْ تَتَزَيَّنَ لِغَيْرِ زَوْجِها، فَإِنْ فَعَلَتْ

---

(١) النور ٣١.

كان حقاً عَلى الله أنْ يُحْرِقَها بِالنّارِ[١].

٢ ـ يوصي النسـاء والرجال بأن يتجنّبوا النَظَرات التي تكون بنية التلذذ، والإستمتاع، وأن يغضوا أبصارهم في مواقع الرِّيبة يعني إذا احتملوا إنجرارهم إلى الفَساد .. قال في القرآن الكريم: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِيْنَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوْجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيْرٌ بِمَا يَصْنَعُوْنَ . وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[٢].

وقد أكِّدَ هذا الأمر في الاحاديث أيضاً.

قال النبي صلّى الله عليه وآله: اشتَدّ غَضَبُ الله على إمرأة ذاتَ بَعلٍ ملأت عينَها مِن غَيرِ زوجِها، أوغيرِ ذي محرم منها، فإنها إن فَعَلت ذلكَ أحبطَ الله عزوجلَ كلَ عَمَلٍ عَمِلَتْهُ فإن أوطأتْ فِراشَهُ غيرَه كانَ حقاً عَلى الله أنْ يُحْرِقَهاٰ بِالنارِ بَعدَ أن تعذّب في قَبرها[٣].

عن علي بن عقبة عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: النَظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهام إبليسٍ مَسْمُومٌ، وكمْ مِنْ نَظْرة أورثَتْ حَسْرةً طويلةً[٤].

وعن عقبة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: النَظْرَةُ سَهمٌ مِن سِهامِ إبليس مَسْمُومٌ، مَن تركَها لله عز وجل لا لِغيرِهِ أعقبَهُ الله أمْناً وإيماناً يجِدُ طعمه[٥].

عن الكاهلي قال قالَ أبو عبدالله عليه السلام النَظْرَةُ بَعد النَظْرةِ تَزْرَعُ في القَلبِ الشَهوةَ وكَفىٰ بها لِصاحِبها فتنةً[٦].

(١) الوسائل ج١٤ ص١٥٤.
(٢) نور ٣٠ ـ ٣١.
(٣) الوسائل ج١٤ ص١٧٢.
(٤) الوسائل ج١٤ ص١٣٨.
(٥) الوسائل ج١٤ ص١٣٩.
(٦) الوسائل ج١٤ ص١٣٩.

قال الصادقُ عليه السلام: مَنْ نَظَرَ إلى امرأةٍ فرفَعَ بصرَه إلى السَّماء أو غَضَّ بصَرهُ لم يرتدَّ إليه بصرُه حتى يزوّجَه الله مِن الحُورِ العِين[١].

٣ ـ يوصي المرأةَ والرجل الأجنبيين أن لا يتصافحا.

عن رسـول الله صلّى الله عليه وآله قال: وَمَنْ صافَحَ إمرأة حَراماً جاءَ يومَ القِيامة مَغلولاً ثم يؤمَرُ به إلى النارِ[٢].

وعن جابر بن يزيد الجعفي قال سمعتُ ابا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام (في حديث إلى ان قال): وَلا يجوزُ لِلمرأة أنْ تُصافحَ غيرَ ذي محرَم إلاّ مِنْ وَراءِ ثوبِها وَلا تبايع إلاّ مِن وراء ثوبِها[٣].

٤ ـ طلب من النساء أن لا يتزيّنَ لغير أزواجهن وان لا يخرُجنَ من البيت متزيّنات متعطِّرات.

عن النبي صلّى الله عليه وآله في حديث المناهي: ونهى أن تتزيَّن لِغير زوجها، فان فَعَلَتْ كانَ حقاً على الله عزَّ وجلَّ أن يحرقها بالنّار[٤].

وعن جابر بن يزيد قال: سمعت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام (في حديث) يقول: ولا يَجُوز لها أن تتطيَّب إذا خَرَجَتْ مِنْ بَيتها[٥].

٥ ـ طلب من الرجال ان لا يمازحوا النساء ولا يضاحكوهن.

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: ومَنْ فاكَهَ إمرأةً لا يَملِكُها حَبَسَهُ الله بكلِّ كَلِمَةٍ في الدُّنْيا ألفَ عامٍ[٦].

---

(١) الوسائل ج١٤ ص١٣٩.
(٢) الوسائل ج١٤ ص١٤٣.
(٣) الوسائل ج١٤ ص١٦٣.
(٤) الوسائل ج١٤ ص١٥١.
(٥) الوسائل ج١٤ ص١٦٣.
(٦) الوسائل ج١٤ ص١٤٣.

وقال أبو بصير: كنتُ أقرِّءُ امرأة كنت اعلّمها القرآنَ فمازحْتُها بشَيء، فقدمْتُ على أبي جَعفر عليه السَلام فقال لي: أيُ شَيء قلتَ للمرأة؟ فَغَطّيْتُ وَجْهي فقال: لا تَعودَنّ إليها[1].

٦ ـ طلب من المرأة والرجل الأجنبيين ان لا يختليا في مكانٍ واحد.

عن علي عليه السلام قال: لايَخْلُو بإمرأة رجلٌ، فما مِن رَجُل خلا بِامْرأة إلاّ كانَ الشيطانُ ثالِثهما[2].

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: اَخَذَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: عَلى النساءِ أنْ لا يَنُحْنَ وَلا يَخمِشْنَ وَلا يَقْعدن مَعَ الرِّجالِ في الخَلاءِ[3].

وعن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: مَنْ كانَ يُؤمِنُ بالله واليَومِ الآخِر فَلا يَبِيْت في مَوْضِعٍ يَسمَعُ نَفَسَ إمرأةٍ لَيسَتْ لَهُ بِمَحْرَمٍ[4].

٧ ـ إن الاسلام مع أنه يعتبرُ المرأة مثلَ الرجل عضواً معترفاً به من أعضاء المجتمع، له حقوق ومسؤوليات خاصّة يجب القيامُ بها، لم يَشأ أن يحصرَ المرأة ويعزِلَها في البَيت، ويجعلها عنصراً عاطلاً وعضواً مشلُولاً، إلاّ أنّه في نَفْس الوَقت يرى من مَصْلحة المجتمع، ومن مَصلحة النساءِ خاصة أن ينظِّم مشاغِلَ النساء ومسؤولياتهن الإجتماعية بصورة لا تحتاجُ معها إلى معاشرة الرجال الأجانب، والإختلاط بهم والتحادث معهم إلاّ قليلاً.

وهذا هو ما قضت به السيدةُ فاطمة الزهراء سلام الله عليها ابنة رسول الله

---

(١) الوسائل ج١٤ ص١٤٤.

(٢) مستدرك الوسائل ج٢ ص٥٥٣.

(٣) الوسائل ج١٤ ص١٣٤.

(٤) الوسائل ج١٤ ص١٣٤.

حول مصلحة النساء.

عن عَليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: كنّا عند رَسولِ الله صلّى الله عليه وآله فقالَ: أخبرُوني أي شيءٍ خيرٌ لِلنساءِ؟ فَعَيينا بذلك كُلنا حتى تفرّقنا.

فرجَعْتُ إلى فاطمة (ع) فاخبرتُها الّذي قالَ لنا رسولُ الله (ص) وليسَ أحَدٌ منّا عَلِمَهُ ولا عَرِفَهُ. فقالت: ولكنّي أعرفه: خيرٌ للنِساء أنْ لا يَرَيْنَ الرجالَ ولا يَراهُنَّ الرجالُ.

فرجعتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقلتُ: يا رسولَ الله سألتني أيّ شَيءٍ خيرٌ للنساء؟ وخيرٌ لَهُنّ أنْ لا يَرينَ الرجال ولا يَراهُنَّ الرجالُ. قال: من أخبركَ فلم تَعْلَمهُ وانتَ عِندي؟ قلت: فاطمة، فاعجب ذلك رسولَ الله وقال: إن فاطمة بضعةٌ منّي[1].

ان السيدة فاطمه عليها السلام اعتبرت عدمَ رؤية النساءِ للرجال الأجانب والرجال للنساء ومعاشرةَ بعضِهم لبعضٍ، هو الأمرُ المطلوب المناسب للنساء، ولكنها نفسُها كانت تعلم أنّ تحقُّقَ مثلَ هذا الأمر لم يُمكن وقوعُه بشكلٍ كاملٍ في أيّ زمانٍ ومكانٍ سابقاً ولا يمكن أن يقع في المستقبل، لأنّ المرأة والرجل مضطران إلى المعاشرة والتعايش جنباً إلى جنب وهو أمرٌ تقتضيه الحياةُ الاجتماعيةُ .. إذنْ فهي كانت تهدفُ من هذا الكلام امرين:

احدهما: أن تُقلَّ المعاشرةَ والإرتباط إلى حدّ الضرورة والحاجة.

الاخر: أنْ تُفَكّر المرأة في الاستقلال والاكتفاءِ الذاتي. وبخاصة في المجالات التي تختص بها.

إنّ النســاء يمكن أن تكـون لهنَّ مدارس وجامعات، ومعاهد، ومستشفيات،

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٩٢.

ومستوصَفات ومراكز للولادة، وصَيدليات، ومدارس علمية، ومصانع، ومراكز فنّية، وسينماءات ومتاجر ومعارض خاصة بهنّ، تقومُ النساء بجميع شؤونها، ويُدِرْنَها بأنفسهنَّ دونَ مشاركة الرجال.

بمثل هذا البرنامج تقلُّ حاجة النساء لمعاشرة الرجالِ الأجانبِ إلى الحدّ الادنىٰ، وإلى درجة الضرورة.

المحارمُ:

لا يجب على المرأة أن يَسْترنَ شعورَهن وأجسادهنَّ عن المحارم من الرجال ..

والمحارم من الرجال عبارة عن:

١ ـ الأب والجدّ مهما عَلَوْا.

٢ ـ الأب والجدّ من ناحية الأم مهما عَلوا.

٣ ـ الأخ وأبناء الأخ مهما نزلوا.

٤ ـ ابن الأُخت وأبناؤها مهما نزلوا.

٥ ـ العم وعم العم مهما عَلَوا.

٦ ـ الخال وخال الخال مهما عَلَوا.

٧ ـ الزوج وابو الزوج مهما عَلوا.

٨ ـ أبو أُم الزوجة مهما عَلوا.

٩ ـ ابن الزوج وأبناؤه مهما نزلوا.

١٠ ـ الابن وأبناء الابن والبنت مهما نزلوا.

١١ ـ ابن البنت وابناء ابنها وأبناء الابن مهما نزلوا.

١٢ ـ الصهر، وصهر الصهر مهما نزلوا.

هؤلاء ويسمَّوْنَ بالمحارم، ولا يجب التسَتُّر منهم ويجوز لهم ان ينظر بعضهم الى

بعض بشرط أن لا يكونَ النظرُ بقصد الرِيبة والالتذاذ، وإلّا حَرُمَ النظرُ حتى إلى المحارم، بل وحتى النظر الى الأطفال غير البالغين، والمرأةِ والرجلِ الى الرجلِ، لهذا السبب.

فكّروا وأجيبوا:

١ ـ ما هي فلسفة الحجاب؟ بيّنوا ذلك كاملاً.

٢ ـ بماذا أَمَرَ الإسلامُ حول إظهار الزينة؟

٣ ـ ماذا يقول الإسلام حول نظر المرأة والرجل الاجنبيين بعضهما إلى بعض؟

٤ ـ هل المصافحة بين المرأة والرجل الاجنبيين جائزة؟

٥ ـ ما هو حكم ممازحة الرجل الأجنبيّ للمرأةِ الأجنبيّة؟

٦ ـ بماذا قضت السيدةُ فاطمة حولَ مصلحةِ النساء؟

٧ ـ أيُّ مجتمعٍ هو في مصلحةِ النساء؟

* * *

١ ـ أنها كهفُ المحبّة والأُنس، فإنَّ الإنسانَ في خضمّ هذه الحياة وأمواجها المتلاطمة يحتاج إلى ملاذ يجد فيه الأُنسَ والمحبّة .. انه يحتاج إلى شخصٍ يكون أمينَ أسراره، وشريكَ آلامه، وصديقه الوفيَّ، وحاميَه المخلص، ليستأنِس به، ويسكن إليه، وينتفع بألطافه ومساعداته، وبمحبته الصادقة، وحمايته المخلصة، وليشعر إلى جانبه بالسكينة والطمأنينة.

وَلضمان هذه الحاجة الروحية والنفسية الملحةّ ليس هناك أحد أفضل من الزوجة، وليس ثمة مكان أفضل من كهف العائلة، الدافىء وحصن الأُسرة المنيع. وقد قال القرآن الكريم في هذا المجال:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهاَ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١].

٢ ـ المساعدةعلى حفظ العفّة، والعصمة من المعصية: إن الغريزة الجنسيّة غريزةٌ قويةٌ جدّاً وهي تلحُّ على صاحبها بارضائها، وان السيطرة عليها، والتحكّم فيها أمرٌ صعبٌ ومشكلٌ جداً. واذا أُرضيت عن الطريق غير المشروع جرَّت الانسان إلى الفساد والإنحراف والمصير الوبيء.

وعلى هذا فإنَ الزواج أفضلُ وسيلة للحفاظ على العفّة، والعصمة من الذَنب والمعصية.

وقد أُشير إلى هذه الحقيقة في أحاديث عديدة نشير إلى بعضها:

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: مَن أحبَّ أن يَلقى الله طاهِراً مُطهَّراً فَلْيَلقَهُ بزوجة[٢].

وعن ابي عبدالله عليه السلام قالَ قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: مَنْ تَزَوَّجَ

---

(١) الروم ـ ٢١.

(٢) الوسائل ج١٤ ص٦.

أحرَزَ نِصفَ دِينِه[١].

وعن موسى بن جَعفر عليه السلام عَن آبائه عن النبي (ص) قال: ما مِنْ شابّ تَزَوَّجَ في حَداثةِ سِنّه إلاّ عَجَّ شيطانه ياوَيْلاهُ يا وَيْلاهُ عَصَمَ مِنّي ثُلُثَيْ دِيْنِه فَليتَّق الله العبدُ في الثلث الباقي[٢].

٣ ـ سلامةُ الجسد والنفس: انَ الزواج وإرضاء الغريزة الجنسيّة حاجةٌ طبيعيةٌ تفرضُ نفسَها على الانسان في سنين معيّنة من العُمر، وعمليّة الإرضاء هذه تؤثر في سلامة الجسم والأعصاب وتكون سبباً لعافيتها، واعتدالها، على حين يوجّه قمعُ الغريزة الجنسية وكبتها ضَغطاً خطيراً على الأعصاب، ويخرجها عن حدّ الاعتدال، والسلامة، ولطال ما أوجب ذلك الأمراض النفسيّة نظير: الاكتئاب، اليأس، الإضطراب، والعبثية، اللاهدفية، العصبية، إنعدام الثقة بالنفس، سوء الظن، الخوف، القلق.

وعلى هذا فإنَّ الزواج الذي يتحقق في وقته المناسب وأوانِه الطبيعي، وإرضاء الغريزة الجنسية من الطريق المشروع يمكن أن يكون مفيداً وضرورياً جداً في سلامة الجسد والأعصاب.

وقد أُشير في الأحاديث إلى هذا الأمر أيضاً:

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: زَوِّجُوا أياماكُم فانَ الله يحسنُ لهم في أخلاقِهم ويوسعُ لهم في أرزاقِهِمْ ويزيدُهم في مُرواتِهم[٣].

٤ ـ الحيلولة دون بعض المفاسد الإجتماعية: إذا أقدم الشباب على الزواج وتكوين الأُسرة في مطلع شبابهم، ارتبطوا بالحياة العائلية وانشدُّوا إليها، وحُفِظوا من

(١) الوسائل ج١٤ ص٥.
(٢) بحار الانوار ج١٠٣ ص٢٢١.
(٣) البحار ج١٠٣ ص٢٢٢.

اللاهدفية، والتسيّب وهذا من شأنه ان يقلّل من المفاسد الإجتماعية نظير: الخداع، والزنا، واللواط، والإستمناء، وتعاطي المخدرات، بل وحتى القتل والجريمة والسرقة.

ولهذا يؤكّدُ الإسلام على الشباب والشابات بأن يبكّروا في الزواج، ويوصي آباءَهم وأُمهاتِهم والمسؤولين والمصلحين المخلصين بأن يهيئوا مقدّمات الزواج وتكوين الأُسرة للرّجال والنساء غير المتزوجين.

جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَنْكِحُواْ الأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمائِكُمْ إِنْ يَكُونُواْ فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيْمٌ﴾[1].

وعن النبي صلّى الله عليه وآله قال: مِن حقِّ الوَلَدِ على والدِهِ ثلاثة: يُحسن اسمَه، ويُعلّمهُ الكتابَةَ ويُزوّجَهُ إذا بَلغ[2].

٥ ـ الحصولُ على أولاد وتكثير النسل: لقد اهتم الإسلام بانجاب النسل وتكثيره واعتبَرهُ أحد أهداف الزواج وغاياته.

عن أبي جعفر عليه السلام قالَ قالَ رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما يَمْنَعُ المُؤمن أنْ يَتّخذَ أهلاً لَعَلّ الله يرزقه نسمَةً تثقِلُ الأرضَ بلا إله إلّا الله[3].

وقال النبي صلّى الله عليه وآله: تناكَحُوا تَكْثُروا فإنّي أباهي بكُمُ الأمَمَ يومَ القِيامة وَلَوْ بالسُّقْطِ[4].

٦ ـ اللذة والاستمتاع ـ إن إرضاء الغريزة الجنسية، والإستلذاذات والاستمتاعات المشروعة ليسَ في نظر الاسلام غير مذمومة فحسب، بل هو عملٌ مشروعٌ ومطابقٌ للحاجة الطبيعية، ولو تمّ ذلك بنيّة القربة إلى الله عُدّ عبادةً .. بل

---

(١) النور ٣٢.
(٢) مكارم الاخلاق ج١ ص٢٥٣.
(٣) الوسائل ج١٤ ص٣.
(٤) البحار ج١٠٣ ص٢٢٠.

هو في بعض الأحيان واجب شرعي.

وصفوة القول؛ أن الإسلام يهتمُّ بالزواج وبتكوين الأُسرة إهتماماً كبيراً وبالغاً، ويعتبره أمراً مفيداً بل ضرورياً.

في هذا الميثاق المقدّس يتعهد المرأة، والرجل (الزوجان) بان يظلّا أوفياء إلى آخر العمر، وان يجتهدا معاً لدعمه، وتقويته، وان يتعاونا في إدارة دفة الحياة المشتركة، ويراعيا الحقوقَ المتقابلَة.

إنَ أعضاء الأُسرة لا يقتصرون على العضوين الأصليّين (اي الزوجان) بل تشملُ طائفتين أُخريَين يُحسبان من العائلة أيضاً:

الاولى: الأولاد الـذين ينضافون إلى العضوين الأصليّين في العائلة (اعني الأبوين) ويشكّل مجموعُهم عائلةً كبيرةً أوعائلة صغيرة.

إن للوالدين والأبناء حقوقاً ومسؤوليات متقابلة.

إن الآباء والأُمهات مكلَّفون بان يجتهدوا في أمر تربيه أولادهم وتعليمهم، وأن يهيّئـوهم للحياة الإجتـماعية ولتحمل المسؤولية، والاستقلال والأكتفاء الذاتي، وأن يساعدوهم في مراحل إختيارهم الزوجة أو الزوج والعقد والزواج.

وهكذا الأولاد مكلَّفون كذلك بأنْ يحترموا آباءَهم وأُمهاتهم، ويراعوا حقوقهم، ويسارِعوا إلى مساعدتهم عند الحاجة إلى ذلك.

إنَّ التعاون، ووجود الإرتباط بين الوالدين والأبناء يجب ـ حسب نظر الاسلام ـ أن يستمرّ إلى آخر العمر، وأن لا ينقطعَ أبداً سواء كانوا يعيشون في بيت واحد، أو في بيوتٍ متعددةٍ، وبصورةٍ منفصلةٍ.

الطائفة الثانية: الآباء والأُمهات وأحياناً الأجداد والجدات.

إن الإسـلام يرى أنّ أولاد العائله عندما يكبرون، ويؤسّسون حياةً عائليةً مستقلة، يجب أن لا يَنسَوْا أتعاب آبائِهم وأمهاتهم ، وجهودَهم وتضحياتهم، وعواطفَهم

وألـطافهم، فلا يتركـوهم، ولا يبتعـدوا عنهم، بل من وظيفتهم ـ وتقديراً لجهودهم وخدماتهم ـ أن يحيطوهم بالعناية والمراقبة، ولا يمتنعوا عن إظهار الحب لهم، واحترامهم ومدّ يد العون إليهم.

فاذا ساخ الوالدان أو عجزا عن العمل ورغبوا في العيش الى جانب أولادهم يجب أن لا يهجُرُوهم ويجرحُوا عواطفهم.

قالَ في القرآن الكريم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[1].

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: ثَلاثٌ لم يَجْعَلِ الله عزَّ وجل لأحَدٍ فيهنَّ الرُخْصةَ: أداءُ الأمانةِ إلى البرّ والفاجر، والوَفاء بالعَهْد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدَيْن، برّيْن كانا أو فاجرَين[3].

وعن إبراهيم بن شعيب قال قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: إنَّ ابي قد كَبُرَ جداً وضعُف فنحن نحملُه إذا أرادَ الحاجةَ؟

فقال: إن استطعتَ أن تلي ذلك منْهُ فافعَلْ، وَلَقِّمْهُ بيَدِكَ فانّه جُنَّةٌ لَكَ غداً[4].

* * *

---

(١) الاسراء : ٢٣ ـ ٢٤

(٢) لقمان : ١٤.

(٣) الكافي ج٢ ص١٦٢.

(٤) الكافي ج٢ ص٦٢.

فكروا وأجيبوا:

١ ـ ما هو نظر الإسلام حولَ الزواج؟

٢ ـ ما هي فوائد الزواج؟

٣ ـ ما هو أثر الزواج المبكّر على سَلامة الانسان؟

٤ ـ ما هو أثر زواج الشباب في وقته، في المجتمع.

٥ ـ مَن هم في نَظَر الإسلام يُعدُّون من أعضاء العائلة؟

٦ ـ ما هي وظائفُ الوالدين تجاه الأولاد؟

٧ ـ ما هي وظائفُ الأولاد تجاه الوالدين؟

* * *

الدرس الثامن والستون

المهرُ وفلسفتُه

عند الزواج يجب أن يقدِّم الرجلُ (الزوج) شيئاً إلى زوجته، وهو ما اصطلح عليه المهر والصَداق.

ان لفظة «المَهر» لم ترد في القرآن الكريم ولكن كلمة الصداق استعملت فيه.

يقول في القرآن الكريم: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾[1].

وقد جاء في الأحاديث التأكيد على وجوب المهر في النكاح أيضاً:

فعن أبي عبدالله عليه السلام في المرأة تَهَبُ نفسَها للرّجل ينكَحُها بغير مَهر، فقال: إنّما كانَ هذا للنبي (ص) وأمّا لغيره فَلا يصلُح هذا حتى يعوِّضَها شيئاً يقدّم إلَيْها قلَّ أو كثُرَ، ولو ثوب أو دِرهَم. وقال: يُجزى الدرهمُ[2].

إذن فيجب أن يُعطى شيءٌ إلى المرأة عند نكاحِها والتزوج بها، ولو أنّه عيّن ذلك المهر جنساً وقدراً وجب إعطاؤه كما عيّن وحدّد. وامّا إذا لم يعيّن المهر جنساً وقدراً

---

(١) النساء ٤.

(٢) الوسائل ج١٥ ص١٣.

وَجَب إعطاء مهر المثل إلى المرأة، وهو ما يكون عادة مهرُ نَظَرائِها من فتيات المجتمع التي تعيش فيه ونساؤه.

ثم إنّ في مجال المَهر اعتراضاً لابدّ أن نجيب عليه ونعالجَه؛ فانه يمكن أن يقول قائل: انَ مكانة المرأة وقدرها قد حُطّا ـ بتشريع المهر ـ وأُنْزِلتْ إلى مستوى البضاعة التي تباع وتشترى، وهذا نوعٌ من التحقير لها، لأنّ الرجل والمرأة ـ في مجال النكاح ـ يحتاج أحدهما إلى الآخر حاجة طبيعية، فلا بد أنْ يتحقق النكاحُ والزواجُ بينَهما على أساس هذه الحاجة الطبيعية المتقابلة لا أن يُعطي الرجلُ للمرأة شيئاً ثم يتملّكها.

في الإجابة على هذا الإعتراض (أو الإشكال) يمكن أن يقال: إنّ المهر ـ حسب نظر الاسلام ـ ليس ثمن المعاملة، وليست المرأة بضاعة تباع وتشترى، إنّما المهر هديّة يقدِمّها الرجل (الزوج) لزوجته، وبذلك يَجسّد إحترامه لها، ويكرّم شخصيّتها.

في فلسفة تشريع المهر لا بدّ من الاشارة إلى نقطتين:

النقطة الأُولى: إنّ المرأة والرجل وإن كان أحدُهما يحتاج إلى الآخر حاجةً طبيعيةً وينجذب أحدُهما إلى الآخرة بسبب الغريزة الجنسية، إلاّ أنَّ الجذب والإنجذاب ينشئان من خصيصتين، ويتحقّقان بطريقين:

فمن جانبٍ إنّ المرأة كائنٌ لطيفٌ جميلٌ تنطوي على جاذبية تسحَر الرجل وتجذبه.

إن المرأة هي كذلك تملك غريزةً جنسيةً ولكنها أقدرُ مِنَ الرجل على مقاومتها لكنها تربد حب الرجل لها.

إن المرأة ادركتْ بوحيٍ من الفطرة أنَّ أفضل وسيلةٍ للنفوذ إلى قلب الرجل وامْتلاكه هو أن تتجمل وتتزيّن وتَتظاهر بذلك حتى تستحوذ على قلبِ الرجل، وتملك عواطِفَه، ولا تسلِّمَ نفسها إليه بسهولة وبصورة مجانية.

من جانب آخر إن الرجل طالبٌ ومريدٌ، وهو ضعيفٌ أمام القوة الجنسية .. إنه يخطب امرأة ليتزوج بها.

إن الرجل أدرك هو الآخر أنّ المرأة تريد حبه لها ولهذا فهو يُظهر حبَّه لها، ويتحمّل دَلالها، ولكي يثبت مدىٰ حبه لها ومبلغ تعلّقه بها، يستفيد من كلّ وسيلةٍ ممكنةٍ .. هنا بالذات ينطرحُ موضوع المهر.

إنّ الرجل لاثبات صدقِه ووفائِه، وبغية تكريم شخصيّة زوجته يقدمُ لها شيئاً كهدية.

ولهذا فان المهر ـ هو في الحقيقة ـ هديّة من جانب الرجل (الزوج) إلى زوجته ليدلّل بذلك على صدقِه في حبه لها، ويثبت وفائه ومخفيّ تعلّقه بها.

ولهذا عُبر عن المهر في القرآن الكريم بلفظة «الصَدُقات» كما وصرح القرآن بلفظة «نحلة» التي تعني في اللغة الهدية والعطيّة.

النقـطة الثانية: في تشريع المهر هناك فلسفة اُخرى أيضاً، وهي أنَ المهر وسيلة لايجاد الأرضيّة المناسبة لاطمئنان المرأة إلى أنها قادرة على أن تقوم بالوظائف التي ألقتها الخليقة على كاهلها.

إن الحياة العائلية، ومسؤولية تربيةالأولاد وإن كانت مسألة مشتركة بين المرأة والرجل، إلاّ أن لكلّ واحد منهما تركيباً خاصاً يفرض عليهِ مسؤولية طبيعية خاصة وتطلب منه دوراً مخصوصاً.

إن الرجل بمثابة الزارع، والمرأة بمثابة المزرَعة فالرجل يغرس نطفة الولد في رَحِم المرأة، ثمّ ينتهي دوره عند هذا الحد، فان الطبيعة لم تضع على كاهله وظيفة اُخرى وراء ذلك .. فهو بعد هذا يتخلى عملياً عن القيام بأية مسؤولية تجاه الولد ، فهو يترك الولد بعد الانتهاء من مهمته وفي مرحلة التخلّق والتكوّن والترعرع والنمو ، في حين تبدأ مسؤولية المرأة ـ الطبيعية من ذلك الزمان بالذات، فهي بحسب تركيبها الخاصّ

مضطرّةً إلى أن تتحمل فترة الحمل المضنية، ومرحلة المخاض الشاقة، وما ينشأ عن ذلك من الآلام والأتعاب اللاحقة.

ونـظراً إلى عاطفة الأُمومة الشديدة فانّها مضطرة إلى أن تقوم بتغذية وليدها الضعيف طوال مدة سنتين، وتجتهد في حفظه ورعايته.

وحتى بعد هذه الفترة لا تتحمّل الأُم في الأغلب مفارقة ولدها، فهي مضطرة إلى أن تجتهد في المحافظة عليه وتربيته، وان كان الرجلُ يشاركُها في هذه المسؤولية شرعاً، ووجداناً، إلاّ أنه بحسب الطبيعة اكثر تحرراً منها، وليس له ما للمرأة من الإلتزام والتقيّد الطبيعيين.

وعلى هذا الأساس لا بدّ أن تتوفر للمرأة ـ استعداداً لتحمّل هذه المسؤُوليات الصعبة ـ راحة البال، وسكونُ الخاطر، وطمانينة النفس.

إن تشريع المهر إنما هو لأجل توفير ضمانٍ نِسبيّ، وإيجاد أرضيّةٍ مناسبةٍ لمثل هذا الأمر.

إنّ المرأة بواسطةالمَهر الذي يُقدمه إليها زوجُها، تهيّيء لنفسِها لوازمَ الحياة وحاجاتها، ويحصل لديها الإطمئنانُ إلى أنها إذا حبلت فإن في مقدورِها أن تواصلَ حياتها في بيئةٍ آمِنةٍ، وتقوم بواجباتها ووظائفها الجديدة التي وضِعَت على عاتقها، وتقوم بحضانة وليدِها وتربيتها.

وقد أشير إلى هذه الفلسفَة أيضاً في الأحاديث:

عن الصادق عليه السلام قالَ: إنما صارَ الصَداق على الرَجُل دونَ المرأة وإن كانَ فِعلُهُما واحِداً لأنّ الرجلَ إذا قضىٰ حاجَتَه منها قامَ عنها ولم يَنتظِر فراغَها، فصارَ الصَداق عليه دونَها لذلك[1].

---

(١) الوسائل ج١٥ ص٢٣.

مقدار المهر ونوعه:

في الإسلام لم يُعيِّن قدرٌ للمهر، بل هو يرتبط باتفاق المرأة والرجل وتراضيهما.

قال أبو جعفر عليه السلام: الصَداق ما تراضَيا عليه مِن قليلٍ أو كثيرٍ، فهٰذا الصَداق[١].

ولكن وَرَدَ التأكيدُ في الأحاديث على أن لا يكون المهرُ قليلاً جداً.

عن جعفر بن محمد عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: إني أكرهُ أنْ يكونَ المهرُ اقلَّ من عَشرة دراهم لئلا يشبه مهرَ البَغيّ[٢].

كما ولم يعيَّن مقدار لأعلى قدر للمهر أيضاً، فهو جائزٌ مهما كانَ كثيراً وعالياً، ولكن الإسلامَ لا يَعتبر السباقَ في المهور، والتنافُس فيها برَفع مقدارها في مصلحة المجتمع، ونهىٰ عن ذلك.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لا تُغالوا بِمُهور النِساء فَتَكونَ عَداوةً[٣].

صَحيح أن الإسلام أوجب أصلَ المهر إلاّ أن قيمة المرأة ليست بمقدار المهر فيجب أن لا يُتَشدّد ويُصعَّب في قدر المهر ولا يبالَغ فيه بحيث يصبح الزواج للشباب أمراً محالاً.

عند تعيين مقدار المهر ينبغي أن تراعى الشخصيةُ الإجتماعية لأهل العروس والعريس، ويتجنّب الإفراط والتفريط.

---

(١) الوسائل ج١٥ ص٢.

(٢) الوسائل ج١٥ ص١١.

(٣) الوسائل ج١٥ ص١١.

وعند اختيار جنس المَهر كذلك ليس هناك أىّ تحديد، بل يمكن أن يكونَ المهر كلَ شيء قابلٍ للتملّكِ، وكلَ شيءٍ له ماليّة، مثل: الذهب، الفضة، العقارات، النقود الرائجة، الأثاث واللوازم البيتية، الفرش، الآنية، السيارة، بل وحتى الإلتزام بالقيام بعمل وأمثال ذلك .. فكل هذه الأمور والاشياء تصلح أن تكون المهرَ الّذي يقدمه الرجل للمرأة.

ولكن مِنْ مَصلحة المرأة (الزوجة) أن يكون مهرُها العقار أو الذهب أو الفضة أو ما يشبَه ذلك إن أمكنَ ليبقى لهاَ ولا يفنىٰ، ولكي لا تقِلّ قيمتُه الشرائية مع مرور الزمان.

إن المهر كما يمكن أن يكون نقداً، يمكن أيضاً ان يكون نسيئة وديناً في ذمة الزوج او شخص آخر .. وهذا يرتبط برضا الزوجين .. فاذا إتفقا على أن يكون المهر نقداً جاز للمرأة أن تطالبَ به قبلَ الدُخول بها، وعلى الزوج أن يدفعه إليها إن أمكنه ذلك، وإذا لم يكن له دفعُه لعلةٍ أو امتنَع عن دَفعه جاز للمرأة ان تمتنعَ من تمكين نفسها له، وان عدم التمكين هذا لا يكون سبباً للنشوز وسقوط النفقة.

وإذا كان المهرُ نسيئة، ودَيناً في ذمّة الزوج فان كان موجّلًا بأجل أي له موعدٌ معيّن لم يحق للمرأه (الزوجة) أن تطالبَ به قبلَ حلول الأجل المسمّىٰ.

وإن لم يكن له موعدٌ معيّنٌ وَجَبَ على الزوج دفعه للمرأه متى ما طالبَتْ به، إذا أمكن ذلك للرجل.

ثم إنّه بعد الانتهاء من إجراء صيغة العقد تتعلق ملكيَّة الزوجةُ بالمهرَ يعني إنها تملكه ، فاذا كان المهرُ عقاراً أو نقوداً وجبَ على الزوج إعطاؤه إليها، لا يحق لأحد حتّى الأبّ والأم أن يتصرَّف في ذلك المال أوالعقار من دون إذن الزوجة.

على أن منافعَ المهر تعودُ إلى المرأة أيضاً.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله لَيغفرُ كلَ ذنبٍ يومَ القيامة إلاّ مهرَ

امرأة، ومَن اغتصَبَ اجيراً أجره ومن باعَ حرّاً[١].

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألَ أبو الحسن الأول عليه السلام عن الرجل يزوجّ ابنَته ألَهُ أنْ ياكلَ صَداقها؟ قالَ: لا، ليس ذلك له[٢].

وإذا كان المهر نسيئةً وفي ذمّة الزوج كان ديناً حقيقياً يجب دفعُه عند المطالبة به، شأنه شأن سائر الديون الحقيقية.

عن فضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام في الرجل يتزوَّج المرأةَ ولا يجعَلُ في نفسه انْ يُعطيَها مهرَها فَهُوَ زِناً[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: مَنْ أمهَرَ مَهراً ثم لا يَنوي قضاءَه كان بمنزلة السارِق[٤].

وعن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله (في حديث المناهي) قال: مَنْ ظَلَمَ امرأةً مهرَها فهو عِند الله زان، يقولُ الله عزّ وجل يومَ القيامة: عَبْدِي زَوّجْتُكَ أَمَتي على عَهْدِي فلم توفِ بعَهْدِي وَظَلمتَ أَمَتي فيؤخَذُ من حَسَناتِهِ فَيُدْفَع إلَيْها بِقَدْر حاجَتِها، فإذا لم تَبْقَ له حَسَنَةٌ أُمِرَ به إلى النار بِنَكْثِهِ لِلعَهدِ إنَ العَهْدَ كانَ مَسْؤُولاً[٥].

* * *

---

(١) الوسائل ج١٥ ص٢٢.
(٢) الوسائل ج١٥ ص٢٦.
(٣) الوسائل ج١٥ ص٢١
(٤) الوسائل ج١٥ ص٢١.
(٥) الوسائل ج١٥ ص٢٢.

فَكِّروا وأجيبوا:

١ ـ ماهي الفَلسفةُ الأولىٰ لتشريع المهرِ؟

٢ ـ ماهي الفَلسفةُ الثانية لتشريع المهرِ؟

٣ ـ هل هناك حدٌّ معين للمهرِ في الإسلامَ؟

٤ ـ ماهي توصية الإسلام في مجال المهر؟

٥ ـ ماهي الأشياء التي يمكن جعلها مهراً؟

٦ ـ متى يجب دفع المهر؟

٧ ـ لمن تعود منافع المهر؟

* * *

الدرس التاسع والستون

النَفَقة وفلسفتها

حسب نظر الإسلام جُعِلَتْ مسؤوليةُ الإنفاق على العائلة، وبخاصة الزوجة، على عاتق الرجل.

فعلى الرجل (الزوج) أن يقومَ بجميع نفقاتِ زوجَته وإن كانت أغنى وأكبر ثراءً من زوجها .. فالنفقة من حقوق الزوجة، ومن بَديهيات الفقه الإسلامي التي جاء التصريح به في أحاديث، وعلى سبيل المثال:

قال أبو بصير سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: مَن كانَتْ عندَه إمرأةٌ فلم يُكْسِها ما يُوارِي عَورَتَها، ويُطْعِمُها ما يُقِيْمُ صُلْبَها كانَ حقّاً عَلى الإمامِ أنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهما[1].

وعن إسحاق بن عمار قالَ قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعلَه كان محسناً؟

قال: يُشبِعُها ويكْسُوْها وإن جَهِلَتْ غفَرَ لها[2].

---

(١) الوسائل ج١٥ ص٢٢٣.

(٢) الوسائل ج١٥ ص٢٢٤.

يجب على الرجل أن يقوم برفع جميع إحتياجات زوجَته بصورة متعارفة، ووفْقاً لما هوالعادة في زمانه ومكانه مع رعاية سؤون العائلة، وامكانياتها الاقتصادية.

ويمكن تقسيمُ النفقة إلى عدة طوائف:

١ ـ الطعام بمقدار الحاجة وحسب العُرف.

٢ ـ اللباس طبقاً لشؤون العائلة جنساً ومقداراً.

٣ ـ الفِراش ووسائل الإستراحة والنوم.

٤ ـ الأدوات المنزِلية والأثاث البيتي.

٥ ـ وسائل التدفئة والتبريد.

٦ ـ المسكن ولـو بالإستيجار شريطةَ أن تكونَ مناسِبَةً لِشأنها العائلي، وأن تضمن راحَتها.

٧ ـ نفقات الصحة والعلاج.

٨ ـ وسائل النظافة والتجميل.

إن نَفَقَة الزوجة حقٌ يجب أداؤُه إليها واذا امتنعَ الرجلُ (الزوج) عن أدائه بقي ديناً في ذمته يجب أداؤُه عند المطالبة به، إلا أن تتنازل عنه الزوجة، وتبرىء منه ذمته.

اِشكال وجواب:

لقد انتقد البعضُ مسألة النفقة فقالوا: لقدحقّر الإسلامُ المرأة بتشريعه هذا الحكم (اي وجوب الإنفاق من جانب الزوج على الزوجة) إذ يعني هذا أن المرأة مستخدمةٌ أجيرةٌ تعمل في البيت، وتخدم زوجَها ليلَ نهار ثم تَتَلقّى أجرَها من الرجل.

يقال في الجواب على هذا الاشكال: إنّ هذا الإشكال لا وجهَ له أبداً، وهو يحكى عن جهلِ صاحبِه وعنادِه، إذ حسْب المقررات الإسلامية لم توضَع على عاتِق

المرأة أية مسؤولية قط حتى حضانة طفلها ورضاعه ورعايته، فانه يمكنها أن لا تقوم بأي عمل من الأعمال المنزلية بل وتطلب من زوجها ان يأتي لها بخادمة، ويمكنها ان تطالب بأجرة القيام بالاعمال المنزلية بل وحتى إرضاع الطفل، ومع أنه ليس عليها مسؤولية العمل في البيت فان على الرجل ان يقوم بجميع نفقاتها.

ومع ملاحظة جميع هذه الامور كيف يمكن أن يقول أحد ان الاسلام اعتبر الزوجة خادمة وجعل النفقة أجرها.

فلسفة تشريع النفقة:

وهنا ينطرح السؤالُ التالي وهو: ما دام الرجل والمرأة يتساويان في احتياج كلِ واحدٍ منهما إلى الآخر في مجال الزواج وتوليد النَسل وتربيته وتنشئته فلما ذا ولأي سبب جعل الاسلام جميع نفقات المرأة ومصارفها على عاتقِ الرجل؟

لماذا جَعَل المرأةَ تابعةً للرجل في الأُمور الإقتصادية وألغى إستقلالها في هذا المجال؟

ألم يكن من الأفضل أن يتمتع كلُ واحدٍ منهما (الزوج والزوجة) بالإستقلال الاقتصاديّ، يعملان معاً، ويوفِّرانِ مُسْتلزمات الحياة ونفقاتها معاً؟

في الاجابة على هذا الإشكال يمكن أن يقال: إن الاسلام في تشريعه للقوانين المرتبطة بالزواج وحقوق الزوجين راعىٰ سعادة المرأة والرجل والأولاد وبالتالي سعادة البشر أجمعين، ولم يدافع عن أحد اعتباطاً.

فاذا هو وضع نفقات المرأة على عاتق الرجل، فانه ولا شك راعى مصلحة الزوجين حتماً.

إن الإسلامَ رأى أن مصلحة العائلة هي في أن لا تُلزَم المرأةُ (الزوجة) بالسعي والعمل والركض وراء لقمة العيش والكد والكدح لتحصيل المال لتأمين احتياجات

المعيشة، والإستغال بالأعمال الثقيلة ولهذا جعل مسؤولية توفير جميع نفقات المعيشة وكل نفقات المرأه الشخصية على عاتق الرجل.

يجب البحث عن فلسفة تشريح النفقة في تركيب المرأة الخاص، وفي المسؤوليات التي جعلتها الطبيعة على عاتقها.

إن تركيب المرأة الجسدي، وقوّتها البدنية ومسؤولياتها الطبيعية لا تناسب الكدّ والكدحَ والعمل والسعيَ من أجل الكَسب، والقيام بالأعمال المضنية والثقيلة، لأن مسؤوليّة توليد الأولاد الثقيلة ومسؤولية تربية الأولاد المباهضة قد جُعِلَت على عاتق المرأة بحكمْ الطبيعة.

إن المرأة مضطرة إلى أن تتحمل مشاكل العادة الشهرية، ومتاعب فترة الحمل والأمراض الناشئة من ذلك، وصعوبات المخاض والولادة..

إن عليها أن تغذي وليدَها من لبنها الذي هو عصارة وجودها، وتقوم بحضانته ورعايته بصعوبة كبيرة.

إنّ مسؤولية المحافظة على الطِفل وحضانته ومراقبته غالِبا مّا توضَع على عاتِق المرأة.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار كلَ هذه المشاكل والمسؤوليات كيف يمكن أنْ تشتغِلَ المرأة بالكسب والعمل وتصرِف طاقَتها في سبيل لقمة العيش وتوفير مستلزمات الحياة ونفقاتها.

هذا مضافاً إلى أنّ المرأة من الناحية الجسَدية اكبر ظرافةً ولطافةً من الرجل وعلى أثر هذه اللطافة والجمال استطاعت أن تجتذبَ الرجلَ وتستحوذ على قلبه، وإنما تستطيعُ المرأةُ أن تحافظ على مكانتها في قلب الرجل إذا هي حافظت على طراوتها وجمالها، ومثل هذا لا يتيسّر غالباً مع الكدّ والكدح، والعمل الدؤوب من أجل توفير لوازم الحياة، والركض وراء لقمة العيش.

بناء على هذا فانَّ مصلحة المرأة والرجل والأولاد والأسرة تقتضي أن تُعفىٰ المرأةُ (الأُم) من الكد والكدح، والسعي والعمل الإجباريين لتحصيل لقمة العيش.

ولهذا حرّرَ الاسلامُ المرأةَ من ثِقل وعبء توفير نفقات العيش، وجعل نَفقتها على كاهلِ الرجل حتى تستطيعَ المرأة وبفراغِ بالٍ وهدوءِ خاطرٍ أن تعمد إلى تربية اولادهـا، وتحوّلَ البيت إلى كهف آمنٍ، وملجأٍ دافيءٍ، ومتنزّه وديع تُنسىٰ فيها الهموم والمتـاعبِ، وأن تحافظ من خلال الحِفاظ على طَراوتها وجمالها على مكانتِها في قلب الرجل (الزوج).

النقطة الثانية: التي يمكن الاشارة اليها في فلسفة تشريع النفقة هي: أن ما تقتضيه طبيعـةُ الرجلِ الخاصّة هو الطلب، يعني طلب المرأة .. إن الرجل بطبيعته يطلُب المرأة ويهواها ويريدُها .. فهو الذي يجري وراءَ المرأة ويخطبها .. ويعلم أنه لا بد للوصول إليها من أن ينفق ويبذل ويضمن لها حوائجها ويوفر مستلزمات معيشتها.

إنه بضمان المسكن والغذاء واللباس وسائر الاحتياجات لها يُظهِرُ ودّه لها وتعلّقه بها، ويخطب ودّها ويمتلك قلبها.

الفائدة الثالثة لتشريع النفقة: هي أنّ النفقة مفيدة في صعيد تقوية صرح الأُسرة ودعم أُسسها.

إنّ من مصلحة الأُسرة أن تكونَ مرتبطة من الناحية الاقتصادية بالرجل، لأنّ خلقة الرجل وتركيبه بحيث أنه يحتاج من الجوانب الجنسية، ولاجل تحصيل محطة حب وأُنس إلى المرأة بشدة، كما وأن الحياة بصورةٍ منفرده عذابٌ أليم، والرجل لا يمكنه أن يكتم هذه الحاجة .. وإن المرأة تُدرك هذا الموضوع كاملًا، وتستغله وتستفيد منه..

فاذا كانت المرأةُ مستقلة هي الأُخرى من الناحية الاقتصادية استقلالاً كاملاً، وكـانت بحيث لم تعد تشعر بالحاجة إلى الرجل تلاشت الأُسرة ـ على الأغلب ـ وتكدّرت أجواءُها ولا شك. ان مثل هذا الوضع يكون مضرّاً بالرجلُ بل ويكونُ مضراً

بالمرأة والأولاد والمجتمع جميعاً.

وفي الخاتمة، أرىٰ من الضروريّ التذكيرُ بهذه النقطة وهي أنّ الإسلامَ بتشريعه للمهر والنفقة لم يَرِد أن ينتزعَ جميع المسؤُوليات الإجتماعيّة من المرأة، ويجعلها جليسة البيت، وعنصراً مستهلِكاً، بل إن المرأة ـ وكما أسلفنا ـ هي الأُخرى عضوٌ معترَف به من أعضاء المجتمع لها مسؤوليات يجب أن تقوم بها .. وإنّ نفقةَ المرأة وإن وُضِعت برمتها على عاتق الرجل، ولم تكن المرأةُ ملزَمةً بالعمل والكسب لتأمين إحتياجات المعيشة، إلّا أنه لا يجوز أن تقضى كل حياتها بالبطالة والفراغ.

إن المرأة المسلمة تعلم أن إدارة الحياة أمرٌ صعب لا يمكن أن يتحقق من دون التعاون بين الزوج والزوجة، فهي تتفاهمُ مع زوجها، وتتكفل القيام بمسؤولياتٍ واشغالٍ خاصّةٍ مع مراعاة ظروفها وأوضاعها العائلية الخاصّة، سواء داخل البيت أو خارجه.

ولو أنّها حصلت من هذا الطريق على مدخول فانه وإن كان مِلكاً شخصيّاً لها إلّا أنها تقـدّمُه على طَبَقٍ من الاخلاص والحب إلى زوجها، وبهذا تزيد من المحبة والصفاء الزوجيين.

فكروا وأجيبوا:

١ ـ ماهي نفقات المرأة الواجبة؟

٢ ـ هل الإسلام حقر المرأة بتشريع المهر للمرأة؟ ولماذا؟

٣ ـ ماهي فلسفة تسريع النفقة؟

٤ ـ بيّنوا الفائدة الثانية للنفقة؟

٥ ـ ماهي الفائدة الثالثة للنفقه؟

٦ ـ ماهي وظيفة المرأة في العائلة؟

الدرس السبعُون

حقوقُ الزَوجين ووظائفهما

الأُسرة ـ في نظر الاسلام ـ وحدةٌ اجتماعيةٌ صغيرةٌ مقدّسةٌ تنشأ من عَقد ميثاق العلاقة الزوجية بين إمرأة ورجلٍ .. وبهذه الطريقة تتحولُ إلى وحدة ذات أهداف ومصالحَ مشتركة.

إنّ أعضاءَ هذا المجتمع الصغير مثل أفراد المجتمعات الأكبر لهم حقوقٌ وواجباتٌ متقابلة من دون رعايتها لا تتحققُ سعادتُهم وراحتهم وأمنهم.

إنّ المرأة والرجل لا يمكنهما ـ بعد الزواج ـ بل ولا يحق لهما أن يعيشا حرّين ومن دون التزام كما كانا قبل الزواج.

فاذا كان كلُ واحد منهما يرى سعادَته في ضمان مصالِحه ومنافعه الشخصية الفردية فهو الآن لا بدَّ أنْ يلاحظ مصالح أُسرته وزوجه أيضاً، وأن يرى سعادته في سعادة الجماعة.

إن الإسلام يعتبر الإرتباطَ والعلاقة بين الزوج والزوجة إرتباطا وثيقاً وعلاقة عميقة إلى درجة الإتحاد والإتصال. وقد وردت في نصوص الثقافة الإسلامية عباراتٌ جميلة حول هذا الموضوع.

فقد قال في القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

إن عبارة ﴿خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً﴾ تدل على شدة الارتباط وعمقه.

وفي آية أُخرى يقول: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[2].

في هذه الآية عُدّت المرأة لباساً للرجل وعدّ الرجل لباساً للمرأة .. إن هذا التعبير كذلك يُفيد شدّة الإرتباط بين الرجل والمرأة، .. فكما أن اللباسَ هو أقرب الأشياء إلىٰ جَسَد الإنسان، وهو يقيه الحر والبرد، ويزيّنه ويحفظ شخصيَته، ويستر عيوبَه ويضمن راحته وأمنه، كذلك تكون الزوجة بالنسبة إلى الزوج والزوجُ بالنسبة إلى الزوجة ويجب أن يكونا كذلك.

إن الإسلام اهتمَّ غاية الإهتمام بتقوية ودعم صرح الأُسرة، وحسن العلاقة بين الزوجين، ولهذا قرّر لكلِ واحدٍ منهما واجباتٍ وحقوقاً.

ويمكن تصنيف حقـوق المـرأةِ والرجلِ (الزوجين) وواجباتها إلى صنفين: احدهما الواجبات المشتركة، والآخر الواجبات الخاصة .. وهنا لا يمكنُنا أنْ نطرح هذه المسائل على نحو التفصيل، ولكننا نشير إلى بعضها على نحو الإختصار:

الأوّل: الحقوق والواجبات المشتركة: وهي عبارة عن:

١ ـ المعاشرة بالمعروف، فقد قال في القرآن الكريم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[3].

---

(١) الروم ٢١.

(٢) البقرة ١٨٧.

(٣) النساء ١٩.

والمعروفُ هو ما يقابِل المنكرَ، وهو ما كانَ حَسَناً ومحمُوداً من الأعمال شرعاً وعقلاً.

إنَّ الخطابَ في هذه الآية وإن كان متوجهاً إلى الرجال، إلاّ أنّ صيغة «عاشِرُوهن» حيث أنها من بابِ المفاعَلة ، لهَذا تشمُل النساءَ كذلك.

إنّ الله يوصي الرجالَ والنساء في هذه الآية بأن عاشروا الطرف الآخر بالمعروف والحسنىٰ .. كُونوا بشّاشين .. طيبيّ اللسان رحماء، صادقين .. أعينوه في تحمل المصاعب، وحلّ مشاكل الحياة، وعاملوه على أساس الصدق والإنصاف والصفاء وتجنّبوا ايذاء الآخر حتماً.

وبكلمة: عَليكم أن تعامِلُوا زوجَكم أو زوجتكم كما تحبُّون أن تعامَلوا .. ولقد جاءَ موضوع حُسن المعاشرةِ بين الزوجين في الأحاديث أيضا.

ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

عن النبي صلّى الله عليه وآلـه قال: إنَ أكمَلَ المؤمنين إيْماناً أحسنُهم خُلقاً وخِيارُكم خيارُكم لِنسائِه[١].

٢ ـ إنّ التلَذّذ والاستمتاع، والارضاء المشروع للغريزة الجنسية وإنْ لم يكنْ هو الهدف الوحيد للزواج، ولكنّه ولا شك يُعدُّ أحد الأهداف المهمّة.

إن لإرضاء الغريزةِ الجنسيةِ أثراً في إيجاد الصفاء والإستقرار، وحُسْن العلاقة بين الزوجين، كما أن له أثراً كذلك في تقوية صرح الأُسرة، ودَعم أُسسه.

فعلى هذا الأَساس يكونُ مختلف أنواع الاستمتاعات الجنسيّة أحدَ الحقوق المشروعَة للزوجين، وعلى كلّ واحدٍ منهما أن يمكّنَ نفسَه للآخر بل يهيّىء نفسَه لذلك. وقد جاءَ التاكيدُ على هذا الموضوع في الأحاديث أيضاً:

---

(١) البحار ج٧١ ص٣٨٩.

وعلى سبيل المثال:

أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قالَ قالَ رسول الله صلّى الله عليه وآله للنساء: لَا تطولّنَ صَلاتَكُنَّ لِتمنَعنَ أزْواجَكنَّ[1].

يجب أن لا يفكّر كلٌ من الزوجين عند المقاربة الجنسية، في إرضاء غريزته الجنسية وتلذذه الشخصي بل عَليه أن يسعى لإرضاء الطرف الآخر ايضا، لأن هذا يُعَدُّ أحد حقوق الزوجين كما أنّ له تأثيراً عميقاً في تَقوية العلاقات الزوجية.

عن عليّ عليه السلام قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: إذاَ أتىٰ أحدُكم امرأَتَه فَلَا يُعَجِّلْهاَ[2].

وعن الرضا عليه السلام في حديث إلى أن قال: واشتَهَتْ مِنْكَ مِثْلَ الّذِي تَشْتَهيه[3].

٣ ـ اللباس الجميل والزينة: إن الإسلام يوصي النساء بأن يلبسن الثياب الجميلة الانيقة في البيت لأزواجهن، وأن يتجمّلن ويتزيّن، ويتعطرنَ، وبذلك يجلبن نظر ازواجهن إليهن، ويسيطرن على قلبه.

عمرو بن جبير العزرمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاءت امرأة إلى رَسُول الله صلّى الله عليه وآله فَقالت: يا رسُول الله ما حقّ الزَوج على المرأة؟

فقالَ: أكثر من ذلك.

قالت: فخبّرني عن شَيءٍ مِنْهُ.

قال: ليس لَها أنْ تصومَ إلّا بإذنِهِ، يعني تطوّعاً، ولا تخرجَ من بَيْتها بغير إذنِهِ وَعَلَيْها ان تَتَطيّبَ بأطْيبِ طِيْبِها، وتلبسَ أحسنَ ثيابِها، وتتزيَّن بأحْسَنِ زِيْنَتِها، وتُعرِضَ

---

(١) الوسائل ج١٤ ص١١٧.

(٢) المستدرك ج٢ ص٥٤٥.

(٣) الوسائل ج١٤ ص١١٢.

نفسَهَا عليه غُدوةً وعشية، واكثر من ذلك حقوقه عليها[١].

وكما أن على المرأة أن ترتدي اجمل ثيابها في المنزل وتعرض نفسها على زوجها في هيئة جميلة كذلك على الرجل أيضاً أن يعتني في المنزل بنفسه وهندامه، فيتنظف ويتزين ويتعطّر، وبذلك يجلب نظر زوجته إلى نفسه ويطيب خاطرها، ويمتلك قلبها.

قال النبي صلّى الله عليه وآله: حَقُ المرأةِ على زوجها أن يَسُدّ جوعَتها وأن يستُرَ عورتَها، ولا يقبّح لها وجَها، فاذا فعلَ فقد ـ والله ـ أدّى حَقَها[٢].

عن جعفر بن محمد عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن عليّ عليه السلام قالَ قالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: لِيتَهَيَّأ أحدُكُمْ لِزَوْجَتِهِ كما تَتَهيّأ زَوْجَتُه لهُ. قال جعفرُ بن محمد عَلَيهما السلام يَعني يَتهيّأ بالنَظافَة[٣].

حسن بن الجهم قال رأيتُ أبا الحَسن عليه السلام اختضَبَ فقلتُ: جُعِلْتُ فِداك اختضبتَ؟ فقال: نَعمْ إنّ التَهيئَةَ مِمّا يَزيد في عفّة النساءِ، ولقد تَركَ النساءُ العفةَ بِترك أزواجهن التهيئة. ثم قال: أيسرّكَ أن تراها عَلىٰ ما تراكَ عَليه إذا كنتَ على غير تهيئةٍ؟ قلت: لا قال: فَهْوَ ذاكَ[٤].

الثاني: الواجبات الخاصة بالزوجة أو الزوج

١ ـ الوظائف الخاصّة بالرَجل تجاه زوجته:

إن على الـرجلِ مضافاً إلى الواجباتِ والوَظائِف العائليّة المشتركة وظائفَ وواجباتٍ خاصّة بسبب تركيبِه الخاص .. ونحن نشير إلى طائفة منها:

---

(١) الوسائل ج١٤ ص١١٢.
(٢) البحار ١٠٣ ص٢٥٤.
(٣) المستدرك ج٢ ص٥٥٩.
(٤) الوسائل ج١٤ ص١٨٣.

١ ـ قوامة الأُسرة: إنّ الاسلامَ جَعَل مسألة إدارةِ الأُسرة، وولايَتها على عاتق الرجل.

قال في القرآن الكريم: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى ٱلنِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَٱلصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾[1].

إن تسييرَ وتنظيم أُمور الأُسرة والبيت العائليّ، وإنْ كانَ يجب أن يتمَّ بالتفاهُم والمشاورة والتعاون بين المرأة والرجل (الزوجين) ولكنْ على كلِّ حال لا يمكنُ لهذا المجتمع الصغير، شأنه شأن المجتمعات الأكبَر، أن تتمَّ ادارتُه جيّداً مِن دُون وليٍّ ومديرٍ مدبّرٍ نافذِ القولِ ،مسموع الكلمة.

إنَ الأُسرة من دُون مديرٍ غالباً مّا يكونُ له وَضعٌ غير محبوب ولامطلوب فإما أن تمسكَ المرأةُ بزمامِ الأُسرة وتتقبّل إدارَتها، وتسيير دفتِها، ويكونَ لها الكلمةُ الأخيرةُ، وإما الرجلُ.

وحيث أن الجوانب الفِكريّة والعقليّة لدى الرجل أفضلُ وأقوى غالباً مِن المرأة، ويمكنه أن يقومَ بتدبير شؤون الاسرة بنحوٍ أفضل،لذلك وُضِعَت مسؤولية قوامة الأُسرة وإدارة دفّتِها على عاتق الرجال، على العكس من النساء حيث تفوق لديهنّ الأحاسيسُ والعواطفُ على ما لدى الرجالِ ، وهنّ يناسبنَ الأعمال العاطفية أكثر، لهذا فإنّ من مصلحة الأسرة أنْ تقبَلَ بولاية الرجلِ ، وقوامته، وتقومَ بالأعمال المهمة بمشورته، وحسب إرشاداته.

ولا يخفىٰ أن المراد مِن ولاية الرجل وقوامته ليس هو أنْ يقوم بأمور الأُسرة بالقهر والعنف، والعناد، واستخدام القوة، ولا يسمح للآخرين بممارسة حق إتخاذ

---

(١) النساء ٣٤.

القرار أو إبداء الرأي، ويجعل من نفسه الفعّال لما يشاء، ذلك لأنّ المرأة ليست أمَةً ولاخادمةً، كما لا يمكن تحويلُ البيت بالعنف والقهر إلى محطّةٍ للاستراحة والاستقرار بل المراد هو أنْ يقومَ الرجل، ووفقاً للضوابط والمقرّرات الإسلامية الأخلاقية والإجتماعية وبالمشاورة، وبتدبير العقل، وضمن رعاية حقوق الآخرين من أعضاء الأُسرة، بادارة شؤون الأسرة، على أن تكون له الكلمةُ الأخيرة، والقرارُ الأخيرُ عند إختلاف الآراء، وتشتت الاقتراحات، والميول والاتجاهات.

ويمكن تلخيص مسؤوليات القِوامة، وولاية الرجل في ثلاثة اقسام هي:

١ ـ ضمان نفقات الأُسرة وتنظيم برنامجها الاقتصاديّ ومحاسبة الوارد والمصروف.

٢ ـ المحافظة على أفراد الأُسرة وحراستهم والدفاع عنهم ومراقبتهم.

٣ ـ مراقبة القضايا الدينيّة والأخلاقيّة والنموّ الثقافي لأعضاء الأُسرة وهدايتهم وإرشادهم نحو الكمال والتسامي، والمنع من وقوعهم في المفاسد الإجتماعية، والأخلاقية.

قال في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

٢ ـ المداراة، وتجاهل العثرات: إن الخطأ والتعثّر من لوازم الطبيعة البشرية، ومن خصائص الإنسان .. وإنّ المرأة والرجل لا بدّ وأن تَقَعَ منهما بعضُ الأخطاء، والعثرات في الحياة الزوجيّة، فاذا لوحِق الخاطِىءُ جَرّ ذلك إلى مشاكِلَ ومتاعبَ وعواقب لا تُحمد.

ولهذا فانَ مِن مصلحة الأُسرة أن يتعامل كلُّ مِنَ الطرفين مع أخطاءِ الطرفِ

---

(١) التحريم ٦.

الآخر بلطفٍ وسعةِ صَدر، ويتجاهَلَ عثراتِه وزلاّته، وبخاصّة الرجل حيث أنه أعقل، وحيث أنـه يتحمل مَسْؤولية إدارة الأُسرة، فإن عليه أنْ يغضي عن أخطاء زَوجته ويحاولَ إصلاحَها برفقٍ ولِينٍ، وحكمةٍ ومداراةٍ.

إن التشدّد والعُنف لا هو في مصلحة الأسرة، ولامِن مصلحة الرجلِ نفسه ولهذا عَدّ الإسلامُ الاغضاءَ عَن الإخطاء احدَ حقوق المرأة (الزوجة) على زوجها.

في رسالة علي بن الحسين عليه السلام إلى أن قال: وأمّاحقُ الزوجَة فأنْ تعلمَ أنّ الله عز وجل جَعَلهاٰ سَكَناً وأُنْساً فَتعلَمَ أنّ ذلكَ نِعمةٌ من الله عَليكَ فتُكرمَها وترفق بها، وإن كان حقُك عليها أوْجَب، فانّ لها عليكَ أن تَرحَمَها لأنّها اسيرُك، وتطعِمَها وتكسُوها وإذا جَهلَتْ عفوت عنها[1].

سأل إسحاق بن عمار أبا عبدالله عليه السلام عَن حقِّ المرأةِ على زوجِها؟ قال يُشبعُ بَطنَها وِيكسُوها وإن جَهلَتْ غَفَرَ لَها[2].

٣ ـ الوظائف الخاصة بالمرأة تجاه زوجها:

إن على المرأة هي الأُخرى وظائفَ خاصّة تجاه زوجها جاءت الاشارة إليها في الأحاديث، وان اهمها واشملها عبارة عن حسن التبعلّ.

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جِهادُ المَرأةِ حُسْنُ التَبَعّلِ[3].

إن حسن التبعلّ ليس أكثر من جملة قصيرة ولكن معناها واسعٌ جداًتشمُل كل الواجبات والوظائف.

إنما يمكن أن يقال أنّ هذه المرأة أحسَنَتِ التبعّل إذا حَوَّلتِ البيتَ بحسن سُلوكها ومحبتها إلى محطةِ أُنس ومرفأ راحةٍ، وواحة صفاء .. شاوَرَتْ زوجَها في الأعمال

---

(١) بحار الانوار ج٧٤ ص٥.

(٢) مكارم الاخلاق ج١ ص٢٤٨.

(٣) البحارر ج١٠٣ ص٣٥٢.

المهمة، وقبلت بقوامَته، وأطاعت أوامرَه، حتى إذا هو لم يأذن لها ذات مرة بالخروج من المنزل لم تخرج .. أكرمت زوجَها، وشكرَتْ جهودَه عاشرته بخلق حسن، ورحمة وحفظَتْ أسرارَه، ونصحَتْ له، كانت أمينةً على أمواله، حافَظَتْ عليها، ساعَدَتْه في المشـاكـل وعـاونته في المتاعب تجتنب إيذاءه وإزعاجه بلسانها، اجتنبت الإسراف والتبذير، وحتى في الصدقات والهدايا استأذنت زوجها، وهي وان كانت غير ملزَمة شرعـاً بالقيام بالأعـمال المنـزلية ولكن من لوازم حُسنِ التبعُّـل أنْ تجتهد بمقدار استطاعتها في الأُمور البيتيّة، وحضانة الأطفال ورعايتهم.

وبـالتالي أن تقومَ بتزيين نفسها، وترتدي الثيابَ الجميلة في البيت لزوجها، وتهيّء نفسَها له وتمكّنَه من نفسها على الدوام .. تشجع زوجها على القيام بالأعمال الحسَنة وتمنعه عن الأعمال السيئة.

يمكن أن يقال في شأن مثلِ المرأة، أنها أَحْسَنَتِ التَبَعُّلَ .. وان عَمَلَها يضاهي الجهادَ في سبيل الله.

ولقد عُدّت مثل هذه الزوجة في الأحاديث من أكبر النِعَمِ الإلهيّة التي لا يمكن تقييمُها لعظمتها:

عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قالَ قالَ النبيُ صلّى الله عليه وآله: ما اسْتَفادَ امرؤٌ مسْلمٌ فائدةً بَعدَ الإسلامِ مِن زَوْجةٍ مُسْلِمةٍ تسرُّهُ إذا نَظَرَ إليها، وتُطيعُه إذا أمَرها، وتحفَظُه إذا غاب عنها في نفسِها ومالِه[1].

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قالَ قال أميرُ المؤمنين عليه السلام: خَيرُ نِسائِكُم الخُمس، قيل وما الخُمس، قالك الهَيِّنةُ، اللّينةُ المؤاتيةُ التي إذا غَضبَ زوجُها لم تَكتَحِلْ بغَمْضٍ حتى يرضىٰ، وإذا غابَ عنها زوجُها حَفِظَتْهُ في غيبَتِهِ فَتِلكَ عامِلٌ

---

(١) الوسائل ج١٤ ص٢٣.

مِن عُمّالِ الله، وعامِلُ الله لا يَخيبُ[1].

فكروا وأجيبوا:

١ ـ اشرحوا: «**هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وأنْتُمْ لِباسٌ لَهُنّ**».

٢ ـ فسّروا: «**عاشروهن بالمعروف**».

٣ ـ لِمَنْ يجب أن تتزيّن المرأةُ؟

٤ ـ هل يجبُ عَلى الرجلِ شيءٌ في مجال التزيُّن ايضاً؟

٥ ـ لمن قِوامَة الأُسرةَ، وكيفَ يقوم بذلك؟

٦ ـ ماذا يجب أن يكونَ موقفُ الرَجُلِ مِن أخطاء زَوْجَتِهِ؟

٧ ـ وَضِّحُوا حُسْنَ التَبَعُّلِ.

* * *

---

(١) الوسائل ج١٤ ص١٥.

الدَرسُ الواحدُ والسبعُون

الاسلام وتعدّدُ الزَوَجات

لقد أباحَ الاسلامُ تعدّدَ الزوجات ورخّصَ للرجل في أن يزوّج بالعقد الدائم وفي ظروفٍ خاصّة وشروطٍ معيّنةٍ بأكثر من إمرأة على أن لايتجاوزن الأربع.

ولقد تعرَّضَ هذا الحكمُ الإسلامي للنقد اللاذِع من قِبَلِ المغرِضين، وحملوا عليه بشدة، زاعمين بأن المرأة تعرّضت للظلم والحيف بسبب هذا الحكم. ولهذا تحتاج هذه المسألة إلى التقييم والدراسة من جديدٍ.

ولابـدّ أن نذّكـر ـ قبـل هذا ـ بأنّ الإسـلام لم يُنشيءْ مسألة تجويز تعدّد الزوجات، ولم يبتدعه ابتداعاً بل كانت عادة تعدُّد الزوجات موجودة في الشرق قبل هذا..

نعم الإسلام لم ينسخْ هذه العادة، إنّما أصلحها وحدَّدَها بأربع نِسوة.. ولهذا لم تبطُل مسألة تجويز تعدّد الزوجات، فقد اعتبرها الاسلام في بعض الظروف ضرورة من الضـرورات الإجتـماعية وأحـد الحقوق الطبيعية للمرأة، وفي مصلحة المجتمع النسويّ ـ الحقيقية.

إن الاسلام لم يقصد مناصرة الرجال وتلبية رغباتهم بتشريعه، (وبالاحرى)

ترخيصه لتعدّد الزوجات، ولاتشجيعهم على تكوين الحريم، والإفراط في الإستجابة للشهوات.. بل إن أهم أهداف الإسلام هوالدفاع عن حق طبيعيٍّ من حقوق المرأة، يعني حقّ الزواج وتشكيل الاسرة، وإنجاب الأولاد، وتربيتهم.

ولاثبات هذا الموضوع وتوضيحه لا بدّ من الإشارة إلى مقدّمتين:

المقدّمة الأُولى: إن المواليد من الإناث من حيث المجموع ليس أكثر من المواليد من الذكور، ولكن الإحصائيات تفيد بأنّ عدد النساء الصالحات للزواج أكثر ـ في الأغلب ـ من الرجال الصالحين للزواج.

ويمكن الإشارة إلى علّتين من علل هذه الظاهرة:

العلة الاولى: أن الخسائر في الأرواح من الذكور ـ على أثر الحوادث، وبصورةٍ خاصّةٍ الشباب أكثر من النساء والفتيات.

ولو أننا لاحظنا الإحصائيات المرتبطة بحالات الوفاة الناشئة من الحوادث كالحرب، والسقوط، والهَدم، والغرق، وخسائر العمال في الأرواح في المعادن والمعامل، وحَوادث السَير لوجدنا أنّ أكثر هذه الخسائر والحالات ترتبط بالرجال.

وعلى أثر هذه الحوادث يختلُّ التوازنُ ويضطربُ التعادُل بين عدد الرجال وعَدَد النساء، فيغلبُ عددُ النساء عددَ الرجال.

ولكي نصدّق بهذا الموضوع يكفي أن نلقي نظرةً فاحصةً إلى إحصائيات الخسائر في الأرواح البشرية في الحرب العراقية الإيرانية، وحرب الخليج الفارسي وحرب أفغانستان، وغير ذلك من الحروب التي تقع باستمرار في مختلفِ نقاطِ العالمِ.

إنّ خسائر هذه الحروب كثيرةٌ، ورهيبةٌ جداً والأغلبيّة الساحِقة من صرعىٰ هذه الحروب هي من بين الرجال، وفي الغالب من الشباب، أو الحديثي العهد بالزّواج، او غير المتزوجين، وهو ينتج اضطراب واختلال التوازن بين عدد الرجال وعدد النساء.. وأن يفوق عددُ النساء الصالحات بل والمحتاجات إلى الزواج عدَدَ الرجال.

العلّة الثانية: إنّ الوَفَيات من الأطفال، والصبيان والشباب ـ حسب شهادة بعض العلماء والمختصين، ونتائج الإحصائيات والتقصّيات هي أكثر من الإناث.

إنّ مقاومة الجنس الأُنثويّ تجاه الأوبئة والأمراض هي ـ في الغالب ـ أكثر من مقاومه الذكور ، وإنّ متوسّط العمر لدى النساء ـ هو بصورة عامّة ـ أعلى من متوسّط العمر لدى الرجال، وانّ عدد النساءِ الأرامل هو أكثر من عدد الرجال الذين فَقَدوا زوجاتهن.

إنّ مسـألـة تفوُّقِ عددِ النساء المهيَّئات والمحتاجات إلى الزواجَ على عَدَد الـرجـال الصـالحـين المحتاجين إلى الزواج مسألة واضحة، وأمرٌ ملموس ومشهودٌ للجميع.. ونحن كثيراً مّا نواجه ونشاهد النساءَ الأراملِ المحتاجات إلى الزواج، ولكنّهن لايجدن الرجلَ العازب المناسبَ للتزوج به، بينما هناك رجالٌ عزّاب يرغبون في الزواج لكن قلّما لايجدون المرأةَ التي يناسب التزوج بها.

المقـدمـة الثانية: إنّ من الحقوق الـطبيعيّة والقطعية لكلٍّ انسان هو حقّ الزواج والإنسال وتكوين الأُسرة.

فكـما أنّ لكل إنسانٍ الحقَ في العمل، واختيار المسكن والخَدمات الصحيّة، والملبَس، والحرّية كذلك له الحقُ في الزَواج وتكوين أُسرة.

فإنّ كل إنسان رجلاً كان أو إمرأة له الحق في أن يتزوج، ويحصَل على السكينة العائلية والطمأنينة في ظلال الأُسرة، وأن يكون له أولاد شرعيّون، قانونيون.

إنّ المرأة هي الأُخرىٰ إنسانة لها مِثل هذا الحق على المجتمع .. ولابدّ أن تنظِّمَ القوانينُ الإجتماعية بنحوٍ يتمكن كـل شخصٍ في ظلها من التمتع بحقوقه الطبيعية.

بعد ملاحظة هاتين المقدمتين يمكن أن نستنتج أن قانون إباحة تعدّد الزوجات قد شُرِّع في الحقيقة لمصلحة جميع أفراد المجتمع، وبالأخص المجتمع النسويّ، والنساء اللائي لاأزواج لهنّ، واللائي يفوق عددهُن عددَ الرجال العازبين، ولو كان الأمر

غير هذا لحرمت مثل هذه النسوة من حقوقهن الطبيعية وظُلمنَ.

إذا لم يعترف المجتمعُ بحقّ الزواج للنساء الأرامل ولم يسمح للرجال المؤهّلين بتكرار الزواج، واتخاذِ زوجة أُخرىٰ إزداد الفحشاء وازدادت المفاسدُ الاجتماعيّةُ، وراجت عادةُ اتخاذ الأخذان والعشيقات كما هو الحال في الغرب الآن، لأنّه عندما تُحرم النساءُ الأراملُ من حقوقهنّ الطبيعيّة، ولم يجدن طريقاً إلى تكوين أُسرة شرعية، يمكن أن يتعقّدنَ من مثل هذا المجتمع، ويعمَدن إلى الإنتقام منه، وإغواء الرجالِ الضِعاف في الأغلب أمامَ قوّة الغريزة الجنسيّة، بالحِيَلَ النسائية، ويعزمن على زعزعة بناء العوائل وهدمها، لأنّ النساء المتزوجات إذا شعرن بخيانة أزواجهنّ يمكن أن يُفكّرن في الإنتقام، والمقابلةَ بالمِثل، فيفقدن بذلك عفّتَهنَّ ويسقطن في الخطيئة، والرّذيلة.

ولايخفى أنّه مع الإلتفات إلى فلسفة الزواج والهدف الواقعي منه، وهو توفير السكينة والأنس والمودة والإنشداد العائلي، يترجّح الاكتفاءُ بزوجةٍ واحدةٍ على التعدّد، والاسلام ايضا لايشجع الرجال على التزوّج من زوجة اخرى اذا لم يكن لضرورة بل كان لمجرد الاستمتاع والاستلذاذ وقضاء الشهوة، وبذالك يضحّي بالصفاء والانسجام العائليين في سبيل لحظات معدودة من اللذة الجنسية العابرة.

ولو أنّ الإ سلام أباحَ تعدّد الزوجات فإنما هو يفعل ذلك رعايةً لضرورةٍ اجتماعية ملحةٍ، وضماناً لحقوق النساء الأرامل، والمحتاجة إلىٰ الزوج.

وقد تكونُ الضرورة إلى اتخاذ الزوجة الثانية من جانب الرجل، ولمصلحته، وذلك مثلما إذا كانت زوجته عاقراً نهائياً، أو أنها على أثر المرض كان الإنجاب ثانية او أصلا مضراً بها، وأحسَّ الرجل بالحاجة إلى الولد، وإلى إنجاب أولاد آخرين، فإن العقلَ والوجدانَ يسمحان للرجل بأن يتزوج بأُخرىٰ.

وهكذا إذا كانت الزوجةُ الأُولى مريضة بحيث لايمكنها تلبية الإحتياجاتِ

الجنسية للرجل وبذلك يمكن أن يفقد الزوجُ عُفَّتَه، ويقع في الإثم والمعصية، فان هذه الحالة هي الأُخرى تُعتبر امراً مبرراً وجيهاً للتزوج بأُخرى اتقاء الطلاق، واتقَاءالوقوع في المعصية، والتلوث بأدران السفاح والزنا.

وعندما تقتضي الضرورةُ الاجتماعيةُ تعدّدَ الزوجات يجب على الرجال ـ بغية ضمان حقوق النساء الأرامل والمحتاجات إلى الزواج ـ أن يتحمّلوا مشاكل التعدّد ومتطلّباته .. فعليه أن يقوم بالتزوج بأُخرى بعقل وتدبير، فيتفاهم مع زوجته الأُولى أولا، ويجلب رضاها وثقتها بكل طريقٍ ممكن، ويطمئنها إلى أنه سيراعي جانب العَدل والأنصاف.

ويجب على زوجات مثل هؤلاء الرجالِ أيضاً ـ وبغية ضمانِ حقّ نُظَرائِهنّ ـ الطبيعيّ من النساء الأرامل المحتاجات إلى الزواج، أن يغضين عن فوائد الإستفراد بالزوج، ويقبلن باقتراح أزواجهن.

وإذا ما تحقّق التفاهم بين الزوجين في هذه المسألة لم تبق هناك مشكلةٌ.

وفي الخاتمة يجب أن نذكّرَ بهذه النقطة وهي أنّ الإسلام وإن كان يرخّص في تعدّد الزوجات ولكنّه يقيده بشروط يكون التقيّد بها عملاً صعباً جداً.

ويمكن أن نعتبر الأمرينْ التاليين من أهم شروط التعدّد:

الأوّل: القدرةُ المالية على توفير وضمان جميع نَفَقات الزوجات، والقدرة الجسميّة على تلبية إحتياجاتهن الجنسية على النحو المتعارف.

الثاني: رعاية العدل والأنصاف والمساواة بين الزوجات وأولادهنّ، ومن جميع الجهات رعايةً كاملةً، وبالتالي تجنّب ایّ نوع من أنواع التمييز.

يقول في القرآن الكريم: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُواْ﴾[1].

---

(١) النساء ـ ٣.

إن الرجل إنما يُسمَح له بأن يتزوَّج باكثر من واحدة إذا كان واثقاً من نَفْسه بأنه سيُعامِلُهنّ على أساس العَدل والإنصاف والمساواة. فالرجل الذي له زوجاتٌ متعـددةٌ يجب عليه أن يعـامـلَ زوجـاتـه في مجال الانفـاق، والمضـاجعـةِ، والمبيتِ والإستمتاعاتِ الجنسية، بل والتعامل الأخلاقي على أساس العدل والإنصاف والمساواة.

على أنه قد يكون العملُ بالواجب والوظيفة يعني رعاية العدل والمساواة، نظراً لوجـود بعض الفوارق الجسميّة أو الأخلاقية، أو التفاوت في العمر، بين الزوجات المتعـددة، عَمَـلاً صَعْبـاً للغـاية، فتكون النتيجةُ أن لا يكونَ إتخاذُ أكثرَ من زوجةٍ أمراً سَهْلاً أيضاً.

والملفت للنظر أنَ القرآنَ الكريم صرّح بأنه لو كنتم تشكّونَ في مقدِرَتكم على رعاية العَدل، فاكتفوا بواحدة.

ولقد اهتمّ رسولُ الاسلام الذي جاءَ تشريعُ هذا القانون على يَديه، واختار زوجات متعدّدة، هو أيضاً برعاية العدل والمساواة بينهن بصورةٍ كاملةٍ، ولم يميّز بينهن باقلّ تمييز، بل لم يفرّقِ حتى بين زوجته الشابة عائشة، وزوجاته العجائز ... فكان ينفقُ عليهن بالتساوي، ويقسّم لياليه بينهنّ، فيبيت في كلّ ليلة في حجرة إحداهنّ، ويراعي هذه التسوية حتى في اصطِحابهن في المعارك والحروب.

ولو أنّ الرجال التزموا بهذه الوظيفة الإسلامية وطَمأَنُوا النساء بعملهم إلى أنهم يُراعـون العـدلَ والمسـاواةَ لاختفىٰ الشيء الكثـيرُ من مشـاكـل تعدّد الزوجات والانزعاجات والإختلافات والمشاجرات الناشِئة منها، وبشكل محسوس.

* * *

فكِّروا وأجيبُوا

١ ـ ما هي فلسفةُ الترخيص في تعدد الزوجات؟

٢ ـ ماذا كان يحدث؟ إذا لم يشرًّع حقِ التزوج للنِساء الأرامل؟

٣ ـ هل ظُلِمَتِ المرأةُ بتشريعِ قانونِ تعدّدِ الزَوَجات؟

٤ ـ ماهي وظيفة الرجالِ الأخلاقيّة إذا فاقَ عددُ النساءِ الصالحات للزواج على عدد الرجال.

٥ ـ في أيّة حالة يحقُ للرجل أن يتّخذَ اكثَر من زوجة.

٦ ـ كيفَ كان يتعاملُ رسولُ الاسلام مع زوجاته؟

* * *

الدرسُ الثاني والسَبعُون

إرثُ المرأةِ في الإسْلامِ

المرأة والرجـل يتمتعان في الإسلام بحقوق إنسانيّة متساوية، ولم يكن هناك أيُ تمييز بينهما.

فهما يشتركان في حق تحصيل المال والثروة، والملكية وكذا في أصل التوارث، فالمرأة ترثُ الرجلَ، كما أن الرجل يرثُ المرأة.

يقـول في القـرآن الكـريم: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيْبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَان وَٱلأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيْبٌ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَان وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾[1].

لقد شُرِّع حقُ التوارث للنساء، جنباً إلى جنب مع الرجال، كما تلاحظون في الآية الحـاضرة، وبتكرار جملة ﴿وَلِلنِّسَاء نَصِيْبٌ مِمَّا تَرَكَ﴾ أشار إلى استقلالها في التوارث .. وبجملة نَصِيْباً مَفْرُوضاً صرّح بأنّ للنساء كذلك نصيباً مَفْرُوضاً في الإرث.

لقد نَزَلت آياتُ الميراث والإرث في عصرٍ لم تكن المرأةُ فيه تتمتّع بأيّة قيمةٍ أو

---

(١) النساء ـ ٧.

منزلةٍ في العالم، وبالأخصّ في المجتمع العربيّ الجاهليّ .. فقد كانت الأُنثى محتقرَةً ومهانةً إلى درجة أنّ الرجال الجَهَلة كانوا يُظهرون الغمَّ والخجل إذا بُشّروا بالأُنثىٰ، وربما كانوا يعمدون إلى وأدِ الفتيات البريئات وإقبارهن .. وكان الرجلُ ينقل جميع أمواله لأبنائه أو ابنه البكر دون البنات، فقد كنّ يُحرَمن من الإرث، حرماناً كاملاً اللّهم إلاّ أن يُوصي لهنَّ بشيء في وصيّته، أو يعطيها الإخوان شيئاً قليلاً إشفاقاً .. ورحمة.

ولهذا عندما نزلت آيات الإرْث، وتَقرَّر للنساء سهمٌ في الميراث تعجب بعض الناس يومَذاك.

يقول الفخر الرازي في شأن نزول هذه الآية: قال ابن عباس: أن أوس بن ثابت الأنصاري تُوفي عن ثلاث بنات وامرأة، فجاء رجلان من بني عمّه وهما وصيّان له يقال لهما: سويد، وعرفجة وأخذا ماله. فجاءت امرأة أوس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وذكَرَت القصة، وذكرتْ أن الوَصِيَيْنْ ما دفعا إليَّ شيئاً وما دفعا إلى بناته شيئاً من المال فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: إرجعي إلى بيتك حتى أنظرَ ما يُحدِث الله في أمرِكِ، فنـزلتْ على النبيّ هذه الآية، ودلّتْ عَلى أنّ للرجالِ نصيباً وللنساءِ نَصيْباً[1].

نعم لقـد منح الاسلامُ للمرأة شخصيّتها في مثل هذا العصر بتشريعه إرثَ المـرأة، وجَعَلهـا في مصاف الرجل. ولكن جعل سهمَها من الإرث في التشريعات الإسلامية نصف سهم الرجل يقول في القرآن: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن

---

(١) التفسير الكبير ج٩ ص١٩٤.

لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آباؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُوْنَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيْضَةً مِّنَ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيْماً حَكِيْماً . وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَّمْ يَكُنْ لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوْصُوْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِنْ كَانُواْ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي ٱلثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللهِ وَٱللهُ عَلِيْمٌ حَلِيْمٌ﴾[1].

نعم في مورد والدِ الميّت ووالدته، فانّهما إذا كان حَيَّين عند موت ولدهما، يرثُ كلُّ واحدٍ منهما السدُس من مالِ الميت على السواء. أي أنهما يرثان بصورةٍ متساويةٍ في هذه الحالة.

ولهذا فإن قانون الإرث في الإسلام تعرّض للإعتراض والنَقد من هذه الجهة فقالوا: لِماذا مَيَّز الإسلامُ بين المرأة والرجل في مجال الإرث فَوَرَّثَ المرأة نصفَ الرجلِ، أليس هذا ظُلم بالمرأة؟

إنّ الإجابة على هذا الإشكال واضحة، فإنَّ قانونَ الإرث يجب أن لا يُلحَظ ويحاسَب بمعزِلٍ عن سائر القوانين والتشريعات الاسلامية المتعلقة بالمرأة، بل يجب أن تدرَس المسؤوليات المختلفة، والظروف الخاصة لكلٍّ من الرجل والمرأة أيضاً.

صحيح أنّ الإسلام فَرَّقَ ظاهراً بين المرأة والرجل في صعيد الإرث والتوارث، ولكنّ هذا ناشيء مِن مسؤولياتِ الرجل في مجال وجوب دَفعِ المهر، وتكفّل نفقات العائلة وغير ذلك.

---

(١) النساء ١١ ـ ١٢.

لقد قرأتم في الدُروس السابقة أنّ على الرجل عندما يخطب امرأةً ويريدُ الزواج منها أن يقدّم لها مبلغاً بعنوان المهر، وبهذه الطريقة يكرّمُ زوجَتَه، ويبرز لها احترامَه، ويثبت حبّه الباطني وإخلاصه في مودته لها.

ومن جانب آخر إنّ المرأة بالنَظَر إلى تركيبها الخاصّ، وبالنَظَر إلى المسؤوليات التي ألقتها الطبيعةُ على كاهِلها، ليست ملزَمة بالكَسب والعمل، وتوفير نفقات المعيشة، بل إنّ مسؤولية تأمين جميع نفقات الزوجة، والأولاد، والعائلة هي مُلقاة بكل ثِقلِها علىٰ عاتق الرجُل.

ولو أنّ المرأة اختارت شُغلاً بمحض إرادتها، واكتسبت مالاً، كان ذلك ملكاً لها، ولا تُجبَر على صَرفه على المعيشة .. ولقد تعرّفتم في تلك الدروس على فلسفة المَهر والنفقة فلا حاجة إلى التكرار.

في ضوء الأُمور المذكورة يجب محاسبة سهم المرأة من الإرث، لنرىٰ ما هي علة هذا التمييز الظاهري بين سهم المرأة وسهمِ الرجل من الميراث؟ وهل انّ المرأة ظُلِمَت واقعاً، وعُومِلَتْ على أساس التمييز الجائر، أم أنه ليس هناك أي تمييز؟

يقال لدى الاجابة: لو أننا درسنا هذه المسألة ونظرنا إليها بعين الإنصاف لاطْمَئْنَنّا إلى أن المرأة ليس فقط لم تتعرض في القانون الاسلامي للظلم والتمييز، بل على العكس من ذلك قد دُوفع عن حقها دفاعاً كاملاً، ونُصِرت أيما نصر.

إنّ المرأة ـ حسب نظر الاسلام ـ تملك أموالها سواء عن طريق الإرث، أو الكسب والعمل أو المهر، أو الهِبة والهدية، أو أي طريق مشروع آخر.

إنّ أموال المرأة ترتبط بها شخصيًا، وهي ليست مُلزَمة بأنْ تنفقَها على الأُسرة، بل ويجوز لها أن تطالب بأجرٍ حتى لقيامها بالأُمور المنزلية وحضانة أطفالها.

وعلى هذا الأساس فإن كلّ أموال المرأة هذه تبقىٰ لها، وهي ليست مجبُورة على إنفـاقها، على العكس من الرجال الذي يكون مضطرّاً لتقديم مبلغٍ من المال إلى

زوجته من باب المهر، كما أنه مكلّفٌ شرعاً وقانوناً بأن يتكفل بتوفير كلّ ما تحتاج إليه الأسرةُ من مستلزمات الحياة، ومتطلّبات المعيشة، بل وحتى الإحتياجات الشخصية للمرأة.

وهذا يعني أن كلّ ما يحصلُ عليه الرجلُ من مالٍ عن طريق الكسب أو الإرث، أو الهبة أو أيّ طريق مشروعٍ آخر تشاركه فيه زوجتُه، وينتج هذا أنّ سهم الرجل من الإرث سيُصرف في مجال تأمين احتياجات الأُسرة، ويُنفق على مصارفها، وعلى إحتياجات المرأة الشخصيّة. يعني أنه سيُوضع تحت تصرّف المرأة بصورة غير مباشرةٍ في المال.

وصفوة القول: أنّ مسؤُولية تأمين وتوفير جميع إحتياجات الأُسرة حيث قد وُضعت بكل ثِقَلِها على عاتق الرجل، أراد الاسلام بتشريعه لقانون الإرث أن يجبر شيئاً من ذلك، ولهذا جعل سهمَ الرجل ضعف سهمِ المرأة.

ولقد أشير إلى هذه العلّة في الأحاديث أيضاً فعن ابن سنان عن الرضا عليه السلام قال: عِلّةُ إعطاءِ النساءِ نصف ما يعطىٰ الرجال من الميراثِ لأنّ المرأةَ إذا تزوجتْ أَخَذَتْ والرجل يُعْطِي، فلذلكَ وفَّرَ على الرجال.

وعلّةٌ أُخرىٰ في إعطاءِ الذَكر مِثْلَي ما تُعطىٰ الأُنثىٰ لأنّ الأُنثىٰ في عِيال الذَكَر إنْ احتاجَت، وعَلَيْه أن يَعُوْلَهَا وَعَليه نَفَقَتُها، وَلَيس على المرأة أن تعولَ الرجلَ ولا تُؤْخذْ بنَفَقَتِهِ إن احتاجَ، فوفّرَ على الرّجل لذلك، وذلك قولُ الله عز وجل: **﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّامُوْنَ عَلَىٰ النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾**[1].

وعن هشام بن سالم أنّ أبي العوجاء قالَ للأَحْوَل: ما بالُ المَرأةِ الضعيفةِ لَها سَهْمٌ واحِدٌ وللرجلِ القوي الموسر سَهْمان؟

---

(١) بحار الانوار ج١٠٤ ص٣٢٦.

قال: فذكرتُ ذلك لأبي عبدالله عليه السلام فقال: إنّ المرأة لَيْسَ عَلَيها عاقلةٌ ولا نَفَقَة ولا جِهاد وعدّد أشياءً غيرَ هذا، وهذا على الرجال، فلذلك جَعَل له سَهْمان ولها سَهْمٌ[٢].

فَكِّروا وأجيبوا:

١ ـ في أي عَصرٍ أعطى الإسلام حقَّ التوارث للمرأة؟

٢ ـ كم هو سهم المرأةِ من الميراث في التشريع الاسلاميّ.

٣ ـ ما هي العلةُ لجَعلِ سهمِ المرأةِ من الإرث نصفَ سهمِ الرجل في التشريع الإسلاميّ؟

٤ ـ هل ظُلِمَت المرأةُ في نظامِ الإرثِ الاسلاميّ؟

* * *

(١) بحار الانوار ج١٠٤ ص٣٢٧.

الدرسُ الثالثُ والسَبعون

الطَّلاق

الزواجُ ـ حَسب نَظَر الاسلام ـ ميثاقٌ مقدسٌ وغليظٌ يتعهَّد بموجبه الرجلُ والمرأة بأن يبقيا وَفيَّين له إلى نهايةِ العُمُر، وأن يجتهدا في تقوية بنيانه ودعم أُسُسه.

ولكن قد يرخُّص ـ مع ذلك ـ في الإنفصال والطلاق في ظروف وحالاتٍ خاصّةٍ، وقد جعل أمر الطلاق بيد الرجل.

على أنّ الطلاق وإن كان أمراً مشروعاً وحَلالاً إلّا أنّه في نفس الوَقت أمرٌ مبغوضٌ عندَ المشرّع الإسلاميّ المقدَّس .. وقد وَرَدَتْ في ذمّه أحاديث كثيرة نذكر بعضها على سبيل المثال:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ يحبُّ البيتَ الذي فيه العرسُ، ويبغضُ البيت الذي فيه الطَلاقُ وما مِن شيءٍ أبْغض من الطّلاق[1].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما مِن شَيء ممّا أحَلَّه الله أبغض إليه من الطّلاق وانّ الله يبغضُ المطلاق الذَوّاقَ[2].

---

(١) و (٢) الوسائل ج١٥ ص٢٦٧.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: بَلَغَ النبي صلّى الله عليه وآله أن أبا أيّوب يريد أن يطلّقَ إمرأته فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ طلاقَ أُمّ أيّوب لَحَوْب، أيْ إثم[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قالَ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أوْصَاني جبرئيلُ عليه السلام بالمرأةِ حتى ظننتُ أنه لا ينبغي طلاقُها إلاّ مِن فاحِشة مُبيَّنة[2].

وعن الصادق عليه السلام قال: تَزَوَّجوا ولا تطلّقوا فإن الطّلاق يَهْتزّ منه العرشُ[3].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ما أحبّ الله مباحاً كالنكاح وما أبغض الله مُباحاً كالطّلاق[4].

يُستفاد من هذه الأحاديث ونظائرها أنّ الطلاق رغم أنه عملٌ مشروعٌ وحلالٌ فانه في نفس الوقت عملٌ مبغوضٌ جدّاً إلى درجة أنه يهتز منه العرشُ الالهيّ.

وهنا يمكن أن تقولوا: إذا كان الطلاقُ مبغوضاً ومكروها عند الشارع الاسلاميّ المقدس، فلماذا لم يحرّمه، بل وأساساً كيف يمكن أن يقال إنّ هذا عملٌ مبغوضٌ ولكنه مع ذلك حلال، فانه إذا كان مبغوضاً حقيقةً لأُعلِن عن رفضِهِ وحُرمته؟

يقال في معرض الإجابة على هذا الاشكال: انّه لا تنافيَ بين الحلية والمبغوضيّة، فيمكن أن يكونَ عملٌ مّا مبغوضاً تماماً، ولكنّ عمله يكون في بعض الأوقات ضرورياً ولازماً، فمثلاً يُعتبَر قطعُ عضو من أعضاء البَدَنِ أمراً مبغوضاً ولكنه يكون في بعض الأوقات ـ مثل حالة الابتلاء بالسرطان ـ ضرورة لا مناص منها ولا مخلص.

---

(١) الوسائل ج١٥ ص٢٦٧.

(٢) مكارم الاخلاق ج١ ص٢٤٨.

(٣) مكارم الاخلاق ج١ ص٢٢٥.

(٤) مستدرك الوسائل ج٣ ص٢.

والأمر في مسألة الطلاق هكذا، فانّ الطلاق أمرٌ مبغوضٌ ومكروهٌ عند الشارع الإسلاميّ المقدس، وهو يخالفه بشدّة ويندّد به، إلاّ أنه يعدّه أفضلَ طريقةِ حلٍّ في بعض الأوقات، أي في نفس الوقت الذي يكره فيه وقوع الطلاق، وتحققه، ولا يخفي تأسّفه وانزعاجه منه .. ولكن لا يوجد في بعض الأحيان حلٌ أفضل منه.

ونقول في توضيح هذا الموضوع لا بد أوّلاً من دراسة طبيعة الزواج.

إن الزوجية عُلقةٌ طبيعيةٌ وميثاقٌ باطنيٌ بين رجل وامرأة يختلف إختلافاً كاملاً عن جميع المواثيق والعقود الإجتماعية الأُخرى مثل البيع والصلح والإجارة والرهن.

فانّ هذه العقود والمواثيق مجرّد مواثيق إجتماعية واعتبارية لا دخالة للطبيعة والغريزة فيها، على العكس من ميثاق الزواج وعقد الزوجية الذي له جذور في صميم طبيعة الزوجين وغرائزهما، وينشأ من رغبةٍ طبيعيةٍ، وميل غريزيٍ.

إن الزواج ينشأ من مَيل وانجذاب باطنيّيْن لدى كلٍّ من الرجل والمرأه تجاه الآخر ومن رغبةٍ غريزيّة في الاتحادِ والتوافقِ القلبيّين.

ففي جانب الرجل يكون الميلُ إلى المرأة وتعشّقها وخطبتها وبالتالي تصرّف شخصِ المرأة ذاتِها، وفي جانب المرأة تكون الإثارةُ والجاذبيّةُ، ولفتُ نَظَر الرجل، ومحاولة النفوذ في قلبِه والسيطرة عليه.

إنّ صَرْح العائلة وبناءَ الأُسرة يقوم في الحقيقة على هاتين الدعامتين، فالمرأة تطلب حبَ الرجل ومودته لها، والسيطرة على قلبه، فإذا وَصَلَتْ إلى هدفها، وحصلت على مقصودها هذا إطمأنّتْ إلى حياتها الزوجيّة، وعاشت رخيّة البال نشطةً، مسرورةً، وحوّلت جوّ الأُسرة إلى محيطِ أمنٍ، ومحطةِ إستراحةٍ للرجل (الزوج) والأولاد، وبالتالي اطمأنّ الرجلُ (الزوج) إلى أُسرته، وأنِسَ بها، واستراحَ إليها، وعلّق عليها آمالَه، واجتهدَ في توفير مستلزمات الرفاه والراحة، لاعضائها، وقامَ في هذا السبيل بكل تضحيةٍ ممكنةٍ.

فعلى هذا الأساس يُعتبر حبُ الرجل لزوجته أحد أهمّ عوامل السّعادة الزوجية بل مما تتوقف عليه عواطفُ الأُمومة التي تبديها الأُم تجاه اولادها كذلك.

فان المرأة التي تتمتع بمحبة زوجها لها يمكنها أن تربي أولادَها بشكل صحيح، وتروّيهم بالعواطف، وتربيهم في حضنها الدافيء.

أما إذا فقدت المرأةُ ـ ولأيّ سببٍ كانَ ـ حبَّ الزوج لها، وجاذبيّتها عنده، وتضاءلت نيران مودّته لها أو انطفأتْ بالكامل، فانّه حينئذٍ يجب اعتبار مثلَ هذه الأُسرة منهارَةً ومحطّمةً لأنها لا تنطوي على عُنصر الجاذبية، ولم يعد فيها ما يجذب لا الرجل ولا المرأةَ .. إنه بيتٌ باردٌ خالٍ عن دِفء المحبة، خال عن سخونة المودّة .. إنه بيتٌ مقفرٌ وموحشٌ، ومظلمٌ ورهيبٌ، إن مثل هذا البيت لا يمكن أن يكون محلَّ استراحةٍ ومحطة استجمامٍ للرجل بل هو سجنٌ لا يُتحمّل، وجحيم لا يطاق.

إن الاسلام رغم أنه يبغض الطلاق ويندّد به بشدة لا يمكنه في مثل هذه الحالات المأساوية أن يحمل الرجل والمرأة اللذين اختلفا بحكم الطبيعة وتنافراً من حيث الغريزة، على الاستمرار في تحمّل ثقل مثل هذا الزواج المزعج وغير المطلوب لهما، بل يظهر تاسفه الشديد من هذا الوضع، ويرخّص في الطلاق ذلك العمل الذي يبغضه بشدّة.

انّ الاسلام لا يحرّم الطلاق قانوناً، ولكنّه يكافح بشدة العلل التي تؤدي إلى الطلاق، ليتوقّاهُ، ويتجنّبهُ .. وقد قلنا سابقاً ان حبّ الرجل لزوجته هو أهمّ عوامل ودوافع حدوث الزواج، وأفضل ضمانة لبقائه واستمراره ولسعادة الأُسرة وراحتها وأمنها، ولهذا فهو يكافح العللَ والعواملَ التي يمكن أن تعرّض هذا الحُبَّ لخطر النقصان أو الزوال.

فهو من جانب يوصي النساء بأن يراعينَ الحجاب ولا يُعرِضْن زينتهنّ للرجال الأجانب، وان يكنَّ في معاشرتهن بحيث لا تلفتنَ نظرَهم، ولا تجلبْن إهتمامهم، وبالتالي

لا يحاولن أثارة غير أزواجِهنّ من الرجال الأجانب، وأزواج غيرهن من النساء.

ومن جانب آخر يوصي الرجالَ بأن لا ينظروا إلى النساء الأجنبيات، وأن يغضوا من أبصارهم اذا صادفَ ان وقعت عيونُهم عليهن، وأن يتجنبوا مفاكهتهن وممازحتهن.

ولقد كان الاسلامُ يهدف من هذا تطهيرَ البيئة الإجتماعية من عوامل الإنحراف، والزلل، والاستمتاعات الجنسية غير المشروعة، وأن يحصر الاستمتاعات الجنسية في إطار البيوت، وبين الأزواج الشرعيين.

لقد أراد الاسلامُ أن يمنع من التفرّج على الأجنبيات، الذي يُعَدّ من أهم عوامل الإنحراف والعشق الحرام، والميل إلى غير الزواج المشروع، والذي هو نتيجة النظر إلى الفتيات والنساء في الازقة والشوارع والطرقات.

ومن جانب آخر حثّ النساء على أن يُقدّرنَ محبّة أزواجهن، ويجتهدنَ في الحفاظ عليه، فيتزينَّ لأزواجهن، ويرضين رغباتهم الجنسيّة، ويشغلن كلَ قلوبهم لكي لا يتركنَ فيها مجالاً لأخرىٰ، ولكي يزدن من شعلة حبهم لهنّ يوماً بعد يوم.

ومن جانب آخر يوصي الرجال قائلاً بأن زوجتك أمانةٌ إلهيةٌ عندك فأكرِمْها، وأظهِرْ حُبَّك ومودّتك لها.

إن الاسلام يهدف من وراءِ كل هذه التدابير الحكيمة أن يُبقى على حبّ الرجل لزوجته الذي هو أهمّ ضمانةٍ للسَعادة الأُسَريّة وأفضل وسيلة لتقوية دعائم الرابطة الزوجية، والابقاء على علاقة الزواج، وان يصون الأُسرة من خطر نقصان هذا الحبّ أو زواله الذي هو أهم عوامل حدوث الطلاق والافتراق البَغيض.

ولقد استخدم الاسلامُ ـ في هذا المجال ـ عدةَ تعاليم أخلاقية للإبقاء على جذو ة الحب بين أعضاء الأُسرة ومنعها من الإنطفاء، وظهور أرضيةِ الطّلاقِ بسببَ إنزعاج الرجل، واستيائه.

لقد حَدَّدَ الاسلامُ وظائفَ وحقوقاً لكلّ واحدٍ من الزَوجين، وأوصى الزوجين معاً بأن يجتهدا في تقوية دعائم الأُسرة، وروابطها بالرعاية الكاملة للحقوق المتقابلة والإحترام المتقابل، وبحُسن المعاشرة والتزام سعةِ الصدر والعفو، وان يقدّما الحبَ والأُنس الزوجيين على كلّ شيء، وأن يجتهدا في حفظها واستمرارهما، وأن يتجنبا الانانية والاستبداد والعناد، والعُنف، ويعالجا الإختلاف في السلائق والرغبات، بالعقل والإنصاف وحسن النيّة، ولا شكّ أنه برعاية الوظائف والأخلاق الأُسريّة التي رَسَمها الاسلامُ يمكن المنع من حدوث أجواء وعوامل الطلاق إلى درجة كبيرة وملحوظة.

أما إذا اشتدّت الخلافات بينَ الرجل والمرأة وخِيف أن تنتهي إلى الطلاق فان الاسلام يقترح ـ هنا ـ تشكيلَ محكَمة العائلة .. يقول في القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيْدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ ٱللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيْما خَبِيْراً﴾[١].

في مثـل هذه الحالة يقترح الاسلامُ بأن يتدخّل أولياء الزوجين وأقرباؤهما، فيشكّلوا محكمة يكون أحد قضاتها من أقرباء الزوجة، والآخر من أقرباء الزوج، ويمكن أن يكون الحَكَمان من غير أقرباء الزوجين أيضاً.

ثم يقـوم القـاضيان المذكوران باستعراض ودراسة موارد الخلاف، ومواطن الاختلاف، بصورة دقيقة ومنصفة، فاذا أحسّا بأن موارد الاختلاف بين الزوجين ليست عميقة، وأنّ جذوة الحبّ الزوجيّ لا تزال مشتعلةً، وكانَ الصلح والاستمرار في الحياة الزوجية ممكناً، عَمِلا على الإصلاح بين الزَوجين، ورَأب الصَدع، وحكما بينهما على أساس العدل والانصاف والتذكير بموارد التخلّف عن الحق بلهجة ناصحة صادقة، وإيقـاف كلِ واحـدٍ من الجـانبين (الزوجين) على وظائفه ولزوم العفو والاغماض،

---

(١) النساء ـ ٣٥.

وبـالتـالي أن يبحثـا عن علل الاختـلاف وبعـد التعرف يعملا على ازالة اسباب الانزعاج، والاختلاف، ويصلحا بينهما..

على أن الصُلح الذي يوجدُه ويقرّهُ الحَكَمانُ الإسلاميّان يختلف إختلافاً كبيراً عن الصُلح الذي يمكن أن يقيمه ويقره القانونُ عن طريق الإكراه والإجبار.

فان الصُلح القانونيّ يُشبه الصلحَ بين شريكين أو جارَين أو دولتين اختصمتا، فانهما ملزمان بموجب حكم القانون أن لا يعتدي ايُ واحدٍ منهما على حقوق الطرف الآخر.

ولكن الصلحَ الذي يريده الاسلام وينشده هنا هو عبارة عن إيجاد الوحدة والمحبة، والعلاقة الباطنية بين الرجل والمرأة بحيث يصبحان قلباً واحداً ويرى كل واحدٍ منهما سعادته في سعادة الآخر.

إن الحَكَمَيْن الاسلاميّين يجتهدان هما الآخران ليقيما مثلَ هذا الصُلح بين الزوجين.

أما إذا توصّل الحَكَمان في تحقيقهما إلى أن جذوة الحب والعلاقة بين الزوجين المتنازعين قد انطفأت بالكامل، وان إختلافاتهما عميقة جداً إلى درجة أنه لم يَعُدْ هناك أملٌ في الإصلاح ولم يمكن بالعفو العودةُ بالمحبة الزوجية إلى حالتها الطبيعية مطلقا، فان الإسلام يجوّز في هذه الصورة الطلاق، والإفتراق، اذ لا مناصٍ منه ولا خلاص.

على أنه بعد جميع هذه المراحل لا يكونُ إيقاع أمر الطلاق من السهولة واليسر والبساطة بحيث يقع فوراً بل إن الإسلام تعمَّد في أن يقرّر شروطاً من شأن مراعاتها أن توجب تأخير وقوع الطلاق عسى أن يحصل انصراف من ذلك الحلّ البغيض.

وأسـاساً إن الطلاق هو أحد الخسائر المؤسفة المؤلمة في مجال الزواج والعالم الزوجي، وهو يستتبع تبعاتٍ ومشاكلَ كثيرةً يصعب تحمُّلها على الزوجين وبخاصّة الرجل.

في القوانين الإسلامية جُعِلتَ اكثر تبعات الطلاق على عاتق الرجل، بحيث أنه لو فكر بتعقّل لا نصرفَ عنه.

إن على الرجل أن يعطي مهرَ زوجته كاملاً ـ عند الطّلاق ـ إن لم يكن قد دَفَعَهُ إليها بعد.

يقول في القرآن الكريم: ﴿وَآتُواْ ٱلنِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾[1].

ويقـول أيضا: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾[2].

إن المَهر حقٌّ شرعيٌ وقانونيٌ من حقوق المرأة ويمكنها أن تستوفيه كاملاً عن طريق القانون.

وعلى هذا يجب على الرجل أنْ يدفَعَ مهرَ زوجته المطلّقة كاملاً .. هذا مضافاً إلى أنّ عليه إذا أرادَ أن يتزوّج من جَديدٍ أنْ يفكّر في مَهر الزَّوجة الجَديدة وجميع نفقاتِ الزَواج المجدّد.

هذا مِن جانِب، ومِن جانب آخر فانّ عليه أن يتحمّل مسؤولية حضانةِ ورعايةِ أولادهِ الّذين فقدوا أُمّهم ـ بالطّلاق ـ ويتكفّلَ نفقات الحضانةِ إذا أراد أن يسلّمهم إلى أحد.

كما أن عليه أن لا يغفل عن مشكلات عدم الإنسجام بين زوجته الجديدة وبين أولاده من الزوجة الأُولى، كما أن وضع الزواج الجديد ليس من الوضوح بحيث يطمئن إليه، فربما يبتلى بامرأة أسوأ من سابقتها بدرجات ومراتب أشدّ.

---

(١) النساء ٤.

(٢) النساء ٢٠ ـ ٢١.

إن أخذ كل هذه المشاكل بنظر الإعتبار يجسّد أمام عيون الرجل صورةً قاتمةً من الطلاق، تكفي ـ لو فكّر بعقلانية ـ أن ينصرف عنه غالباً.

ولكن المشكلة هي مع الأسف تكمن في اللجاج والعنادِ والتوقعاتِ غير الصحيحة التي قد يصاب بها الزوجان فتمنعهما من التفكير الصحيح، ورؤية العاقبة المشؤومة للطلاق والانفصال.

ولهذا فانّ الإسلام بتدابيره الحكيمة حاول أن يؤخر وقوع عمليّة الطلاق علّ ان تخف سورةُ اللجاج والعناد، ويفكّر الزوجان المتنازعان في العواقب وينصرفا عن الطلاق والانفصال.

يجب أن لا يستعجل منفّذ صيغة الطلاق ومجريها الذي هو غالباً من علماء الدين في إجراء الطلاق، بل يجب أن يؤخر هذه العملية بحجج مختلفة، ويجتهد في أن يزيلَ الاختلافات ويقيم الصُلح، والوفاق بين الزوجين.

ولقد اشترط الاسلام حضور شاهدَين عادلين يَشهدان إجراء مراسيمِ الطلاق،وحيث أن الحُصول على شاهدَين عادلين يقبلان بالحُضور في مجلس الطّلاق أمر عسيرٌ غالباً وهو يحتاج إلى مدة لهذا فان من الطبيعي أن يتأخر الطلاق بعضَ الوقت.

هذا مضافاً إلى أنه ربما يسعى الشاهدانُ العادلانُ بحكم واجبهم الإنساني، وبمقتضى العدل والتقوى اللذين يتمتعان بهما إلى وَعظ الزوجين، وإزالة الخلاف بينهما، وصرفهما عن الطلاق، والافتراق.

كما أن صحة الطلاق مشروطةٌ بأن تكون المرأة في طهر لم يواقعها فيه زوجُها، وهذا الشرط نفسُه يوجب تأخير عملية الطلاق قهراً.

لقد أراد الاسلامُ بهذه التدابير الحكيمة ونظائرها أن يؤخر عملية الطلاق قدرَ الإمكان علّ أن تخف أو تزول حالة اللجاج والعناد والعصبية والغضب ويعودَ الزوجان

إلى رشدهما، وينصرفا عن الطلاق، ويعودا إلى حياتها الزوجية.

لقد بلغ من اهتمام الاسلام أنه سمح للرجل في زمان عدة الطلاق الرجعي[1]، إذا ما ندم، أن يرجع إلى زوجته من دون حاجة إلى تجديد صيغة الزواج.

وهنا يمكن أن يقول قائل: إن كلامكم هذا أنما يصحُّ ويجري في حقّ الرجال الملتزمين بالأخلاق الحسنة والضوابط الإنسانية والاسلامية أما طلاب الهوىٰ، وعبيد الهوس، والشهوانيّون والفسقة من الرجال فلا يجديهم كلُّ هذا، فانَ قانون الطلاق يسمح لأمثال هؤلاء كلّما هووا إمرأة جديدةً بان يفكّروا في تطليق زوجتهم السابقة التي أفنت زهرة شبابها، وخيرة طاقاتها في بيته، وخدمته، وإخراجها من عشه الزوجي، فكيف يمكن أن نوفّق بين هذا، وبين العدل الاسلامي؟

ألستم تقولون إن قوانين الاسلام قامت على أساس العدل والإنصاف؟

اذا لم يكن هذا ظلماً، فما هو ترى الظلم إذن؟ ألم يكن من الأفضل أن يمنع الاسلامُ الطلاقَ رأساً، أو يقيّده بقيود وشروط ليمنع من هوس الرجال من طلاب الهوىٰ وأسرى الهوس؟

في الإجابة على هذا السؤال نقول: إن الإسلام يخالف كل لون من ألوان الهوس، ويعارض كلّ طلاق يقع على هذاالأساس معارضة شديدة.

ويندد بفاعله بشدة، ولكن الإسلام لا يرى مصلحة الأُسرة في أن يحمل امرأةً سقطت من عين زوجها، وفَقَدت مكانتها في قلبه على أن تعيش بقوة القانون إلى جانبه.

إن المرأة يمكن أن تبقىٰ بقوّة القانون في بيت زوجها، ويجبره على الإنفاق عليها ولكن مثل هذه المرأة لن تكون محبوبةً عند زوجها، ولن تحظى بالشخصية

---

(١) زمان عدة الطلاق الرجعي عبارة عن الزمان الذي يقع فيه الطلاق إلى ان ترى المرأة ثلاث حيضات.

والاحترام لديه في هذه الظروف.

إن أكبر عذاب للمرأة وأسوأ تحقير لها هو أن تكون مبغوضةً مكروهةً عند زوجها ثم تريدُ مع ذلك أن تعيشَ بقوة القانون في بيتٍ مثل هذا الرجل .. إن مثل هذا البيت لن يكون محطّة استراحة، وكهفَ أمْن ومرفأ خير.

إن محبوبية المرأة التي هي أُمنيتها الطبيعية لا تتوفر بقوة القانون واجباره قط.

إشكالٌ وجوابٌ:

يمكن أن يقول قائلٌ: لماذا جعل الاسلامُ حقَ الطلاق بيد الرجل فقط، وحرم المرأة من ذلك؟ مع أن نفس الأُمور التي ذكرتموها في فلسفة تشريع الطلاق للرجلَ، يحتمل أن تقع في جانب المرأة أيضاً؟

فمثلا قلتم: إن الحبّ أساس الحياة الزوجية ثم استنتجتم بأن جذوةَ الحب والعلاقة إذا انطفأت في قلب الرجل حيال زوجته، فكرِهَها، ولم يكن هناك أملٌ ولا طريق رجعة، كان له الحق في مثل هذه الصورة أن يضع حداً للعلاقة الزوجية بالطلاق لانعدام الحياة الطبيعية في مثل هذه الأُسرة، فان نفس هذا الإحتمال واردٌ في جانب المرأة، اذ يمكن أن تنطفيءَ جذوةُ الحب في قلب المرأة بالنسبة لزوجها فلم تعدْ تحبُهُ وتهواه، ولم يعد هناك طريقُ رجعة، ففي مثل هذه الحالة يجب أن يكون من حق المرأة أن تطلِّقَ زوجها هي أيضاً، فلماذا لا يكون كذلك؟

إن الجواب على هذا الاعتراض هو: صحيح أنّ الحياة الزوجيّة تتوقف على وجود العلاقة بين الرجل والمرأة ولكن نقصان أو زوال علاقة المرأة بزوجها لا يمكن ان يعتبر بمثابة انتهاء العمر الطبيعي للحياة الزوجية بل يجب عدّه من علائم تقصير أوَ قصور الرجل في اجتذاب زوجته وكسب محبتها.

لقد قلنا سابقاً انّ العلاقة الزوجيّة قد أُودعت في طبيعة الرجل والمرأة على

نحوين متفاوتين: فالرجل طالب، والمرأة مطلوبة .. والطلب واظهار الحب هو دائما يبدأ من جانب الرجل، والمرأة على العكس من ذلك تلبّي هذا النداء. وتستجيب لهذا الطَلَب. فحبُ المرأة وعلاقتها ناشئة من إظهار الرجُل للرغبة والحبّ، وردّة فِعل على موقفه، وعمله.

وعلى هذا فان مفتاحَ العلاقة والمحبة الزوجيتّين هو في يد الرجل. فالرجل هو الذي يحب زوجته ويظهر حبّه هذا لها قولاً وعملاً، وبالتالي يجعلها تطمئن إلى أُسرتها، وزوجها .. والرجل هو الذي بعدم محبته لزوجته وعدم الاكتراث بها يجعل زوجته غير راغبة فيه، فهو الذي يحملها على حبّها له وهو الذي يحملها على عزوفها عنه.

وعلى هذا الأساس فانّ بُرود الرجل في حبه لزوجته وخمود جذوة مودته لها بالكامل هو الذي يمكن أن نعتبره النهايةَ الطبيعيّة لحياة الأُسرة، وأما بُرود المرأة في حبها، وعزوفها عنه فلا يكون من علائم الموت الحتميّ للحياة الزوجية، بل هوعلامة تدل على أن زوجها لم يتمكن بحبّه وإظهار مودته لها ان يكتسب حبها له ورغبتها فيه، ويجعلها تطمئن إلى الحياة، وتكونَ وَفيَّةً لزوجها. مُنْشَدَّةً إليه.

وفي مثل هذه الصُورة يجب على الرجل أن يعيد النظر في براجمه ومواقفه وفي اخلاقه وسلوكه، ويجتهد حتى يتألف قلب زوجته، ويجعلها تطمئنُّ مرةً أُخرى إلى محبته ووفائه .. وإلى حياتها الزوجية.

بناءً على هذا لا يمكن ان يعتبر برود جذوة الحب لدى المرأة بالنسبة لزوجها من علائم إنتهاء الحياة الطبيعية العائلة، ليُستنتَجَ حينئذ أنه يكون للمرأة في مثل هذه الحالة حق تطليق زوجها.

مثال اخر:

اذا ظلم رجلٌ زوجتَه وتجاوزَ على حقوقها، ولم يف بها أو ببعضها أو ضيّق عليها،

ولم يسدّد نفقات معيشتها، أو لم يقم بحق المضاجعة، أو لم يعمل وفق ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ بل راح يضربها ويشتمها، ومن جانب آخر لا يرضى بطلاقها، وتسريحها، فما هو وظيفة هذه المرأة المظلومة في هذه الحالة؟؟

فهل عليها أن تصبر وتتحمّل كلّ ذلك العذاب والعناء إلى أن يأتي أجلها وتودّع الحياة؟؟

أليس هذا ظلماً؟ فلماذا لا يعطى حقُ الطلاق بيد المرأة حتى تخلّص نفسها من هذا السجن المقرون بالأعمال الشاقة؟

الجـواب هو: أن الاسلام قام على أساس العدل والإنصاف ورعاية حقوق الاشخاص، وهو لا يجوّز أبداً سلوك الرجل المشين مع زوجته فإذا عمد رجلٌ إلى إيذاء زوجته، وهَضم حقوقها ولم يرض بالطلاق، لم يسدَّ الطريق على مثل هذه المرأة المظلومة، بل يمكن لهذه المرأة أن تراجع إما الحاكمَ الإسلاميّ الشرعيّ وأما محكمةَ العائلة وتعرض شكواها عليهم، ليقرروا وظيفتها وواجبها.

وعلى المحكمة أن تلزمَ الرجلَ (الزوج) بأداء كافّة حقوق زوجته أو يطلّقها ويُسرّحها.

قال في القـرآن الكريم: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَو سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1].

إن الآية المذكورة وإن وَرَدت في مورد الطلاق لكنها لا تختص به، بل يمكن ـ وكما قال بعض الفقهاء ـ ان يُستنبط منها حكمٌ كليٌّ.

فانه يستفاد من هذه الآية ومن الأدلّة والشواهد الأُخرىٰ أن على الرجل أن

---

(١) البقرة ـ ٢٣١.

يختار في الحياة الزوجية أحد طريقين:

إما حسن المعاشرة مع زوجته والقيام بحقوقها بصورةٍ جيدةٍ ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ـ وَعَاشِرُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

وإما أن يقطعَ علاقة الزوجية ويسرّح زوجَته بالطلاق (سَرِّحُوهنّ بمعروف).

ولكنّه لا يجوز أن يختار طريقاً ثالثاً يعني لا أن يؤدي إلى المرأة حقوقها، ولا أن يطلقها.

إن اختيار الشق الثـالث قد نُفِي في ذيل الآية الحـاضـرة إذ قال: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ﴾.

وعلى هذا الأساس إذا عصى الرجلُ، ولم يَقُمْ بحقوق زوجته خيرَ قيام كان للمرأة الحق في أن ترفَعَ شكواها إلى الحاكم الشرعيّ الاسلاميّ ليوضح ويُحَدِّد لها وظيفتها.

فكروا وأجيبوا:

١ ـ ما هو رأيُ الاسلام وموقفه من الطلاق؟

٢ ـ لماذا اعتبر الاسلامُ الطلاق افضلَ حلٍّ في بعض الحالات؟

٣ ـ ماذا اقترح الإسلام للحيلولة دونَ وقوع الطلاق؟

٤ ـ ما هي تعاليم الإسلام للحفاظ على محبة الرجل لزوجته؟

٥ ـ ماذا يقترحُ الاسلامُ إذا اشتدَّتْ الخلافاتُ بين الزوج وزوجته؟

٦ ـ ما هي التدابيرُ التي اتّخذها الإسلام لتأخيره عمليّة الطلاق قدر الأمكان؟

٧ ـ ما هي فائدة تأخير إيقاع الطلاق؟

٨ ـ لماذا لم يسمح الإسلام للمرأة بطلاق زوجها إذا هي كرهته؟

٩ ـ هل جعلَ الاسلامُ طريقاً لنجاة المرأة وخلاصها إذا ظلمها زوجُها وامتنع

من تطليقها؟

* * *

المصادر

١ ـ قرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة ـ مجموعة ما اختاره السيد محمد الرضي من كلام امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

الدكتور صبحي صالح ـ طبعة دار الهجرة ـ ايران ـ قم.

٣ ـ الميزان في تفسير القرآن، تأليف الاستاذ العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي ـ المطبعة الاولى ـ دار الكتب الاسلامية.

٤ ـ تفسير روح البيان، للشيخ اسماعيل حقي البرسوي ـ ط بيروت ـ دار احياء التراث العربي.

٥ ـ بحار الانوار، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ـ ط اولى ـ دار الكتب الاسلامية ـ طهران ـ ايران.

٦ ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الاثير ـ ط بيروت ـ دار صادر ـ ١٣٨٥ هـ.

٧ ـ مستدرك الوسائل ـ للشيخ ميرزا حسين النوري ـ ط المكتبة الاسلامية ـ طهران.

٨ ـ السيرة النبوية ـ لابن هشام ـ مطبعة مصطفى البابي ـ مصر ـ ١٣٥٥ هـ.

٩ ـ انساب الاشراف ـ احمد بن يحيىٰ البلاذري ـ ط اولى ـ دار المعارف ـ مصر.

١٠ ـ السيرة النبوية، لابي الفداء اسماعيل بن كثير ـ ط دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٩٦ هـ.

١١ ـ البداية والنهاية لابي الفداء ـ ط دار احياء التراث العربي ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٨ هجرية .

١٢ ـ المستدرك على الصحيحين ـ للحافظ ابي عبدالله الحاكم ـ مكتب المطبوعات الاسلامية ـ بيروت.

١٣ ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الاثير ـ طبعة منشورات اسماعيليان ـ طهران.

١٤ ـ وسائل الشيعة ـ للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ـ الطبعة الثانية ـ المكتبة الاسلامية ـ طهران.

١٥ ـ تحف العقول ـ لابي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة البحراني ـ ط منشورات الاعلمي ـ بيروت.

١٦ ـ الكافي ـ لمحمد بن يعقوب الكليني ـ دار الكتب الاسلامية ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٨٨ هـ ـ طهران.

١٧ ـ الوافي ـ لمحمد بن محسن الفيض الكاشاني ـ مكتبة الامام امير المؤمنين ـ اصفهان.

١٨ ـ صحيح مسلم ـ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

١٩ ـ الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ط دار صادر ـ بيروت ١٣٨٠ هـ.

٢٠ ـ مناقب لمحمد بن علي بن شهر آشوب ـ المطبعة العلمية ـ قم.

٢١ ـ عيون الاثر ـ لابن سيد الناس ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٢٢ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ لجلال الدين عبد الرحمان السيوطي ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٢٣ ـ التراتيب الادارية ـ للشيخ عبد الحي الكتاني ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٤ ـ تاريخ اليعقوبي ـ احمد بن أبي يعقوب ـ دار صادر ـ بيروت ١٣٧٩ هـ.

٢٥ ـ الفهرست لابن النديم ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ قاهرة.

٢٦ ـ جامع الاصول ـ محمد بن الاثير الجزري ـ دار الفكر ـ الطبعة الاولى ـ ١٤٠٥ هـ.

٢٧ ـ مكارم الاخلاق ـ للشيخ رضي الدين ابي نصر الطبرسي ـ مؤسسة الاعلمي ـ كربلاء.

٢٨ ـ صحيح البخاري ـ محمد بن اسماعيل البخاري ـ دار احياء الكتب العربية ـ بحاشية السندي.

٢٩ ـ مجمع الزوائد ـ علي بن ابي بكر الهيثمي ـ دار الكتاب ـ بيروت ـ الطبعة الثانية.

٣٠ ـ تاريخ بغداد ـ احمد بن علي الخطيب ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣١ ـ ينابيع المودة ـ سليمان بن ابراهيم القندوزي ـ الطبعة السابعة ـ النجف ـ ١٣٨٤ هـ.

٣٢ ـ الصواعق المحرقة ـ احمد بن حجر الهيتمي ـ مكتبة القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٥ هجرية.

٣٣ ـ التفسير الكبير ـ الفخر الرازي ـ دار الكتب العلمية ـ طهران ـ الطبعة الثانية.

٣٤ ـ تذكرة الخواص ـ سبط بن الجوزي ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٣٨٣ هـ.

٣٥ ـ ذخائر العقبى ـ احمد بن عبدالله الطبري ـ مكتبة القدس ـ قاهرة ـ ١٣٥٦ هـ.

٣٦ ـ الفصول المهمة ـ علي بن محمد، الشهير بابن الصباغ ـ مطبعة العدل ـ النجف.

٣٧ ـ المناقب للخوارزمي ـ المطبعة الحيدرية ـ النجف الاشرف ـ ١٣٨٥ هـ.

٣٨ ـ السيرة الحلبية ـ علي بن برهان الدين الحلبي ـ مطبعة الاستقامة ـ قاهرة ـ ١٣٨٢

٣٩ ـ فرائد السمطين ـ ابراهيم بن محمد بن المؤيد ـ مؤسسة المحمودي ـ بيروت.

٤٠ ـ جامع احاديث الشيعة، المؤلف تحت اشراف آية الله العظمىٰ البروجردي ـ المطبعة العلمية ـ قم.

٤١ ـ نسيم الرياض ـ احمد شهاب الدين الخفاجي ـ المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة.

٤٢ ـ غرر الحكم ـ عبد الواحد الآمدي ـ دار الكتاب الاسلامي ـ قم ـ ايران.

٤٣ ـ الحقائق ـ العلامة الفيض الكاساني ـ مكتبة الاسلامية ـ طهران ـ ١٣٧٨.

٤٤ ـ تاريخ ايران ـ پژوهش دانشگاه كمبريج ـ بالفارسية.

٤٥ ـ تاريخ ويل دورانت ـ بالفارسية الطبعة الثانية ـ طهران.

٤٦ ـ تاريخ ايران از سلوكيان تا فروپاشى دولت ساساني ـ بالفارسية.

٤٧ ـ المفردات للراغب.

٤٨ ـ كتاب الطهارة ـ الفقيه المجاهد والامام القائد السيد روح الله الموسوي الخميني (قدس سره) ـ مطبعة الحكمة ـ قم.

* * *

الفهرس

* * *

تقطيع ومونتاج: عبد الامير الموسوي